

آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله

محاضرات ومطارحات في العقيدة
والتربية والفقه والسيرة

سلسلة
ندوات
الحوار
الإسبوعية
بدمشق

النكوة

اعداد عادل القاضي

الجزء الثالث عشر

دار الملاك

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الملاك طباعة - نشر - توزيع .

بيروت - لبنان - حارة حريك - قرب مستشفى الساحل - هاتف : ٠٣/٧٥٥٢٠٠ - ٠١/٤٥٠٧٦٩
ص ب ٢٥/١٥٨ الغبيري .

آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله

الندوة

سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق
محاضرات ومطارحات في العقيدة والتربية والفقه والسيرة

إعداد : عادل القاضي

الجزء الثالث عشر

دار الملاك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المقدمة

مرجعية المستقبل!

في منطق التغيير والتجديد تأتي المقولة التالية: إنَّ من يفكر في الحاضر فهو يفكر في الماضي، ومن أراد العيش في المستقبل عليه أن يفكر في المستقبل دوماً». منسجمة مع التطلّع الدائب للأمة إلى واقع أكثر رشداً، وبالتالي أكثر صلاحية واستجابة لرؤية الإنسان المعاصر لمتطلبات عصره.

المرجعية الدينية ليست شذوذاً لهذه القاعدة ولا بدعاً في عالم التغيير والتجديد، فهي أمام إحدى اثنتين: إمّا أن تخلع أسلوبها التقليدي في التعااطي مع مشكلات ومسائل وهموم الواقع، والذي لم يعد يلبي حاجات الإنسان المعاصر الذي سبق المرجعية في زاوية النظر إليها على أنّها قيادة إسلامية للحياة وليست مرجعية فقهية في جوانب محددة من الحياة. فمسائل الحلال والحرام المشهورة قد أتخمت بها كتب الفقه حتى إنها راحت تتناسخ وتتأسل وبدون تغيير العبارات والإشارات أحياناً!

أو أن تنزوي في كهوف التاريخ، ومن يأوي إلى كهف (كأصحاب الكهف) سيعجز بعد حين عن مجاراة ومسايرة ومواكبة العصر والتعامل معه بروح إيجابية، لأن تيار العصر يكون قد ساق مياهاً كثيرة وجرف طيناً كثيراً خلال فترة

سباته، فلا يكون أمامه إلا ما كان أمام الفتيّة أصحاب الكهف، وهو أن يتمنّى الموت، لأنّه كان -في فترة السبات- بحكم الميت، وإن كان قلبه لا يزال ينبض.

(المقلّد) اليوم غيره بالامس، لم يعد يكتفي من مرجعه أن يجيبه عن المطهرات والنجاسات التي تقدّر بدنه، والمعروفة في الرسائل العملية، وإنّما يسأله عن طهارة روحه في عصر تتأبّه المشاكل النفسية والروحية والأخلاقية العويصة، ويسأله عن طهارة موقفه الفكريّ من هذا التيار الفكريّ أو ذاك، وعن طهارة موقفه السلوكي في بيئة تتضاعف فيها نسبُ التلوث، وعن طهارة موقفه السياسي في التعامل مع هذا الحزب وتلك الحركة وهذا النظام وتلك المؤسسة.. انه يناشده بإعطائه الموقف الواضح الصريح لا المتردّد الرجراج الذي يزيده حيرة، في طهارة موقفه من الحياة بأسرها.

هل يطالب (المقلّد) مجتهد - في ذلك - فوق ما يستطيع؟ أو بخارج ما تسعه دائرته؟ هل يحمله مسؤولية هي ليست في الصلب من مسؤولياته؟ هل يريد منه أن يخرج من عباّته وعمامته ليرتدي زياً عصريّاً، أم انه يطالبه بأن يعيد له صياغة تفكيره في الحياة الشديدة التعقيد، الكثيرة التغيّر والتبدّل، ليكون مرجعه الحياتيّ الشامل وليس الفقهي فقط.

هل الفقهاء مؤهلون لهذه المهمّة العسيرة؟

سؤالان يرسم هذه المقدمة.

للإجابة عن السؤال الأول، نرى أنّ (المقلّد) لا يطالب بأكثر من حقّه، وهو - بالمناسبة- ليس بالحق الجديد، بل هو حقّ قديم تضاعفت درجة التعاطي معه حتى انحصرت في فتيا الطهارة والحيض والنفاس والخمس والزكوات.

قديم قدم المقولة التي يرددها الفقهاء عن وليّهم الذي أوكل لهم مهمة قيادة الساحة من بعده، والتي تقول ((من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لامر مولاه، فعلى العوام أن يقلّدوه))، وقدم الحديث الشريف الذي يقول ((الفقهاء أمناء الرسل)) وقدم التوصية الإمامية

التي تعتبر (الفقيه) حجة على الناس في عصر الغيبة، مثلما كان الإمام حجة الله في عصر الشهود، وكما سيكون كذلك في عصر الظهور.

(المقلد) لا يطالب إلا بإعادة الاعتبار لدور (النيابة) نيابة الإمام الذي أصابه الزمن بالهزال حتى نسي الكثير من المقلدين أن المرجع ليس مجرد مفت، وإنما هو (قائد) وأن دوره الحياتي الاجتماعي السياسي أكبر وأخطر من دوره في تذييل مسائل المقلدين بهذا جائز وهذا غير جائز.

وقد تبهت أدوار كثيرة لقيادات كثيرة، إلا أن دور المرجعية الدينية لا يبهته إلا المراجع أنفسهم، أو ظروف القاهرة عصية لا تقاوم، فإذا ما مر الدور الريادي القيادي بفترة خمول وضмор وانحسار، فلأن المرجعية، ولأسباب لا نريد التعرض لها، فلقد نوقشت طويلاً، كانت قد كتبت على نفسها ذلك، أو كُتب عليها ذلك فرضيت به مكرهة أو غير مكرهة.

وإذا رأى (المقلد) قائده ساكتاً، فإنه ونتيجة لحساسيته الفقهية ومرانه في التعامل مع المسائل، يرى أن الموقف يقتضي السكوت. وكأنه يردد مع نفسه، أو صراحة وبصوت مسموع إذا كان قائدي قد نظر ورأى أن الظرف ظرف تقيّة فاحتاط، فلم أخرج عن صمتي.. هل أنا أكثر فقها وعلماً منه؟

وفي ظل هذه التجاذبات بين فقيه حصر نفسه أو حاصرته ظروفه فانكفاً يزاوّل من دوره الواسع سعة الحياة هاشمه الضيق، وبين مقلد، وهو هنا ليس الفرد وإنما الأمة بجمهور مقلديها، تتقاذفه الحيرة وتتلاطم به أمواج الفكر والسياسة والتيارات والمفاهيم والطروحات المتلاحقة، ولا يجد لدى قائده قارب نجاة، أو خشبة إنقاذ.

بين هذا وذاك، تكبو مسيرة الخط الديني إذا لم يكن هناك ما ومن يسعفها ويخرجها من دوامة التكرار والاجترار والتراجع والانحسار.

لم يخل عصر منذ آخر عهد الأمة بإمامها الغائب ﷺ وبآخر سفرائه الأربعة من مرجع أو عدد من المراجع يفترض أن يكون كل واحد منهم - أو مجموعهم - نائب الإمام

بحقّ، فالنيابة -كما نفهمها- ليست نيابة مجتزأة تدور في حلقة المسائل الفقهية المعهودة، وإنما هي نيابة قيادية تدير شؤون الأمة الاجتماعية والسياسية والثقافية، لا سيما في أيامها العصيبة، وأزماتها الخائفة، ومنعطقاتها الخطيرة، إنّها الملاذ يوم يعزّ النصير وتغيم الآفاق، وتعقم الأمة قيادياً.

هل كانت فتاوى الجهاد التي صدرت عن مراجع النجف في العراق عام ١٩١٤ في محاربة الإنجليز وحرمة التعاون معهم، أو في ثورة التتباك في إيران عام ١٨٩١ التي أجبرت ناصر الدين شاه على إلغاء اتفاقه مع بريطانيا حول التبغ، أو في حرمة الحرب الأهلية كحرمة مقاتلة الاكراد، أو اعتبار الشيوعية كفرًا وإلحاداً أو في تحريم الانتماء لحزب البعث الذي حكم العراق طويلاً، أو تأسيس حزب إسلامي على يد فقيه مرجع، أو قيام ثورة إسلامية للاطاحة بنظام عميل للغرب، والمجيء بنظام جمهوري إسلامي، وغيرها...

هل كانت هذه فلتات في تأريخ المرجعية؟ أم أنها على قلّتها أو ندرة حدوثها تمثل الأصل في مسؤولية المرجعية في خط الشهادة على حدّ تعبير السيد الشهيد الصدر (رحمه الله).

أن لنا أن نتساءل عن حشود الجماهير التي تقلّد أية مرجعية واسعة النطاق فتلتفّ حولها وتستجيب لإرادتها وإشاراتها وتوجيهاتها، والتي لم تكن تعرف منها على وجه الدقة ما هو الموقف الشرعي من مسائل سياسية كثيرة، فسكتت بسكوت مراجعها.. أما كان بالإمكان توظيف هذه الطاقات والقدرات في أمر أدنى من إقامة الحكومة الإسلامية وأعلى من مجرد الفتيا في شكوك الصلاة؟

لقد حكمت المرجعيات ظروف خائفة ربما ألجأتها الى الانزواء والانكفاء والاكتفاء بتقديم القليل من عطاءاتها، لا نشك بذلك ولا نتجاهله ولا نلغيه، لكننا ونحن نتحدث عن مرجعية المستقبل، لا نجد في المقلدين اليوم من يرتضي لقائده (مرجعه الديني) أن يكون محصوراً في نطاق رسالته العملية مؤطراً بإطارها لا

سيما وأن القيادات السياسية الحركية لا تقدر أن تقود الساحة لوحدها، ولذلك اختارت -ونعم ما صنعت- أن تكون الأذرع المتحركة للمرجعية، ليقودا معاً حركة الأمة باتجاه التغيير.

وإذاً، فنحن أمام السؤال الكبير التالي؟

متى ترى المرجعية الشاملة، المفتحة على أوضاع الأمة وقضايا العصر، النور؟ متى تتحمل مسؤوليتها التاريخية التي عرفت بها والتي لم يعد العصر يتحمل المزيد من التأخير في إعادة الاعتبار إليها؟ هل انتهى دور المرجعية أو كاد إزاء التطورات الثقافية المتلاحقة والتحديات الفكرية والسياسية الجادة والحادة؟ قطعاً لا.

فالذي يمكن أن ينحسر هو ظل المرجعية التقليدية المراوحة مكانها. أما المرجعية الشاملة فما هو دورها قد حان، وإذا كان العصر قد تجاوز الأولى، فإنه يفتح بقوة على الثانية، حتى ليتمكن تصور مرجعية المستقبل بأنها المرجعية الممثلة للولاية بمعنى الكلمة.

المرجعية -وفق هذا المنظور- لا ينتهي دورها حتى تسليم الراية للإمام عليه السلام ولكنها مطالبة أن ترتقي إلى مصاف مسؤوليتها القديمة الجديدة والمستجدة على الدوام، وأن ترفع رصيدها في وعي الأمة التي تثبت بمراجعها كلما عبر هؤلاء عن هويتهم الأصيلة، وقيادتهم الحكيمة، وحضورهم الميداني، وموقعهم المنيع الذي يعبر عنه سماحة السيد فضل الله بأنه ((موقع استقطاب محوري))!

وإذا كان كتاب (المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م يمثل أطروحة سماحته المتطلعة إلى المرجعية الشاملة، ومعالم ومواصفات هذه المرجعية، فإن كتابه الآخر (الفقيه والأمة) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م يمثل الطرح التطبيقي من خلال عرض (النموذج) و(التجربة) لمرجعية شاملة اجتهادياً وفكرياً وحركياً وسياسياً، وهي مرجعية الإمام الخميني الراحل عليه السلام.

والكتابان -برأيي المتواضع- كتاب واحد، أو أنهما كتاب جزأين أو بفصلين أساسين، يضاف إليهما ما سنحت به فرص التعبير أو بلورة الحديث عن المعالم وعن التجربة في إجابات سماحته عن أسئلة الصحفيين أو الكتاب أو الحركيين أو جمهور الندوة في بيروت ودمشق.

واضحٌ لدى سماحته تمام الوضوح، أن المرجعية الراهنة خاصة بعد غياب الأسماء والرموز الكبيرة عن مسرحها تعاني من أزمة على أكثر من صعيد: ان على مستوى التخطيط والمنهجية، أو على مستوى الغياب عن قضايا العصر، أو غياب الرؤية الحركية والإحاطة بالواقع السياسي والاجتماعي والثقافي، أو انعدام الرصد الدقيق للساحتين الإسلامية والعالمية، أو غياب النظرة الشمولية لذلك كله.

وواضح لديه أيضاً، أن (المرجعية الفرد) يكاد يتجاوزها الزمن، إن لم يكن قد تجاوزها فعلاً، وإن الأنظار متجهة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى (المرجعية المؤسسة) ذات البرنامج المدروس والمخطط له بعناية، ولذا فقد تغيب المرجعية الفردية عن الساحة لموت أو لغيره ولا يشكل غيابها ثلماً كبيرة لا يسدها شيء، فيما لو اعتمدنا (المرجعية المؤسسة) التي لا تمثل تجمّعاً للفقهاء بقدر ما تعني خطأً ومنهجاً في العمل، لأننا عند ذاك نكون قد هضمنا جيداً وتمثلنا جيداً قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾^(١).

كما نكون قد تفادينا سلسلة من الأخطاء المرتكبة على مدى ارث وتاريخ طويلين من المرجعية الفردية التي كانت قد أدّت دورها في عصور وأوقات معينة. لكنّها لم تعد تفي بحاجات العصر الذي يستهضها لتكون في موقعها المتقدم دائماً.

وإذا كان سماحته يتطلّع إلى ما يشبه النظام القائم في المؤسسة البابوية

من حيث تكامل دوائرها واجهزتها وعلاقاتها ودراساتها وتجاربها وانفتاحها على ساحات العالم وليس المسيحي منها فقط، فانه لا يغالي في نظريته التي توازن وتوازي بين الثراء الفقهي للمرجعية وبين مدى انفتاحها السياسي على هموم وقضايا الأمة المتسارعة المتصاعدة المتشابكة. فالمرجعية الرشيدة التي تتحلى بالاستقامة الأخلاقية والقوة الروحية، والنزاهة السلوكية، لا يكتمل رشدها، من وجهة نظر حركية معاصرة، إلا برشد مكافئ وهو الرشد الاجتماعي والسياسي والحركي الذي يجعل من المرجعية المستقبلية تحمل وتضطلع بذات المهمة التي حملها الرسول ﷺ والأئمة ﷺ من بعده، مع فارق ملحوظ ومراعى وهو أن المرجع (النائب) غير مسلح بالعصمة.

لكننا، ومن خلال نظرة متفحصة ومستوعبة لنظرية المرجعية المؤسسة ومثلها الشاملة، التي تتشاور فيها العقول، وتتكامل فيها التجارب، وتتلاقح فيها الآراء، نكون قد اقتربنا مما يمكن أن نصلح عليه بـ(المرجعية المعصومة) لا العصمة التي يمتاز بها النبي أو الولي فتلك شأن رباتي خالص، بل العصمة التي تقلص إلى أدنى حد ارتباكات الوضع القائم، وتداخلاته، وربما تناقضاته.

وليسست الدعوة إلى وحدة المرجعية تعني انحصارها في اسم بعينه، أو انصهار الجميع في بوتقة واحدة، بل بما يطرح من فهم جديد لمفهوم الاتحاد الذي خلصت إليه تجارب الإنسانية، وهو انفتاح الاجتهادات على بعضها البعض في حالة التعايش الرامي إلى خدمة الخط والمدرسة والحياة، وأن تعددت الرؤى وتنوعت الطروحات^(*)، ذلك أن في التعددية ثراء لا يُناظر في الاتجاهات الفردية مهما كانت سعتها الآنية أو المرحلية.

ويمكن أن نلتقط من موسوعة (الندوة) في أجزائها الاثني عشر، عناوين المرجعية البارزة الثلاثة التالية:

(*) أنظر إلى (مجلس الإفتاء العالمي) الذي يتكون من ثلثة من علماء الدين من إخواننا أبناء السنة، وكيف يجتمعون ليناقدوا قضايا معاصرة لاسيما في ديار الغرب ليخرجوا بنتائج دراستهم ومناقشاتهم باطروحات تلي حاجات العصر.

١- خصائص المرجعية الرشيدة

٢- مهمات المرجعية الشاملة

٣- المؤسسة المرجعية

أولاً: خصائص المرجعية الرشيدة

في إجابات سماحته على شرائط المرجعية الرشيدة ومواصفاتها لا يني يؤكد باستمرار على خصائص المرجعية الشاملة، ففي سؤال عن اشتراط الإمام المرجع بالقضايا السياسية والاجتماعية، يقول:

((على المرجع أن يكون منفتحاً على العالم، لأن المرجعية تقتضي أن يرجع الناس إلى المرجع في كل القضايا العامة والخاصة، بما يعطي رأي الإسلام ويحدد الموقف الإسلامي، إلا أن المرجعية التقليدية لا تشترط للمرجع الإمام بالقضايا السياسية والاجتماعية، ونحن مع احترامنا لها نختلف مع المرجعية التقليدية في ذلك، وكذلك كان رأي الشهيد الصدر والإمام الخميني (رحمهم الله))^(٢) وحين يُسأل عن شروط اللياقة والأهلية التي اشترطها السيد الشهيد الصدر عليه السلام في المرجع، يقول:

((إن اللياقة والأهلية للمرجع التي يقصدها السيد الشهيد هي التي تتصل بعمله المرجعي، بحيث يكون لديه وعي يستطيع به أن يستنبط الأحكام الشرعية من خلال ثقافته الأدبية ووعيه للواقع الذي يريد أن يستنبط له.

ونحن نعتقد أن تطور المرجعية كما في هذه الأيام، يستدعي الرجوع إلى المرجع في القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية، مما يفرض أن تكون لدى المرجع ثقافة متنوعة ووعي سياسي واجتماعي خارج نطاق عملية التقليد))^(٣).

(٢) الندوة ج ١٢، ص ٥٥٢.

(٣) الندوة ج ٥، ص ٦١٧.

وفي السياق نفسه، يتحدث سماحته عن كفاءة المرجع السياسية والاجتماعية، فيقول:

((عالم المرجعية على قسمين: هناك مرجعية فتيا، بحيث يرجع إلى المرجع في الفتاوى الشرعية، وهذه مسألة ثقافية يكفي فيها أن يكون المرجع مثقفاً ثقافة اجتهادية يستطيع من خلالها أن يستنبط الحكم الشرعي من أدلته التفصيلية. وهناك من يشترط الألفية في ذلك، وهناك من لا يشترطها.

أما الآن فالمرجعية أوسع إطاراً ، فقد أصبح الناس يراجعون المرجع في القضايا السياسية والاجتماعية والأمنية، ومن هنا فإن المرجعية الفتاوية لا تستطيع أن تملأ الفراغ الذي يشتركه المسلمون اليوم، فالمرجع . بهذا المعنى . ليس لديه اطلاع على واقع المسلمين، وربما من خلال ذلك أيضاً لا يطالع على الموضوعات التي يريد الافتاء بها لأنها تحتاج أيضاً إلى معرفة الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي حتى يفتي في مسألة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

لذلك فنحن نعتقد أن طريقة المرجعية في السابق أصبحت لا تسد حاجة الناس، بل أضحت خارج نطاق الزمن، في حين يحتاج المرجع اليوم، بالإضافة إلى اجتهاده في الفقه والأصول، أن يكون عارفاً بزمانه وأكثر من ذلك أن يكون عارفاً بالقرآن، فالمرجع الذي ليس لديه ثقافة القرآن لا يستطيع أن يكون مجتهداً بالمعنى الصحيح للاجتهاد، لأن الاجتهاد قائم على الكتاب والسنة، فإذا كان لا يعرف من الكتاب الآيات الأحكام وبطريقة أصولية بحثة فإن من الصعب أن يفهم كلام الله.))^(٤)

ويُسأل سماحته: أليس من الضروري لمن يتصدى للمرجعية أن يكون مطلعاً على الواقع الثقافي والاجتماعي، فيبسط القول في الثقافة التي على المرجع

المعاصر والمستقبلي أن يتحلى بها^(*)، فيقول:

((في تصوّري أن مسألة المرجعية هي مسألة تتصل بالإسلام كلّه، لأن معنى أن تكون مرجعاً للمسلمين هو أن تكون واعياً لكل قضاياهم الفقهية في الجانب العلمي ليكون رأيك معذوراً لهم أمام الله تعالى، عندما تكون حجة عليهم من خلال اجتهادك وفقهك.

ولابد أن تكون واعياً للثقافة العقيدية في أصولها الحقيقية الخالية من كل تحريف ومن كل تشويه لتعرف كيف تعطي الناس الإسلام العقيدي في أصالته ونقائه. وإن تكون ملمّاً بالواقع الذي يتحرك فيه المسلمون في ساحات الصراع التي يواجه فيها الكفر الإسلام لتعرف كيف تحمي الإسلام بمعرفتك وثقافتك وتنقذ المسلمين من الضلال من خلال ما يطرحه الكفر من شبهات وما يثيره من تعقيدات ضد العقيدة الإسلامية.

وأن تكون واعياً للجانب السياسي من حياتهم، والجانب الاجتماعي في واقعهم، حتى إذا رجع المسلمون إليك أمكنك أن تعطيهم الرأي السياسي الذي

(*) في أحد بياناته يشير الإمام الخميني الراحل رحمه الله الذي يعتبره سماحة السيد النموذجاً للمرجعية الشاملة، إلى الخصائص التي يجب أن يمتلكها المجتهد أو المرجع الشامل، حيث يقول:

((ينبغي على المجتهد الشامل أن يتصف بعدد من الخصائص منها: معرفته بكيفية التعامل مع الألاعب والمكائد الثقافية السائدة في العالم، وامتلاكه بصيرة ورأيا اقتصادياً، وإطلاعه على كيفية التعامل مع الاقتصاد الحاكم في العالم، ومعرفته للسياسات العالمية والشخصيات السياسية ونظرياتهم، وفهم مكانة ونقاط قوة وضعف قطبي الرأسمالية والشيوعية (قبل انهيارها) اللذين يرسمان الاستراتيجية الحاكمة في العالم)). صحيفة النور، ج ٢١، ص ٢٩١. وفي كتابه (الفقيه والأمة) ينقل سماحة السيد فضل الله نصوصاً من رؤية الإمام لخصائص المرجع الشامل، ومنها الإحاطة بأمور العصر، فيقول:

((يجب أن يكون المجتهد محيطاً بأمور زمانه، وليس مقبولاً لدى الناس والشباب وحتى العوام أن يقول مرجعهم ومجتهدهم: ((أنا لا أعطي رأياً في المسائل السياسية))!)

ويضيف إلى هذه الخصيصة، خصيصة الإدارة والتدبير، فيقول:

((يجب أن يتحلى المجتهد بالبراعة والذكاء والفراصة لقيادة المجتمع الإسلامي الكبير وحتى غير الإسلامي، فبالإضافة إلى الإخلاص والتقوى والزهد، ينبغي أن يكون واقعياً مديراً ومدبراً)).

المرجع المذكور، ص ٢٧٣.

يتفق مع خط الإسلام ومع مصلحة المسلمين، وأن تعطيهم الرأي الاجتماعي الذي يجمعهم على أساس الوحدة والتعاون على البر والتقوى.

فنحن نلاحظ مثلاً أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين نقول إن المراجع نواب عنهم، كانوا يعيشون - بما أعطاهم الله من علم - كل القضايا التي يواجهها المسلمون. فعندما تثار مسألة عقيدية تتناول العقيدة الإسلامية نجد أنهم أول من يقف ليتحدث عن الرأي الإسلامي الأصيل بشأنها.

وإذا حدثت عند المسلمين بعض الفتن المذهبية أو الاجتماعية أو بعض الأوضاع السياسية فإننا نرى أنهم يعطون رأياً هنا ورأياً هناك، من أجل أن ينطلق هذا الرأي هنا وهناك.

ففي تصوري أن هناك فرقاً بين أن يكون الإنسان مرجعاً بالفتيا، وبين أن يكون مرجعاً للمسلمين، فقد تكون مرجعية الفتيا حالة ثقافية، ومع ذلك لا أستطيع أن أجد مجتهداً يمكن أن يفتي بالإسلام إذا لم تكن له الثقافة القرآنية الواسعة، وإذا لم تكن له ثقافة معرفة المجتمع لأن قضية الفقه تتصل بأعمال المكلفين، فلا بد أن يعرف المرجع واقع المكلفين ليفتي لهم من خلال دراسة هذا الواقع، خصوصاً أن العلماء والمجتهدين والمراجع يمثلون واجهة الإسلام، فالناس عندما يتحدثون عن الإسلام فإنهم يتحدثون عن الذين يمثلون الإسلام.

فقد تمثل المرجعية في السابق شيئاً في الجانب الثقافي الفقهي التقليدي، أما الآن فلا بد أن تواجه واقعاً يتسع لكل حياة الإنسان في خط الإسلام، وعلى هذا الأساس فنحن نرى أن لا مانع من العدول من مرجع إلى آخر بشرط أن يكون المرجع الآخر حائزاً على الكفاءة الاجتهادية في الجانب الفقهي، ولا يكفي فيه أن يكون ملماً في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية. (٥)

ثانياً: مهمّات المرجعية الشاملة:

ولا نجد ثمة انفصاماً في خصائص المرجعية الرشيدة وبين مهامها الشاملة، فالخصائص وإن كانت تمثل الجانب الثقافي من شخصية المرجع، لكننا ننظر إليها على أنها مؤهلاته للنهوض بمسؤولياته التي ركّزت عليها إجابات سماحته في العديد من الندوات وهي الاهتمام بالشؤون السياسية والاجتماعية والحركية والثقافية.

ينبغي لسماحته سائل يسأله: تكررّون في أحاديثكم أنّ على العالم أن يتصدّى لتحديات الواقع، وهذا ما يستدعي الإطلاع على حركة الفكر والفقه، أي إنّ عليه أن يمتلك علماً موسوعياً، فكيف يمكن ذلك، مع أنّ هذا الزمان يحتاج إلى التخصص في جانب ما؟
فيردّ سماحته بالقول:

((إن المفروض هو أن نتخصص بالإسلام، وقد ورد في حديث الإمام موسى الكاظم عليه السلام ((وجدت علم الناس قد اجتمع في أربع: أن تعرف ربك، وأن تعرف ما صنع بك، وأن تعرف دينك، وأن تعرف ما يخرجك من دينك))، فلا بد لنا أن نعرف ديننا والشبهات التي يمكن أن تخرج الناس من دينهم حتى تقوم بنا الحجة على الناس، وبذلك يستحق الإنسان لقب (حجة الإسلام) عندما يكون حجة للإسلام بعلمه وجهاده، ولا يكون حجة على الإسلام بجهله وتكاسله. والمقصود من التعبير هو أن يملك العالم الموسوعية في دائرة مسؤوليته الإسلامية بما يفتح على الناس أسرار الإسلام في حقائقه وشرائعه وأساليبه ومناهجه وأهدافه.))^(٦)

ومن مهمّات المرجعية الشاملة، أن تلتفت إلى واقع الحوزة العلمية لتطویرها أهدافاً ومناهج، والنهوض بأعبائها أداء وسلوكاً، ذلك أن الجامعة الدينية ورغم الملاحظات والمؤاخذات والنقود الكثيرة التي توجه إليها من الداخل ومن الخارج، لا تزال رغم التحسينات الطفيفة التي طرأت عليها - دون مستوى الطموح الذي

رسمه السيد الشهيد الصدر رحمه الله والذي يتطلّع إليه سماحة السيد .
 فسماحته يتصور أن ثمة عمقاً - في الحوزات - في جانبي الفقه والأصول،
 لكن ذلك لا يكفي كثافة للحوزويّ الذي يحتاج - في تقديره - إلى دراسات
 وقرءات وثقافة خاصة ببنائها ابتغاء ويجتهد في الحصول عليها بجهد ذاتي
 خاص وخالص^(٥).

يقول سماحته:

((لقد أطلق العصر تحديات في العقائد بالنسبة للمفاهيم الإسلامية وفي
 الاتجاهات الفكرية التي لا تنطلق من الجانب الفلسفي فقط، وإنما تنطلق في
 الجانب الحركي الذي يتصل بقضايا الناس وحركة الناس وواقع الناس وقضايا
 التقنين والتشريع. لذلك فنحن لحدّ الآن لم نحصل للأسف على نقلة نوعية في
 الحوزات. وإن مسألة تغيير الحوزات تحتاج إلى ما يشبه الثورة، وأظن أن ظروف
 الثورة لحدّ الآن ليست متوفرة، لأننا نعرف أنه ليس في الحوزات حرية فكر، فلا
 يستطيع الطالب أن يناقش في الهواء الطلق حتى بعض القضايا التاريخية،
 فكيف يمكن أن يناقش فيها قضايا عقيدية أو إجتماعية أو فقهية، وما إلى ذلك؟
 علماً أن هناك محاولة تجريبية تمشي بين الألغام وإن شاء الله تتكلّل بالنجاح.))^(٦)
 وأما في المناهج المعتمدة فإنه يرحّب بحفاوة بالأخذ بمضموني الدراستين
 العلميتين الأكاديمية والحوزوية، حيث أن جمع فضائل الدراستين يمكن أن يقدّم
 الأسلوب المنهجي الذي تتميز به الجامعة، والمحاسن التي يمتاز بها الأسلوب
 الحوزوي، ولا يرى بأساً في استعانة الحوزة بكوادر علمية متخصصة في العلوم
 العصرية للتدريس في الحوزة، حيث يقول:

(*) لو نظرت إلى الشخصيات الحوزوية البارزة التي يمكن اعتبارها رموز المرجعية الدينية، فإنك
 لا ترجع بالكثير من الأسماء الكبيرة التي حملت إلى جانب علمي الفقه والأصول علوم
 العصر كالاجتماع والنفس والتربية، أو استقت من معين القرآن ما يزخر به من مفاهيم،
 واطلعت على مناهج العمل السياسي والحركي بما يُثري بناءها الفكري والعلمي.

((يمكن أن نستعين بكوادر جامعية في بعض العلوم التي يحتاجها الطالب الحوزوي مثل علم الاجتماع وعلم التربية وعلم النفس، بل حتى بالنسبة إلى التاريخ عندما يراد له أن يؤصل بمنهجية دراسية تجعل الطالب ينقد التاريخ ويأخذ منه ما يمثل الحقائق.))^(٨)

لكنه كما لا يعدم الأمل في الإصلاح، لا يعدم الإشارة إلى نماذج إصلاحية شهدت الحوزة والمرجعية، فيقول:

((هناك حركة فكرية إصلاحية منذ أن كنا في النجف وحتى الآن، فهناك الكثيرون ممن يهتمون بإدخال الحوزة إلى رحاب العصر، وليس معنى أن تدخل العصر أن تنحني للعصر، ولكن أن تعيش ذهنية العصر، وأن تتفهم ذهنية العصر، وأن تعرف المستجدات التي تحصل في العصر، لأن النبي (ص) يقول: ((إننا معاصر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)). ولذلك، فإذا لم تفهم عقلية الناس وذهنيتهم وطريقة تحليلهم للأشياء تجد عقبات كثيرة في طريقك. وهناك الآن أكثر من تجربة فيها تحديث وأعتقد أنه إذا أزيلت بعض العقبات فيمكن أن نصل إلى نتيجة طيبة.))^(٩)

لكنه وهو يقول بتجديد وتطوير أساليب ومناهج التدريس الحوزوي، لا يرى وجهاً للتجديد الفقهي، وإنما يدعو إلى قراءة المصادر الأساسية للفقهاء قراءة مختلفة عن قراءات العصور السالفة، فحينما يُسأل عن (عصر التجديد الفقهي)، يقول:

((لقد قلت أكثر من مرة إن التجديد ليس عقدتنا، بمعنى أننا لا نضيع أمام سؤال التجديد كيفما كان، ليكون حالنا حال الذين يغيرون ملابسهم بتغيير الموضة حتى لو كانت ملابسهم جديدة ولطيفة، وكذا تغير السيارات والأثاث، فهذه سياسة احتكارية استهلاكية تقوم على خلق أوهام لاستغلال أموال الناس.

(٨) الندوة. ج ١. ص ٥٢١.

(٩) نفسه.

ونفس الشيء يقال في الفقه، فالبعض من الناس يقول بضرورة تجديد الفقه في حين أن الفقه هو علم نحصل من خلاله على أحكام الله وهي تنطلق من الكتاب والسنة. فلا يصح أن نقول بتجديد الفقه، بل نقول إنه لابد لنا من أن نقرأ الكتاب والسنة بطريقة تختلف عما قرأه الآخرون لأن الآخرين تركوا لنا شيئاً وحصلنا على شيء آخر، فالمسألة هي (كم ترك الأول للآخر).

فعلياً أن لا نتجمد أمام القديم وأن لا نقدر المجتهدين الذين سبقونا (فهم رجال ونحن رجال) فلقد كانوا يملكون علماً، وقد نملك علماً يختزن أكثر مما اختزنوه لأننا أخذنا علمهم، وعلم ما جاء بعدهم، وعلم ما نعيشه الآن.

لذلك، فنحن لا نقول بوجوب تجديد الفقه، لأننا عندما نعيش عقدة التجديد فربما نحرم الحلال ونحلل الحرام من خلال هذه العقدة لا من خلال أن الدليل يدل على ذلك، لكن علينا أن نفهم النصوص الإسلامية فهماً جديداً بما نملك من العناصر الاجتهادية المعذرة لنا أمام الله، وقد نلتقي بالتجديد، وقد (ن بقي على القديم.)^(١٠)

وهو لا ينفي وجود طاقات وكفاءات علمية قادرة على إحداث التغيير، بل وأسهم بعضها فعلاً في صناعة أجوائه بما يتناسب وظروفه وإمكاناته ومقدار ما سمحت به الساحة العلمية وتفاعلت معه. يقول سماحته:

((عندما نفهم العصر بذهنيته فإننا نستطيع أن نحل مشاكل العالم، وسنجد في الإسلام حلاً لأية مشكلة، ولكن عندما لا تشعر بأن هناك مرضاً فهل يمكن لك أن تفكر كيف تعالج المرض؟ إن مشكلتنا هي أن الكثيرين منا لا يشعرون بأن هناك مشكلة. ولذلك فهم لا يجدون ضرورة لأن يعالجوا المشكلة. إن لدينا طاقات شيعية كبيرة جداً، ولكننا بحاجة إلى طاقة السيد محمد باقر الصدر ؑ وطاقة كطاقة الشهيد المطهري ؑ هذه الطاقات التي واكبت عصرها وفهمته وانسجمت معه فأثرت فيه بقوة، وساهمت بتطور المجتمع وتقدمه.

إننا نريد للذهنية الإجهادية أن تنفتح على الإسلام في منهج أهل البيت بطريقة علمية منفتحة تتحرك من خلال الكتاب والسنة، وتنطلق من العقل في مواقع حركته بطريقة عميقة تؤكد المنهج الإسلامي الإمامي في عقلانيته الفكرية وفي وعيه للإسلام من مصادره الأصيلة.))^(١١)

ثالثاً: المؤسسة المرجعية:

أطروحة المرجعية الصالحة أو الرشيدة - المشروع الرائد لتطوير المرجعية الدينية الذي طرحه السيد الشهيد الصدر عليه السلام والذي رمى من ورائه إلى تغيير الواقع الاجتماعي والفكري والسياسي على أساس الإسلام، وإلى أن تنهض المرجعية بدورها القيادي المحوري في الحياة الإسلامية، لم يكن صرخة في وادٍ، ولا قفزة في الفراغ، ولا فكرة آنية استدعتها الظروف المرحلية.

فلقد حدد أهداف المرجعية الصالحة في خمسة أهداف، تلخص في نشر أحكام الإسلام على أوسع نطاق، وإيجاد تيار فكري واسع في الأمة، وإشباع الحاجات الفكرية للعمل الإسلامي، والقيومية على هذا العمل، والتركيز - في الأمة - على الصفة القيادية للمراجع.

ونادى بتطوير أسلوب المرجعية بإيجاد جهاز عملي تخطيطي وتنفيذي للمرجعية، يعتمد على لجان لتسيير الوضع الدراسي في الحوزة، وأخرى للإنتاج العلمي والبحثي، وأخرى مسؤولة عن شؤون علماء المناطق، وأخرى للعلاقات والاتصالات، وخامسة لرعاية العمل الإسلامي، وسادسة مالية لضبط الموارد وتمييتها.

ولأنه كان يحرص على أن تكون المرجعية الصالحة (خطأً) وليس (أفراداً) ركّز على هذه النقطة كضمان لتسلسل هذه المرجعية وعدم انتكاسها بانتقالها إلى

من لا يؤمن بأهدافها الواعية، ولذلك اعتبر المرحلة الثالثة من مراحل هذه المرجعية المرحلة العليا المسيطرة على الموقف الديني.

وكان يرى أن سير العمل في تطوير أسلوب المرجعية وجعلها مرجعية موضوعية، يتأثر بعدة عوامل في حياة الأمة فكرية وسياسية، وبنوعية القوى المعاصرة في الحوزة للمرجعية الموضوعية، وعمق وجودها في الأمة، ومدى علاقتها - طرداً أو عكساً - مع أفكار المرجعية الصالحة.

هذه المرجعية الموضوعية تحدث عنها سماحة السيد فضل الله في إطار المؤسسة في عصر هو عصر ازدهار المؤسسات وضمور الأدوار الفردية، بل تتأتى قيمة الدور الفردي هنا من خلال عطائه ومشاركته وموقعه ضمن المؤسسة.

والمرجعية - المؤسسة طموح سماحته الذي نظّر له في (المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية) وأجاب موسّعاً على أسئلة وردت بخصوصه إبان سني الندوة التي قاربت العقد من الزمن، يقول في إجابة عن سؤال بضرورة انبثاق هذه المؤسسة القائمة على أسس وقواعد علمية:

((نحن نطمح، وهذا هو مشروعنا فيما عالجناه في الحوار الذي أجريناه في هذه المسألة، إلى المرجعية - المؤسسة، وليس معنى أن تكون المرجعية مؤسسة، هي أن يبقى المرجع، وتبقى القيادة بل نريدها قيادة تتحرك من خلال المؤسسة حتى تقدم لها الدراسات وترتب لها العلاقات وتقدم لها المشورة بحيث ينطلق المرجع عندما يريد أن يعطي تصريحاً في مسألة سياسية، أو في قضية اجتماعية، أو في مسألة من مسائل العالم، من دراسة جاهزة من خلال هذه المؤسسة أو تلك، حتى إنه إذا أراد أن يستنبط حكماً شرعياً تقدّم له الدراسات التي قد لا يستطيع أن يحيط بها بجهد الخاص إلا بعد أن يعطل الكثير من عمله.

لذلك نقول لابد أن يبقى المرجع في وعي الناس وفي عقولهم لبواكب مسيرة المرجعية التي بدأت في التاريخ، لكن المرجع عندما يكون مرجعاً للأمة لا يملك أن يدير المرجعية من خلال شخصه أو من خلال ما يعيشه من علاقاته من

خلال أبنائه أو أصحابه أو بعض تلاميذه، فذلك لن يحقق طموح المرجعية، نعم قد يحقق بعض الخدمات وبعض الإضاءات ولكنه لا يحقق الطموح الكبير الذي يشعر فيه كل إنسان بأنه - يملك في كل قضية تحدث في العالم - رأياً جاء من المرجع الذي يواكب التطور ويواكب حركة الواقع.

لذلك نحن نطمح إلى المؤسسة المرجعية التي يقودها المرجع، فنحن الآن نلاحظ، أيها الأحبة، مع كل احترامنا لرجالنا الذين كانت لهم اليد البيضاء في استمرار خط أهل البيت عليه السلام وكانت لهم اليد الطولى في تثبيت القواعد، نلاحظ أن ظروفهم اقتضت هذا الشيء. والقضية تحتاج إلى ظروف فوق العادة، فمثلاً عندما يعيش الفقيه في مدى عشرين سنة أو ثلاثين سنة فمن الطبيعي أن يتلقى الكثير من الرسائل، وأن يمارس الكثير من النشاطات، وأن يقيم الكثير من العلاقات، وكل هذا يصبح في الواقع التالي لرحيله ملكاً لأبنائه. فلقد ذهب السيد أبو الحسن الأصفهاني عليه السلام ولم يستفد من تراثه المرجع الذي جاء من بعده حتى ولا من رسالة واحدة أرسلت إليه. ورحل السيد محسن الحكيم عليه السلام ولم يستفد أي مرجع بعده من أية نشاطات قام بها. وهكذا فإن حياة المرجع في رسائله وعلاقاته ونشاطاته كلها يرثها أبنائه.

إننا نقول، عندما يبدأ كل مرجع من نقطة الصفر فهذا خلل ولو كانت هناك مؤسسة للمرجعية بحيث لها أجهزة تحتفظ بكل رسائل المرجع وتقاريره وكل علاقاته وكل نشاطاته ويكل أبحاثه ويكل حواراته، فمعنى ذلك أن المرجع الجديد حينما يأتي فإنه يبدأ من حيث انتهى المرجع السابق، وهذه المسألة نسعى لها، ولنفرض الآن أن المرجعيات الكبيرة قد رحلت فإن لدينا مرجعيات تحبو وتنمو. واسأل أي واحد من هؤلاء المراجع في (قم) أو في (النجف) ماذا لديه من خلاصات نشاطات المرجع السابق؟ فإذا كانت هناك دراسات فمعنى ذلك أن يعرف أن المرجع السابق وصل إلى هنا وعليه أن يكمل الشوط. وفي تلك المرحلة تحدث المرجع وتحرك في هذا الجانب أو في ذاك، والقضية الفلانية

عالجها بهذه الوسائل وبقيت جوانب أخرى، وهكذا.

ولكنني أعتقد أن المسألة تحتاج إلى توعية شاملة في الذهنية الشيعية وعلى مستوى المثقفين والناس والعلماء، واعتقد أن هذا هو مشروع المستقبل، فكما طرح المرحوم الشهيد الصدر رحمه الله المرجعية الرشيدة وهي مشروع المستقبل أيضاً، لأنها تحتاج إلى أرضية والأرضية هي الوعي، فيما نحن لا نزال على طريقة «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ»^(١٢) فنحن لا نزال نعيش هذا الجو، لا نعيشه فكراً ولكننا نعيشه في طريقة حياتنا، فإذا لم نحقق ذلك فعلى الأقل أن يفتح المرجع على العصر، ويعيش هموم الناس، وأن يعرف الهموم السياسية والهموم الثقافية والهموم الاجتماعية والهموم الاقتصادية، وليس من الضروري أن يكون عالماً بالاقتصاد أو عالماً بالسياسة أو ما إلى ذلك، لكن أن تكون له إطلاقة على الواقع، فإذا لم يستطع أن يحقق النتائج الكبرى فمن الضروري أن يفتح لنا نوافذ تطل على المستقبل، بحيث يمكن أن تقرب لنا النتائج الكبرى في هذا المضمار.

إن المشكلة التي نعيشها حتى الآن هي قضية أن الدور الطبيعي للمرجع لا يزال هو الدور الذي عرفه الناس، وهو أن يجيب على الاستفتاءات وهذا جهد كبير، وأن يركز على مسألة الرخصة في الحقوق الشرعية وهذا مما يحجمه بأن يكون مرجعاً في الفتيا فقط. وهناك فرق بين شخص يكون مرجع طائفة أو مرجع أمة، فإذا كان مرجع أمة فلا بد له حينئذ أن يعيش كل قضاياها.

وحتى الفتيا تحتاج إلى انفتاح على الواقع فربما يغير المرجع كثيراً من فتاواه عندما يواجه الواقع، ونحن نعرف أن السيد الحكيم رحمه الله بعد أن ذهب إلى لندن أفتى بطهارة أهل الكتاب، أي أنه درس المسألة في إطار الواقع، وعندما حج بيت الله الحرام وكانت فتواه إن الطواف لا يجوز خلف مقام إبراهيم، رأى أن ضيق مجال الطواف بين مقام إبراهيم وبين الكعبة مشكلة يعيشها الناس وعند ذلك

أعاد النظر في الأسس التي ركّز عليها في فتواه وأزال بعض التحفظات وبدأ يفتي بأن الطواف يتسع إلى ما وراء مقام إبراهيم.

لذلك فإن بعض القضايا عندما يعيش المرجع تجربتها فقد يغير نظرته إليها بحيث يحل فيها مشاكل الناس فلا يتحفّظ في الفتاوى وبما هو ثابت عنده بالدليل، وعندما لم يفتي أحد، أو يقول أنا لا أتحمّل هذه المسؤولية فيتركها على الأحوط، كمن سأل مقلده بقوله: انني أعمل في شركة في بلد إسلامي، وهؤلاء يفرضون علي أن أحلق لحيتي فهل يجوز لي ذلك؟ فماذا كان الجواب؟ قيل له: (لا نعتقد أن شركة إسلامية تجبر الناس على ذلك)!

إننا نقول إن الواقع يعين المرجع على تجاوز بعض التحفظات ليحل مشكلة الناس من خلال الفتوى، وأنا لا أؤمن بأن علينا أن نفتي للناس لنحل مشاكلهم بغير علم، كلاً، لكن إذا كانت الفتاوى يمكن أن تحل مشاكل الناس بحيث لا يختبطون فيها أو يعيشون مشاكل كبيرة، عند ذلك يمكن العمل بالرخص المتاحة، ولقد حذر بعض أصحاب السيد الحكيم.. من أن يفتي بطهارة أهل الكتاب، وكان أول عالم شيعي في التاريخ يفتي بذلك بشكل علني صريح، ولقد قالوا له: ربما يثور الناس عليك فأنت تخالف بذلك المشهور أو الإجماع. فقال لهم لدي مقلدون يعيشون المشاكل مع أهل الكتاب وقد ثبت عندي الحكم بالطهارة بالدليل فعلى أي أساس أتوقف، لذلك أفتى بطهارة الكتابي وأثار ضجة ولكنه عالج القضية وفتح الطريق للآخرين))^(١٣)

لكنّ سماحة السيد يرى أنّ المسألة ليست مجرد رغبة أو طموح أو حاجة ميدانية، وإنّما هي مسألة تفرضها دواعٍ كثيرة تتعلق بالموقع القيادي لهذه المرجعية التاريخية والمعاصر والمتعدد الوجوه والجوانب، وأن (مرجعية المستقبل) هي هذه التي سبقت الإشارة إلى خصائصها ومعالمها ومهامّها، ولكن دون ذلك عقبات وعراقيل وتعقيدات، فهي لم تتجاوز بعد مرحلة الحوار والنقاش فضلاً عن أن

تتحول إلى مشروع علمي واقعي شاخص.

وإذ يُسأل عن تجارب العمل المرجعي الرائدة: تجربة الشهيد الصدر، وتجربة الإمام الخميني، وتجربته، يقول:

((إن الأفق الذي تحركت به هذه التجارب وهذه المداخلات هو أفق واحد ينطلق من قاعدة واحدة، وهي أن المرجعية في معدنها المنطلق من الإسلام والمنفتح على الأمة لا تمثل مجرد حالة ثقافية يتمتع بها المرجع ليقدم فتواه إلى الناس. وليس دوره الذي أريد له أن يقوم به هو دور المفتي فحسب، فالنظرية الإسلامية بشأن المرجع لدى اتباع أهل البيت هي أن المرجع نائب للإمام، وإذا كان نائباً للإمام فمعناه أنه يحمل في دوره وفي موقعه دور الإمام بشكل أو بآخر. وإذا عرفنا أن دور الإمام يمثل امتداد العمل الرسالي الذي يقوم به الرسول ﷺ فإن معنى ذلك أن المرجع الذي يعيش وعي المرجعية في الأمة لا بد له من أن ينفتح بالإسلام على الأمة في فكره ليكون فكره فكراً شمولياً في أساليبه، أساليب الانفتاح في وعيه وفي تطلعاته وفي معاناته لكل الأوضاع التي تعيشها الأمة في مشاكلها. لذلك نعتبر أن الإمام الخميني ﷺ عندما انطلق من موقع أن على المرجع إذا توفرت له ظروف التحضير للحركة الإسلامية والثورة الإسلامية، وإذا انطلقت به امکانات من أجل تغيير الواقع، فإن عليه أن يعمل من موقعه القيادي باعتباره ولياً لأمر المسلمين وأن يعمل على أساس تغيير الواقع.

لذلك نعتقد أن تجربة الإمام الخميني ﷺ كانت تجربة رائدة لم تتحرك من خلال أسلوب تنظيم العمل المرجعي، ولكنها تحركت من خلال توسيع الساحة المرجعية والأفق المرجعي بحيث ينطلق المرجع ليكون ثورة وليصنع دولة وليحرك العالم من خلال الإسلام كله.

وأما تجربة الشهيد الصدر ﷺ فقد انطلقت من محاولة التنظير للمرجعية الرشيدة لإدارة حركة المرجعية في مسألة الدعوة والتبليغ وتنظيم الأوضاع التي تنقل رسالة المرجع وتنجح في إبلاغ الدعوة إلى كل إنسان، وفي بلورة الأساليب

التي يمكن أن تفتح بالإسلام على عقول الناس في كل ما ينتجه التطور من أساليب.

وكان الشهيد الصدر وهو الذي انفتح كما انفتح الإمام الخميني على الجانب الإسلامي الحركي، كان من صنّاع الحركة الإسلامية، وكان من المنظرين الإسلاميين الذين أبدعوا في صياغة النظرية الإسلامية الفلسفية وفي صياغة النظرية الإسلامية في المذهب الإقتصادي وفي كثير من خطوط العمل الإسلامي والمفاهيم الإسلامية. وعندما أطل على مسألة المرجعية أطلق شروط المرجعية الرشيدة التي تتلخص في تحصيل شروط الإدارة المرجعية في جهاز المرجع وفي حركيته.

أما التجربة المتواضعة التي حاولت أن أثيرها في حوار حول (المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية) ففي الواقع كنت أفكر - استكمالاً لمشروع الشهيد الصدر - بأن المرجعية لابد أن تنتقل من مرجعية شخص إلى مرجعية مؤسسة، أي أن لا تكون المرجعية شخصاً إذا مات يموت كل تراثه وتموت كل تجربته ليرث أولاده كل رسائله وتاريخه وكل تفاصيل أوضاعه. كنت أضع تشبيهاً للمسألة المرجعية - كطرح المسألة في إطار استكمال المشروع - بالفاتيكان وإن كانت خصائصنا الفكرية تختلف عن خصائصهم، ولكننا نشير إلى طبيعة التنظيم الموجودة هناك، فهناك أجهزة تتصل بجانب التنسيق، وأجهزة تتصل بجانب العلاقات السياسية والاجتماعية وتدرس كل الوسط الكاثوليكي في العالم.

ونحن نتصور أنه لابد من جهاز شامل يدرس كل الوسط الإسلامي في خط أهل البيت (عليه السلام) وفي الإسلام بشكل عام بحيث تكون هناك دراسات تقدم إلى المرجع في أية قضية يريد أن يصرح بها أو يريد أن يعطي رأيه فيها أو يريد أن يصنع منها مشروعاً ليكون رأيه من خلال ذلك كما أن المسألة لابد أن تنطلق من أن يشارك علماء الشيعة بأجمعهم أو بأكثريةهم لانتخاب المرجع، تماماً كما هي المسألة بالنسبة للبابا في انتخابه عالمياً، لأن المرجعية بحسب واقعها الفردي الشخصي المزاجي كالتي تتحرك في واقعنا قد تخرج مرجعاً طليعياً وقد تخرج مرجعاً ليس

له أي علاقة بالواقع المعاصر وتحدياته وتطلعاته.

نحن نعتبر أن المرجعية الآن تواجه كثيراً من التحديات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تحتاج إلى جهد لا يمكن أن يقوم به فرد أو حاشية فرد. لذلك فنحن نتطلع إلى أن تكون المرجعية مؤسسة ذات أجهزة، فإذا مات المرجع تبقى كل تجاربه وعلاقاته، وتبقى كل الأموال التي يشرف عليها، لا أن تكون إرثاً لأولاده، وحتى لا يكون أولاده ولايةً عليها، بل يكون المرجع مجرد قائد للمؤسسة، فإن ذهب عنها تبقى المؤسسة ليأتي قائد جديد يجد كل الأمور متوفرة.

واعتقد أن مثل هذا المشروع، لو قدر له أن يجد سبيله إلى حركة الواقع، فإنه يستطيع أن يمنحنا الكثير من الحيوية لمساعدة المرجع والحركة المرجعية، ولكن هذا المشروع مستقبلي، أي أن المسألة تحتاج إلى أن يعيش الناس، خصوصاً في الحوزات وفي العالم الإسلامي، هذه الأفكار ويقرروها ويوصلوها لتأتي أكلها كل حين بإذن ربها.))^(١٤)

وبعد ..

فقد كان الإمام الخميني رحمه الله النموذج الذي يفتدّ سماحة السيد بتقديمه مثلاً لأطروحة المرجعية الشاملة، يرى أن ((الفقه هو النظرية الواقعية والكاملة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد)). ولما كان الفقه يتمتع بهذه المزايا: (الكمال) و(الواقعية) و(الشمولية) كان لابدّ من انفتاح الحوزة والمرجعية على قضايا الإسلام المتحرك في شؤون الإنسان العامّة، وأن تتجاوز (المقدسين المزيفين) المتحجرين على حد تعبير الإمام الراحل، الذي انتقدتهم انتقاداً لاذعاً، لأنهم كأصحاب الكهف لا يستطيعون العيش في مجتمع لم يواكبوا نموّه وتطوّره. لقد كانت حركة الإمام الخميني رحمه الله ثورة في موقع المرجعية.

لكن السؤال الراهن:

كيف يمكن لهذه الثورة أن تصل بمدياتها إلى ما نطمح إليه من (مرجعية

المستقبل؟

سؤال برسم الاثنين معاً: المرجعية الرشيدة والأمة الرشيدة.
ولله المنّة والفضل أولاً وأخيراً وهو المستعان والمسدد والهادي إلى سبيل
الرشاد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عادل القاضي

ديربورن - أميركا

جمادي الثاني ١٤٢٤ هـ

تموز ٢٠٠٤ م

تنويه

تجدر الإشارة - كما سبقت منذ صدور أول عدد من هذه السلسلة المباركة - أن كتاب (الندوة) هو مجموع أحاديث ومحاضرات سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (دام ظله) التي يلقيها على جمهور الندوة الكريم في (حوزة المرتضى) في (دمشق) كل سبت من كل أسبوع ومنذ ما يناهز العقد من الزمن.

وغني عن البيان، أن الحديث المرتجل - وإن أُعدَّ له ذهنياً - ليس كالأخر المكتوب، ففي الثاني تمكن المراجعة والتنقيح، وفي الأول قد لا يتحقق ذلك إلا بما يمكن أن يتداركه المتحدث آنياً.

ويبقى للكتابة ميزتها المتفوّقة على الأحاديث المرسلة لخضوعها لعمليات التنقيح كما ذكرنا.

ومهمة (المعدّ) في (كتاب الندوة) - إضافة إلى جملة من الأمور الفنية - هو إجراء التنقيحات المناسبة التي لا تحيل المحاضرة الشفوية إلى مقال مكتوب بقلم سماحة السيد شخصياً، أو إلى مقالات مغايرة تماماً في أسلوب التعبير لما استمع إليه رواد الندوة مباشرة، وإنّما تتدخل بشكل نسبي في صياغة المحكي باللهجة العامية بعبارات مرادفة باللغة الفصحى، وإلى شيء من التقديم والتأخير فيما يستلزمه الاستطراد من تقديم المتأخر أو تأخير المتقدم، وما إلى ذلك من جزئيات لا تخلّ في أصل أو سياق المحاضرة المنطوقة.

فإذا لمس القارئ أن (المعدّ) قد أحسن التعبير هنا، فإنّما هو سماحة السيد الذي أحسن وأجاد، وإذا كان ثمة ضعف في الصياغة، أو عدم وضوح في العبارة، أو وقوع التباس في تبيان المراد، فالمعدّ هو الذي يتحمّل المسؤولية كاملة في ذلك، لأنه يمارس دور المنقّح أحياناً، فإذا فاتته بعض الأمور ووقع في التقصير، فلا إدراكه أن الكمال لله وحده، وأن القارئ الكريم عفوٌ عن اللّم، وقبل هذا وذاك

فإنّه - أي المعدّ - ربما لم يكن يحسن التقدير واصابة الهدف.
إلى ذلك أحببت أن ألفت نظر القارئ العزيز راجياً الصفح عما لم أوفق أن
أضعه كتابة في مستوى ما يكتبه سماحة السيد بقلمه المبدع.. وشكراً لسماحته
على سعة صدره وحلمه عما بدر من أخطاء لم تكن بالتأكيد متعمّدة. وشكراً
للقارئ اللبيب الذي لم تكن لتخفى عليه الهنات.

المعدّ

جدول إحصائي بمسائل الندوة

المحاضرات	٣٠ محاضرة
المسائل القرآنية	١٣٣
المسائل العقيدية	٤٤
المسائل الفكرية	٦١
المسائل التربوية	٢٣
المسائل الفقهية	٢٥١
مجموع أسئلة ج ١٣	٥١٢



باب المحاضرات

مكانة العقل في الستة النبوية (١)

استعمالات العقل

العقل هو الأساس في
الإسلام كلّهُ، فالإنسان في
جوهره عقل، والإسلام في
مفاهيمه وشرائعه عقل.

- ◆ نظرة في استعمالات كلمة (العقل)
- ◆ العقل العملي
- ◆ العقل طاقة تشمل الحياة
- ◆ العقل أساس المعرفة والعقيدة
- ◆ المنهج العقلي سبيلٌ إلى التطوّر
- ◆ الذهنية الغيبية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا في ما سبق (*) عن آيات العقل في القرآن الكريم، ونحاول هنا أن
نشرع في الحديث عن العقل في حديث الرسول ﷺ وحديث الأئمة ﷺ؛ لأن هذه
الأحاديث توسع الأفق الذي فتحه القرآن، وتؤكد خصوصيات العقل وحركيته في
حياة الإنسان، وننتهي من خلال ذلك إلى نتيجة حاسمة، وهي أن العقل هو
الأساس في الإسلام كله، فالإنسان عقل، باعتبار أن العقل يمثل في جوهره معنى
الإنسان، والإسلام عقل، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى أصدره في كتبه وأوحى
به وألهمه نبيه في كل مفاهيمه وشرائعه، بناءً على عقلانيته التي أريد للناس أن
يفهموها وأن يعقلوها، وهذا ما فصلناه في الحديث عن العقل في القرآن.

نظرة في استعمالات كلمة (العقل):

ولا بأس هنا في أن نعطي فكرة واضحة عن مصطلح أو كلمة (العقل)،
لأنها ربما تُستعمل في عدة مواقع، حيث يتحدث علماء الأخلاق عن هذه الكلمة
في أن المراد بها الغريزة الكامنة في داخل الإنسان. وإذا أردنا أن نستبدل هذا
التعبير بتعبير آخر، فنقول: هو الطاقة المخزونة في جوهر الإنسان، والتي
يستطيع الإنسان من خلالها أن يستوحي في تأملاته وفي كل ما يحيط به، حركية
تنتج الفكرة وتعيها.

وهذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان، فالإنسان يملك هذه الطاقة المقدسة
. كما يعبر عنها البعض - التي يستطيع من خلالها أن يفتح على الحياة كلها،

(*) هذه المحاضرة تأتي حلقة في سلسلة حلقات تحدث فيها سماحة السيد عن العقل نقلناها في
الجزء ١٢ من (الندوة). المعد

وعلى الواقع كلّهُ، وعلى الكون كلّهُ في عملية استلهاام وإنتاج. فالعقل يستلهم ما يراه ويسمعه ويحسّه، وفي الوقت نفسه، ينتج من ذلك الفكرة، بينما الحيوان لا يملك ذلك، فقد تنطبع الصور في ذهنه، وقد يتحرّك بفعل التدريب، ولكنه لا يستطيع أن ينتج فكراً أو يستلهم فكراً، فهي بالنسبة له غريزة جامدة في نفسها، ولكنها تتحرك من خلال تحريك الآخرين لها في نطاق خاص.

وهذا هو الأصل في معنى كلمة (العقل). ولكن ربما تُطلق كلمة (العقل) على الأفكار البديهية أو الضرورية التي يمكن حتى للطفل المميز أن يستوحياها، مثل أن كلمة (الكل) أعظم من كلمة (الجزء)، وأنّ الشيء الواحد يخالف الاثنين، وأنّ الشيء الواحد لا يمكن أن يكون في مكانين مختلفين... وهكذا تتمدد المسألة إلى المعقولات التي تعتبر أسس الفكر، مثل: النقيضان لا يجتمعان، أو الضدان لا يجتمعان على موضوع واحد في زمن واحد، وما إلى ذلك مما تحدّث به المناطقة والفلاسفة من الضروريات، فربما يطلق (العقل) على هذا العلم، والذي يمكن أن يدركه الكائن البشري الحي في أول انفتاحه على الواقع من حوله. وربما تطلق كلمة (العقل) على التجارب والمعلومات التي حصل عليها الإنسان، فنحن نعرف أن التجربة هي إحدى مصادر المعرفة.

وهذا هو الذي اكتشفه الإنسان واستطاع العلماء المسلمون أن ينقلوه إلى الغرب، وقد أخذ به الغرب واستطاع أن يطور به حركة العلم عنده، التي كانت تعتمد على الفلسفات التأملية السابقة، فاستطاع أن يحرك التجربة ويستوحياها ويستلهمها، وكشف من خلالها أسرار الأشياء وأسرار الحياة وأسرار الإنسان. ولعلّ التقدّم الذي حصل عليه الغرب كان من خلال ضم التجربة إلى التأمل، وهذا هو الذي ربما يعبر عنه بـ(العقل التجريبي)، لأنّ الإنسان كلّما جرّب أكثر وعى أكثر وعقل الأشياء أكثر، لأنّ التجربة تعطي الإنسان الفكرة كما تعطي له الأساس الواقعي للفكرة، وهناك مثل شعبي يقول: (اسأل مجرّب ولا تسأل حكيم)، باعتبار أن الإنسان الذي يعيش التجربة هو إنسان يأخذ الفكرة انطلاقاً من

الأسس التي تركز عليها، بينما المقصود بالحكيم هو المثقف والمتعلم الذي يأخذ الفكرة من خلال تجارب الآخرين.

ويمكننا أن نقرب فكرة المثل الشعبي بما يلي: لو فرضنا أن لدينا شخصاً تخرج حديثاً من كلية الهندسة، وهناك شخص بنى منذ عشرين سنة، لرأينا أن البناء قد يكون أكثر معرفة بالأرض، وأكثر معرفة بطبيعة البناء وغيرها من ذلك المهندس الذي أخذ الفكرة من تجارب أناس مماثلين لهذا (البناء)، بينما نجد أن هذا البناء قد عاش التجربة بنفسه، ويمكنه أن يعمق من تجربة الشخص الذي درس فن العمارة وما إلى ذلك .. وهكذا مثلاً في الزراعة، فيمكن للفلاح الذي قضى في الفلاحة ٣٠ أو ٤٠ سنة أن يكون أكثر خبرةً من خريج كلية الزراعة. فالعقل التجريبي يعتبر هو عقل الإنسان، ولذلك ورد أن التجارب عقل مستحدث أو مستأنف.

العقل العملي:

والإطلاق الرابع لكلمة (العقل) يتمثل في العقل العملي، وذلك أن الإنسان يكون إنساناً عندما يعيش هذا العقل من خلال تأمله وتجربته، ويستطيع أن يعرف الخطأ من الصواب، والحسن من القبيح، ثم يأتي دور الجانب العملي في توجيه النفس إلى تطبيق ما وعاه وما أدركه في مقامه هذا. فالشخص العاقل الذي إذا عرف المفسدة اجتنبها، وإذا عرف المصلحة أقبل عليها، وهذا الشخص يعتبر من العقلاء، أما الشخص الذي يعرف المفسدة، ولكنه يقع فيها، لأن نفسه وشهوته تغلبه على ذلك، أو يعرف المصلحة ولا يأخذ بها، هذا الشخص لا يعتبر عاقلاً وإن كان يعقل الأشياء في فكره؛ لأنه لا يتحرك عقلياً في عمله وسلوكياته. ولعل الأساس الأول في هذا التقسيم الذي يتحركون به، هو أن الله خلق الإنسان بحسب ما أودع فيه من طاقات قابلة للنمو وقابلة للتطور والحركة والإنتاج، فعندما تتحرك فمن خلال قراءة الآخرين والقراءات التي أرسى الآخرون فكرها، أو من خلال تجاربهم، أو من خلال الإرادة العفوية التي يوجهها ويحركها

عقل الإنسان في اتجاه حياته .

العقل طاقة تشمل الحياة:

كلّ هذه الحركة تنطلق من طاقة العقل، لأنّ هذه الطاقة ليست طاقة مغلقة، بل هي طاقة منفتحة على التأمل والتجربة، ومنفتحة على الجانب العملي أيضاً، فالعقل يمثّل طاقةً حركيّة تشمل كل واقع الإنسان. وعلى ضوء هذا، أعتبر العقل هو الحجة التي جعلها الله بينه وبين العباد، فالله يحتجّ على العباد بما أودعه في وجودهم من هذه الطاقة العقلية. ولذلك يتساءل البعض أن هناك الكثير من الناس لم تصلهم الدعوة، كالناس الذين يعيشون في المناطق البدائية (مجاهل العالم)، الذين لم تصل إليهم الثقافة أو الأديان أو الدعوة فمثل هؤلاء كيف يحاسبهم الله؟

هؤلاء لا يمكن أن يحاسبهم الله على أنهم لم يلتزموا بالإسلام ما دامت وسائل التعليم والدعوة غير موجودة لديهم، وهذا ما يسمى بالجاهل القاصر أو الغافل، ولكن يقال إن الله يحاسبهم يوم القيامة على ما تدركه عقولهم. فهناك شيء في العقل يلمع ويشرق ويضيء للإنسان فكرة معينة تلتقي مع بعض عناصر العقيدة، كالتوحيد مثلاً، باعتبار أنّه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١)، فالله يعاقب الإنسان ويثيبه على ما يبلغه عقله مما لا يملك معرفته بالوسائل الموجودة لدى الناس الآخرين في المناطق الأخرى. فالعقل هو الأساس، أن الله يثيب الإنسان بقدر عقله، ويعاقب الإنسان بقدر عقله، بحيث إن حجم الثواب والعقاب ليس بحجم العمل، وإنما بحجم وعي العمل.

العقل أساس المعرفة والعقيدة:

من هنا نقول: إن العقل هو الحاكم في كلّ قضايا الإنسان، فبالعقل تثبت وجود الله، وبالعقل ندرك نبوة النبي من خلال الدلائل التي يقدمها إلينا لنفكر

فيها، وحتى مسألة الإمامة في طبيعة ضرورتها تدرك بالعقل، وإن كانت مسألة شخصية الإمام قد يحتاج في تحديدها إلى النص.

كما أننا ندرك الغيب بالعقل، لأنّ العقل لا يشير إلى الأشياء بحسب جانب الحس فيها، ولكن العقل يتحدث عن الإمكان والاستحالة، ويحلّل القضايا للوصول إلى النتائج انطلاقاً من ذلك، فيخلص إلى أنّ الشرك باطل، باعتبار أنّ الدلائل هي التي تقتضي ذلك، ولو طرح سؤال: هل توجد جنة ونار؟ أو هل توجد آخرة أو لا توجد؟ فالعقل أولاً يقول إنّ الآخرة ممكنة، ثمّ يبحث في الأدلة ليقول في النتيجة إنّ الآخرة هي التي تبرّر المسؤولية في النظام الإنساني الذي خلقه الله، وربّما تشير إليه الآية الكريمة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١). باعتبار أنّ العبثية مستحيلة على الله سبحانه وتعالى.

ونرى أيضاً أن ديدن علماء الحياة المعاصرين أنّهم لا يقولون - عموماً - عن شيء من الأمور التي يبحثون فيها أنّه مستحيل، بل يقولون إنه ممكن، لكن علينا أن نبحث في أنّ الممكن واقع أو ليس بواقع، ولذلك تطوّروا. وهناك كلمة قالها ابن سينا: (كلّ ما قرع سمعك فذرّه في بقعة الإمكان حتى يذودك عنه واضح البرهان)، فكل شيء ممكن، أما إذا ثبت بالدليل القطعي جانب المستحيل فيه، فعند ذلك نقول عنه مستحيل. أما ما درجنا عليه في مجتمعاتنا في الشرق أو ما شابه ذلك من القول إن هذا الشيء معقول أو غير معقول، حتى إنّ بعض المثقفين عندما تتحدّث معهم عن الجن يقول: هذا غير معقول، أو عن الآخرة، فيقول إن هذا غير معقول، ويعتبر هذا الكلام أساطير، في حين أنّ الإنسان قد يقول عن شيء أنّه غير معقول لأنّه غير مألوف بالنسبة له، وهناك فرق بين أن يكون الشيء غير مألوف أو يكون غير معقول. لذلك نقول: نعم، من غير المألوف في حياتنا أن يجتمع الناس مع الجنّ، ولكن يمكن عقلاً أن تكون هناك مخلوقات اسمها الجن مثلاً يوجد غيرها، فالإنسان الآن اكتشف الكثير من المكروبات التي لا ترى

بالعين المجردة، واكتشف أشياء كثيرة لم نكن نحسُّ بها.

المنهج العقلي سبيل إلى التطور:

هذا الأسلوب في التفكير هو الذي يطور الفكر ويرتفع بالعقل، لأنَّ العقل يرتقي بالإنسان إلى أسْمى الدرجات، فأنت عندما تطرح أمامك مسألة وتحرك بها من خلال التأمل أو من خلال التجربة، فإنك تتحرَّك في سبيل الوصول إلى النتائج التي قد تتوقَّعها أو لا تتوقَّعها. أمَّا إذا انطلقت من أجوبة مسبقة بأنَّ هذا غير معقول، فمن الطبيعي أنك تتجمد، وبذلك لا تستطيع أن تطوِّر واقعك، وهذا ما يمكن أن ينعكس، ليس على الجانب العلمي فقط، بل وحتى على مختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية وحتى الشخصية العملية.

فأنت لديك الآن طموحات معيَّنة وتحدِّث بها، فيخبرك أحدهم أنَّ هذا غير ممكن، وأنت لم تجرب حتى تقول إنَّه ممكن أو غير ممكن، وهكذا في المسائل السياسية في كثير من الحالات، تتجمد الشعوب نتيجة هذا النوع من التفكير الذي يقول بأنَّ هذا الواقع لا يمكن تغييره، ومن الطبيعي أن الإنسان لا يتحرك نحو المستحيل، وهذا ما يقال أيضاً في الجوانب الاجتماعية، حيث هناك الكثير من القضايا التي أخرت مجتمعاتنا، كالعقليات العشائرية وبعض التقاليد الاجتماعية الخرافية، وبعض التقاليد الدينية الخرافية وما إلى ذلك، إنَّما هذا الجمود استمر بسبب هذه الأفكار المسبقة بأنه لا توجد فائدة، ولا أحد سيسْتجيب. ولذلك، فإنه نتيجةً للأفكار المسبقة في استحالة هذا أو ذاك، جُمِدَ العقل في كثير من مناطق الشرق، وحتى في المناطق الإسلامية. ولذلك نقول: لا بد أن نطوِّر مسألة العقل، وأن تكون ثقافتنا ثقافة معتمدة على العقل في المسكن والمدرسة، وفي المواقع التجارية والاقتصادية العامة، وفي الأمور السياسية، بالإضافة إلى المواقع العلمية، ولا بد من أن نعمل على أن يكون العقل هو الثقافة.

الذهنية الغيبية:

وفي هذا المجال، نجد بعض الأفكار القائلة إنه لا قيمة للعقل أمام الشريعة، وإنه ليس للعقل قيمة دينية أو إسلامية، كأنهم يقصدون أن معنى العقل هو أن تتكرر الغيب أو الأساس الذي يعتمد عليه الدين، لكن هذا يدل على عدم وجود وعي لمسألة العقل في الإسلام.

أما في ما يتصل بمسألة الغيب، فالعقل يقول إن ما تتحدث عنه الأديان من وجود عالم غير عالمنا أو مسألة النعيم والجحيم والعذاب والثواب وغير ذلك كله ممكن. فالعقل يؤكد إمكانية الغيب، أما فعلية الأمور الغيبية في الوجدان، فتحتاج إلى حالة تجريبية، إما من خلال تجربة شخصية، أو من خلال حديث الشخص الذي يعرف طبيعة التجربة مما ينقله إلينا ويمكن لنا أن نستدل على صدقه.

نعم، هناك مسألة أخرى، وهي أن هناك عقلية غيبية، وقد أصبحت فاعلة، تحاول أن تفسر كل شيء بالغيب، فيقول في الجواب على كل تساؤل نحن نؤمن بالغيب. لكننا، وإن كنا نؤمن بالغيب، إلا أن الله سبحانه وتعالى لم يجر نظام الكون والنظام الإنساني على أساس الغيب، فكل ظاهرة كونية لها قوانين يمكن للإنسان أن يكشفها، وكل ظاهرة إنسانية تخضع أيضاً لقانون يمكن للإنسان أن يكتشفه، لذلك يجعل الله سبحانه وتعالى لها الحياة المبنية على الغيب، فهناك غيب يحتفظ الله سبحانه به لا يدركه حتى الأنبياء ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾^(٣)، وهناك غيب يعطيه الله سبحانه للأنبياء ﷺ بحسب حاجاتهم في حركة الرسالة، كما يعطيهم المعجزة باعتبار حاجتهم إليها، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(٤)..

أما أن نفسر كل شيء بالغيب، فهذا غير صحيح، فلو أصيب بعض الناس بحالة

(٣) هود: ٣١.

(٤) يوسف: ١٠٢.

صرع، فلا نفسر ذلك بالغيب، وكذلك كثير من القضايا التي تتحرك في الحروب بالنصر والهزيمة، فنسمع كثيراً في الحروب بأنه جاء رجل على فرس أبيض عمل كذا وكذا. نعم، في معركة (بدر) بين المسلمين والمشركين، أعطى الله هذا الغيب، على أساس أن المشركين لو انتصروا لذهب الإسلام. أما في معركة (أُحد)، فكانت تسير على أساس النظام العسكري، وانتصر المسلمون لأنهم حافظوا على الأصول العسكرية في حماية الموقع في البداية، وعندما ابتعدوا عن الأصول العسكرية في حماية الموقع هُزموا في النهاية، واللّه سبحانه وتعالى أنزل في سورة (آل عمران) عدّة آيات تنتقد تجربتهم عندما انهزموا. نحن نقول إن الغيب حقيقة، والإيمان بالغيب من عقائدنا، لكن لا بدّ من أن يركز الإيمان بالغيب على قاعدة العقل من حيث الإمكان، وعلى النص الصادق في وحي النبوة من حيث الواقع. هذا بعض الحديث عن العقل، ويبقى حديث آخر نطلّ فيه على النصوص الواردة عن النبي ﷺ وعن الأئمة عليه السلام في العقل.

والحمد لله ربّ العالمين.

مكانة العقل في الستة النبوية (٢) المستوى الفكري للمرأة

التجربة الإنسانية في كل
المجالات أعطت المرأة
فرص التطور والتقدم
والتفوق معرفياً وإدارياً.

- ♦ عقل المرأة
- ♦ نقصان الحظ
- ♦ عبادة المرأة ونقصان الدين
- ♦ التكليف المشترك والعقل المشترك
- ♦ المرأة كممثل بشري
- ♦ مسألة القوامة
- ♦ المرأة وحياة الرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.
من بين الأبحاث التي لا بد لنا أن نركّز عليها في مسألة العقل، وتتمّة لما
سبق من حديث، البحث في مسألة عقل المرأة. فهل إنّ الله خلق المرأة أقلّ عقلاً
من الرجل، أو أن لها ذات العقل الذي للرجل، بمعنى القابلية للتفكير والنمو
والتطور والامتداد في المعرفة، والتعمّق فيها؟

عقل المرأة:

هناك فكرة شائعة بين الناس، بأنّ عقل المرأة أقلّ من عقل الرجل، حتى إنّ
بعضهم قلّص النسبة، فاعتبر أن عقلها لا يبلغ النصف. وقد ورد التعبير
بـ((ناقصات الدين والعقل))^(١) في بعض المأثورات؛ إذ ورد هذا المعنى في الحديث
النبوي عن رسول الله ﷺ مخاطباً بعض النساء، ما مضمونه: ((ما رأيتم من
ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا
وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى،
قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: نعم،
قال: فذلك من نقصان دينها))^(٢).

كما ورد في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) عن النساء أنهنّ
((نواقص العقول ونواقص الحظوظ ونواقص الدين))^(٣)، وعلّل ذلك بأنّ نقصان
العقل يعرف من أنّ شهادة امرأتين مقابل شهادة رجل واحد، فشهادة المرأة نصف

(١) بحار الأنوار. ج ١٠٣. ص ٢٥٩. ح ١١. ب ٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه. ج ٣. ص ٣٩١. ح ٤٣٧٥. ب ٢.

(٣) من كلام علي عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء. ك ٧٩. ص ١٤٠.

شهادة الرجل، وأما أنهنّ نواقص الحظوظ، فإنّ حصة الرجل ضعف حصة الأنثى ﴿فَلْيَذْكُرْ مِثْلُ حَقِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٤) وأما أنهن نواقص الدين، فقعودهن عن الصلاة والصوم أيام الحيض.

ونحن نريد أن ندرس ما ورد عن النبي ﷺ وعن أمير المؤمنين ع. والسؤال: هل ما ورد من التعليل يفيد أن المرأة تملك عقلاً أقلّ من عقل الرجل؟ أو أنه لا يفيد ذلك؟ عندما ندرس المسألة، وخاصةً تعليل مسألة نقصان عقلها بأنّ شهادة امرأتين مقابل شهادة رجل واحد، فإننا عندما نأتي إلى قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٥) الوارد في تعليل تعدد المرأة في مقام الشهادة، فإنّ ما نستفيده، هو أنّ الشهادة لا بدّ أن تكون شهادة عدل، سواء كان رجلاً أو امرأة، لأنّ الضلال يكون إما من جهة النسيان أو من جهة الغفلة، والشهادة مرتبطة بالحس وليست مرتبطة بالعقل: رأى أو لم ير؟ ويمكن أن ينسى، كما لو فرض أنه رأى شيئاً ونسي الموضوع، فشهد وغفل عنه. وهذا ليس له دخل بعقل الإنسان الرجل والمرأة. وقد تحدّث الله عن آدم ع أنه نسي ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(٦) ويتحدّث أيضاً عن بعض الرجال قال: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٧). حتى إنّ بعضهم قال إن الإنسان إنما سمي إنساناً لنسيانه، كما يقول بعض الشعراء:

ما دعوه الإنسان من أنسه لكن دعوه الإنسان من نسيانه

فمسألة النسيان والغفلة هي حالة طبيعية تحدث للرجل والمرأة معاً، من خلال العناصر الموجودة في داخل الرجل والمرأة، التي قد تجعل الإنسان ينسى هنا وهناك، ويغفل هنا وهناك. إذاً، الآية القرآنية لم تتحدّث عن مسألة عقل المرأة، وإنما تحدّثت عنه احتياطاً للعدالة، لأنّ الشاهد يمثل عنصراً أساسياً في

(٤) النساء: ١٧٦.

(٥) البقرة: ٢٨٢.

(٦) طه: ١١٥.

(٧) طه: ١٢٦.

عالم الحكم، ولذلك لابد أن يكون الشاهد عادلاً، ويشترط فيه أن يتحلّى بقوة الضبط أو البصر.

وقد تحدّث بعض العلماء بأن المرأة أقلّ ضبطاً من الرجل، ولذلك كان من الضروري ضمّ امرأة أخرى، حتى إذا نسيت إحداهن ذكّرتها الأخرى، وهذا لا يعني نقصاناً في العقل، إذ إنّ ضم هذا العقل الناقص إلى العقل الناقص الآخر لا ينتج عقلاً كاملاً. ولذلك نقول: إذا نسيت إحدهما، فليس من الطبيعي أن تنسى الأخرى، ما يعطينا فكرة، أن مسألة تعدد المرأة في مقام الشهادة ليس منطلقاً من نقصان العقل، وإنما هو منطلق من احتياط للعدالة، فيمكن أن يكون الشاهد عادلاً وموثوقاً به، ولكن يمكن أن يشّبهه أو ينسى، وبهذا يردّ على تفسير نقصان العقل بالنقص في الضبط. ومن المعروف أنّ المطلوب في البيّنة هو تعدّد الشاهد، فلا يقبل إلا شهادة عدلين، من خلال انضمام رجل عدلٍ آخر إليه، فإذا أردنا أن نستفيد من التعدد في الشهادة دليل على نقص العقل، فذلك يقتضي أيضاً نقص عقل الرجل؛ لأنّ المطلوب في شهادة الرجل التعدّد أيضاً، وذلك ما لا يلتزم به أحد.

نقصان الحظ:

أمّا بالنسبة إلى نقصان الحظّ لجهة ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلْيَذْكَرْ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٨)، فإنّ حقيقة المسألة هي ما ورد في أحاديث الأئمة عليهم السلام، كما في حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام في كتاب (وسائل الشيعة) وغيره، إذ سئل أحد أصحاب الإمام عليه السلام في مقام الاعتراض على التشريع، كما جاء في رواية الأصول، ((قال: قال ابن أبي العوجاء: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً ويأخذ الرجل سهمين؟ قال: فذكر ذلك بعض أصحابنا لأبي عبد الله عليه السلام، فقال: إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقلة. أي الدية. وإنّما ذلك على الرجال،

فلذلك جعل للمرأة سهماً واحداً وللرجل سهمين))^(٩).

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام: قال جواباً على بعض المسائل: ((علة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث، لأن المرأة إذا تزوجت أخذت والرجل يعطي، فلذلك وفر الله على الرجال، وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى، لأن الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت وعليه أن يعولها وعليه نفقتها، وليس على المرأة أن تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقته إن احتاج، فوفر على الرجال ذلك))^(١٠).

وقد ورد في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام جواباً عن سؤال: ((لأي علة صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال: لما جعل الله لها من الصداق))^(١١). وخلاصة الجواب عن السؤال، أن الله سبحانه وتعالى عندما أخذ من المرأة ذلك في هذه الحالة، حمل الرجل ما لم يحمله للمرأة. فالمرأة ليس عليها مهر، وليس عليها نفقة، لا على نفسها ولا على زوجها، ولا على الأولاد، وليس عليها معقلة، أي الدية، إذ إن العاقلة تدفع الدية في مثل هذه الموارد، وهو ما يدفعه الرجال من الأقرباء فقط.

والمحصلة، أن المرأة أكثر حصّة من الرجل. ويمكن التمثيل للأمر بما يلي: لو أن شخصاً مات وترك ٥٣٠٠٠، فحصة الذكر ٢٠٠٠، وحصة الأنثى ١٠٠٠، أخذتها وأودعتها في المصرف أو الخزانة، وقد تزوجت المرأة وأخذت مهراً علاوة على ما عندها، فيما نقصت حصّة الرجل (٢٠٠٠) بسبب ما يتحمّله من الإنفاق، كونه يستأجر مسكناً ويعطي المرأة كل احتياجاتها، ثم إذا رزق الرجل أولاداً، فإنه يتحمل النفقة، حتى في مسألة الإرضاع، إذا طلبت المرأة أجراً على الإرضاع، ولم تزد على ما تأخذه المرضعات أيضاً، فإنه يعطيها أجرة على ذلك، حتى في العمل

(٩) التهذيب. ج. ٩. ص ٢٧٤. ح. ٢. ب. ٤.

(١٠) نفسه. ص ٣٩٨. ح. ٢٧.

(١١) نفسه. ح. ٢٨.

المنزلي في التشريع الإسلامي، إذا لم يكن هناك شرط في العقد يفرض عليها العمل المنزلي، أو كانت متبرعة. إذاً من يكون أكثر حصة؟
ولذلك أقول دائماً من باب الطرافة، إنّ على الرجال أن يطالبوا بالمساواة مع النساء. فإذا لا يوجد هناك نقصان حظ أيضاً.

عبادة المرأة ونقصان الدين:

أما قضية نقصان الدين بسبب قعودهن عن الصلاة والصيام، فإنه صحيح بمعنى أنّ ذلك يخسرن شيئاً من الدين بترك العبادة في زمن الحيض، لكنه في حقيقته التزامٌ بأمرٍ الله سبحانه وتعالى في ترك الصلاة والصيام، وهذا يدل على كمال الدين. ولذا نلاحظ كثيراً من النساء يتناولن - عندما يذهبن إلى الحج أو في شهر رمضان - حبوب منع الحمل التي تمنع الدورة الشهرية، حتى لا يضطررن إلى ترك الصوم، أو إلى ترك الصلاة أو إلى ترك الطواف، وما إلى ذلك، وقد يتحمّلن الكثير من ذلك. وهذا التزام ديني، لولا أنّ الله نهاهنّ عن الصلاة والصوم في حالة الحيض لصلّين ولصمن.

لذلك نقول، إنّ التعبير بالنقصان في ما ورد يردُّ علمه إلى أهله، أو يُقال إنه من التعابير التي تحكمها المرحلة، ويمكن أن تكون بعض التعابير موجودة في مجتمع ما نتيجة مناسبات معينة، وقد يكون لمجتمع آخر مناسبات أخرى. وربما نستوحي من التعليقات المذكورة، أنّ النقصان كان من خلال الشكل أو الكمّ وليس من خلال المضمون الذي يلتقي مع طبيعة العقل أو الحظّ أو الدين، والله العالم.

التكليف المشترك والعقل المشترك:

ثم إنه لو كانت المرأة أقلّ عقلاً من الرجل، لكان تكليف المرأة في ما كلف الله الناس به من واجبات ومحرمات، أقلّ من تكليف الرجل، لأنّ المسؤولية تنطلق من خلال مقدار العقل الذي يملكه الإنسان، فإذا كان عقل المرأة أقلّ وفيه قصور، فإنه لا يمكن أن نحملها مسؤولية عقل كامل، وإلاّ كان هذا ظلماً لها، ولذلك قال

الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١٢)، إذ إنه من التكليف بغير المقدور، مع أننا نرى أنه لا فرق بين الرجال والنساء في كل الأمور الشرعية من واجبات ومحرمات مشتركة، وينحصر الفرق في الأمور الخاصة بالنساء في عالم الحيض أو ما أشبه ذلك.

ولا يمكن أن يقال إن الدليل على نقصان عقولهن أن الرجل يتحمل المسؤولية في البيت والمرأة لا تتحمل ذلك، فإن ذلك تفسيراً، وهو أن المرأة مبتلاة بالحمل والإرضاع والدورة الشهرية وما إلى ذلك، ما يجعل قدرتها الجسدية على القيام بمسؤولية البيت الزوجي أقل من قدرة الرجل في هذا العالم الذي يتصل بالجانب الجسدي، ولا يتصل بالجانب العقلي أو الجانب الآخر.

ولذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن المرأة والرجل على حد سواء في الجانب السلبي والإيجابي، فيقول تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(١٣)، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾^(١٤)، ولم يفرق بين الرجل والمرأة في خطأ الانحراف عندما يأخذان به. وعندما نقرأ التعليمات الموجهة للرجل والمرأة، فإنها واحدة على حد سواء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(١٥)، وفي عالم الأجر على العمل الصالح: ﴿أَنْتِي لَا أُلْقِي عَمَلًا مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي﴾^(١٦). فكما أن الرجل يأخذ أجراً على عمله الصالح من الله، فإن المرأة كذلك، ولم يفرق بينهما.

المرأة كمثل بشري:

وفي سورة (الأحزاب)، عندما تتحدث عن النساء العاملات وعن الرجال،

(١٢) البقرة: ٢٨٦.

(١٣) النور: ٢.

(١٤) المائدة: ٣٨.

(١٥) الأحزاب: ٣٦.

(١٦) آل عمران: ١٩٥.

نجد أن الله تعالى بين الرجال والنساء في النتائج الإيجابية للعمل الصالح: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١٧)، فلو فرضنا أن المرأة أقل من الرجل، فلا تتساوى معه في الأجر، وسيأتي في أحاديث الرسول ﷺ وأحاديث الأئمة ﷺ، أن الله يثيب الإنسان على قدر عقله، فلو كان عقل المرأة أقل، فلا تثاب مثل الرجل. ونلاحظ في جانب آخر، أن الله عندما ضرب مثلاً للمؤمنين ولغير المؤمنين، باعتبار أن المثل يتحدث عن النموذج البشري الذي يجسّد هذه الفكرة، سواء كانت فكرة سلبية أو إيجابية، نلاحظ أنه مثل للمؤمنين والمؤمنات، والكافرين والكافرات، من خلال نموذجين هنا وهناك، فقال عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾^(١٨). فضرب للكافرين والكافرات هذين النموذجين من الكافرات، ولم يفرّق بين الرجل والمرأة.

أما في الجانب الإيجابي، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١٩)، يعني قال أيها المؤمنون والمؤمنات، هذا نموذج إيماني يملك القوة على أن يرفض الدنيا كلها في سبيل الله وفي سبيل الآخرة، فلتكن هذه المرأة قدوة للرجال والنساء. فهذه المرأة ترفض كل الثروة وكل السلطان وكل النعيم، لأنها لا تريد أن تعيش مع إنسان كافر، حتى

(١٧) الأحزاب: ٣٥.

(١٨) التحريم: ١٠.

(١٩) التحريم: ١١.

يرضى الله عنها ويدخلها الجنة، فأى عقل أعظم من هذا العقل! هذا العقل الذي ينطلق من دراسة السلبيات والإيجابيات، ومن دراسة الخسائر والأرباح، هذه المرأة التي لم تكتف بالتفكير، بل حولته إلى قرار يحكم كل حياتها.

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِسْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٢١) في حديثه عن السيدة مريم ؑ التي كانت تمثل النموذج الأسمى والأعلى، ولذلك اصطفاها الله سبحانه وتعالى على نساء العالمين، وخاطبتها الملائكة: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٢٢) وهكذا نلاحظ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ (٢٣). هذه الإنسانية التي عاشت هذه التجربة التي هي من أقسى التجارب واستطاعت أن تصمد. فإن الله سبحانه وتعالى يدعو المؤمنين والمؤمنات إلى الاقتداء بها، لأنها كانت مثال العفة والالتزام ومثال التصديق بكتاب الله سبحانه وتعالى، ومثال الخضوع لله، والخشوع له، والطاعة له بما تمثله من القنوت لله. وقد ذكرت في أحاديث سابقة ملكة (سبأ)، وقد كانت كافرة، وكان قومها يسجدون للشمس، كما عبّر عنها الهدهد الذي كان من جنود سليمان ؑ، وحسب تعابير هذه الأيام، كان يمثل دور المخابرات لسليمان ؑ، وجاء الهدهد وقدم تقريره إلى سليمان عما شاهد، فقال له: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤)، امرأة تعبد وقومها الشمس ويتبعون خطوات الشيطان في كل أمورهم، امرأة تملك مالا كثيرا وجاهاً وإمكانات فوق العادة، ولها عرش عظيم تجلس عليه عندما تحكم بين الناس. وللقرآن طريقته الخاصة في عرض الحديث عن الكفر أو عن التمرّد على الله سبحانه وتعالى أو الشرك به، فهو يعلّق على

(٢٠) التحريم: ١٢.

(٢١) آل عمران: ٤٣.

(٢٢) آل عمران: ٣٧.

(٢٣) النمل: ٢٤.

هذا الموضوع رافضاً له: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٢٤) يعني أن القرآن بطريقته الخاصة يمنع استقرار الأفكار السلبية في عقل الإنسان، وهذا أسلوب قرآني يتناول هذه المسألة في أكثر من جانب يدخل الله فيه الحديث عن طبيعة هذه الظاهرة السلبية هنا وهناك. ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢٥)، أي اذهب حاملاً الكتاب إليهم كساعي بريد، ولا تقابل أحداً منهم وارمه حيث مجلسهم، فوصل الكتاب إليها وقرأته، فكيف كان رد فعلها؟ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾^(٢٦)، فهي تستشيرهم وتتداول معهم في قضاياهم الصعبة، فقد شعرت أن الرجل الذي بعث هذا الكتاب هو شخص مميز ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٢٧) يعني أنا أملك القوة ولن يستطيعوا مقاومة القوة التي أملكها، وأريد أن تأتوني مسلمين، طبعاً مسلمين لله سبحانه وتعالى أو خاضعين لسلطتي التي هي سلطة الحق والإيمان ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونُ﴾^(٢٨)، يعني تحضرون على القرار، لأنكم على القوم ونخبتهم. ويبدو أن الجماعة كانوا لا يفكرون بعقولهم، ولذلك فإنهم يعتبرون دورهم بالنسبة إلى الملكة والدولة دور ممارسة القوة للدفاع ضد المعتدين. لقد أرادتهم أن يحركوا عضلات عقولهم، فحركوا عضلات سواعدهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾^(٢٩)، وعندما رأت أنه لا توجد فائدة انطلقت في اتخاذ القرار ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا

(٢٤) النمل: ٢٥-٢٦.

(٢٥) النمل: ٢٧-٢٨.

(٢٦) النمل: ٢٩.

(٢٧) النمل: ٣٠.

(٢٨) النمل: ٣٢.

(٢٩) النمل: ٣٣.

أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ❖ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاضِرَةٌ يَوْمَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ سُلُوكًا^(٣٠)، فهذا الشخص إما أن يكون ملكاً أو نبياً، فلو كان ملكاً فإنه يقبل الهدية، لأنه يعتبرها نوعاً من أنواع الصلح أو الخضوع، فيمكن أن نتفادى مشكلته بهذه الطريقة، وإذا كان نبياً، فإنه لا يريد أن يسيطر على بلادنا وملكنا، وإنما يريد أن يسيطر على تفكيرنا حتى نسلم إلى الله سبحانه وتعالى بدلاً من أن نعبد الشمس. ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ❖ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣١)، لأنهم رفضوا هذا النوع من الطرح الذي قدّم إليهم بعد ذلك.

وفي النهاية، شعرت بأن التهديد جدّي، وجاءت وقومها إلى سليمان، وتكلمت معه، ودعاها إلى الله بعد أن بيّن لها خرافة السجود إلى الشمس، فقالت آخر الأمر ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣٢)، إذ بدأت تراجع حساباتها الفكرية وظلت على عنفوانها، فأسلمت مع سليمان نتيجة التفكير كما فكرت في بداية الأمر.

هذا النموذج يعطينا فكرة أنّ من النساء من هي أعقل من الرجال، لأنها أرادت من رجال قومها أن يشاركوها في الفكر وحل المشكلة الجديدة التي تتضمن التهديد والوعيد، فلم يعطوها فكراً، وإنما هي التي أعطت الفكر، وهي التي خططت، وهي التي انتهت أخيراً بالاقتناع بما طرحه سليمان ﷺ، فإذا كانت المرأة بهذا الشكل من النقصان، فلماذا يقدم لنا الله سبحانه وتعالى هذا النموذج للمرأة التي تملك عقلاً أكثر من عقل الرجال؟ إنّنا من خلال ذلك، قد نستوحي أنّ ما درج عليه الفقه الإسلامي من أنّ المرأة لا تصلح للقيادة نتيجة حديث ضعيف

(٣٠) النمل: ٣٤-٣٥.

(٣١) النمل: ٣٧-٣٦.

(٣٢) النمل: ٤٤.

السند عندنا عن النبي ﷺ ((لا يفلح قوم ملكتهم امرأة أو وليتهم امرأة))، هو محلّ تحفظ.

مسألة القوامة:

وهناك دعوى أن القوامة للرجال على النساء تعطي الانطباع بنقصان عقل المرأة، وذلك قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٣٣)، وربما يفهم بعض الناس من القوامة الرئاسة أو القيادة، حتى إن بعض المفسرين، وفي مقدمتهم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ﷺ صاحب (تفسير الميزان)، يعتبر أن قوامة الرجل على المرأة في كل شيء، لكننا في كتابنا (من وحي القرآن) ناقشناه، وقلنا إن هذه القوامة مختصة فقط في إطار الحياة الزوجية، والقوامة بمعنى الإدارة، أي الذي يتحمل المسؤولية أولاً من الناحية الجسدية، أو من ناحية أن ظروف الرجل تجعله أقدر من المرأة على أن يتحمل المسؤولية المالية للحياة الزوجية.

وثانياً: أنه هو الذي ينفق المال، وقلنا إنه ليس هناك حالة يجب فيها على الرجل أن ينفق على المرأة بما هي امرأة سوى في حال الزواج، وأن ولاية النبي ﷺ والأئمة ﷺ على الناس كافة، بلا فرق بين الرجال والنساء، وكذلك ولاية الفقيه - بناءً على القول بولاية الفقيه -، والأب كذلك، فإنه وليٌّ على أولاده الذكور والإناث. ولذلك، فإن ولاية الرجل على المرأة بعنوان أنها امرأة لا وجود لها إلاّ بعنوان أنها زوجة، لأنه ينفق عليها، ولأنه يدير البيت، ولذلك فإن القوامة ليست شاملة، كما يرى البعض، وإنما هي مختصة بالحياة الزوجية. وليس للرجل من ميّزة إلاّ الإنفاق وحق الطلاق، والله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(٣٤) يستوجب الإنفاق والطلاق، ما عدا ذلك، لا يلتزم الفقهاء بأن هناك شيئاً آخر يمثل هذه الدرجة من ناحية القيمة.

(٣٣) النساء: ٣٤.

(٣٤) البقرة: ٢٢٨.

المرأة وحياة الرقة:

وقد يتمسك البعض بما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿أَوْمَنُ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣٥) أي أن المرأة تنشأ كونها تلبس الثياب الزاهية والحلي بما يجعلها تميل إلى الزينة وما شاكلها، ولكن هذا لا يجعلها أقل من الرجل، لأن ذلك كما يظهر من الآية الكريمة، لا يرجع إلى طبيعة المرأة أو طبيعة منهج الإسلام، بل هو جو اجتماعي تقليدي جعل المرأة بهذه المثابة وبهذه الحالة.

ثم إنَّ النقطة التي لا بدَّ أن ندرسها نحن الآن عندما ندرس الواقع، هو أننا نجد أن المرأة في السابق بشكل عام، كانت خارج نطاق التعليم، بحيث كانت تعيش ككمية مهملة، كإنسان من الدرجة الثانية أو الثالثة، ولهذا نجد أنه عندما انطلقت المرأة بالعلم والتجربة وتحمل المسؤولية، أصبحت أكثر نجاحاً وأكثر تأكيداً لذاتها. كذلك لاحظنا أن النساء أصبحن في مواقع رئاسة الدول وفي مواقع إدارة كثير من الأجهزة، رغم بعض الأخطاء التي قد ترتكبها. وهذا يعني أن المرأة تستطيع أن تتطور وأن تأخذ الأشياء بحجمها.

ولذا نقول إن التجربة الإنسانية في كل المجالات أعطت المرأة الظروف والفرص للتقدم والتطور معرفياً وإدارياً وما إلى ذلك .. وهذا يدل على أن المرأة كالرجل في قدرتها على التطور الفكري والإداري والقيادي، وقد تتفوق على الرجل في اختصاصه، وقد يتفوق الرجل عليها، وقد يتساويان. وخلاصة الفكرة، أنه لم يثبت عندنا لحد الآن أن عقل المرأة أقل من عقل الرجل. أما قضية ضعف المرأة، فالله سبحانه وتعالى لم يتحدث عن ضعفها، بل تحدّث عن ضعف الإنسان ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٣٦)، والله سبحانه وتعالى أراد أيضاً للإنسان أن لا يستسلم لهذا الضعف، بل أن يحاول تقوية العناصر التي تخرجه من هذا

(٣٥) الزخرف: ١٨.

(٣٦) النساء: ٢٨.

الضعف. سواء كان رجلاً أو امرأة هذا ما أحببنا أن نشيره أمام هذه المسألة في حديثنا عن العقل في شخصية المرأة.
والحمد لله رب العالمين.

مكانة العقل في السنة النبوية (٣) الركيزة الأساس في حركة الإنسان

على الإنسان الذي يتحمّل
المسؤولية ويقود الناس
سياً أو ثقافياً أو
اجتماعياً أو علمياً، أن يملك
ثقافة معرفة الناس

♦ عقل الأنبياء ﷺ:

♦ النوم العاقل والنوم الجاهل:

♦ بعث الرسول ﷺ بعد استكمال عقله:

♦ الداعية وفهم المجتمع حوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال مع رسول الله ﷺ، عقل الرسالة وعقل الأمة وعقل الحياة، الذي أعطى للرسالة من عقله الكثير من تبليغ الرسالة، في وعيها وفي حركتها، وأعطى للأمة الكثير من سعة أفقه وصفاء روحيته وسموّ عقله، ولذلك أطلق آيات الله سبحانه وتعالى في تعظيم العقل وتكريمه، ليقول للناس إنني جئت من أجل أن تكون الحياة عقلاً، يكبر معها عقل الإنسان، ليملك الطاقة التي تؤهله لأن يكون في مستوى خلافة الله في الأرض؛ لأن الله جعل الإنسان خليفته من خلال عقله الذي أنتجه امتداداً لعلمه وعمقه. وهكذا يحدث الرسول ﷺ الناس عن العقل بما يجعلهم في مستوى إيمانيّ يتحسّسون معه مسؤوليتهم في إغنائه وتطويره وتنميته، وفي تحريكه في حياتهم العملية، بالإضافة إلى حياتهم الفكرية.

عقل الأنبياء ﷺ:

ونحن في هذا اللقاء، نحاول أن نستنطق رسول الله ﷺ مما روي عنه في مسألة تقويم العقل على مستوى الطاقة في الإنسان، وعلى مستوى الحركة في الواقع. ولعلّ قيمة هذه الأحاديث أنها تحدثت عن عقل الأنبياء ﷺ ومستواه وحركته، حتى إنه جاء في بعض الأحاديث المروية أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أكرم عليه من العقل؟ حيث يروي السنّة والشيعه معاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((لما خلق الله العقل، قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر)) ثم قال كما في الرواية: ((فبي حلفت. أو بعزّتي وجلالي. ما خلقت خلقاً أعزّ عليّ منك)) وقضية الخلق هذه - طبعاً - تشمل كلّ ما هو في الوجود مما خلقه الله. ((إياك أمر وإياك

أنهى، وبك أثيب، وبك أعاقب)). معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل العقل في الموقع الأول من مواقع المسؤولية، ثم إن الله سبحانه وتعالى جعله الميزان في قيمة العمل، بحيث جعل الثواب يتبع نوعيّة العقل الذي يدفع نحو العمل. وكما سيأتي، فإنّ قيمة العمل إنما هي بمقدار ما يختزن من حالة عقلية بحسب مستوى العقل، سواء كانت قيمة إيجابية فيما هو الطاعة، أو قيمة سلبية فيما هي المعصية.

وعلى هذا الأساس، نستطيع أن نخرج من هذا الحديث بنتيجة حاسمة، وهي أنّ العقل هو الأساس في الوجود. وبما أنّ الإنسان هو الموجود الذي يملك العقل، فالإنسان إذاً هو أساس الوجود وقوامه، وسرّ حركته ونموّه وتطوّره من خلال عقله. وهذه مسألة توحى للناس كافة حقيقة الموقف الذي يتحدّث عن الإسلام وعن الأديان الأخرى ممّا يتردّد على ألسنة التيارات العلمانية، التي تتحدّث بأنّ الدين لا عقل له، لأنه ينطلق من خلال غيب غير معقول، أو ينطلق من خلال بعض المشاعر والأحاسيس التي لا ترتكز على قاعدة، أو من خلال بعض الأوهام، وما إلى ذلك.. ولهذا يعتبرون أن الدين هو سرّ تخلف المجتمعات الدينية، سواء كانت مجتمعات إسلامية أو غير إسلامية.

ولكننا نلاحظ في تراثنا الإسلامي، سواء كان القرآن الكريم أو السُنّة النبوية الشريفة، أن الدين يقول للإنسان إنّ العقل هو الأساس. كن عقلاً تكن إنساناً مسؤولاً منفتحاً على مسؤوليتك في الحياة. ونقرأ في حديث آخر عنه ﷺ وهو يخاطب عليّاً ﷺ: ((يا عليّ، لا فقر أشدّ من الجهل، ولا مال أعود من العقل)). إنّ النبي ﷺ حسب هذه الرواية، يريد أن يعطي مسألة الغنى والفقر حجماً معنوياً، ولا يقصرها على الحجم المادّي. فأنت كإنسان، عندما تعيش إنسانيتك، فإن غناك الذي يرتبط بمعنى الإنسانية فيك، هو في الطاقات التي تملكها، وعندما تقتقر إلى الطاقات، فهذا يعني أنك لا تملك فكراً ولا تملك وعياً ولا تملك علماً، وأنت فقير حتى لو كانت الدنيا تحيط بك. ولذلك يعتبر الجهل فقراً، لأنّ الجهل يجعلك تتجمّد، ولا تملك الكثير من الحركة في إنتاج الحياة من

حولك، ولأن الجهل يجعلك ورقة في مهبّ الريح يمكن لأي شخص أن يخدعك في هذا أو ذاك. ولهذا فالكلمة النبوية الشريفة: ((لا فقرأش من الجهل))، تؤكد أن الجهل يجمّد طاقاتك الإنسانية، ويجعلك فارغاً من كلّ عنصر من عناصر القوة المعنوية والروحية. أما العقل، فإنه يطور نفسه ويدفعك إلى أن تبحث، ويدفعك إلى أن تقرأ، ويدفعك إلى أن تزيد في كل يوم فكراً وعلماً. وبذلك، يمكن لك من خلال العقل أن تنتج المال، وتنتج الطاقات الكثيرة في الحياة، لأنّ العقل يخطط لكل القضايا التي ترتفع بإنسانيتك، وترتفع بحياتك، ويدفعك من خلال التخطيط الذي يميز بين الحسن والقبيح، إلى أن تأخذ الحسن وتترك القبيح. ولذلك، فإنك إن لم تملك المال، فإنك تملك الطاقة التي تعلّمك كيف تكسب المال، وكيف تنتجه، وكيف تحركه في الاتجاه الصحيح.

النوم العاقل والنوم الجاهل:

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ يقول فيه: ((ما قسم الله في العباد شيئاً أفضل من العقل))، فالعقل هو سرُّ إنسانيتك، به تكبر في وعيك للأشياء والحياة، وبه تدبّر أمرك وتنتج الطاقة، وتحرك مسؤوليتك في الاتجاه الصحيح، وبدونه فأنت تعيش في الفوضى التي لا تعرف فيها القاعدة التي تنطلق منها. ((فنوم العاقل أفضل من نوم الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل)) أي حركة الجاهل. لماذا ذلك؟ وكيف يكون النوم أفضل؟ كيف نفاضل بين نومين؟ وهل هناك مفاضلة بين نوم ونوم؟ والنوم كما هو معروف يمثل الغيبوبة للإنسان عن الحس وانتقاله إلى عالم آخر، بحيث لا يشعر فيه، وإن كان يتحرك من خلال أحلامه ومن خلال أطيافه، فأى فرق بين نوم العاقل ونوم الجاهل؟

هنا نستطيع أن نستوحي من ذلك أن العاقل عندما يحاول أن ينام، فإنه ينام بعد أن امتلأ كل كيانه بكل نتاج العقل، بحيث إنَّ نومه لم يكن غيبوبة في الفراغ، بل كان نومه وسيلة من وسائل إراحة العقل وإراحة الجسد من أجل أن ينتج باليقظة عقلاً جديداً وطاقة جديدة. فالنوم العاقل هو النوم الذي ينطلق من

كيان مليء بالفكر والوعي، وينفتح بعد ذلك على يقظة تنتج فكراً وتنتج وعياً. أما نوم الجاهل، فإنه لا يعطي شيئاً، لأنَّ الجاهل من خلال فقدان العقل الذي يمدُّه بالنموّ والحركة والتطور، فارغ من كلّ هذه الطاقة، ولذلك ينام نوم الأغبياء، فقد كان نائماً في يقظته، ومن الطبيعي ألا يكون نومه أفضل حالاً من يقظته، لأنَّ الإنسان الذي يفقد العقل هو إنسان نائم في يقظته وفي حسّه، لأنه لا يملك هذه الحركية الفكرية الداخلية التي يمكنه من خلالها أن ينتج شيئاً جديداً أو طاقةً جديدةً. ومن هنا كان نوم العاقل أفضل من نوم الجاهل، لأن نوم العاقل يتحرّك من خطِّ إنتاج إلى خطِّ إنتاج آخر، بينما نوم الجاهل يتحرّك من فراغٍ إلى فراغٍ آخر، فلا يستفيد شيئاً. ((واقامة العاقل أفضل من إقامة الجاهل))، لأنَّ إقامة الجاهل يعني بقاءه في موقعه وفي منزله من دون أن يتحرك، لأنه يتحرك هنا وهناك، ولكن إقامة العاقل هي إقامة إنسان يستغلّ هذا الهدوء وهذا الاستقرار وهذه الطمأنينة التي تمنحه إياها إقامته، فيستغلّ عقله في التفكير وفي التأمل الذي يمكن أن ينتج منه شيئاً كثيراً، ولذلك كان صمت العاقل أفضل من نطق غيره، لأن صمت العاقل هو صمت فكر وصمت إنتاج، فهو يصمت ليفكر، ولذلك قد يكون النطق هذراً ولغوياً وما إلى ذلك، بينما نطق الجاهل لا يمثل شيئاً مفيداً لا في حركته ولا في نطقه، لأنه لا يملك الثقافة التي ينتجها عقله ليستفيد العبرة من هنا وليأخذ الدرس من هناك وما أشبه ذلك..

بعث الرسول ﷺ بعد استكمال عقله:

ثم يقول ﷺ: ((ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل))، يعني أن الرسول أو النبي الذي يبعثه الله، يتلخّص دوره في أن يعطي الناس من عقله عقلاً كاملاً، فإذا لم يكن عقلاً مستكماً ناضجاً، فمن الطبيعي أنه لا يستطيع أن يعطي للناس عقلاً ناضجاً، لأنَّ (فاقد الشيء لا يعطيه)، ولذلك فإنَّ الله سبحانه وتعالى يتعهّد رسوله بأكثر من وسيلة ليستكمل عقل الرسول من خلال ما يحصل عليه. ونحن نقرأ في (نهج البلاغة)، أنَّ علياً عليه السلام كان يتحدث عن رسول الله ﷺ في

عزلته في غار (حراء)، أن الله وكل به عظيماً من ملائكته، وكان يلقي إليه في كل يوم علماً أو خلقاً.. والنبي ﷺ يقول: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))، ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾^١. فالله سبحانه وتعالى يستكمل عقل رسوله، أي أنه سبحانه وتعالى لا يبعث النبي ولا الرسول حتى يستكمل الرسول والنبي عقله، بحيث يملك العقل الكامل في جميع الحالات.

وقد ورد أن الله سبحانه وتعالى يتدرج في تربية النبي كما يتدرج في مسألة الوحي، ولذا قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّوْا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^٢، فقد فرقنا القرآن لتقوي وعيك وتجربتك، ولتلاحق هذه التجربة في خط حركتك وخط الدعوة وخط إدارة أمور الناس.

((ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته)) باعتبار أن الموقع القيادي الذي يتحرك فيه من أجل رفع مستوى العقل عند الأمة، والذي يفتح على كل المواقع المعرفية، يفرض أن يكون عقل الشخص المكلف بقيادة عقل الأمة في خط النمو والتطور والسعي والسمو، أفضل من عقول أمته، وإلا لم يكن في موقع القيادة، لأن القيادة هي أن تقود الناس في موقع مسؤوليتك، وحيث إن مسؤولية النبي والرسول هي رفع مستوى عقلها، فمن هنا لا بد أن يكون عقله أفضل من عقول أمته.

ونحن نستوحي - على الهامش - من خلال ذلك، أن الذين يريدون أن يقوموا مقام النبي، ليس في الإمامة فحسب، ولكن حتى في خط القيادة الإسلامية، من حيث إعطاء الثقافة للناس، ومن خلال تطوير عقول الناس وتمييزها، لا بد أن يكونوا ممن حصلوا من العقل على غنى كبير، ولا بد أن يملكو كل المفردات

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الفرقان: ٣٢.

والأساليب القيادية. ولعل مشكلة الكثيرين من القيادات في العالم الإسلامي، أنهم لا يملكون العقل الذي يرتفعون بمستواه ليكونوا أفضل من عقول الناس الذين يقودونهم، بل قد نرى بعض الناس الذين هم في موقع القاعدة، أفضل في عقولهم وثقافتهم ممن يعيش في موقع القيادة، وتلك هي مشكلة الجهلة عندما يقودون أهل العقل. ثم يتابع ﷺ بقوله: ((وما يضر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين))، يعني أن ما يضره النبي في ما يفكر فيه وما يملكه من فكر ومن سعة الأفق الذي يطوف به، هو أفضل من اجتهاد المجتهدين في العبادة. والمقصود كما فسّره بعض شراح كتاب (الكافي)، يعني اجتهادهم في العبادة؛ لأنّ العبادة تفيد صاحبها، أما ما يملكه النبي من فكر فهو للناس كافة. ((وما أدى عبد من فرائض الله حتى عقل عنه)) يعني أن الإنسان الذي يريد أن يؤدي فرائض الله، فإنّه لا بدّ أن يعقل عن الله طبيعة هذه الفرائض في أجزائها وشروطها وطبيعتها، في إحيائها ونتائجها على المستوى الأخلاقي بالنسبة إلى نفسه، وبالنسبة إلى حركته في الواقع .. ((ولا يبلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل))؛ لأن العاقل هو الإنسان الذي ينتج للناس المعرفة بالله سبحانه وتعالى، والقرب منه، وينتج لهم خطوط الطاعة لله، أما العابدون، فإنهم يتحركون من خلال ما يمنح الله العقلاء من ذلك .. ثم يقول: ((والعقلاء هم أولو الأبواب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَبْوَابِ﴾))^(٣).

وفي هذا المجال، نقطتان عالجهما النبي ﷺ. مما روي عنه: . النقطة الأولى: في مسألة أسلوب الدعوة للناس إلى الحق وإلى الرسالة، وكيف أراد الله من الأنبياء أن يحركوا أسلوب الدعوة في خطابهم للناس؟ وهل ينطلق النبي من خلال عقله الذي يسع السموات والأرض، الأمر الذي قد يؤدي إلى عدم فهم الناس له، وعدم انجذابهم إلى علمه وفكره وعقله، كما هو شأن الكثير من العلماء الذين يخاطبون الناس بلغة علمية مليئة بالاصطلاحات التي لا يعرفها الناس، أو

بأسلوب عميق دقيق لا يلتفت إليه الناس.. هنا يتأكد معنى الحديث النبوي الشريف: ((إنا معاشرا الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم))^(٤)، يعني أننا مأمورون أن ندرس عقول الناس الذين ندعوهم إلى الإسلام، وما هو مستوى عقولهم، وما هي حدود ثقافتهم، وما هي نقاط الضعف في داخل شخصياتهم من خلال نقاط القوة في ذلك، وما هي الظروف التي تحيط بهم وتترك تأثيرها على طريقة تفكيرهم أو على طريقتهم في التحاور والاتباع، وأن نلاحق تطوّرات هذا العقل، سواء في خط الارتفاع أو خط الانحدار، حتى نعرف كيف نحرك الدعوة، وكيف تتحرّك الكلمة لتفتح قلوب الناس، لتجذب إليه عقولهم من خلال انفتاح قلوبهم له.

الداعية وفهم المجتمع حوله:

ونحن نستوحي من ذلك كله، أنّ على كلّ الدعاة إلى الله، من علماء ومن مثقفين ومفكرين وعاملين في سبيل الله، أن يدرسوا المجتمعات التي يعيشون فيها، وما هي التأثيرات السلبية والإيجابية التي اكتسبتها من التاريخ، أو التي اكتسبتها من خلال أفكارها وتجاربها، وما هي الظروف الضاغطة على هذا المجتمع التي قد تغلق عقله وقد تفتحه. إن الأزمات عندما تحيط بأيّ مجتمع، فإنها تعزله عن خط الفكر، وعن خط الحوار، وعن خط التأمل والوعي والاستماع إلى الموعظة الحسنة، لذلك نقول دائماً بأن الداعي إلى الله عليه أن يقرأ في الكتب بنسبة ٢٥ ٪، ويقرأ في كتاب الحياة بنسبة ٧٥ ٪، لأنّ الذين كتبوا الكتب كتبوها من خلال تجربتهم، وربما كانت تجربتهم محدودة بحدودهم الخاصة، والحياة تتطوّر والظروف تتنوّع، والمؤثرات أيضاً تتحرّك في إطار سلبي أو إيجابي. لذلك، فإن مسألة الدعوة إلى الله سبحانه هي من أكثر المسائل تعقيداً، ولعلّ الكثيرين من الناس الذين يقومون من ناحية رسمية بمهمّة التبليغ

والدعوة، يحاولون دائماً أن يلوموا الناس بأنهم لا يريدون الدين ولا يريدون أن يتعلموا أو أن يفهموا، وهم غير مستعدين أن يلوموا أنفسهم، لأنهم لم يفهموا الناس، ولم يعرفوا ما هي تطلّعات الناس، وما هي حاجاتهم، وما هي نقاط ضعفهم، وما هي نقاط قوتهم، ولذلك كنّا نقول إن على الداعي في هذا العصر الذي يتطوّر يومياً، أن يفتح على عصره، وأن يعيش حسّ المعاصرة، لأن مشكلة الناس ممن يقرأون في الكتب القديمة، أنهم يحدثون الناس الذين يعيشون في هذه الألفية الثالثة، بلغة من كانوا يعيشون في الألفية الأولى بطريقة أو أخرى، فلذلك لا يفهمون على الناس ولا يفهم الناس عليهم. لهذا لا بد للإنسان أن لا يكتفي بما قرأ، بل يحاول أن يتابع الواقع.. إقرأ الناس، واقرأ كل إنسان، حتى تعرف ما هي النتائج التي يمكن أن تطل منها على شخصيته هنا وهناك. وقد قيل لبعض الشخصيات المثقفة التي لم تتعلم في جامعة، ولكنها تتحدث مع الجامعيين كأفضل ما يتحدّث به الجامعي، قيل له إنك لا تقرأ، لأن وقتك مشغول مع الناس، فكيف حصلت على هذه الثقافة، قال: أنا أقرأ في اليوم أكثر من ٨٠٠ صفحة، قيل له: كيف ولم نرك تفتح كتاباً؟ قال لهم: عندما ألتقي بأيّ شخص فإنني أدرسه، أدرس فكره وتجربته وأسلوبه في الإقناع عندما يريد أن يقنعني بأيّ شيء، أدرس ظروفه عندما يحدثني عن ظروفه، وأدرس تطلّعاته وحاجاته، فأنا أدرس هذا الشخص وأحصل على دراسة ميدانية لشخص في المجتمع، فإنني أغتني ثقافياً بما يملكه هذا الشخص من ثقافة، وأستطيع أن أكلمه من خلال ما كشفه لي من ذلك كلّ. كان يقول: أنا أتعلم من كل شخص أستمع إليه، لأن لكل شخص تجربته التي تختلف عن تجربة الآخر. ولعلّ مشكلة بعض الناس أنه إذا قرأ فإنه يرى نفسه أنه الشخص الذي يعلّم الناس وليس بحاجة إلى أن يتعلّم. ولذلك تجد بعض الناس، يقول إنّ عقلي يتوزع على كل الناس ولا أحتاج إلى عقل أحد. هذا الإنسان يبدأ بالانحدار، لأن الإنسان إذا لم يؤمن بأن للناس عقلاً يختلف عن عقله، وأنّ للناس طاقة تختلف عن طاقته، فإنه يظل يعيش وهو يجترّ

ذاته، ولا يأخذ طعاماً من الخارج، ولذلك سوف يتحلل كل ما في ذاته، ويعيش في الفراغ. ونخلص من كل ما تقدّم، إلى أن الإنسان الذي يدخل في مسؤولية ويريد أن يقود الناس سياسياً أو ثقافياً أو اجتماعياً أو علمياً، لابد له أن يملك ثقافة معرفة الناس، وهذا أمرٌ يحتاج إلى جهد طويل، وإلى أن يكون واعياً في كلّ مواقفه الاجتماعية ليفهم هذا أو ذاك. هذا هو الخطُّ الذي يمكن أن يأخذ به الإنسان لينجح في دعوته أو ينجح في برنامجه السياسي أو الاجتماعي.

والحمد لله ربّ العالمين.

مكانة العقل في الستة النبوية (٤) دور التجربة في إغناء الفكر

لا ينظر الله إلى شكل العمل
وحجمه عندما يجازي
العامل، بل ينظر إلى طبيعة
ما يختزنه العامل من علاقة
بالله تعالى

- ♦ العمل بين الشكل والمضمون
- ♦ ملامح العقل في كلمات عليؑ
- ♦ أولاً: أسس تنمية العقل
- ♦ ثانياً: التجربة والتأمل
- ♦ ثالثاً: العقل والعنف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

العمل بين الشكل والمضمون:

كنّا نتحدّث عمّا ورد من حديث عن رسول الله ﷺ حول العقل، وبقي أمامنا
حديثان من أحاديثه ﷺ، وهذان الحديثان يرتبطان بمسألة تقويم العمل الصادر
عن الشخص، إن من حيث الكمية أو من حيث قيمة ما يملكه من عقل، حيث
يؤكد ﷺ - بحسب هذين الحديثين - أنّ قيمة العمل أو قيمة العامل للخير كلّهُ إنّما
هي بمقدار عقله، فالعمل بحاجة إلى جهدين:

جهد جسدي يبذل فيه الإنسان طاقة جسدية ومادية، وجهد عقلي يعيش
الإنسان من خلاله آفاق القيم التي يمثّلها العمل، كأفاق الخير والعدل والحقّ وما
إلى ذلك.. فبمقدار جهدك العقلي في ما ترى أن تقوم به من عمل، في
مسؤولياتك الخاصة والعامة التي بها يكبر الإنسان، يكون العمل كبيراً، ويكون
الشخص العامل كبيراً.

فقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: ((إذا بلغكم عن رجل حسن الحال)) أي
أنه إنسان طيّب، أو أنه إنسان خير يعمل في إنتاج الأعمال المفيدة والنافعة للناس
وفي بناء المشاريع وما إلى ذلك.. ((فانظروا في حسن عقله، فإنما يجازي
بعقله))^(١) وذلك يعني أن لا تعطي القيمة لشخص من خلال ما يصدر عنه من
عمل وحسب، بل ادرس خلفيّة هذا العمل ووعي هذا الإنسان لعمله؛ فربّما يكون
وعي بعض الناس للعمل محدوداً، بحيث يستغرق في ذاتية العمل، بينما نجد

البعض الآخر يعي العمل في كل ارتباطاته بالحياة وبالناس، وفي عمق اتصاله بالله في عبادته تعالى والإخلاص له. فאלله لا ينظر إلى شكل العمل عندما يجازي العامل، بل ينظر إلى طبيعة ما يختزنه من علاقته بالله سبحانه وتعالى، وينظر إلى ما يختزنه من علاقته بالناس من حيث انطلاق هذا العمل من معنى القيمة في ذاته، ومن خلال نتائج هذا العمل على حياة الناس وتطور الحياة وحركيتها.

وفي حديث آخر يقترب من هذا الحديث، وإن كان يشير إلى بعض الأعمال، يقول ﷺ حسب الرواية: ((إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة، كثير الصوم، فلا تباهوا به حتى تنظروا كيف عقله))^(٢). يعني أن لا تعطوه القيمة من خلال ما يبدو على مظهره الخارجي من ملامح التدين والإيمان، بل ادرسوا العنصر الداخلي قبل أن تدرسوا الشكل الخارجي لنشاطه؛ كيف هو عقله في معنى الفكر، وكيف هو عقله في وعي الخطوط التي يتحرك بها العمل، وكيف هو وعيه لله سبحانه وتعالى في انفتاح العمل على الله سبحانه. وهذا ما يوحي بأن الإسلام عندما يريد بناء الشخصية الإسلامية الاجتماعية، فإنه يريد لهذه الشخصية أن تعيش في المنطقة الداخلية، أي أن تعيش ثقافة العمل وروحيته ومعناه وامتداده، لتعطي للعمل شكله وقيمه من خلال تأثيره الإيجابي على الحياة كلها. وهذا ما يوحي - أيضاً - بأن الإنسان، إذا أراد أن يكبر عمله ليحصل على الثواب الكبير، فإن عليه أن يعمل على أساس أن يكون له وعيه العقلي والروحي والعملي للعمل، في المستوى الذي يقترب فيه من الله سبحانه وتعالى، والمستوى الذي يحقق فيه الإنسان نمواً في الفكر، ونمواً في الحياة، ونمواً في الوعي. هذا ما يتصل بكلمات النبي ﷺ في مسألة العقل.

ملاح العفل في كلمات علي ؑ:

أولاً: أسس تنمية العفل:

ثم نأتي إلى أخيه وابن عمّه ووصيّيه وخليفته من بعده، الذي أخذ العلم منه، وعاش روحانيته من خلال روحانيته وأخلاقه، فكان كرسول الله ؑ، مع فارق الرسالة، وفارق الأستاذ والتلميذ. ففي العنوان الأول: كيف ينمو العفل؟ فإذا أردت أن تنمّي عقلك، هذه الطاقة القدسية التي أودعها الله في عقلك ولسانك، فإنها ليست مجرد طاقة تتقبل ما يلقي إليها وتنمو بما تختزن فيها من خلال أكثر من عنصر من العناصر التي تعطي العفل المفردات والتفاصيل، وما يصطلح عليه الموادّ الخام، بل إنّ العفل هو مصنع الفكر والحس، وهو الذي يقدم الموادّ الخام لهذا المصنع لكي ينتج من خلال هذه الموادّ فكراً جديداً، ومشروعاً جديداً، وما إلى ذلك..

الكلمة الأولى - كما في (نهج البلاغة) -: ((العفل حفظ التجارب وخير ما جرّبت ما وعظك)). إنّ الإمام في هذه الكلمة الرائدة يؤكّد على عنصر التجربة، تلك التي تعيش في حياة الإنسان في ما يمارسه في حركته في الحياة، ومن خلال ما يواجهه، مما يبصره من المبصّرات، أو مما يسمعه من المسموعات، أو مما يلمسه من الملموسات، أو مما يشمه من المشمومات، و ما يتحرك فيه في كلّ ما يتّصل بالحس، سواءً كان بسيطاً، كما في مفردات شروق الشمس والقمر، أو كان مركّباً، حيث يتحرّك الحسّ في مسألة تأخذ عدّة مفردات من الحسّ، مما يقام فيه بعملية تجريبية، تستنتج منها نتائج للحياة.

فالتجربة تعني أنّ تعيش في ممارساتك في الحياة، سواءً في حياتك الفردية، في ما تمارسه أو مما تقوم به، أو في حياتك الاجتماعية في ما تتحرك به في ممارساتك مع الآخرين، سواءً على مستوى المعاملات أو على مستوى العلاقات أو على مستوى المواقع أو المواقف، مما يعيش فيه الآخرون، لتستنتج من

هذا فكرة، ومن ذاك فكرة، لتعرف ما هي صفة هذه المعاملة، هل هي رابحة أم خاسرة؟ لتتطلق منها إلى ما يماثلها من المعاملات. وهكذا في العلاقات، سواء كانت هذه العلاقة زوجية أو علاقة أبوية أو علاقة سياسية أو اقتصادية أو أمنية أو ما إلى ذلك .. إنَّ هذه التجربة ذاتية تتحرك في هذه الممارسات المركَّبة التي يقوم بها الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية ليأخذ منها الفكرة، لأنَّ التجربة هي أحد مصادر الفكر.

ثانياً: التجربة والتأمل:

كان الفلاسفة الأولون يعتبرون أن المصدر الوحيد في المعرفة هو التأمل والتفكير، ولكنَّ المسلمين من خلال ما جاء به القرآن الكريم، اعتبروا التجربة مصدراً من مصادر المعرفة، وقالوا إنَّ التجربة يمكن أن تتزاج مع التأمل؛ لأنَّ التجربة وحدها تعطيك الفكرة في الدائرة الخاصة، بينما التأمل في داخل التجربة ودراسة كل خصوصياتها، يجعل التجربة تمنحك الفكرة التي تمتدُّ في جميع مواقع الحياة في الظروف المماثلة، ولذا يقول المفكرُّون إنَّ التجربة وحدها لا تعطينا قانوناً؛ لأنها محدودة بحدود خاصَّة. فلو أنك جرَّبت دواءً واحداً، فإنك لا تستطيع من خلال ذاتية التجربة أن تقول بأن هذا الدواء ينفع في كل الحالات المماثلة لهذه الحالة، إلا من خلال قاعدة فلسفية، وهي أن (حكم الأمثال في ما يجوز وفي ما لا يجوز واحد)، يعني في ما يمكن وفي ما لا يمكن واحد، فإننا عندما ندرس هذه التجربة المحدودة، ونلاحظ عناصرها، ونجد أن التجارب الأخرى أو المواقع الأخرى تتضمن العناصر نفسها، فنقول إنَّ من الطبيعي أن هذا الدواء استطاع أن يشفي هذا المرض من خلال العناصر التي يشتمل عليها كل من المرض والدواء، فكل ما كان من هذا القبيل في عناصره يمكنه أن يشكل تجربة مماثلة. فإنَّ التجربة إنما تصنع فكرةً أو قانوناً من خلال تزاجها مع القواعد الفكرية التي انطلقت من خلال التأمل، فلا تنفصل التجربة عن الفكر، كما أن التأمل الذي يعيشه الفكر قد ينطلق من خلال التجربة في بعض

الحالات.

وهذا ما أعطى الحركة الحضارية الإسلامية امتدادها في طول التاريخ، حيث استطاع المسلمون من خلالها أن ينتجوا في علم الطبّ والكيمياء، وفي كثير من العلوم والمعارف، وقد استفاد الغرب - عندما ارتبط بالمسلمين في (الأندلس) - حيث انتشرت علوم أمثال (ابن سينا) و (ابن النفيس) و (جابر بن حيان) وغيرهم، فنقل التجربة - في دراساته وتجاريه - كأساس من أسس المعرفة، وانطلق - الغرب - في كل اكتشافاته على جميع المستويات وفي كل الآفاق التي فتحتها، من خلال التأكيد على التجربة التي يتابعها ولو لقيت فشلاً في بعض مواقعها، باعتبار أنّ الفشل في التجربة لا يعني فشل الفكرة التي تريد أن تستوحيها من خلال التجربة، لأنّ من الممكن أن تكون الظروف التي أحاطت بالتجربة هي التي أدّت إلى هذا الفشل.. وهذا ما أكّدناه في بعض أبحاثنا - التي نُشرت قبل أكثر من أربعين سنة - تحت عنوان (التجربة أبداً)، وقلنا إن فشل ألف تجربة لا يعني فشل الفكرة.

والإسلام لم يكتف في مسألة حركية التجربة بالتجارب الذاتية للإنسان، بل إنه أراد له أن يعيش تجارب الآخرين، وهو ما نقرأه في القرآن الكريم عندما يطلب من الناس أن يعتبروا وأن يسيروا في بلاد الآخرين، وأن يدرسوا كيف كانت حياتهم وكيف تطوّرت في عنصر السلب هنا وعنصر الإيجاب هناك، لأنّ تجارب الآخرين تعطي - أيضاً - الفكرة للإنسان، تماماً كما تعطيه تجربته الخاصة، ولكن بعد دراسة دقيقة لهذه التجارب التي عاشها الناس في القرون السابقة وفي العصور المختلفة. فالإمام عليه السلام يقول: ((العقل حفظ التجارب))، لأنه يريد لك أن تعمل على أن يكبر عقلك وينمو ويتطوّر، وأن تحفظ التجارب التي عشتها في كل تاريخك، وفي كل مواقع حياتك، فلا تهملها ولا تنساها ولا تغفلها، وحاول - أيضاً - أن تحفظ التجارب التي عاشها الآخرون، فإذا حفظت كلّ ذلك، استطعت أن تأخذ من كلّ هذه التجارب علماً جديداً وفكراً جديداً وتطوّراً جديداً، لأنّ العقل

ينفتح على كل ما يلقي إليه من فكرٍ هنا وهناك، فيولّد من الفكر فكراً، وينتج الفكر من الواقع في هذا المجال.

ثم يضيف أمير المؤمنين عليه السلام - بعقله الذي انفتح على العالم كلّه وعلى الكون كلّه - فيقول: ((خير ما جرّبت ما وعظك))^(٣)، يعني أنك عندما تعيش التجربة التي قد تتصل بالجانب الإيجابي من حياتك في ما ينبغي لك أن تعمله، أو في الجانب السلبي في ما يجب عليك أن تتركه، فقيمة التجربة ليست في ما تنتجه من فكر فحسب، بل إن قيمتها تتبع من أنها تغيّر حياتك من السلب إلى الإيجاب. فلتكن التجربة هي الواعظ الذي يعظك أن تفعل ما لم تفعله، أو تترك ما فعلته من السلبيات هنا وهناك. ونحن نعرف أن كلّ تطوّر في الأمور العلمية أو الأمور السياسية أو الأمور الاجتماعية والأمنية، جاء من التجربة التي تمتدّ امتداد الحياة.. وهذا ما ينبغي للإنسان أن يعيشه في تجاربه، وكلّ حياتنا تجربة في الطفولة وفي الشباب وفي الكهولة وحتى في الشيخوخة، وفي كل مجالات الحياة. إن الإمام عليه السلام يقول: احفظوا تجاربكم ليكبر عقلكم، وحرّكوا تجاربكم في حياتكم من أجل أن تمنحكم التجربة من نتاجها الفكري والأخلاقي، الموعظة الحسنة التي يكبر بها واقعكم العملي إلى جانب واقعكم الثقافي. هذا هو علي في فكره إذا أردتم أن تعرفوا علياً عليه السلام.

ثم يؤكد الإمام عليه السلام في مسألة استنطاق التجربة للعمل، فيقول: ((إن الشقي من حرم نفسه ما أوتي من العقل والتجربة))^(٤)، فكأنما يقول: إن مسألة الشقاء ليست في أن يجوع الإنسان تارةً ويعطش تارةً أخرى أو يعرى ثالثةً، ولكن الشقاء والإضرار بالنفس وتكبّ الطريق على خلاف السعادة، هو عندما تكفّ عن أن تنتفع بعقلك في تأملاته، وتجربتك في حركيّتها، فأيّ شقاء أكبر من هذا الشقاء.. عندما يتوفر لك ما يرفع مستواك وما تنتفع به في حياتك، فتهمل ذلك

(٣) نهج البلاغة. ك ٣١. ص ٦٤٩.

(٤) نفسه. ك ٧٨. ص ٧٦٦.

كلّه لتبقى في حالة تخطيط هنا وهناك، وفراغٌ روحيّ وفكريّ وجمود حركيّ مما يفتح لك العقل وتقودك إليه التجربة، بما يصنع لك من عناصر الشخصية الواعية في الحسّ الداخلي والحركة الخارجية وغنى الواقع وانفتاح الحياة.

ثالثاً: العقل والعنف:

وفي مجال آخر، يتعرض الإمام علي عليه السلام لمسألة الأسلوب الأمثل لاتّعاظ العقل، في كلّ ما يقدّم إليه من التربية الثقافية أو العلمية، فيقول عليه السلام في وصيته لأحد أولاده، وهو محمد بن الحنفية: ((يا بني، فإن العاقل يتّعظ بالآداب والبهائم لا تتّعظ إلا بالضرب))^(٥)، فإذا أردت أن تبني للإنسان عقله، وتجعله يفتح على الموعظة في ما ينفعه أو يضرّه، فإنّ عليك أن تقدّم للعقل الفكر الذي يفتح على الآداب الإنسانية التي ترفع للإنسان وعيه وتنفع حياته، من دون عنف، لأنّ هذا هو الذي ينسجم مع إنسانية الإنسان في معناها العميق، فلا يُعامل مع الإنسان كما يُعامل مع البهائم، فإنّ سلوكها هو الذي يجعلها تستسلم لمن يقودها بالعنف عندما تتأخر في سير أو تجمع في حركة وما إلى ذلك .. إنّ العنف لا يمكن أن يجعل الناس يقتنعون، بل يجعلهم يستسلمون من دون اقتناع. وهذا ما نلاحظه في الكثير من ممارسات العنف، سواء على مستوى التربية العائلية أو في المجتمع أو في الحكم أو السياسة. إنّ العنف قد يجعل الإنسان يستسلم لما يريد صانع العنف، ولكن لا يستطيع أن يحقق اقتناع الشخص الخاضع للعنف. فكان الإمام عليه السلام يقول إنّ الإنسان الذي لا يتّعظ بالفكر وهو يقدم إليه، ولا تفتح روحه عليه، بل يتحرك بالعنف، هو إنسان كالبهيمة، لأنّ إنسانية الإنسان تنطلق في أنّ يحرك كل حياته ويفتح من خلال عقله، والعقل لا يفتح انفتاحاً ممتداً في الحياة إلا من خلال ما يتغذى به من الآداب التي أنتجتها عقول وتجارب أخرى.

ويبقى لكلام أمير المؤمنين عليه السلام وأمر البيان والحكمة ما يأتي في الأسبوع

القادم إن شاء الله تعالى..
والحمد لله رب العالمين.

مكانة العقل في الستة النبوية (٥) دور التجربة في إغناء الفكر

عندما يتفهّم الإنسان
عناصر عقل الآخر،
يتقارب المجتمع من خلال
التفاهم بين (العقول)

♦ أمة التفكير

♦ دائرة الشورى

♦ كيف نعقل الحديث؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

كيف ننمّي العقل؟ وكيف نحركه في فهم النصوص؟ أو كيف نتعامل مع النصوص في حركيّة العقل؟

أمة التفكير:

في النقطة الأولى، نقرأ كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي قال فيها: ((من شاور الرجال شاركها في عقولها))^(١). إنّ الإمام يطرح فكرة أن ينمي الإنسان عقله من خلال الانفتاح على عقول الآخرين؛ باعتبار أن لكل شخص عقلاً ينشأ من خلال تأملاته، ومن خلال ما يرثه من بيئته، ومن خلال ما يقرأه أو يسمعه أو يبصره، ما يجعله عقلاً يتميز ببعض المميزات التي قد لا تكون لدى الآخرين. ونحن نعرف أن عقول الناس تختلف، لأنّ الله سبحانه وتعالى نوع الطاقات الإنسانية في طبيعتها وفي حجمها من ناحية سرعة التلقي أو بطئه، وعمق التأمل أو سطحيته، وهكذا في الجوانب الثقافية المتنوعة التي يتعلّمها الإنسان. لذلك فإنّ مسألة أن يفتح الإنسان على عقول الآخرين، هي أن يضمّ عقل الآخرين إلى عقله، ليستزيد من عناصر عقولهم التي لا يملكها، لا سيما عندما تتحوّل الشورى إلى حالة حوار يطرح فيها عقله للآخرين كما يطرح الآخرون عقولهم إليه، ولعل كلمة ((شاركها في عقولها)) بمعنى أن يكون عقل الآخرين جزءاً من عقلك، كما يكون عقلك جزءاً من عقول الآخرين، أي أنك تأخذ

من عقولهم وتضيفها إلى عقلك، كما يأخذون من عقلك ليضيفوه إلى عقولهم. وربما نفهم من خلال ذلك دور الشورى في الإسلام، بحيث يتحرك المجتمع كله من خلال من يعملون على بناء طاقاته ومشاريعه وأوضاعه وخططه، ويتم التواصل والتكامل بين مختلف عناصره، بحيث يبتعد العقل عن ذاتيته المغلقة ليكون عقل المجتمع، لأن هذا اللون من التلاقي بين العقول، قد ينتهي إلى أن يكون للمجتمع عقله، عندما يتوحد العقل من خلال هذا التلاقح بين العقول، أو عندما يتفهم كل إنسان عناصر عقل الآخر، فيتقارب المجتمع من خلال التفاهم بين العقول. وقد ارتفع الإسلام بالشورى إلى أن خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله بها. في علاقته بأصحابه والمجتمع المحيط به. في أي أمر من الأمور التي يريد الرسول ﷺ أن يقررها، أو في أي مشروع يريد أن يحققه، على مستوى الحرب أو السلم، أو على مستوى العلاقات الاجتماعية في ربط هذه العلاقات أو انفصالها.. فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢)، يعني استمع إلى أفكار الآخرين حول الأمر الذي تريد أن تقوم به، أو المشروع الذي تريد أن تبنيه مما يتصل بحاضر الأمة أو مستقبلها.. «فَإِذَا عَزَمْتَ» يعني إذا أخذت الفكرة من خلال أكثر من وجهة نظر حول هذه الفكرة ودرست كل تلك الأفكار واخترت من خلال هذا التنوع الفكري والثقافة الجديدة واقتنعت بالرأي.. «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ».

وهنا نلتفت إلى معنى، وهو أن القيادة وإن كانت تستشير القاعدة، إلا أنها تبقى في الموقع القيادي الذي يقرر، ولكن لا يقرر القيادي أي قرار، ولا يتحرك في أي مشروع إلا بعد أن يستجمع أفكار أو آراء الآخرين لكي يختار رأيه عن دراسة. وهذا من الأمور الأساسية في المسؤوليات العامة؛ لأن المسؤول في الأمة، سواء كان في حجم المسؤوليات الكبيرة أو في حجم المسؤوليات المحدودة، يقرر ما ينعكس سلباً أو إيجاباً على حياة الأمة في حاضرها ومستقبلها، ولذلك فهو ليس حراً في أن يمارس مسؤوليته من خلال تجربته الذاتية والشخصية، بل يحاول أن

يأخذ برأي أهل الخبرة ممن يسدّدون له رأيه، أو ممن يوضحون له مشكلات الأمور، أو يقومون له ما قد ينحرف منها. وإذا كنّا نعتقد أنّ الله سبحانه قد عصم نبيه ﷺ عن الخطأ، وأنّ الله يلهمه ما فيه النور لكلّ فكر ولكل مشروع، فإنّ الآية ربما تكون إحياءً بأنّ النبي ﷺ يريد أن يعطي من سيرته المنهج كلّ له لكل القيادات التي من بعده ولكل المسؤولين معه، أن لا يتحرك الإنسان في مسؤوليته على أساس ذاتيته وفرديته، كالناس الذين يستبدون برأيهم أو يضحّمون شخصيتهم، فيتوهّمون أنهم لا يحتاجون إلى عقل الآخرين.

دائرة الشورى:

ولم يقتصر القرآن في مسألة ضمّ العقل إلى العقل على القياديين أو المسؤولين، بل جعل الشورى طابع الأمة، حيث أراد للأمة الإسلامية أن تكون أمة شورى، وذلك قوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٣)، على أساس أن لكل إنسان خصوصية في عقله الذي يتغذى بالتجربة والتأمّل، ويتغذى بما يتعلّمه من الآخرين. ولذلك، فعلى أي واحدٍ من الناس أن لا ينكر على الآخر عقله حتى لو كان الآخر أقلّ منك عقلاً وتجربة، أو أقلّ منك ثقافة.. حاول أن تستمع إليه، لأن من الممكن جداً أن تكون هذه التجربة التي يملكها، أو هذه الثقافة التي يعيشها، أو هذا العقل الذي يحركه، ربما يكون في كلّ ذلك خصوصية مغايرة لم تأخذ بها.. قد تملك ٧٠٪ وهو يملك ٣٠٪، وقد لا تحتوي الـ ٧٠٪ التي عندك على الـ ٣٠٪ التي يملكها، فإذا ضمنت عقلك إلى عقله، استفدت ممّا عنده وضممته إلى عقلك.. حتى إن بعض الظرفاء قال: إني أتعلّم من تجربة طفلي الصغير. قيل له: كيف؟ فقال: عندما أكون في البيت، ويطلب طفلي الصغير أن أخرج معه، أو يطلب مني أن أشتري له لعبة أو أي شيء آخر، فأرفض ذلك، فيلجأ هذا الطفل الصغير إلى أمه ويبكي في أحضانها، أو أنه يضرب رأسه بالجدار، فأرضخ. هذه

تجربة طفل، ولكني أستفيد من تجربة هذا الطفل، لا بالطريقة التي تحرّك بها في طفولته، وإنما بأسلوب رجوليّ يحمل نفس عناصر الأسلوب الطفوليّ بشكل وبآخر..

على أنّ مسألة المشاركة في العقول تبرز في كل أمور الإنسان، وعلى سبيل المثال، نجد في واقعنا، أنّ أغلب الناس لا يحترمون رأي المرأة حتى في شؤون البيت، لأنّ الرجل يعتبر نفسه هو الأساس في القرار، حتى إن بعض أصحاب الديانات يقولون: إنّ الرجل هو رأس المرأة، فهي لا تملك الرأي حسب مفهومهم، بل هو يملك الرأي كلّ والقرار كلّ. ولذلك تجد الغالب في مناطق الشرق أنّ الرجل لا يستشير امرأته، لأنه يعتقد أنّ المرأة لا يمكن أن تعطي رأياً محترماً، بينما قد تكون للمرأة تجربة خاصة. فهب نفسك أكثر عقلاً منها أو أكثر تجربة أو ثقافة منها، ولكنّها قد تملك بعض التجارب أو الثقافة التي لا تملكها أنت، فاستمع إليها. ولكن بعض الناس يحاول أن يؤكد رجولته بالنسبة إلى المرأة، سواء كانت زوجة أو أختاً متعلّمة أو ما إلى ذلك. بل قد يتمسّك بعض بما يروى في الأثر: ((شاووهن وخالفوهن))، بحيث يفهم منه البعض أنّه إذا أردت مثلاً أن تعرف أيّ شيء يتعلّق بالتجارة أو الاجتماع أو غير ذلك، فاستشر أي امرأة، فإذا أعطتك رأياً فاعمل بعكسه.. ولكن المعنى المقصود من الحديث، هو أن لا تعود المرأة بأن تستسلم لها، على حدّ قول الإمام علي عليه السلام: ((لا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر))^(١)، لأنّ العلاقة بين الرجل والمرأة تحكمها العاطفة والغريزة، فقد يستسلم الكثير من الرجال استسلاماً كلياً، بحيث يطيعها الرجل في كل شيء. فمعنى الحديث أن تعودوهن على المخالفة، فليس كل ما تقوله المرأة يعني أنّ نفعل عكسه، وإلا فلو كنت لا تصلي - مثلاً - وشاورت امرأة، فقالت لك: صلّ، فهل المطلوب هو أن تخالفها في ذلك؟

نعم، الشورى ليست ملزمة، فربما تشاور ثلاثة أو أربعة أشخاص، وقد

تكون لهم آراء مختلفة، ولكن الشورى تتضح الفكر وتقدم إليك أكثر من وجهة نظر، فتعطيك أساساً للمقارنة وأساساً للاستنتاج. إن مجتمعا يعيش الشورى في كل قضايا الحياة الصغيرة والكبيرة، في داخل البيت أو خارجه، هو مجتمع تقل فيه الأخطاء إن لم تعد، فلا تكن الإنسان الذي يتضخم لديه إحساسه بعقله، بحيث يُخيل إليه أن عقله هو العقل الأول، وأن الآخرين لا يقتربون من عقله. فإذا أردت أن تنمي عقلك، فافتحه على عقول الناس، وانطلق في استنتاج القضايا التي تريد أن تتحرك بها. انطلق من خلال هذه المشاركة العقلية، ولا تكن فردياً في عقلك، ولكن كن الإنسان الذي يضم عقله إلى عقل الآخرين.

كيف نعقل الحديث؟

ونبقى في كلمات عليؑ... وقد يحسن بنا في هذا المجال التأكيد أنه يجب علينا أن نتجاوز ما تعودناه من الاستهلاك في قراءة التاريخ، وأن لا نقتصر في سيرة عليؑ على أخبار البطولات، وأنه قتل مرحب وعمراً بن عبد ود اللذين انتها في إطار الحدث التاريخي، بينما بقي لنا من عليؑ كل هذا العلم الذي يبقى ما بقي الدهر، وقد كان عليؑ يقول: ((إنها هنا علماً جماً لو وجدت له حملة))^(٥)، فمن يُردِ علماً، فهذه هي ثقافته وفكره ودلالات سيرته... يريد عليؑ - في ما يلي من حديثه - أن يركّز منهجاً في مسألة تقبل الإنسان لأي فكرة من خلال ما يُروى من الأحاديث، سواء كانت مروية عن النبي ﷺ، أو عن الأئمة ؑ، أو الأحاديث القدسية أو ما شابه ذلك، فلا بد من أن تمر من طريق العقل الذي يدرسها على ضوء القواعد الثابتة لديه.. وفي هذا المجال، نجد أن بعض الناس - وهم أكثر في هذه الأيام - يروون الأحاديث من دون أن يدرسوا مضمونها، يروونها للناس، فيقبلها الناس من دون التأكيد على صحة هذا المضمون أو على فساده. فمثلاً، بعض الناس ينقل من كتاب (بحار الأنوار) من دون تدبر ولا تدقيق، لا في

السند ولا في المتن، مع أن صاحب هذا الكتاب نفسه لا يضمن صحة ما فيه، فهو مثل البحر فيه الأحجار والصدف واللآلئ وغيرها، حتى إن الأحاديث الواردة في الكتب الأربعة: (الكافي) و(من لا يحضره الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار)، لا تعتبر من الصحاح التي هي حجة في كل رواياتها، بل هي خاضعة للتحقيق الحديثي والرجالي.. فالإمام عليه السلام يريد للإنسان أن يعقل الحديث: هل هو معقول أو غير معقول؟ هل هو موافق للكتاب والسنة أم غير موافق لهما؟ وهل الحديث المروي موافق لطبيعة الأمور وتفاصيل الواقع أم غير موافق؟ حتى يستطيع أن يأخذ الفكرة من الحديث بطريقة علمية موضوعية مبنية على التعمق في الدراسة والتحليل. وقد قال العلماء بأن الحديث إذا خالف العقل القطعي فلا بد من أن يُطرح أو يؤول بما ينسجم مع حكم العقل، وإذا خالف الحديث كتاب الله، فلا يعتنى به، حيث ورد في الحديث: ((ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار))، ((لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه))^(٦). والإمام الصادق عليه السلام يقول: ((إنا إن حدثنا حدثنا بموافقة القرآن)).. فلا يكفي أن تقول إن الحديث مروي عن فلان وهو ثقة، وعن فلان وهو ثقة، بل لابد لك أن تدرس طبيعة الحديث ومضمونه، وهل يتفق مع الحقيقة القرآنية القطعية؟ وهل يتفق مع ما علم من السنة الشريفة أم لا؟ فيقول الإمام عليه السلام: ((اعقلوا الخبر عقل رعاية لا عقل رواية)) فليس المهم أن تحفظ الأخبار، بل أن تؤصلها وتحاول أن تتعمق فيها، ((فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل))^(٧)، فالناس ربما يحفظون الكثير من الأحاديث، ولكنهم قد يستهلكون ما حفظوه، ولا يعيشون العلم في عمقه وفي كل ما يوحيه من أفكار وآراء.

ثم يطبق الإمام عليه السلام هذه المسألة على أهل البيت عليه السلام، ليؤكد أنه لم تكن قضيتهم عليه السلام مما يلقونه إلى الناس، ومما يتحدثون به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن

(٦) الكافي ج ١ ص ٦٩ ح ١.

(٧) نهج البلاغة ك ٩٢ ص ٦٩١.

همهم رواية الأحاديث، فهم ليسوا مجرد رواة ينقلون الرواية كما ينقلها الرواة الآخرون، ولكنهم ينقلون حديث رسول الله ﷺ من خلال دراستهم لمضمون هذا الحديث، وضمانتهم أنّ هذا الحديث موافق لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كما هو موافق للعقل، وأنّ كل ما ورد من الأحاديث التي لا تتسجم مع ذلك هي أحاديث موضوعة عليهم، لأنه قد يكذب عليهم الناس، كما قال الرسول ﷺ: ((من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار)). يقول الإمام ﷺ: كما روي عنه: ((آل محمد ﷺ عقلوا الدين عقل رعاية لا عقل سماع ورواية))^(٨)، يعني أنهم فهموا الدين بحقيقته، ولم يعقلوه عقل الرواية من حيث نقل الكلمات فقط من دون أن تؤصل الفكر. ويبقى لنا الكثير من أحاديث علي ﷺ حول العقل مما سنتحدث عنه في الأسابيع القادمة إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

مكانة العقل في الستة النبوية (٦) دور العقل في إغناء الحياة

قد يسقط الوجود ويتخبط
بالفوضى عندما يفقد
البوصلة التي تحدّد له
الطريق

- ♦ استنطاق العقل
- ♦ سلطان العقل
- ♦ البحث عن الحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونبقى مع عقل الإنسانية الكبير علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يسير بنا باتجاه ملاحقة العقل الذي هو جوهر الإنسان، وسرّ ذاته، وغنى إنسانيته، ويجول بنا في كل مواقعه ومصادره وموارده، حتى يجمع لنا العقل في حركته في واقع الإنسان.

استنطاق العقل:

من كلماته عليه السلام في تأكيد العقل، وأنه ضمانه الإنسان في كل حياته، في حاضره ومستقبله: ((كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيبك من رشدك))^(١). إن هذه الكلمة توحى لنا بأن الإنسان إذا حرّك العقل في حياته، ودعاه إلى التعرف على كل الخطوط الموجودة في الحياة، ولا سيما الخطوط المتضادة في العقيدة، أو في الشريعة، أو في العلاقات، أو في المواقف، أو في كل الجوانب المرتبطة بحياته الشخصية، فإنه يهديه إلى الحق؛ فهناك حق وباطل، وهناك غيٌّ يجعلنا نتخبّط في الظلمات ونستغرق في الضباب، بحيث لا نعرف السبيل الذي يؤدي بنا إلى النتائج الإيجابية، وهناك الرشاد الذي يفتح لنا أكثر من نافذة وأكثر من أفق ليدلّنا على طريق السلامة.. وهناك ظلم وعدل، وربما يختلط الأمر لدى الإنسان، فيحسب الظلم عدلاً، والعدل ظلماً، كما يحسب الحق باطلاً، والباطل حقاً...

إنّ العقل بكلّ عناصره، هو الذي يجعل الإنسان يفكر بطريقة هادئة تطرح

المفردات وتدقق فيها لتكشف عمق هذا الطريق، أو هذا الفكر، أو هذا الموقف، لتعرف ماذا يحمل من الحق وماذا يحمل من الباطل، وما إذا كان يفتح على الرشاد أو على الغي وما إلى ذلك.. الإمام عليه السلام يقول إنَّ دور العقل هو أن يعرفك أين الغي وأين الرشاد، في ما يفتح ويتحرَّك فيه فكرك، وفي ما تتطلق به حياتك في المواقف والعلاقات وما إلى ذلك.. وفي هذه الكلمة: ((كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيك من رشدك))، إحياءً بأنَّ عليك أن لا تغيب عقلك، بل أن تستنطقه، وأن تجلس معه ليجلس معك، تماماً كما لو كنتم موجودين مختلفين.. عقلك منك، وأنت تتطلق من خلال عقلك، ولكنك تخاطبه ويخاطبك، فكأنَّ هناك حساباً بينك وبينه، وكأنَّ هناك واعظاً ومستمع موعظة، وناصحاً ومستمع نصيحة. فأحضر عقلك في كل موافعك. ولعل الكلمة المروية عن رسول الله ﷺ توحى بذلك، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: ((العقل نور يفرق بين الحق والباطل))، فإذا لم يكن عقلك في وجدانك وفي حركة حياتك، فأنت في ظلمات، لأنه ليس لك من يرشدك إلى الحق، فتختلط عليك الأمور، تماماً كما تختلط عليك الطرقات عندما تسير في ظلماتها. فهو النور فامضِ معه واستضيء به واستصبح به. ولذلك فإنَّ الذين يعطون العقل إجازة، يعطون وجودهم إجازة أيضاً، لأنَّ الوجود قد يسقط وقد يتخبَّط بالفوضى عندما يفتقد البوصلة التي تحدد له الطريق. هذه كلمة علوية تستمدُّ وحياً من كلمة نبوية ومن وحي إلهي، لأنَّ علياً عليه السلام عاش النبي ﷺ في وجدانه وعاش القرآن في كل كيانه.

سلطان العقل:

وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: ((ما استودع الله امرءاً عقلاً إلا استنقذه به يوماً))، وفي رواية أخرى: ((إلا ليستنقذه به يوماً))^(٢). ربما يتحرَّك الإنسان في الحياة بغرائزه، أو من خلال الظروف المحيطة به التي تدخله في الضباب، فلا

يبصر شيئاً، ويتهياً له فيها الظلام نوراً والنور ظلاماً، فيتخبط وينحرف ويسقط، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان لغرائزه تسير به من غير ضوابط، ولم يتركه للظروف السلبية المحيطة به التي تؤدي به إلى الابتعاد عما يعتقده، أو عما يلتزمه، أو عما يعلمه، أو عما يقرره في مصيره، بل جعل العقل منقذاً له من كل هذا التخبط والارتباك. وربما يمتد الإنسان في حياته بغيه وبانحرافه، ولكن لابد أن يلتقي في مرحلة من هذه المراحل، وفي موقع من هذه المواقع، بالصحو التي تفتح له الآفاق، فيبصر الحقيقة، كأن تصيبه صدمة تهزّه من أعماقه فيتراجع ويستقيم ويتوب.

فالله سبحانه وتعالى - حسب تلك الرواية - خلق العقل، وغاية هذا الخلق أن يستنقذ الإنسان به حتى لا يتركه يضيع في متاهة الظلام، أو أن الله سبحانه وتعالى استودع العقل ليستنقذه بعيداً عن مسألة الغاية في الخلق أو بحسب التعبير من هذه الناحية المحدودة وإن كان العقل غاية بحسب الواقع في أصل الخلق في ذات الإنسان وفي جوهر كيانه. ويُنقل في هذا الاتجاه عن رسول الله ﷺ الحديث عن هذا النوع من الإنقاذ، حيث يقول ﷺ مما رواه مالك بن أنس قال: ((سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يكون حسن العقل)) يعني في إدارة الأمور وفي تنظيم حياته وفي علاقه مع الناس، بحيث يكون ناجحاً في حياته الدنيوية، ((كثير الذنوب)) تغلبه غريزته، فينحرف عن خط الاستقامة، ((فقال: ما من بشر إلا وله ذنوب وخطايا يقتربها))، لأن النفس أمارة بالسوء، ولأن الشيطان يوسوس له، ولأن الغرائز التي يستغلها الشيطان قد تضغط عليه، وقد ورد: ((كل ابن آدم خطاء)) ثم قال: ((فمن كانت سجيته العقل وغريزته اليقين)) بحيث كان فلان - كما تقولون - حسن العقل، أي كان العقل طبيعة له في حركته وفي حياته، فإنه لابد أن يستيقظ في الجوانب الأخرى، لأن الإنسان عندما يحضر عقله في ما يستنقذه من الأمور الدنيوية، فمن الطبيعي أنه يريد لنفسه النجاة والخير. وإذا كانت المسألة تتحرك في هذا الاتجاه، فلا بد أن تطل على الاتجاه

الآخر.. فمن كان كذلك ((..لم تضره ذنوبه، قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟))، فإن مجرد وجود العقل كطبيعة لا يكفي؛ لأنّ الذنوب ترافق هذا العقل، فما هي علاقة العقل بزوال الذنوب، فالعقل ليس استغفاراً والذنوب باقية، فكيف لا تضره ذنوبه؟ ونحن نعرف أنّ الذنوب التي تمثل معاصي الله سبحانه تضر الإنسان، لأنه يستوجب بها سخط الله وعقابه، ((قال: كلّما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما فرط منه))، فما دام العقل طبيعته ورائده وقائده في اللحظة التي يستيقظ فيها وعيه عندما يرى النتائج السلبية التي انتهى إليها في سلوكه الضائع، فإنّ العقل لا بد أن يقوده في نهاية المطاف إلى الإحساس بخطورة هذه الذنوب، فيدفعه ذلك إلى ما فتح الله له من أبواب التوبة، ((فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة)).

وهناك كلمة أخرى حول موضوع العقل في ما يمكن للإنسان أن يحصل عليه؛ إذ إن هناك مثلاً لأحد الحكماء في توضيح الطريقة التي يكتشف الإنسان من خلالها الحقيقة الضائعة في ركाम تهاويل الباطل واحتمالاته، يقول: (العقل الحازم) يعني العقل الذي يتحرك ويؤكد الإرادة في خط الحركة، وهذا معنى الحزم؛ لأنّ هناك من العقلاء من يحرك عقله في خط التجريد دون أن يتحوّل إلى خطّ للسير في حياته، ولا بد من أن ينطلق العقل من أجل أن يؤكد الإرادة التي تدفع الأوضاع أو الأفكار التي تريد أن تتحرف بالإنسان عمّا حكم به عقله .. (إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضلّ لؤلؤة) أو جوهرة وقعت منك وضاعت في التراب، فكيف تتصرّف؟ .. (فجمع ما حول مسقطها) في التراب (ثم التمسها)، (حتى وجدها) وأخذها. وهذا كناية عن أنّ الإنسان عندما تضيع الحقيقة عنده، فإنه يجمع الاحتمالات التي تضيع الحقيقة في داخلها، أو الأوهام التي تحيط بها ثم يناقشها، فيطرح هذا ويطرح ذاك، وبعد ذلك يرى الحقيقة ناصعةً أمامه، كما يرى اللؤلؤة عندما يطرح حفنة التراب من هنا وهناك.. ومعنى ذلك، أنه يستعمل الجانب المعنوي ليستفيد منه في معرفة الجانب الحسي،

(وكذلك العاقل يجمع وجوه الرأي للأمر المشكل) في عدّة آراء، فأين الحقيقة من هذه الآراء والوجوه؟ كيف يستطيع أن يكشف الحق من داخلها؟ يجمع وجوه الرأي في الأم(ثم يضرب بعضها في بعض حتى يستخلص الرأي الأصوب).

البحث عن الحقيقة:

هذه المسألة تعطينا فكرة أن على الإنسان أن لا يسقط عندما تزدحم عليه الأفكار التي يختلف فيها الناس من حوله، ولا يسمح لنفسه أن يعيش حالات الاهتزاز، كما نجد الكثير من الناس يقولون: لا ندري ماذا نأخذ وماذا ندع؟ هذا يتحدث برأي وذاك برأي آخر، هذا عنده رأي معيّن وذاك عنده فتوى معيّنة، فنحير ماذا نفعل؟ لا تترك نفسك في الحيرة ولا تفرق في الإشكالات، ولكن حاول أن تناقش هذا، إما بنفسك إذا كنت تملك القدرة على المناقشة، وإما مع الآخرين الذين يملكون ثقافة المناقشة في هذا الرأي وفي ذاك؛ تناقش رأياً رأياً، واحتمالاً احتمالاً، وموقفاً موقفاً، حتى تصل إلى الحقيقة.

وهذا المنهج في حركة العقل لا يقتصر على الأمور الفكرية فحسب، بل يتعدّها إلى الأمور النفسية، مما نعيشه من تجارب.. وفي هذا المجال، ألتقي بالكثير من الشباب والفتيات ممّن اعترضتهم بعض المشاكل، فيعيشون حالة حيرة ربما تترك تأثيرها على هدوء النفس، وقد تتحوّل إلى عقدة، فماذا نعمل؟ والجواب: إنك عندما تشعر بحالة نفسية كالكتابة أو العقدة، فعليك أن تدرس المشكلة: لماذا أنا كئيب؟ وتبدأ بتفحص ما يحتمل أن يكون مصدر هذه الكتابة، فإذا خلصت إلى أنّه ليس هو السبب، تأتي للاحتمال الثاني والثالث والرابع وهكذا، حتى تصل إلى احتمال أخير، وعند ذلك تكتشف سر الكتابة. فعندما تهجم عليك المشكلة لا تسقط أمامها، ولكن توغلّ في عمقها، وحاول أن تشير أمامك الأسباب التي يمكن أن تكون أساس المشكلة، وناقش كل احتمال هنا وهناك، عند ذلك تستطيع أن تعرف المشكلة وتستطيع أن تعالجها. لكن بعض الناس تأتي عليه المشكلة كالفيضان الذي يغمر الإنسان فيغرقه. لذلك نحن نحتاج

إلى ما نواجه به مشاكلنا النفسية كما نواجه الفيضانات الطبيعية، والكثيرون من الناس يعرفون كيف تواجه الفيضانات في البلاد ذات الأنهار، وذلك بفتح فتحات ونوافذ لتخفيف الضغط، وعندما يخف الضغط يسير الماء بهدوء، وكذلك عندما يأتي ضغط المشكلة على الإنسان، فإنَّ عليه أن يفتح ثغرة من هنا وثغرة من هناك، فيخف عليه ضغط المشكلة ويلتقط السبب الأساسي. هذا كله مما يمكن للعقل أن يقود الإنسان إليه.

لكن مشكلتنا هي في الذين يدمنون معنى العقل ولكنهم يترجمونه ويرجمون من يفكر بعقل، حتى إن الكثيرين من الناس لا يزالون يقولون إن العقل شيء والدين شيء، وهم يجهلون أن الدين عقل كله، عقل جعله الله سبحانه وتعالى من خلال ما يصلح الإنسان، وعقل من خلال النبوة ومن خلال الإمامة ومن خلال الذين يعيشون فيه.. ونبقى مع علي عليه السلام، ونبقى معنا كلماته عليه السلام..
والحمد لله رب العالمين.

مكانة العقل في الستة النبوية (٧) دوره في إغناء الحياة الإنسانية

لا تدخل في أي عمل سياسي
أو اجتماعي أو اقتصادي أو
أمني، أو ديني إلا إذا كنت
تملك ثقافته.

- ♦ للعقل دور ريادي
- ♦ من الآخرة واليهما
- ♦ التخطيط للحياة
- ♦ قيمة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.
نواصل الحديث مع كلمات الإمام علي عليه السلام في العقل، وحركيته في ذات الإنسان الذي يعيش الحياة، ليوافق كل قضاياها، وكل تعقيدات، ويواكب حركية تطورها ونموها.

للعقل دور ريادي:

يقول علي عليه السلام: ((فليصدق رائد أهله وليُحضِر عقله))، والرائد - في مصطلح العرب - هو الإنسان الذي يتقدم القوم لبحث لهم عن الأرض المعبية من أجل أغنامهم، وربما يمتد هذا المفهوم إلى أن يكون الرائد هو الذي يتقدم الناس ليكشف لهم ما يحتاجون إلى الاستقرار فيه، وإلى تحقيق ما يريدون. وقد ورد في كلمات العرب: (الرائد لا يكذب أهله)، باعتبار الإنسان الرائد لا يكون رائداً في ما يحمله قومه من مسؤولية، إلا إذا كان موضع الثقة بأمانته وصدقه وخبرته، ولذلك فإنهم أعطوا حكماً شاملاً بأن الرائد لا يكذبهم.

والإمام عليه السلام عندما يقول ((فليصدق رائد أهله))، فهو لا يتحدث عن الرائد في تلك الدائرة الضيقة، وإنما يتحدث عن الرائد الذي يرتاد الخير لنفسه أولاً ثم للآخرين ثانياً، ليكتشف لهم آفاق الحياة وآفاق التقدم في كل الأمور التي تمثل اهتمامات الإنسان، وهو الإنسان الذي يملك العلم الذي يستطيع من خلاله أن يحدد المواقع التي يمكن للإنسان أن يستقر فيها، وأن تستقر من خلال ذلك مسيرته في خط سيره في الحياة.

ولذلك فإن علي الرائد أن لا يكتفي ببصره، كما يفعل الذين يرتادون

العشب، بل عليه أن يضيف إلى ذلك بصر العقل.. ((وَيُحْضِرْ عَقْلَهُ))، فيحاول أن يحضّر عقله عندما ينطلق ليكشف الأفق الجديد، والأرض الجديدة، والفكر الجديد، والخط الجديد، والمستقبل الجديد.

ونستفيد من خلال ذلك، أن الإنسان الذي يحاول دائماً أن يفتح على ما يتجاوز موقعه ويتجاوز دائرته، لا بدّ له أن يحرك عقله باستمرار، ليكتشف له مواقع الخير والإنتاج. وهذا ما نفهمه مما فصله الإمام ﷺ في ما يلي هذه الكلمة... يقول ﷺ: «كما في نهج البلاغة»: ((... وليكن ...)). هنا يأتي دور الموعظة - وبلحاظ ما يوحى به العقل، ((من أبناء الآخرة))، لأنّ العقل يقول له: إن مسألة الآخرة هي مسألة المصير النهائي الخالد مقارنةً بالدنيا التي تُمثّل موقعاً محدوداً يمكن أن يمنحك آخرة سليمة، ويمكن أن ينتج لك آخرة (سقيمة) وهكذا..

من الآخرة واليهما:

((... فإنه منها قَدَم)) قَدِم من خلال الآخرة بما يتمثل فيها من غيب الله سبحانه وتعالى، ومن خلال خلق هذا الإنسان الذي انطلق في عمقه من غيب الله سبحانه وتعالى.. وفي هذا المجال، ربما يفكر بعض الناس أن مسألة إرجاع الإنسان إلى الأسباب الطبيعية هو أمر يتصل بالحس، وليس أمراً من الغيب، ولكننا عندما ندرس مسألة خلق الإنسان، فإنّ خلق الإنسان تمظهر في قدرة الله سبحانه وتعالى بثلاثة مظاهر:

أولاً: في خلق آدم ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١)، قبضة من طين ونفخة من روح الله سبحانه وتعالى، هكذا وُلد الإنسان الأول.

ثانياً: خلق الإنسان من خلال هذا السبب الذي لا يزال الإنسان يأخذ به، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنٍ﴾^(٢) نطفة، علقة، مضغة، وما إلى

(١) ص: ٧٢٧١.

(٢) القيامة: ٣٧.

ذلك .. قد يُقال: هذا شيء من الحس وليس من الغيب، لأنّ خلق آدم كان من الغيب، ولكن هذا المظهر الثاني من الحس؟ لكن السؤال: من الذي أعطى النطفة سرّ النمو؟ ومن الذي أعطى البويضة سرّ النمو؟ لأنّ الإنسان يُخلق من نطفة تحمل نصف عناصره، وبويضة تحمل النصف الآخر. صحيح أن القرآن الكريم تحدّث عن النطفة ولم يتحدّث عن البويضة، باعتبار أن النطفة هي العنصر الفعّال لأنها تلقح البويضة، فينشأ من خلال عملية التلقيح هذا المخلوق.. ولكن من الذي خلق هذا التكامل بين النطفة والبويضة؟ من الذي أعطى هذه النطفة التي لا تُرى بالعين المجردة، لأنّه ليس كل ما يقذفه الإنسان يولد منه الإنسان، وإنما هو ذرة من كل هذا، من الذي أودع في هذه الذرة من النطفة أو في هذه البويضة بعض خلق الأجداد والآباء مما يمثل قانون الوراثة؟ قد يشبه بعض الأولاد الجد السابع، كيف هذا؟ كل هذا من غيب الله سبحانه وتعالى، والطبيعة هي من غيب الله سبحانه، وكل هذه القوانين من غيبه، وإذا كان بعض الناس يقول لك: كيف تكون هذه الطبيعة هي من غيب الله سبحانه وتعالى؟

فنحن نقول: إن لله سبحانه وتعالى سنناً في الكون في النظام الكوني والنظام الإنساني: (وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد). فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي أودع سرّ الحركة، وسرّ النمو، وسرّ التطوّر في كل هذه المخلوقات، سواء كانت حيّة، أو نامية، أو جامدة.

المظهر الثالث: ويظهر في خلق عيسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(٣) ولذلك نقول: إنّ علم هذا من غيب الله سبحانه وتعالى، ولكن من الغيب ما يفهم الإنسان سرّه من خلال أنه أصبح شيئاً يحسّه الإنسان، ومنه غيب لا يفهم الإنسان سرّه، كما في خلق آدم عليه السلام وفي خلق عيسى عليه السلام. لذلك نقول في هذا المجال: لا بدّ للإنسان أن يشعر أنه جاء من الآخرة، والآخرة هنا كناية عن غيب الله سبحانه وتعالى، وفي

ما أطلقه الله من غيبه ومن سرّه في إعطاء الإنسان وإعطاء الحياة كلها، والكون كله، شيئاً من علمه ومن قدرته. ((.. وإليها ينقلب)) أي يُبعث.

ثم يؤكد الإمام علي عليه السلام طريقة إحضار العقل، وطريقة حركته، وكيف يمكن للإنسان أن يفكر في كل ما يصدر عنه، ومن خلال تفكيره بنفسه يفتح على غيره، فيقول: ((فالناظر بالقلب))، والقلب هنا كما قلنا في القرآن الكريم يراد به: منطقة الوعي الداخلي التي تشتمل على العقل، كما تشتمل على القلب الذي يتفرّع عنه الإحساس والشعور.. ((فالناظر بالقلب)) يعني بالوعي الذي يدركه الإنسان في المنطقة الداخلية من شخصيته .. ((.. العامل بالبصر)) الذي يتحرّك ببصره ((يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله: عليه أم له))، لأنه ربما ينطلق الإنسان بعمل، فتكون نتيجته إما في البداية، أو في النهاية، لغير صالحه، وربما تكون النتيجة لصالحه؛ ولذلك كان عليه أن يحدد، هل إنّ هذا العمل يُمثّل نتيجة إيجابية بالنسبة إليه أم أنه يمثل نتيجة سلبية؟ وهذا يتطلّب من الإنسان أن يدرس العمل في كل عناصره والظروف المحيطة به، وفي كل النتائج المترتبة عليه، ليرى إن كان يخدم حياته في حاضره وفي مستقبله وفي مصيره كله.. ((فإن كان له)) في ما يؤدّي إليه من الخير ((مضى فيه، وإن كان عليه))، بحيث يؤدّي إلى نتائج سلبية عليه حاضراً ومستقبلاً ومصيراً ((وقف عنه)).. ثم يعلّل الإمام عليه السلام لماذا هذا النوع من التخطيط الذي لا بد للإنسان أن يأخذ به في بداية العمل، بأن المسألة هي أن على الإنسان أن لا يدخل في أيّ مشروع ولا يتخذ أيّ موقف ولا يختار أيّ موقع إلّا إذا ملك ثقافة ذلك كلّها، فلا تدخل في عمل سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو أممي، أو ديني، إلّا إذا كنت تملك ثقافته، وتعرف من أين تبدأ وإلى أين تنتهي، وما هي طبيعة العمل؟ وما هي نتائجه؟ وما هي نقاط القوة فيه؟ وما هي نقاط الضعف فيه؟ ما هي الإيجابيات؟ وما هي السلبيات؟ أن تدرس ذلك كلّها، لتكون الإنسان الذي يملك علم العمل.

ومن الطبيعيّ أنّ العلم هو نتيجة العقل. يقول عليه السلام: ((فإن العامل بغير

علم))، وهو يشير إلى هذا الإنسان الذي يتحرك وهو مغمض العينين، عيني القلب، كما هو حال بعض الناس الذي يقول لك: أنا أمشي خلف فلان على طريقة الأعمى، أي من دون هدى، وهذا أمر غير مقبول حتى لمن تثق به. نعم، المعصومون وحدهم الذين نغمض عيوننا ونمشي خلفهم، باعتبار أن إيماننا بهم يعطينا الانفتاح المطلق عليهم، ولكنهم أرادوا لنا أن نسألهم عن السرّ في ما يفعلون، وعن المعنى في ما يقولون، لنملك الوضوح في علاقاتنا بخطهم وإيماننا بقيادتهم الإيمانية الإسلامية.

أما غير المعصوم، فلا بدّ أن نبقي نحدّق بالإنسان الذي نثق به، لأنه ليس معصوماً، وربما يسير الإنسان خلفه بغير هدى. وهناك كلمة للإمام علي عليه السلام يعالج فيها هذه الفكرة الشائعة، فيقول: ((لا تثقن بأخيك كل الثقة)) أي لا تثق به ١٠٠٪، ضع ٧٠٪ من ثقتك فيه، و ٣٠٪ لك، ((فإن صرعه الاسترسال))، إذا أنت مشيت وراءه مسترسلاً من دون حذر، فإن ذلك سيؤدي بك إلى الكارثة، فلا وعي عندك لطريقة حركته، فإذا صرعت ووقعت، فإنك لا تستطيع أن تقوم من عثرتك، لأن صرعة الاسترسال ((لا تستقال))، يعني لا تستطيع أن تسلم منها، لأن هذا الإنسان عندما يكون ثقة من وجهة نظرك، وهو غير معصوم، فإن من الممكن أن تحيط به بعض الأمور التي تتحرف به عن الخط المستقيم... وحتى في عالم الحب والبغض، فإنه لا يرضى بنسبة المائة بالمائة، فإنه يقول: ((أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما)) فعندما تحبه، فلا تحبه ١٠٠٪، كما هو الحب الأعمى. نعم، أحبيه ٦٠٪ أو ٧٠٪، ((وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)) ولا تتسلف كل الجسور مع من تبغضه، ولا تربط كل الجسور مع الذي تحبه. وأبق لك جسراً تهرب من خلاله إذا اضطررت لذلك، كما لو فرضنا أن حبه انقلب إلى بغض مثلاً. وأبق لك جسراً هناك يربط بالذي تبغضه، لأنه يمكن أن يأتي وقت يريد أن يرجع إليك، فاترك له الفرصة. وكنا نقول دائماً: إن مشكلة الإمام علي عليه السلام أنه كان مظلوماً في حياته ومظلوماً عندنا

أيضاً. ماذا عندنا من عليّ ﷺ؟ إننا نختصره في جانب واحد، وهو جانب بطولته وشجاعته. لكن أين فكره من فكرنا؟ أين علمه من علمنا؟ وهو الذي يقول: ((إن ها هنا علماً جماً لو وجدت له حملة)).

التخطيط للحياة:

إذاً، فالإمام يؤكد على مسألة أن على الإنسان السائر في طريق، أن يعرف موارده ومصادره، أن يعرف خطوطه، أن يعرف كلَّ الأشياء التي يمكن أن تصادفه في الطريق، يعرف النهاية وإلى أين يسير: ((فإنَّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق إلاَّ بعداً عن حاجته))، فهو عندما يمشي ويتخبَّط ولا يحدِّد طريقه بشكل واضح، فمن الطبيعي أنه سوف يعيش في المتاهات، وسوف يتخبط في طريقه، ومن الطبيعي أن الذي يتخبط في طريقه ولا يهتدي إلى الطريق الواضح، فسوف ينتهي به الأمر إلى أن يبتعد عن حاجته بقدر بعده عن الطريق الصحيح الذي يوصله إلى حاجته ((..والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح)).

وهنا يعطي الإمام القاعدة: ((فليُنظر ناظر: أسائر هو أم راجع))^(٤) فعندما تنطلق في المشاريع التي تؤسسها، أو بالمواقف التي تقفها، هل أنت في خط التقدم أم في خط التراجع؟ وهذه المسألة تنطبق على كلِّ واقعنا، فإنَّ الإمام ﷺ يتحدث عن أنه لا بدَّ من العلم في كلِّ ما تريده في تحقيق أهدافك، وأنَّ علينا أن نعمل دائماً وفق منهج واضح، وذلك عندما نريد أن ننشئ دولةً، وعندما نريد أن نستعيد دولة، عندما نريد أن ننشئ مشروعاً ثقافياً أو مشروعاً اجتماعياً أو مشروعاً سياسياً، لا بدَّ أن نعرف أن هذا البرنامج الذي نضعه، أو هذا الدستور الذي نقنّنه، أو هذه العلاقات الدولية أو الإقليمية، أو هذا التنظيم الداخلي في داخل المجتمع، يمثل حالة تقدّم أم تراجع؟ فإنَّ تقدّم الأمم والأوطان ليس بمقدار

ما تتحرك به من خطوات حسّية، وإنما هو بمقدار ما تتحرك به عقولها ووعيتها في الواقع الذي تعيش فيه. ونحن نعرف أننا كنا سادة العالم أيام الحضارة الإسلامية التي يقول (جواهر لال نهرو) عنها: (إنها أم الحضارات الحديثة)، لأنها هي التي أعطت الحضارات الحديثة القاعدة التي انطلقت منها في عالم الإنتاج والإبداع والاكتشاف، أما الآن، فقد أخذ الآخرون المنهج والنموذج، وأصبحوا في مدارج التقدم من ناحية العلم، لأنهم أحضروا عقولهم واحترموا أصحاب العقل، وكرمّوهم، ورفعوهم إلى المستوى العالي، وبدأوا يشترون عقول الآخرين، في حين أن أصحاب العقول عندنا في الأمة العربية والإسلامية لا يجدون مجالاً للعمل في بلادهم، فربما يملك أحد شهادة دكتوراه، ولا يملك أن يُعيّن أستاذاً في المدرسة الابتدائية، بينما نجد . في الموقع الآخر . عندما نقوم بإحصائية لعلماء الاكتشاف والاختراع والإبداع الموجودين في أمريكا وأوروبا، فإننا نجد أن الكثيرين منهم إما مسلمون أو من العرب، لأن الآخرين اشتروا الأدمغة لكي يسيروا في طريق التقدم.

أما نحن . ولا أقول في كل واقعنا، بل كظاهرة . فإننا نرجم المصلحين بالحجارة، ونرجم العلماء الواعين الذين يملكون ثقافة الحياة، وثقافة الإصلاح.. ونقدّم الجهّال ليكونوا هم القادة، ولذلك فإننا نقدم السائرين بغير علم، والذين يقودوننا بغير علم، لأن القضية هي قضية المقامات، وليست قضية الكفاءات في هذا المجال.. وقد أراد لنا الإسلام أن نكون على درجة من الوعي والتخطيط للحياة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٥) في الحياة كلها، لا كما فسرّها البعض بما يخصّ العلم بأحكام الشريعة، لأن هؤلاء يعيشون في دائرتهم الخاصة، فتفسيرهم ليس صحيحاً، فقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، والْفُؤَادُ يعني العقل) وعندما تحدّث الله سبحانه وتعالى عن العلم والفكر في القرآن الكريم، فإنه تحدّث عن

العلم الذي نعرف به الله سبحانه : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٦) وقوله تعالى : ﴿انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧). والعلم هنا هو كل ما يدخل في مسؤولية الإنسان، في خلافته في الأرض، سواء كانت المسألة تتصل بالأحكام الشرعية أو بالأمور العامة، ولذلك يقول علمائنا: (إن من الواجبات النظامية الكفائية هي الأخذ بالعلوم التي يحتاجها الإنسان في حياته). حتى إن البعض منهم رحمهم الله كان يقول: (يجب على الأمة أن تنفق على الطلاب الذين يدرسون من أجل تهيئة دراسة العلوم التي تهيئ الحاجات).

قيمة الإنسان:

وفي كلمة أخرى للإمام علي عليه السلام، اخترنا فقرات منها بسبب طولها، تحدث الإمام عليه السلام فيها عن النبي محمد صلى الله عليه وآله والنبي عيسى وموسى عليه السلام، وركز فيها على أن ينظر الإنسان بالعقل وهو يقوم الأمور وما يحيط به، وذلك بأن ينطلق من خلال دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يعيش أشد حالات الفقر في طعامه ولباسه ومسكنه، يقول

الإمام عليه السلام: ((ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلّك على مساوئ الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته)) وقد كان عند حفر الخندق يربط حجر المجاعة على بطنه، ((وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته)) يعني قربه من الله سبحانه وتعالى، ((فلينظر ناظر بعقله))، فليفكر، هل هذا هو الواقع؟ ماذا يستنتج الإنسان من هذا الواقع المتمثل في أعلى درجات القرب إلى الله. كيف نفهم المسألة؟ قاله لم يعطه من زخارف الدنيا، وعلى الإنسان أن يفكر في ما كان يعيشه رسول الله صلى الله عليه وآله ويأخذ من خلال سيرته فكرة عن طبيعة الدنيا، فهل هي القيمة أو أنها الحاجة؟ ثم إن الإمام عليه السلام يتساءل، وهو هنا يدلنا على منهج التفكير: ((أكرم الله محمداً صلى الله عليه وآله

(٦) آل عمران: ١٩١.

(٧) يونس: ١٠١.

بذلك))، فهل هذه كرامة؟ إن الله حجب عنه الدنيا أراد له أن ينطلق برسائلته من موقع الاستضعاف المالي، واستضعاف الحاجات الشخصية، التي تلبي ما يؤكد حياة الإنسان وما يرفع مستوى حياته المادية، ((أم أهانه؟ فإن قال أهانه فقد كذب والعظيم، وإن قال أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره))، يعني أنه لم يكرم غيره ((حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه))^(٨).

إننا نستوحي منهجاً في دراسة الشخصيات، وذلك أننا عندما نريد أن ندرس أية شخصية كبيرة أو صغيرة، فإن علينا أن نأخذ منها الفكرة السلبية أو الإيجابية، علينا أن نحكم العقل في ملاحقة الخطوط العملية في هذه الشخصية، فإذا رأينا إنساناً فقيراً، فعلينا أن لا نعتبر أن فقره يجعله في المستوى المنحط في القيمة الاجتماعية، وإذا رأينا إنساناً غنياً، فلا نجعله في القيمة العليا في المجتمع. علينا أن ندرس الأشخاص بعقولنا لا بمشاعرنا وأحاسيسنا، لأن الشخص عندما يتحرك، فإنه قد يمثل قيمة إيجابية، لا سيما إذا فرضنا أنه في موقع القدوة، وقد يمثل قيمة سلبية بالمستوى نفسه.

هذا هو علي عليه السلام، عندما يجعل العقل هو الحاكم في حياة الإنسان، وكما ورد في الحديث، أن العقل هو الأساس والدعامة في حياة الإنسان كلها، فبالعقل عرفنا الله سبحانه وتعالى، وبالعقل عرفنا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالعقل عرفنا أولياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما جاء في حديث عن الإمام علي الهادي عليه السلام، عندما سأله (ابن السكيت) عن السبب في أن الله سبحانه وتعالى بعث موسى عليه السلام بالعصا، وعيسى بإحياء الموتى، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفصاحة والبلاغة، حيث بين له الإمام صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من خلال حاجة كل نبي إلى أن يأتي في عصره بما يعجز الناس، لأن المعجزة إنما تتحرك في خط دعم النبوة عند حاجة النبوة لدعم معجز، قال: ((فما الحجة على الناس اليوم؟)) والإمام صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يعطيه المنهج ولم يرد أن يعطيه الأسماء، قال: ((العقل، يعرف الصادق على الله فيصدق، والكاذب

على الله فيكذبه)). فالإمام الهادي عليه السلام يعني بقوله هذا، أن العقل هو الذي يُعرف به ميزان الأشخاص من خلال صدقهم وكذبهم على الله، فحاول أن تتعرف ذلك، وأن تتبع من يصدق عن الله، وتبتعد عمن يكذب على الله سبحانه وتعالى.. وتبقى لعلّي عليه السلام الكلمات التي توحى وتضيء ..
والحمد لله ربّ العالمين.

مكانة العقل في الستة النبوية (٨)

دور العقل في إغناء الفكر الإنساني والعقدي

أعطِ العقل حريته في أن
ينفتح على كل الآفاق التي
يملك أن يبلغها في الكون،
وفي الحياة، وفي الإنسان
وفي نفسه.

- ◆ المنهج القرآني في التفكير
- ◆ متاهات الوهم
- ◆ الله تعالى يجلّ عن الوصف
- ◆ تحديد المرجع الفكري
- ◆ عليك بأهل الاختصاص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في مسألة ما هي آفاق العقل في الوصول إلى تقدير عظمة الله سبحانه وتعالى، نعتقد أن الله سبحانه وتعالى أعطى العقل حريته في أن يفتح على كل الآفاق التي يملك أن يبلغها في الكون، وفي الحياة، وفي الإنسان، وفي نفسه؛ لأنه سبحانه وتعالى خلق العقل حراً، فلم يجعل في داخله أي عائق يمنعه من الانفتاح والتحرك بحرية ليلبغ النتائج المعرفية والثقافية، من خلال الأدوات التي يملكها، ومن خلال الوسائل التي يتوفر عليها.

وفي هذا المجال، ينقل في (نهج البلاغة): أن شخصاً وقف أمام الإمام علي عليه السلام وطلب منه أن يحدث الناس عن الله كما لو كان يرى الله عياناً، وكأنه يقول له: نريد أن نعرف الله كما لو كنا نراه، بحيث يصل الفكر إلى مستوى من الوضوح حتى يكاد أن يكون حساً، فيقول الإمام عليه السلام: ((ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك، فتكون من الهالكين))، وقد وقعت هذه الكلمة في سياق فصل من هذه الخطبة، والتي سميت بخطبة (الأشباح).

المنهج القرآني في التفكير:

يقول الإمام عليه السلام في هذا الفصل من الخطبة: ((فانظرأيها السائل...))، وكأنه أراد أن يبين له المنهج الذي يجب أن يتحرك فيه، ليتعرف من خلاله الوسائل التي تعرفه بالله سبحانه وتعالى، ((فما ذلك القرآن عليه من صفته فأتم به، واستضىء بنور هدايته))^(١)، فالقرآن الكريم رسم المنهج للإنسان في الوصول

إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وذلك بالتفكير في خلق الله، قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، وحاولوا أن تفتحوا على الكون من خلال اكتشاف سرّه، ازدادوا معرفةً بالنظام الكوني ومعرفةً بعناصر العظمة التي تكمن في داخله، وادرسوا التاريخ جيداً لما فيه من فوائد، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾^(٤) أو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(٥)، وهكذا أن ينطلق الإنسان إلى داخل نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٦)، أو داخل الواقع الإنساني كلّ في التاريخ والحاضر وفي تطّعات المستقبل..

وهكذا تحدّث الله سبحانه وتعالى عن صفاته، وهذا ما جاء في بعض أحاديث الإمام علي ابن الحسين (زين العابدين) عليه السلام، وهو يحدثنا عن الوسيلة لمعرفة الله في صفاته في ضوء القرآن الكريم. إذ رُوِيَ عن عاصم بن حميد قال: سئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال: ((إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون)) أي متبحرون في المعرفة، يحاولون أن ينفذوا إلى عمق الكلمة وأن لا يقفوا عند سطحها، ويطوفون في آفاق المعنى الذي توحى به هذه الكلمة أو تلك.. ((فأنزل الله تعالى: قل هو الله أحد)) هذه السورة الصغيرة التي إذا تعمّق الإنسان فيها، عرف الله سبحانه وتعالى في آفاق وحدانيته، من خلال طبيعة بساطة الوجدانية، بحيث لا يواجه الإنسان التكلّف والتعقيد فيها، فيمكن لغير المثقف أن يعرف التوحيد ببساطة ثقافته، ويمكن للمثقف أن يتعمّق ويتبحّر في هذه الصفات بالطريقة التي يتعرّف فيها معنى

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) يونس: ١٠١.

(٤) الفجر: ٦.

(٥) الفيل: ١.

(٦) فصلت: ٥٣.

الأحدية، ومعنى الصمدية، ومعنى الأولية، ومعنى هذا العلو الذي يرتفع به عن كل المخلوقات. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٧)، بحيث ينفذ إلى كل هذه المعاني: ما هو معنى أحدية الله؟ وما هو أساس هذه الأحدية وعمقها؟ وما هي الأدلة العقلية التي تؤكدتها وتتفي الشرك؟ كذلك (الله الصَّمَدُ) الذي يُصمد إليه وتلجأ إليه كل المخلوقات، سواء كانت نامية، أو إنسانية أو حيوانية، أو جامدة، تلجأ إليه باعتبار أنه السيد الذي يسودها، وتتحرك هي بلسان وجودها، لتطلب إليه في فقرها من خلال غناه، فهي فقيرة إليه في أصل الوجود، كما هي فقيرة إليه في كل تفاصيل الوجود ومفرداته.

وهكذا حيث نتصور الله سبحانه وتعالى لا كالمخلوقات الحية، تتوالد من خلال هذه المخلوقات التي ولدت، وإنما هو أزلي في وجوده، لا يشبه أحداً في كل مخلوقاته.. وهكذا أعطانا الله سبحانه وتعالى.. كما يتحدث الإمام زين العابدين عليه السلام في سورة الحديد بعض صفاته التي يمكن أن نعرفه بها، بحيث يعرف ذاته في ذاته، ونحن لا نملك المعرفة المباشرة له من دون ذلك، إذ ورد قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٨). فالآيات الكريمة تتحدث عن تصرفه سبحانه في الليل والنهار من خلال ملكه للسموات والأرض وما إلى ذلك..

(٧) سورة الإخلاص.

(٨) الحديد: ١، ٦٠.

ويتابع الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: ((فمن رام وراء ذلك فقد هلك)) والسبب: هو أن الإنسان عندما يريد أن يتعرف شيئاً، أي شيء، سواء كان إلهياً أو كان من المخلوقات، فلا بد أن يملك الحس أو التجربة أو الوسائل المادية التي يمكن له أن يتعرف فيها على طبيعة هذا الشيء وعلى عناصره. والله في ذاته غيبٌ بالنسبة إلى ما يملكه الإنسان من الوسائل. فنحن لا نلتقي بالله مباشرة، بحيث نحسُّه كما نحسُّ المخلوقات التي حولنا، ولهذا فإننا لا نملك معرفة ذاته في عناصر ألوهيته وما يختزنه من الصفات الحقيقية والواقعية، فمن أين نعرف ذلك؟ يمكن أن نعرفه مما يقودنا إليه العقل من خلال الحس، بأن ندرس المنهج القرآني في ذلك، فنعرف ربنا من خلال التفكير في خلقه، فإنك بذلك تستطيع أن تتعرف الله سبحانه وتعالى في مواقع عظمتة، وبالتفكير في مصادر نعمته التي يثيرها عليك، فبذلك نستطيع أن نتعرف الله من خلال ما وصف به نفسه، لأنه لا يعرف ذاته إلا ذاته.. وقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام في تفسير (قل هو الله أحد)، قال: ((نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزلياً صمدياً لا ظل له يمسه وهو يمسه الأشياء بأظلماتها، عارفٌ بالمجهول، معروف عند كل جاهل، فردانياً، لا خلقه فيه ولا هو في خلقه، غير محسوس ولا مجسوس، لا تدركه الأبصار، علا فقرب ودنا فبعد، وعُصي فغفر وأطيع فشكر، لا تحويه أرضه ولا تقله سماواته، حامل الأشياء بقدرته، ديمومي أزلي، لا ينسى ولا يلهو ولا يغلط ولا يلعب، ولا لإرادته فصل، وفصله جزاء وأمره واقع، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد)).

وورد في الحديث عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: ((تكلموا في خلق الله ولا تتكلموا في الله))؛ لأن خلق الله يمثل وجوداً تملكون معرفته بالطرق المادية، لأنكم تملكون الإحساس به والعيش معه، أما ذات الله سبحانه وتعالى، فإنكم لا تملكون وسيلةً تتعرفونها، ((فإن الكلام في الله لا يزيد صاحبه إلا تحيراً))^(٩)، وقد غرق

الكثير من الفلاسفة وتحيروا ممن أخذوا يميناً وشمالاً وخطبوا خطب عشواء في الحديث عن ذات الله، من دون أن يكون لهم أية وسيلة يستطيعون من خلالها أن يتعرفوا ذلك..

مناهات الوهم:

وفي حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهو يخاطب صاحبه محمد بن مسلم: ((يا محمد، إن الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا في الله، فإذا سمعتم ذلك، فقولوا: لا إله إلا الله ليس كمثله شيء)). كأنه يقول: ليأخذ الناس بالكلام وبالمنطق في الحديث عن الله سبحانه وتعالى مما يملكون من خلاله اكتشاف بعض صفات الله سبحانه في مواقع عظمته وفي مواقع قدرته، ولكن إذا بدأوا يتحدثون عن ذات الله، فإن ذات الله ليست بين أيديكم ولا تدخل في تجربتكم، عند ذلك سوف يخطبون خطب عشواء، ويعيشون في المناهات، كأى إنسان يحاول أن يتعرف شيئاً لا يعيش في دائرة تجربته، فإن المسألة تتحرك عندئذ في نطاق الوهم ولا تتحرك في نطاق العقل، لأن العقل لا يتحرك في المواقع التي لا يملك فيها الطريق الواضح، ولا يملك أي أساس للمعرفة فيها. ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام في حديث آخر: ((ياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته، فانظروا إلى عظيم خلقه))، أي اعرفوا كل عناصر العظمة من خلال عناصر عظمة الخلق، فإن عظمة الخلق تدل على عظمة الخالق. وجاء في حديث الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وهو يخاطب أبا حمزة: ((يا أبا حمزة، إن الله لا يوصف بمحدودية..)) لأن الله سبحانه وتعالى هو المطلق، المطلق في علمه، والمطلق في قدرته، والمطلق في كل مواقع العظمة، لا يحده شيء، بل الخلق هو المحدود. وأذكر في هذا المجال ما أشرت إليه في بعض أحاديث هذه الندوة، أنه في الخمسينيات، طُرِحَ في بعض الصحف اللبنانية من قبل الملحدّين أو المشكّكين سؤال أثار جدلاً كثيراً، وهو: هل يستطيع الله سبحانه وتعالى أن يخلق أعظم منه أو أكبر منه أو لا يستطيع؟ فإن قلتم يستطيع! فمعناه

أنّ هناك أكبر من الله ولو على نحو الفرضية، وأنتم تقولون (الله أكبر) وإنّ قلتم إنه لا يستطيع! فمعناه أنه ليس قادراً على كل شيء! وقد سئلت عن ذلك في تلك المرحلة، وقلت: إن السؤال خطأ. لأن قضية الأكبر والأصغر إنما تكون للمحدود، أما الشيء الذي لا حدود له، فلا يمكن الحديث في حقّه عن أكبريّة أو أصغريّة؛ لأنه لا حدّ له، فـ 'أكبر' يعني أن حجمه أكبر من حجم هذا أو ذاك، و'أصغر' يعني أن حجمه أقلّ من حجم ذاك، وهذا إنما يصحّ في المحدود الذي له حجم يمكن أن تتسببه إلى غيره، فيكون أكبر منه أو أصغر. وهذا ما أشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في بعض كلماته، هذا الإمام الذي لا يفهم الكثيرون منه سوى أنه كان مريضاً وكان يبكي وقد قيّد ذليلاً في دمشق وما إلى ذلك، من دون أن نعطيه صورته كإمام للمسيرة الإنسانية، وقد كان الإمام عليه السلام أستاذ المرحلة الثقافية الإسلامية في الفترة التي عاش فيها، ولكن منّا يعرف الإمام زين العابدين عليه السلام في الجوانب الثقافية والروحية وفي حركة الحياة والعقيدة، ولذلك نحن نظلم أئمتنا أكثر مما ظلمهم الذين عاشوا معهم، فأولئك ظلّموهم بالسجون والتضييق، ونحن نظلمهم بأن نسجنهم في تخلفنا الفكري..

الله تعالى يجلّ عن الوصف:

وعلى كلّ حال، فقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بقوله: ((عظم شأن ربنا عن الصفة، فكيف يوصف بمحدودية من لا يُحدّ ولا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)). وهكذا نلتقي بما روي عن الإمام علي عليه السلام الذي قتل الفكر الباطل بأشجع مما قتل (مرحب) و(عمرو بن عبد ود): لأنّ قتالك للفكر الباطل يمثل شجاعة في الروح والعقل والمعنى، أعظم من قتلك إنساناً واستعمال عضلاتك في ذلك وشجاعتك وسلاحك.. إذ سئل أمير المؤمنين عليه السلام: ((بِمَ عرفت ربك؟ قال: بما عرفتني نفسه..)) فإله قد عرفتني نفسه، ((قيل: وكيف عرفت نفسك؟ قال: لا تشبهه صورة..))، يعني من كل ما هو موجود في التصور الذهني.. ((ولا يُحسّ بالحواس..)) يعني هو يعيش في عالم الغيب وعالم القدس

وعالم الروح الذي لا تدرك عناصر طبيعته وعناصر ذاته، ((..ولا يُقاس بالناس..)) يعني من حيث علمه وقدرته بالكل، ((قريب في بعده..))، من حيث مباينته للكل في ذاته وصفاته، ((..بعيد..)) يعني عن إحاطة العقول والأوهام، ((..في قربه..)) يعني في العلية، باعتبار أنه هو علّة الخلق، واحتياج الكل إليه، ((..فوق كل شيء..)) يعني بالقدرة وبالقهر وبالغلبة، ((..ولا يُقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يُقال له أمام..)) لأنه ليس محسوساً، ((..داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء..)) يعني ليس دخوله حسياً أو مادياً، بحيث تدمجه الأشياء، ((..وخارج من الأشياء لا كشيء خارج من شيء..)) بحيث كان في داخل شيء وخرج منه، ((..سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره ولكل شيء مبتدأ..)) وهكذا نجد كيف أن الإمام عليه السلام يوحى إلينا أن علينا أن نتعرف الله سبحانه وتعالى من خلال المنهج الذي يحدده سبحانه وتعالى في معرفته.

تحديد المرجع الفكري:

ونرجع إلى ما كنّا بصدد من شرح كلام علي عليه السلام في خطبة (الأشباح)، حيث يقول: ((فما ذلك القرآن عليه من صفته فأتمّ به واستضىء بنور هدايته..))، لأن القرآن هو النور، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١٠)، لأن القرآن الكريم هو الذي ينير للآخرين الطريق ولا ينير له شيء آخر. ((..وما كلّفك الشيطان علمه..)) مما تخبط فيه الناس وأخذوا به يميناً وشمالاً، من خلال وساوس الشيطان، ((مما ليس في الكتاب عليك فرضه..)) يعني لم يأت في الكتاب منهجه، ولم تأت في الكتاب مفرداته في صفات الله، ((..ولا في سنة النبي وأئمة الهدى أثره..)) حيث لم يصدر عن الذين يملكون المعرفة، من خلال ما علّمهم الله من ذلك، كما في النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي فتح الله عقله وقلبه على معرفة الله، وكذلك أئمة الهدى الذين علّمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما علّمهم

القرآن الكريم، حتى إن الإمام علياً عليه السلام كان يقول وهو يتحدث عن معرفته بالله عز وجل: ((لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)) يعني بلغت معرفتي بالله جلّ وعلا من المستوى بحيث لو كشفت لي حجب السموات وعرفت كل ما وراءها، فإن ذلك لا يزيد يقيني بالله ولا معرفتي به لأن علمي بالله ومعرفتي به - ومضمون الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام - بلغ المستوى الذي لا يقين فوقه.. ((فكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك منتهى حق الله عليك..)) يعني اتركه إلى الله سبحانه؛ لأنه لم يعطك وسائل معرفته كلها.

عليك بأهل الاختصاص:

((واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن اقتحام السدود المضروبة دون الغيوب، أو الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب))، حيث إن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»^(١١)، أي أنهم إذا لم يتعرفوا الأمور التي هي داخل الحجب، وداخل الغيب، ولم يكن لهم سبيل إلى المعرفة، فإن ذلك لا يمنهم من الإيمان بالله من خلال ما عرفوه، ولا يمنهم من التسليم لله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى ما لم يعرفوه، ((فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق في ما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً))، وهم راسخون في العلم، لأن الإنسان الراسخ في العلم هو الذي يلتزم بما يعلمه، ولا يتكلف ما لم يستطع أن يعلمه، ((فاقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقولهم، فتكون من الهالكين))^(١٢).

والإمام عليه السلام إنما يطرح هذه المسألة في معرفة الله سبحانه وتعالى، لكي يضمن الإنسان لنفسه السلامة والاستقامة في المعرفة، ويكون هذا الإحياء في معرفة الله، إحياء في تربية الإنسان لنفسه بأن يفتح ويتكلم ويحاور، ويفكر في

(١١) آل عمران: ٧.

(١٢) نهج البلاغة، ج ٩٠، ص ١٨٠-١٨٢.

ما يملك الوسائل إلى علمه، دون أن يتجاوز إلى ما لا يملك ثقافته ولا وسائلها، كما هو شأن الإنسان الذي يتكلم في الطبّ وهو لا يملك تخصصاً فيه، أو يتكلم في الهندسة وهو لا يملك معرفةً في الهندسة، وما إلى ذلك.. فعلى الإنسان أن يتكلم بما يملك من وسائل معرفته. وليقل ما يستطيع أن يعلمه وليترك ما لا يعلمه إلى من يملك علمه، وبذلك نستطيع أن نحقق لمجتمعاتنا ولأمتنا ما نسعى لأجله. إن الذين يقودون الأمة ثقافياً وعلمياً وفقهياً وسياسياً ودينياً، ينبغي أن يكونوا من الذين يملكون معرفة ما يقودون به، أما الذين لا يملكون المعرفة لأنهم جاهلون بهذا أو بذاك، فإن عليهم أن يبتعدوا عن أي موقع للقيادة أو للمسؤولية الثقافية، أو أية مسؤولية أخرى تحتاج إلى العلم هنا وهناك.. وبذلك تتثقف الأمة على أساس أن لا تسمح للجاهلين أن يقودوا حركتها وأوضاعها. إننا في هذا الإيحاء الذي ينفّث على معرفة الله سبحانه وتعالى، نستوحي أيضاً ما يمكن أن نستفيده في مسألة السير في ما نعلم، والوقوف عند ما لم نعلم. ويبقى لعلي عليه السلام كلام كثير في مسألة العقل..

والحمد لله رب العالمين.

مكانة العقل في الستة النبوية (٩) قيمة العقل في ضمان المستقبل الإنساني

إن العقل يملك إنتاج
الفكر في كلّ قضايا
الإنسان بما فيها المادية.

- ♦ التأييد والرفض
- ♦ فلتات اللسان
- ♦ أخطاء الحس والعقل
- ♦ من علامات العاقل
- ♦ حفظ الأسرار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

من كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام في العقل: ((إن أغنى الغنى العقل، وأكثر الفقر الحمق - أو الحمق -)).^(١) الغنى الحقيقي: يريد الإمام عليه السلام في هذه الكلمة، أو كأنه يريد - حتى لا نفرض عليه فهمنا - أن يبين أن الفقر على نوعين: الفقر المادي في مقابل الغنى المادي، وهو الذي يتصل بما يملك الإنسان من ثروة مادية، سواء كانت نقدية أو عقارية أو ما إلى ذلك من الشؤون التي تخاطب إحساس الإنسان وتستجيب لحاجاته الحسية، أو لحاجاته المتصلة بموقعه في المجتمع، باعتبار أن القيمة لدى الكثيرين في المجتمع، تتحدد بمقدار ما يملك الإنسان من الإمكانيات المادية.

وهناك الفقر المعنوي في مقابل الغنى المعنوي، الذي يتصل بعناصر الشخصية الإنسانية بما يتمثل فيها من قيمة تجعل الإنسان يملك الكثير مما يعطيه للحياة، سواء لنفسه في ما يغني به نفسه، أو للآخرين في ما يقدمه للآخرين مما يرفع مستواهم، ويحقق لهم التقدم والانفتاح على ما يحقق الكثير من المواقع المنفتحة على القضايا الحيوية والقضايا المصيرية.

هنا يقول الإمام علي عليه السلام: إننا عندما ندرس العقل الإنساني، في عطاءاته، فإننا نجد أن العقل يملك إنتاج الفكر في كل قضايا الإنسان، وإن كان في القضايا المادية، فهو يخطط للإنسان كيف ينتج حاجاته المادية، وكيف يمكن أن يسخر هذه الإمكانيات المادية في رفع مستواه، باعتبار أن حاجات الإنسان قد تكون متوقفة

على مال يبذله هنا ليتعلّم، أو يبذله هناك ليتقدّم، أو يبذله هنالك ليحقق بعض المشاريع الاجتماعية، أو التربوية... فالعقل يخطّط للإنسان ذلك كلّه، بما يجمعه من الأدوات التي تتصل بهذا الهدف، وبما يخطّط للخطوات التي يمكن أن يوجهه إليها.. وهكذا يتحرك العقل في داخل الإنسان لينير أمامه الطريق الذي ينتهي به إلى قضايا المصير، سواء كانت قضايا تتصل بمصير الدنيا أو بمصير الآخرة، بحيث يمكن للإنسان الذي يتمتع بهذا العقل في طبيعته الإنسانية، أن ينميّه بمختلف الوسائل؛ بالتجربة تارةً، وبالمعرفة تارةً أخرى.. ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: ((إن أغنى الغنى العقل...))؛ لأنه هو الذي يحقق لك الغنى المادي والروحي والمعنوي في كل متفرّعاته من العلم والتجربة والطريق المستقيم.

أما إذا لم يملك الإنسان العقل، فإنه يعيش إرتباك الشخصية، بحيث لا يملك الميزان الذي يزن به الأمور، فقد ينطلق ليرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، وقد ينفّث على موقع يظن فيه الربح، ولكنه قد يكون خسارةً، نتيجة عدم التخطيط وعدم الوعي لمفرداته، وقد يتحرك في معركة ما في برنامج معين وهو يظن أنها تمثّل النصر، ولكنها تنتهي إلى الهزيمة، لأنّ الأحق يقف الميزان، بينما العاقل يملك الميزان الذي يزن الأمور المادية والمعنوية، ويحقّق التوازن والنتائج الإيجابية هنا وهناك.. ولذلك فإنّ الإنسان الذي يملك العقل هو الإنسان الأغنى، لأنّ العقل ينتج له كل حياته، باعتبار أنه ينتج له التوازن، ويفتح له جوهر الأشياء، ويربطه بالعمق، وينفتح به على النهايات، ولا يكتفي بالبدايات، بينما الأحق على خلاف ذلك..

وهكذا نقرأ في كلمة أخرى للإمام علي عليه السلام، في ما يفرّق به بين العاقل والأحمق، فيقول: ((لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه))^(٢). والمراد بالقلب - هنا - العقل، وهذا اصطلاح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

يَفْقَهُونَ بِهَا»^(٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤).. والإمام رحمه الله هنا يفرّق بين الأحقّق والعاقِل بهذه الطريقة البلاغية، على أساس الاستعارة. ويقول الشريف الرضي رحمه الله في كلمة له رواها في (نهج البلاغة): (والمراد أن العاقل لا يطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الرويّة ومؤامرة الفكرة..)، يعني أن العاقل عندما يريد أن ينطق بالكلمة التي تخطر على باله، نتيجة بعض الأجواء المحيطة به التي تشجعه على أن يقول هذه الكلمة، كما في الحالات العاطفية التي تدعو الإنسان إلى أن يتكلم بالكلام الذي يلتقي بالعاطفة، أو في المناخ الحماسي الذي يتحرك فيه الناس من خلال حماسهم أو انفعالاتهم التي تضغط عليهم ليقولوا هذه الكلمة، فإنه أي العاقل يفكر بها قبل أن ينطقها.

التأييد والرفض:

وهذه المسألة قد تتّصل بالمناخ الاجتماعي، أو بالمناخ السياسي، في تأييد موقف، أو رفض موقف، وحتى في مسألة المعاملات. فربما نجد أن بعض الناس قد يدعى إلى أن يدخل في معاملة معيّنة نتيجة بعض الأساليب العاطفية التي تدفعه إلى ذلك، وقد نجد المسألة ذاتها في حالات الزواج، فربما يحيط بالفتاة وضع عاطفي من خلال الأب، أو من خلال الأم، أو من خلال حالة فرح تضغط عليها، أو حالة حزن يضغط عليها من الآخرين، ويدفعها كل ذلك إلى أن تستجيب للزواج.. وهكذا بالنسبة إلى الشاب، عندما يعيش تحت ضغوط معيّنة، أو تحت انفعالات معيّنة أيضاً، ليقبل بهذه الزوجة أو تلك.. وكما في الانتماء إلى حزب معيّن أو حركة معيّنة، فربما يأتي صديق لك أو قريب، أو أي شخص آخر تحترمه، ليطلب منك أن تنتمي إلى هذا الحزب أو أن لا تنتمي إلى ذاك، أن تخرج من انتمائك في ما أنت فيه، أو تدخل في انتماء لست داخلاً فيه.. في مثل هذا الجو، إذا كنت عاقلاً، فإنك تحاول أن تدرس الأمر، أن لا تقول كلمة إيجابية في

(٣) الأعراف: ١٧٩.

(٤) الحج: ٤٦.

ما يفرضه عليك الجو من الإيجاب، أو سلبية في ما يفرضه عليك الجو من السلب، فتطلب أن تفكر وتتروي، والتروي هو أن تعطي هذا الجو الداخلي الذي يمتزج فيه الفكر بالإحساس والشعور، فالروية هي حالة الاتزان الداخلي التي تعطي فيها الفرصة لنفسك لأن تبدأ في التخطيط للمسألة بشكل هادئ، وب عقل بارد.. وتفتح أيضاً على الجو الخارجي، فيما هو الصلاح والفساد، وتؤامر فكرك، حيث يعبر الشريف الرضي ؓ فيقول في ذلك: 'ومؤامرة الفكر' يعني أن تراجع فكرك، وتطلب منه أن يدرس كل نقاط الضعف وكل نقاط القوة، في كل النتائج السلبية والإيجابية، في هذا المشروع الذي تدعى إليه، أو في هذه الكلمة التي يراد لك أن تقولها.. شهوة الكلام.

فلتات اللسان:

أما الأحق، فيقول الشريف الرضي عنه في تفسيره لقول أمير المؤمنين ؑ: ((والأحمق تسبق حذفات لسانه)). وحذفات اللسان هي العبارات التي يلقيها الأحق بدون روية وبدون تفكير، فإن الكلمة تأتي على لسانه فيطلقها. وكثير من الناس يعيشون شهوة الكلام، فيحب أحدهم أن يتكلم ويتكلم، في أي مكان وفي أي وقت، بقطع النظر عن طبيعة هذا الكلام، هل هو ضار؟ هل هو نافع؟ هل هو خير؟ هل هو شر؟ ((وفلتات كلامه)) يعني لما يتحمس له ويريد أن يتكلم به، تأتي الكلمات كأنه في خطأ الفلتان من دون أن تهدأ أو تتطلق بهدوء ((مراجعة فكره))، فإنه يتكلم ثم يفكر، عندما يرى النتائج أمامه، ((ومماخضة رأيه))، ومماخضة الرأي عبارة عن تحريك الرأي حتى يظهر زبده، كما هي حالة خض اللبن ليظهر زبده، لأنه لا يحرك الأمور ويدرس ما فيها من خير وشر، ويتعرف مفرداتها، وقول الشريف في تفسيره: (مماخضة الرأي) كناية، بمعنى إخراج الصواب منه.

ويتابع الشريف الرضي: ((فكان لسان العاقل تابع لقلبه))، ما يعني أن العقل هو في موقع القيادة، باعتباره يقود الإنسان، وعند ذلك يكون كل ما يتحرك به الإنسان في كل جوارحه من خلال أمر العقل. وفي العلوم الطبيعية، يقول

العلماء إنَّ الدماغ هو الذي يأمر كلَّ خلايا الجسد لأنَّ تتحرك، وهكذا العقل.. فهو القائد، وكلُّ أجهزة الجسد جنودٌ للعقل، تتحرك من خلال ذلك، فالعقل يفكر، ثم يوحى إلى اللسان بأن هذا خير، فيحاول أن يفعله، أو هذا شرٌّ، فيأمره أن يجتنبه.. أما الأحق، فإنَّ القيادة عنده هي قيادة اللسان، فاللسان هو الذي يفرض نفسه على العقل، ويفرض نفسه على القلب، يتكلَّم ثم يأتي عندما يرى النتائج السلبية في كلامه، يطلب من العقل أن يحلَّ المشكلة التي وقع فيها، وأنَّ يصحح له الخطأ الذي أخطأه، وأن ينقذه مما وقع فيه، مما قد يؤدي إلى الهلاك وما إلى ذلك..

فالإمام عليه السلام يريد أن يقول بأنَّ على الإنسان أن يجعل عقله هو الأساس في كل ما يتكلم فيه، وفي كل ما يفعله، حتى يستطيع أن يضمن لنفسه السير في الخط الذي لا يؤدي إلَّا إلى النتائج الطيبة التي تخدم حاضره، وتخدم مستقبله، وإلا كان أحمقاً في هذا المجال أو ذاك.. وأعتقد أن الإمام عليه السلام قد تحدَّث في بعض خطبه، بما يشبه هاتين الكلمتين، حيث قال: ((لسان المؤمن وراء قلبه، وقلب المنافق وراء لسانه))، وقال عليه السلام أيضاً: ((قلب الأحق في فمه، وفم العاقل في عقله)) وغيرها من كلماته عليه السلام، التي يريد الإمام عليه السلام من خلالها أن يؤكد للإنسان أنَّ عليه في كل قرار من قراراته، أن لا يسبق لسانه عقله، بل إن عليه أن يجعل عقله هو الذي يحدد لسانه الكلمات التي يقولها؛ لأنَّ الكلمات تؤثر تأثيراً سلبياً أو إيجابياً في حياة الإنسان.

أخطاء الحس والعقل:

وفي كلمة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: ((ليست الرؤية كالإبصار، فقد تكذب العيون أهلها، ولا يغش العقل من استنصحه..)). الإمام عليه السلام في هذه الكلمة يؤكِّد على حقيقة، وهي أن على الإنسان أن يعتمد العقل وأن يستنصحه، ولا يتجمد أمام الحس، لأنَّ الحس قد يخطئ، وربما يرى الإنسان الأشياء بغير حقيقتها، من خلال بعض المؤثرات الخارجية التي تجعل الإنسان ينظر إلى الشيء

بطريقة لا يضمن فيها صحة ما أبصره. فالعين قد توهي للإنسان بأنه رأى هذا، لكنّه لم يره في الواقع، بل رأى ما يشبهه، أو أن نظره كان منطلقاً من وهم، وعندما نظر إلى الشيء، فإن وهمه قد يتدخل في الصورة التي يأخذها لهذا الشيء.. كما أن البصر لا يمكن أن يحدد الأمور إلا بواسطة العقل، وهكذا بالنسبة لسائر الحواس. ولذلك، فعندما يصاب بالشلل الدماغى، فإنه يفتح عينيه، ولكنه لا يعرف أحداً، لأنّ البصر كالكاميرا، وهو لا يقوم وحده بالتشخيص، بل لا بدّ من الوعي في هذا المجال. فإذا لم تكن واعياً، فإنك لا ترى شيئاً، يعني لا تحس بما تراه، ولهذا نقول: قضية البصر إنما تكون معبرة عن صورة الشيء، بحيث يحس بها الإنسان إذا كان يملك وعياً، وأما الذي لا يملك وعياً، ولا يملك عقلاً، فإنه لا يرى شيئاً، فقد تنطبع الصورة في العين، ولكنها لا تنطبع في الذهن، وفي الوعي. أمّا العقل، فكما يقول الإمام ﷺ: ((لا يغشُ من استنصحه..))، ولهذا يقول ﷺ: ((ليست الرؤية كالإبصار...)) والرؤية هي التفكير، والعقل عندما ينطلق في الإدراك، سواء الفطريّ أو النظريّ القطعيّ، من حيث إنه يدرك البديهيات، فإنه لا يخطئ في هذا المجال. ولذلك يقول ﷺ: إن على الإنسان أن يستصح عقله في الأمور ويستتطق جوهر العقل. لا ما يعتبره عقلاً وليس هو بعقل، والذي لا يركّز على أساس البديهة الفطرية العقلية. فإنّ العقل لا يغشّه بينما النظر قد يغشّ، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٥) فإنها تتحدث عن أن بعض الناس قد يستوي عندهم الإبصار والعمى، أي ربما يكون مبصراً، ولكنّه لا يعي ما أبصره، لأنّ الأساس إنما هو بصر العقل، وبصر القلب. ولذلك يُنقل على أن الرؤية الحقيقية التي تغني الإنسان وتنمي فكره تعطى الإنسان غنى وتعطيه فكراً، وتعطيه تعبيراً عن الواقع، هي الرؤية العقلية وليست الرؤية الحسية البصرية.. وينقل بعض شراح (نهج البلاغة) عن أكابر الحكماء

القول: (إن اليقينيّات هي المعقولات لا المحسوسات..) يعني ما يعطي الإنسان وضوحاً في الشيء، بحيث لا يكون فيه شك ولا ريب، (لأنّ حكم الحسّ..) يعني السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس (..في مظنة الغلط..) يعني احتمالات الغلط، (وطالما كذب الحس، واعتقدنا بطريقة اعتقادات باطلة..) بمعنى أن الحس ربما يخطئ في التعبير عن واقع ما أحسّ به، ولذلك يعطينا اعتقادات خاطئة، ونحن نصوغ اعتقاداتنا على أساس ما أحسّنا به، فإذا كان الحس خطأ، فمعناه أن العقيدة تصير خطأ.. (كما ترى الكبير صغيراً والصغير كبيراً، والمتحرك ساكناً، والساكن متحركاً، فأما العقل، فإذا كان المعقول به بديهياً..) يعني من الأشياء البديهية التي لا ينكرها أحد، (..أو مستنداً إلى مقدّمات بديهية، فإنه لا يقع منه غلط أصلاً، بل الحس بحاجة إلى العقل، لأنه هو الذي يوحى إليه بالفكرة ويمدُّ له الأفق..). فعلى هذا، ينبغي على الإنسان أن يركز على العقل الفطري الذي يرتبط بالأمور بطريقة البداهة التي لا ريب فيها، لأنّ الذي يثير الجدل في الإنسان، إنما هو الأمور النظرية، لا الأمور البديهية، ولذلك فإنّ العلماء يقولون: (إن كل نظرية لا تنتهي إلى البداهة، فليس هناك أساس للحكم بصحتها). فلا بد أن ندرس خلفيات النظرية، فإذا وصلنا إلى البداهة، فإن النظرية تكون صحيحة، لأنّ البداهة لا تخطئ، وإذا لم نصل إلى البداهة، فتبقى النظرية موضع جدل..

من علامات العاقل:

وهناك كلمة للإمام علي عليه السلام يقول فيها: ((صدر العاقل صندوق سرّه))^(١)، هنا أطلق الإمام عليه السلام كلمة (صندوق) على الصدر، لأن الصندوق هو الذي يحفظ للإنسان ما يريد حفظه من أي شيء عزيز عليه ومهم لديه، وهذا أمر طبيعي، فالصدر كناية عن منطقة الوعي الداخلي للأشياء، سواء كان عقلاً أو شعوراً..

يعني على الإنسان أن يحفظ سرّه في صدره، وأن لا يفشيّه لأحد، لأنّ مسألة السرّ هي من المسائل التي قد تتصل بالإنسان في كلّ ما يتصل بحياته، إن كان في طبيعة الحياة، أو في مشاريعه، أو في مواقفه، أو في كلّ ما يريد أن يفعله أو يريد أن يتركه، في علاقته مع الأشخاص، أو بالواقع الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي أو الأمني.. يقول ﷺ: إن عليك أن تحفظ سرّك في صدرك، ولا تفشيّه لأحد، كما تحفظ مالك أو الأشياء الثمينة لديك، أو المهمة عندك، في صندوقك، فلا تقبل أن يطلّع عليها أحد، بل إنك تخفيه عن كلّ أحد. والسبب واضح، وهو أنّ الكثير من هذه الأسرار قد تتصل بالقضايا الحيوية لكلّ واقعك، ما يجعل إفشاءها بين الآخرين، وانتشارها بينهم، يسبّب مشكلة قد تشكّل خطراً عليك وعلى ما تهتمّ به أو تخطّط له.. وإذا كنت لا تتحمل أنت حفظ سرّك، فكيف تطلب من الآخر أن يتحمّله.. لذلك، فإنّ المسألة هي أن على الإنسان أن يحفظ سرّه في صدره، إذا كان سرّه مما يريد أن يخفيه، إلّا إذا كان هناك من يؤتمن على هذا السرّ، بشكل مطلق أو شبه مطلق، أو كان هذا الشخص ممن يتصل السرّ به، باعتباره كونه مساعداً له في المشروع... ونحن نعرف، أن الكثيرين من الناس عندما اطلّعوا على أسرار الآخرين، فإنهم تحوّلوا عن العلاقة الطيبة مع الآخرين، وأذاعوا السرّ، ورطّوهم في أشياء خطيرة وكبيرة جداً، ولذلك قال الشاعر:

إحذر عدوك مرة وأحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق قو وكان ادري بالمضرة

حفظ الأسرار:

ولعلّ البعض عاش مثل هذه التجارب من خلال بعض أصدقائه، فإننا قد نجد هذا الصديق يقول: إنني أعرف أسرار فلان، وسوف أقابله على هذا الأساس.. ونحن نعرف.. أيضاً.. أن هذا العالم الذي نعيش فيه هو عالم اختراع الأجهزة الكثيرة، سواء كانت صناعية أو بشرية، أو أمنية أو سياسية، من أجل

كشّف أسرار الناس الخفيّة التي تتحرّك للاستفادة منها على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الأمني، مما يحوّلونه إلى مادّة لتنفيذ ما يخطّطون له مما يضرّ الآخرين. ونحن نعرف دور الجاسوسية في العالم، حتى لدى الحلفاء مع بعضهم البعض، ولدى الأصدقاء مع بعضهم البعض، وهناك الكثيرون منّا يتبرعون بإفشاء أسرارهم الشخصية، لأنهم يحبون الكلام كثيراً، أو يتبرعون بإفشاء أسرار بلدهم، أو أسرار أمّتهم، هنا وهناك، تحت تأثير مالٍ يُقدّم إليهم، أو تحت تأثير ضغط يُطبق عليهم.. لذلك عندما يقول الإمام عليّ عليه السلام: ((صدر العاقل صندوق سرّه))، إنما يشير إلى قيمة الأسرار التي تتصل بالإنسان فرداً، أو تتصل به جماعةً، أو تتصل به وطناً، أو تتصل به أمة.. عليك أن تحفظ في صدرك كل هذه الأسرار، ولا تمكّن غيرك من الاطلاع عليها، لأن السرّ أمانة، وقد ورد عندنا أن الإنسان إذا اطلع على سر الآخر - مع أنّ حديثنا كان حول سرّك أنت - فإنه كما يقول الحديث: ((المجالس بالأمانات، وليس لأحد أن يحدث بأمر يكتمه صاحبه إلّا أن يكون ذكراً له بخيراً))، يعني كما أن أخذ المال من الشخص يمثّل خيانةً، إفشاء السرّ أيضاً يمثّل خيانة، لأن السرّ أمانة عند من اطلع عليه، وقد ورد: ((استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان)). وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: ((من كتم سرّه كانت الخيرة بيده))، وقال: ((سرّك أسيرك، فإن أفشيتّه صرت أسيره))، وقال: ((كلّما كثر خزان الأسرار كثر ضياعها))، وقال: ((لا حرز لمن لا يسع سرّه صدره))، وقال: ((ابذل لصديقك كلّ المودّة ولا تبدل له كلّ الطمأنينة))، وقال: ((أنجح الأمور ما أحاط به الكتمان))، وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((سرّك من دمك، فلا يجرين في غير أوداجك))، وقال: ((لا تطلع صديقك من سرّك إلّا على ما لو أطلعت عليه عدوك لم يضرّك، فإن الصديق قد يكون عدوّاً يوماً ما))^(٧).

وعلى ضوء هذا نخرج بنتيجة حاسمة، هي: إننا قد نعاني في عالمنا العربي

والإسلامي، في عالم الشرق، بأننا أناس نحب الكلام كثيراً، وهناك أناس يحاولون أن يُخرجوا الكلام منّا حتى من دون وعي ومن دون شعور، كما نلاحظه في أساليب الإعلام، وأساليب الصحافة أو غيرها، عندما يلعبون على الأسئلة والكلمات، ليستطّبقوك في ما لا تريد أن تتطّق به، لذلك لا بد لنا أن نحفظ أمتنا وأوطاننا ومجتمعاتنا، من نتائج إفشاء هذه الأسرار.. ويبقى للإمام علي عليه السلام الكثير من الكلام في العقل الذي هو دعامة الدين، ودعامة الحياة كلّها..
والحمد لله ربّ العالمين.

مكانة العقل في السنّة النبوية (١٠)

المؤثرات السلبية على العقل

العاقل هو الذي
تلتقي في عقله
الخطوط الفكرية
بالخطوط العملية.

♦ حركة العقل في الحياة

♦ من العقل إلى الحلم

♦ مظاهر العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

من الكلمات المروية عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: ((العقل غطاء ستير))، فالعقل - في توجيهه لصاحبه - يمنع كل ما يبتعد به عن خط التوازن، وعن كل ما يحرك جوانب القبح الفكري والعملي، سواء كان ذلك بإخفاء القبح عن الأنظار من خلال غلبته على النوازع السلبية التي تحاول التستر على نفسها بالظهور للناس، أو كان باقتلاعها من الذات، فلا يبقى فيها مجال للبروز.. ((والفضل جمال ظاهر))، والمراد بكلمة (الفضل) الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة والسلوك المتوازن والخطوط المستقيمة على مستوى الوسائل والأهداف، ما يكسب الإنسان جمالاً ظاهراً في موقعه في الناس من الناحية المعنوية، تماماً كما هو الجمال الحسي الذي يجتذب صاحبه إلى الناس، فيملك المحبة والمودة والتعظيم والتقدير.

حركة العقل في الحياة:

((فاستر خلل خلقك بفضلك وقاتل هواك بعقلك)) ففي هذا الجو، تتحرك الموعظة وتفتح النصيحة للإنسان الواعي ليدرس العناصر السلبية في شخصيته في الجانب الأخلاقي، لينكشف له الخلل النفسي والعملي، فيحاول أن يستر هذا الخلل بما يملكه من العناصر الإيجابية، فتبرز الجوانب المضيئة لديه، وتختفي الجوانب المظلمة.

أما العقل الذي يدخل دائماً في صراع مع الهوى من خلال وساوس الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، فلا بدّ له أن لا يستسلم لضغوط الشيطان في

وساوسه وتسويالات النفس في حركتها .. فعلى الإنسان أن يعامل هواه بما يملكه من مقومات الفكر وحركية التوازن، وذلك من خلال محاكمة الهوى، والسيطرة على نقاط الضعف بنقاط القوة التي يملكها في جوهر الذات، مستمداً ذلك من عمق الفكرة وإيحاء الحكمة ومناقشة المشاعر والأحاسيس الضبابية، لينتصر على تلك الوسواس أخيراً، ليحصل من خلال ذلك على الموقع الجديد .. ((تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة))، لأنّ الناس يحضنون الإنسان الذي يغلب عقله على هواه، ويتحرك فكره في اتجاه إسقاط سيطرة الشهوة، كلّ مودة وكل محبة، على قاعدة أن الإنسانية تحب الإنسان الذي يقدم لها الخير من نفسه ومن الآخرين.

من العقل إلى الحلم:

وقد جاء في هذا المعنى ما يقرب من هذه الكلمة، وهو ما روي عنه ﷺ في قصار الحكم، إذ يقول: ((الحلم غطاء ساتر)) والحلم هو ضبط النفس والطبع من هيجان الغضب، وذلك من خلال سعة الصدر، وهو من نتائج العقل الذي يزن الأعمال - في حسنها وقبحها - بميزان النتائج السلبية والإيجابية، فيدفع الإنسان إلى الإيجاب ويبعده عن السلب .. وفي ضوء ذلك، يتحوّل الحلم إلى (غطاء ساتر)، لأنه يستر كل ما تحمله النفس عند الغضب من مشاعر حادة ونوازع شرّ، فيكبتها في الداخل، ويستبدلها بالمشاعر الهادئة والنوازع الخيرة بما يؤدي إلى التقارب وإيجاد المناخ الملائم للإصلاح والإصلاح .. ((والعقل حسامٌ قاطع))، فهو السيف الذي تقتل به الفكر الباطل، وتقطع به جذور الهوى، وتواجه به الخطوط المنحرفة والأوضاع الشريرة .. ((فاستر خلال خلقك بحلمك))، فإن الحلم يمثّل الغطاء الذي يستر كل قبيح .. ((وقاتل الهوى بعقلك))، فإنّ العقل يملك العدة التي يسقط أمامها كل الهوى المنحرف الذي يقود صاحبه إلى الهلاك .. ثم يحذّر الإمام علي (عليه السلام) من الحالات الضاغطة على العقل، من خلال الغفلة عن حركة النفس في الداخل، في وساوسها ونوازعها وإيحاءاتها الشريرة، بحيث يسيطر الهوى على الإنسان، ويبعده عن نداء عقله، ليستبدله بنداء غرائزه في

حرارة شهواته، فيقول ﷺ: ((كم من عقل أسير عند هوى أمير))، لأنَّ العقل يأسره الشرود والذهول، وتحاصره الغفلة، وتمنعه من التحرك القوي الذي يحاسب ويحكم أمام الطوارئ التي تطبق على نوافذ الضوء لديه، فيغلقها، فيأتي الهوى بكل إحساسات الجسد وتهاويل الطمع وتعقيدات الواقع، ليكون في موقع القوة التي تتخذ لنفسها موقع الأمير، بينما يقف العقل في موقع الأسير.. وهذا هو الذي يحذر منه الإمام ﷺ في كلمته: ((قاتل هواك بعقلك))، ليكون الإنسان دائماً في موقع المقاتل لهواه في أجواء اليقظة المنفتحة على كل نقاط الضعف والقوة في نفسه.. وفي ضوء ذلك كله، نعرف أن العقل هو الطاقة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في كيان الإنسان، لتكون القوة التي تحمي الإنسان من كل شر وانحراف، وأن عليه أن لا يجمده في أية حالة من الحالات، وتحت أي ظرف من الظروف..

مظاهر العقل:

ومن كلماته ﷺ يقول فيها: ((التودد نصف العقل))^(١)، والمراد به حسن المعاملة للناس، بأن يفتح الإنسان قلبه لهم، وأن يحسن كلمته في مخاطبتهم، وأن يظهر لهم روحية المحبة، ما يجعله يلين في كلامه، ويعفو عنهم، فإنَّ العقل يوحى للإنسان بذلك، لما فيه من النتائج الحسنة في ردود الفعل من الناس، بتقديم المودة له وحسن المعاملة معه، والانفتاح على الجانب الطيب من حياته في تفاعلهم معها.

أما أنه نصف العقل، فقد يكون المراد به العقل العملي الذي هو النتيجة الطبيعية للعقل، لأنَّ العاقل هو الذي يلتقي عقله في الخطوط الفكرية بالخطوط العملية، لأنه لا معنى للفكر بدون العمل.. فالحياة تكبر وتستقيم بالسير في الخط الفكري المستقيم الذي يعطيها حيويتها، ويحمي لها حركتها. ومن كلماته ﷺ

في تعداد ما فرضه الله سبحانه وتعالى على الإنسان، يقول ﷺ: ((وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل))، لأنَّ الخمر يذهب بالعقل عندما تتفاعل في رأسه، فيفقد التوازن في تفكيره، وفي حركته، وفي معاملته وعلاقاته بالآخرين، وربما يدفعه ذلك إلى التعدي على المحارم، وارتكاب الجرائم، لأنَّ العقل هو الذي يركِّز له الأمور، ويميّز له الحسن من القبيح، والضارَّ من النافع، والمستقيم من المنحرف، فيمنعه مما فيه المفسدة، ويدفعه إلى ما فيه المصلحة.. وقد قال قوم لحكيم: (اشرب الليلة معنا)، فقال: (أنا لا أشرب ما يشرب عقلي)، لأنَّ شرب الخمر يسري في عروقه وينفذ إلى عقله، فيربكه، ويبتعد به عن التركيز.. وفي الحديث المرفوع: ((إن ملكاً ظالماً خيّر إنساناً بين أن يجامع أمه أو يقتل نفساً مؤمنة أو يشرب الخمر حتى يسكر، فرأى أن الخمر أهونها، فشرب حتى سكر، فلما غلبه قام إلى أمه فوطئها، وقام إلى تلك النفس المؤمنة فقتلها))..

ثم قال ﷺ: ((والخمر جماع الإثم، والخمر أم المعاصي))، وقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ: ((ما بعث الله نبياً قط إلا وفي علم الله أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمر حراماً، إن الدين إنما يحوّل من خصلة إلى أخرى، فلو كان ذلك جملة قطع بهم))^(٢) أي الناس 'دون الدين'. وفي هذا الحديث الصادقيّ دلالة على أنه من غير الطبيعي أن يصدر من أي نبي، في أية رسالة، تحليل الخمر كتشريع حاسم، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل لتقوية العقل، واستقامة العمل، ووعي الأمور، فلا يمكن أن يشرع الله سبحانه وتعالى حكماً يضادّ ذلك كله، ولكن قد يؤكّد الحكم بالتحريم بشكل تدريجي من أجل تيسير الامتثال والطاعة على الناس. وقد جاء عن رسول الله ﷺ: ((جمع الشر كله في بيت وجعل مفتاحه شرب الخمر))^(٣)، وقد جاء عن الإمام علي الرضا ﷺ: ((حرّم الله الخمر لما فيها من الفساد ومن تغييرها عقول شاربها، وحملها إياهم

(٢) الكافي. ج. ٥. ص ٢٣. ح ١.

(٣) نفسه. ص ٦٦. ح ١٧.

على إنكار الله عز وجل والفرية عليه وعلى رسله وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل)). وجاء في حديث الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: ((إن الله لم يحرم الخمر لاسمها، ولكنه حرّمها لعاقبتها، فما كان عاقبته الخمر فهو خمر))^(٤).. وفي ضوء ذلك، يحرم تناول كل مسكر جامداً كان أو مائعاً، حتى لو لم يصدق عليه اسم الخمر، ومن ذلك المخدرات بأنواعها التي تتضمن خصوصية الخمر، في ما يشبه السكر.

وخلاصة الفكرة: إن الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يقوّي عقله، وأن يبتعد به عن كل ما يسيء إليه ويهدم أركانه في أي وقت، لأنّ الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يعيش حركة المسؤولية في كل حالاته، فلا يشرب أو يأكل أي شيء يذهب بعقله الذي يصادر التزامه بالخط المسؤول في حياته، ولا يدخل في أيّ جوّ يقربه من ذلك، حتى حضور مجالس الخمر أو المخدرات ومصاحبة المدمنين عليها، والجلوس معهم على مائدة يشربون الخمر عليها.. وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر))، وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام: ((لا تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر، فإن العبد لا يدري متى يؤخذ)).
والحمد لله ربّ العالمين.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (١) في ذكرى الغدير

لنعتبره غدير المعرفة،
وغدير الروح، وغدير
الحركة في الحياة
التي تتجدد

- ♦ في ذكرى الغدير
- ♦ إثارة العقل
- ♦ من العقل إلى الحكمة
- ♦ العقل والبصيرة
- ♦ علامة العاقل
- ♦ حقيقة معاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في ذكرى الغدير:

ونبقى مع الإمام علي عليه السلام، ونحن نقرب من يوم الغدير، والغدير ليس مجرد مناسبة تقليدية، نستهلكها كما يستهلك الناس ما اعتادوا عليه من تقاليد، بل إن يوم الغدير يمثل الموقع الذي يمثل عليه علي عليه السلام، القمة في الفكر، والقمة في الروح، والقمة في وعي الحياة كلها، بكل مفرداتها وأوضاعها. فقد كان الإمام علي عليه السلام فكراً يفتح على فقه العقيدة، وفقه الشريعة، وفقه المنهج، وفقه الإدارة، وفقه الحرب والسلم، وفقه الحياة. كان عليه السلام الإنسان الذي لم يفهمه عصره، بل كان الغريب في عصره، وكان عليه السلام يقول: ((إن هاهنا لعلماء جمّاً لو أصبت له حملة)). وكان الإنسان الذي أخلص للإسلام كله، وهو القائل: ((فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتشعّ السحاب...))، والقائل: ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة))^(١).

إن الإمام علياً عليه السلام عاش عقل الرسول صلى الله عليه وآله وروحه منذ طفولته الأولى، حتى اندمج عقله بعقله، وذابت روحه في روحه، وتحركت حياته في كل خطوط حياته، فكان رسول الله في الإسلام كله، وكما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد سئل: لماذا قدّمت علياً؟ قال: (احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل، دليل على

أنه إمام الكل).

ولذلك، فإنَّ علينا - عندما يقبل علينا الغدير - أن نعتبره غدير المعرفة، وغدير الروح، وغدير الحركة في الحياة التي تتجدد وتجدد الحياة من حولها، حتى نستطيع أن نفتح العالم كله على الإمام عليؑ، كما انفتح الإمام عليؑ على الزمن كله. فالإمامؑ ليس ابن زمنه، لأننا عندما ندرسه وندرس كل كلماته، نجد أنه يعالج مشكلاتنا في أكثر من جانب، كما كان يعالج مشكلات عصره؛ لأنَّ في مشاكل الحياة ما يفتح على كل عصر، لأنها ليست منطلقة من خصوصيات الزمن، بل من خصوصيات الحياة، والإمام عليؑ كان إمام الحياة.

غاية الحرب عند عليؑ:

وإذا أردتم أن تعيشوا مع عليؑ، فعليكم أن تقتربوا إلى مستوى عقله وروحه ومنهجه وحركته.. حتى إنَّ الإمام لم يكن ينطلق في حروبه من حالة ذاتية للانتصار في الحرب، بل كانت الحروب عنده وسيلة لانفتاح الآخرين على الرسالة. ففي حرب (صفين)، استبطأ أصحابه إذنه في القتال لهم، وعلق بعضهم: (أكان ذلك كراهيةً للموت؟) لأنَّ علياًؑ قارب الستين آنذاك أو بلغها، ولعل الإنسان الذي يتقدم به العمر يحبُّ الحياة أكثر مما كان يحبُّها قبل ذلك، كما ورد في الحديث: ((إذا شبَّ ابن آدم شبَّت فيه خصلتان، الحرص وطول الأمل)). وقد سمعهم الإمامؑ وهم يقولون: أكان ذلك كراهيةً للموت، أم شكاً في أهل الشام؟ وكانؑ يصارح الناس من حوله، ولا يتعقّد من أية ملاحظة أو نقد، لأنه كان يرى أن المسؤول لا بد أن يقدم للناس تقريره في ما هو مسؤول عنه أمامهم، وأنَّ يجيب على كل أسئلتهم؛ أنَّ يعيش المسؤول نوعاً من الاندماج مع الناس الذين يتحمل مسؤوليتهم. فقالؑ: - وقد وقف فيهم خطيباً: - ((أما قولكم: إن ذلك كان كراهيةً للموت، فوالله ما أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ، وأما قولكم: إن ذلك كان شكاً في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهددي بي، وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إليّ من أن

أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بأثامها))^(٢).

إنه يعتبر الحرب عنصر ضغط على هؤلاء الناس، ليعيدوا التفكير في موقفهم، وليشعروا . وهم في حالة الخطر على حياتهم . بالخطأ الذي وقعوا فيه، ولذلك لم يكن الإمام عليؑ محارباً من خلال شهوة الحرب، ولكنه كان محارباً من خلال حركة الرسالة.

لذلك علينا أن لا نذكر علياًؑ في (الأحزاب) وفي (حنين) وفي (خيبر) وفي المعارك الأخرى بما هي وقائع عسكرية وحسب، ولكن أن نذكره في حربه على الكفر وعلى الباطل فكرياً، وهو القائل: ((لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته))^(٣).

هذا هو الإمام عليؑ، وعلينا إذا أردنا أن نرتفع إليه، أن نكون بمستوى يمكن معه لنا أن نعيشه، لأنه ملأ الدنيا ولا يزال يملأها بالفكر الذي يركز على الحق والعدل، وقد قال أحد الشعراء النصاري، وهو (بولس سلامة)، وهو يلتفت إلى الكون كله:

يا سماء اشهدي ويا أرض قري
واخشي إنني ذكرت علياً

وعندما يذكر الإمام عليؑ، فلا بد أن تخشع السماء والأرض، لأنه أعطى للناس في الأرض خطأ الاستقامة بعد رسول الله ﷺ، وثبت فيها العدل، وربطهم بالسماء في آفاق الوحي الذي جاء به رسول الله ﷺ.

إثارة العقل:

ونرجع إلى ما بدأناه من الحديث عن كلمات عليؑ في العقل، لأننا في أحاديثنا هذه نحاول أن نستطق الكتاب والسنة في نظرة الإسلام إلى العقل؛ هذا العقل الذي أهملناه وأقبلنا على الغريزة، ولذلك أصبحت سياستنا غرائزية، وعلاقاتنا غرائزية، وينطلق العقل ليعيش في غربة في مجتمعاتنا، لأننا انفتحنا

(٢) نهج البلاغة، ج ٥٤، ص ١١٥.

(٣) نفسه، ج ١٠٣، ص ٢٣٢.

على الخرافة وتركنا الحقيقة، وانفتحنا على التخلف وتركنا التقدم، وانفتحنا على الجهل وتركنا العلم.

من بعض كلمات الإمام علي عليه السلام التي تحدّث بها حسب الرواية الواردة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((كان أمير المؤمنين يقول: بالعقل استخرج غور الحكمة، وبالحكمة استخرج غور العقل))^(٤). ونحن نعرف أن القرآن الكريم قرن الحكمة بالكتاب، وجعلها جزءاً من رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٦). والحكمة بحسب المعنى اللغوي: وضع الشيء في موضعه. وهذه الكلمة تنفتح على الحياة كلها، لأنّ وضع الكلمة في موضعها قد يتحرك من خلال الفكر، ولا بد أن تضع الفكر في موقعه من خلال ارتكازه على الحجّة والبرهان: أن يكون فكراً ينسجم مع طبيعة الأمور ومع عمق الحجة والبرهان، بحيث إذا أطلقته، وجد الناس فيه الصواب، وقرأوا فيه الحق. وهكذا وضع الشيء في موضعه من خلال طبيعة حركتك في الواقع.

فنحن عندما ندخل في أي مشروع، أو نسير في أي خط من الخطوط، نجد الكثير من الأوضاع والظروف والأشخاص مما يحيط بهذا المشروع، أو تتحرك مع هذا الخط، فلا بد لك أن تدرس - إذا كنت حكيماً - مطابقة مشروعك مع طبيعة الظروف التي تحيط به، ومع طبيعة الأوضاع التي تتحرك في داخله، وطبيعة النتائج التي تريد أن تحصل عليها، وأن تضع الشيء في موضعه، بمعنى: أنك تتطوّل بشكل أو بآخر لترتّب كل خطوات هذا المشروع، لتصير شيئاً منتجاً مناسباً لكل تطوّعاتك إلى الأهداف الكبرى في الحياة، سواء كان هذا الموضوع يتصل بالحياة العائلية في تنظيم الأمور التي تتصل بأسرتك وبنظامها الداخلي،

(٤) الكافي ج ١ ص ٢٨ ح ٣٤.

(٥) الجمعة: ٢.

(٦) النساء: ١١٣.

وبعلاقة أفرادها مع بعضهم البعض، أو يتعلق بالأمور السياسية في دراستك لطبيعة الخطوط السياسية التي تؤمن بها، ودراسة الواقع الذي تتحرك فيه هذه الخطوط، وملاحظة العنصر المحلي مع العنصر الإقليمي والعنصر الدولي، لتوازن ذلك كله وتتحرك فيه على أساس من الواقعية التي لا تبتعد عن المبادئ، أو في ما يتصل بالمسألة الاقتصادية إذا أردت أن تدخل في مشروع اقتصادي، أو بالمسألة الأمنية إذا أردت أن تدخل في مشروع أمني، وفي كل قضايا الصراع.. أن تكون حكيماً، فلا تدرس المسألة من جانب واحد، بل أن تلحظ كل الجوانب التي تشارك في سلامة هذا المشروع الذي تحاول أن تحقّقه.

وهكذا في حياتك الشخصية الخاصة؛ فنحن نلتقي في الحياة بما يفتح لنا أفق التشاؤم كما قد نلتقي بما يفتح لنا أفق التفاؤل، وقد تدفعنا بعض الأحداث إلى اليأس، وقد تدفعنا أخرى إلى الأمل. ففي هذا المجال، يجب أن لا تقع تحت تأثير التشاؤم بالمطلق، أو تحت تأثير التفاؤل بالمطلق، لأنّه ليس في الحياة مطلق في أيّ جانب من الجوانب؛ لأنّ الحياة هي عالم المحدود، ولذلك لا بد لك أن تمزج بين التفاؤل والتشاؤم، لتكون واقعياً في ذلك، فتعطي التفاؤل جرعةً من التشاؤم، لكي تنطلق بالحدز، وتعطي أيضاً التشاؤم جرعةً من التفاؤل، حتى لا تسقط أمام التشاؤم فيقودك إلى اليأس. وحتى في داخل مشاكلك وفي داخل عقدك النفسية، أن لا تسقط أمامها، بل تحاول أن تدرس كل حالة أو كل عقدة نفسية من خلال أسبابها، ومن خلال نتائجها، لتعرف كيف تعالجها.

ولذلك، فالله سبحانه وتعالى، وهو ربنا، وصف نفسه بالحكيم الخبير، باعتبار أنه وضع الأشياء كلّها في مواضعها، سواء في النظام الكوني الجامد في أو النظام المتحرك أو في النظام الإنساني، وأجرى كل شيء على أساس الحكمة، سواء كان مما يعتبره الإنسان من السلبيات، أو مما يعتبره من الإيجابيات، وهذا هو قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلْ

الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^(٨). فالكون منظّم على أساس القوانين المودعة في كل ظاهرة من ظواهره، وكل مفردة من مفرداته، حيث قال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ﴾^(٩)، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى أحكم تدبيره، وأحكم قوانينه في هذا المجال.

من العقل إلى الحكمة:

فقول الإمام علي^{عليه السلام}: ((بالعقل استخرج غور الحكمة ..)) معناه، أن هذا العقل الذي رزقني الله سبحانه وتعالى إياه، وهو الطاقة التي تنتج الفكر وتميز بين الحسن والقبيح، وتدرس الأمور بكل عمقها، هذا العقل استخرج به غور الحكمة، أي عمقها، باعتبار أن العقل يخاطب الإنسان بأن عليه عندما يريد أن يتحرك في الحياة، أن يوازن بين السلبيات والإيجابيات، وعليه أن يضع كل شيء في موضعه، حتى تسلم له حياته، وحتى ينجح في مشاريعه، فلا يكون هناك نشاز، حيث يبتعد الشيء عن طبيعة الأمور وطبيعة الأشياء.

ويكمل الإمام علي^{عليه السلام}: ((.. وبالحكمة استخرج غور العقل))، يعني إذا كنت أملك الحكمة، فإن الحكمة تخاطبني وتقودني إلى أن انفتح على العقل، فلا أجمّد عقلي، ولا أعطيه إجازة، ولا أعيره لأحد، ولكن أجعله منفتحاً على عقل الآخر. فالحكمة تقول لي استعمل عقلك، لأنّ ((العقل لا يغش من استنصحه)).. كما قالها الإمام علي^{عليه السلام} في بعض كلماته.. ولأنّ العقل هو الميزان الذي يمكن أن يزن لك كل الأمور، سواء كانت ثقافية أو كانت عملية وفي كلّ المجالات.

العقل والبصيرة:

((وبحسن السياسة يكون الأدب الصالح)). والمراد بحسن السياسة سياسة الأمور، يعني أنك عندما تعيش في أيّ مجتمع، فإنّ عليك أن تعرف كيف تسوس

(٨) الطلاق: ٣.

(٩) الملك: ٣.

المجتمع. والسياسة هي المنهج الذي يجعلك تتفتح على الواقع كله، وعلى الناس كلهم، لتدرس ما يملك هؤلاء من عقل، وما يحيط بهم من ظروف، وما يعيشونه من حالات نفسية، قد تكون حالات منفتحة وقد تكون حالات منغلقة، وما ورثوه في تقاليدهم وعاداتهم، وما حصلوا عليه من تربية. فعليك أن تدرس ذلك كله، وأن تحاول أن تحسّن سياستك تجاههم وتحترمهم، حتى تتفتح لك عقولهم، وحتى تنبض لك قلوبهم، لتجذبهم إليك، ولتجذب إليهم، وذلك هو ما يمثل الأدب الصالح، الذي يمثل القيم الأخلاقية، والقيم الروحية التي تجمعها القيم الإنسانية.

وهناك كلمة أخرى أيضاً تُروى عن الإمام الصادق عليه السلام في ما يرويه عن الإمام علي عليه السلام: ((وكان يقول: التفكر حياة قلب البصير)). فهو يتحدث عن التفكير الذي يعطي الحياة للقلب، والمراد من القلب هنا العقل أو منطقة الوعي الداخلي التي تجمع العقل والحسّ والشعور. كما أشرنا أكثر من مرة، فيقول - في إحياءات كلامه - لا بد أولاً أن تكون بصيراً في عقلك، يعني أن تفتح عيني عقلك، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١٠)، فإذا أردت أن يحيا عقلك، فحياته تكون بعملية النمو، وعملية التطور وعملية الانفتاح، حيث أعطى الله سبحانه وتعالى العقل حرية لم يعطها لأيّ جهاز في الجسد، لأنّ الله عز وجل أنزل علينا في تشريعاته أنه جعل للسان شريعة لا بد أن يقف عندها، وجعل للفم شريعة، وجعل لليدين وللرجلين وللعينين وللأذنين تشريعات فيها الحلال وفيها الحرام. أما العقل، فإنه لم يجعل له حدوداً ولا حواجز تمنعه من أن يفكر بحسب ما يملك من وسائل الفكر؛ لأنّ بعض الأمور هي مما لا يملك وسائل التفكير فيها، كما في الغيبات فالله سبحانه وتعالى قال للعقل: فكّر بحرية، وتحمل مسؤولية تفكيرك؛ لأنّ الله عز وجل سوف يسألك عندما ينتج عقلك فكرة تحكم حياتك، كيف فكرت؟ وما هي وسائل تفكيرك؟ هل

قصّرت في هذه الوسائل أم لم تقصّر؟ ويقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١١)، أنه يؤتى بالإنسان يوم القيامة، فيقال له: لِمَ لم تعمل؟ فيقول: لم أعلم، فيقال له: هَلَّا تعلّمت؟ لماذا لم تفكّر؟ لماذا لم تبحث؟ فالله سبحانه وتعالى أعطى العقل كل الحرية في أن يفكر، وحملّه المسؤولية في ذلك. العقل يحيا بالحركة، هذا في الوقت الذي نرى أناساً يجمّدون عقولهم، وليسوا مستعدّين لأن يفكروا، وربما التقينا ببعض الناس الذين عندما يُقال لأحدهم: فكّر، يقول: أنا لست فارغاً لأفكر، أو أنه يطلب من غيره أن يفكّر له، وهذا خطأ، لأن الآخر عندما يفكر لك، فإنه يفكر حسب العناصر الموجودة في منطلقات تفكيره، ولذلك فإن المعادلة الصحيحة هي أن نقول: فكروا معنا، لنفكر معكم؛ ولذلك اعتبر الحديث الشريف الشورى مشاركةً في العقل: ((من شاور الرجال شاركها في عقولها))، أي إن هناك عقلاً يفتح على عقل.

لذلك، فإن الله سبحانه وتعالى لا يريد للإنسان أن يجمّد عقله عندما ينطلق في الحياة، بل يريد أن يفكر مع المعصومين الذين يملكون أعلى درجات العلم والعقل، بأن يتصرّف على خلفيات التشريع والعقيدة. كما يجب على العلماء بأجمعهم، وفي أي علم من العلوم، أن يعلّموا الناس، فهو ليس حراً في أن لا يعلّم، في الوقت الذي نرى بعض الذين يملكون العلم يبخلون بعلمهم على الناس؛ لأنّ الحديث الشريف يقول: ((إذا ظهرت البدع، فعلى العالم أن يظهر علمه، ومن لم يفعل فعليه لعنة الله))^(١٢)، فصاحب العلم كصاحب العقل مسؤول عن تنمية عقل الأمة، لأن ما يملكه الإنسان من عقل فيه شيء للأمة. فلذلك ورد في الحديث الشريف: ((ما أخذ الله على الجاهل أن يتعلّموا حتى أخذ على العلماء أن يعلّموا))^(١٣).

(١١) الأنعام: ١٤٩.

(١٢) الكافي، ج ١، ص ٥٤، ح ٢.

(١٣) البحار، ج ٥٩، ص ٣٣، ح ٢، ب ١.

إنّ علينا أن نتحمّل المسؤولية أولاً في أنفسنا، بأن نعطي عقلنا حياته من خلال التفكير؛ لأنّ الشيء إذا لم تحركه فإنّه يموت. والتفكّر هو الذي يعطي الحياة للعقل، وهو الذي ينمّيه ويطوّره، وهو الذي يجعله يبدع، ولذلك فإنّ الناس الذين لا يستخدمون عقولهم يعيشون حالة الموت العقلي، وإنّ كانوا يملكون الحياة الجسدية.

ثمّ يمثّل الإمام علي عليه السلام على ذلك بالقول: ((... كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلص وقلة التريص...))^(١٤) فالإنسان الذي يمشي في الظلمات، ويكون بيده ضوء، فإنّه يستطيع أن يصل إلى هدفه بسرعة ومن دون مشاكل، ويستطيع أن يتخلّص من كلّ العثرات ومن كلّ العقبات التي تعترض طريقه، ولا يحتاج إلى أن ينتظر، لأنّ الطريق مفتوحة أمامه من خلال الضوء الذي يمسكه، وهكذا أمر العقل، حيث يشرق عقلك من خلال الفكر، لأنك تمشي في نور هذا الفكر الذي يملك اتّساعاً ورحابةً وانفتاحاً وإبداعاً في الحياة.

ثمّ يتحدّث الإمام علي عليه السلام عن العاقل، وكيف يتصرف من خلال حاجات المجتمع، بحيث لا يمكن أن يكون سلبياً، وهو يواجه الحاجات الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية التي يملك أن يسدّها، فلا يواجهها بالصمت أو السلبية، لأنّ كل عالم أياً كان مستوى علمه، وأياً كان موقعه، مسؤول أن يسدّ ثغرة الجهل في المجتمع، وليس كما يقول بعض الناس: إنّ العالم مثل الشجرة، لا تستطيع أن تأكل ثمارها. لذلك فعلى العلماء أن يبادروا ويعطوا الناس العلم حتى تحلّ مشكلتهم في هذا المجال أو ذاك.

علامة العاقل:

يقول علي عليه السلام وهو يعطي صورة العاقل في حركته في جانب المعرفة في المجتمع: ((إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سُئل...))،

يعني عندما يسأله الناس عن أي أمر يملك علمه، وليس ثمة مانع يمنعه من الحديث عنه، كأن يكون متعلقاً بالأسرار العامة أو الخاصة، فمسؤوليته أن يجيب عن أسئلة الناس بقدر ما يملك من المعرفة، وأن يواكب حركة التطور الفكري. وربما نستوحي من ذلك أن عليه أن يثقّف نفسه، وأن يأخذ بأسباب المعرفة، حتى يستطيع أن يجيب على أسئلة الناس، خصوصاً إذا وضع نفسه موضع المسؤول الثقافي، أو المسؤول السياسي، أو المسؤول الاجتماعي، أو المسؤول الديني.

((وينطق إذا عجز القوم عن الكلام...))^(١٥) يعني عندما يكون في مجتمع، وهناك قضايا لا بدّ من دراستها ومعالجتها، باعتبار أنها تمثل قضايا تتعلق بالحاضر والمستقبل في أي جانب من جوانب الحياة، ولا يستطيع الآخرون أن يتحدثوا عن هذه الأمور الحيوية التي قد تتصل بالقضايا المصيرية، أو بما يقرب ذلك، فإنّ عليه أن يتقدّم لحلّها ومعالجتها، ولا يقول: إنه ما دام الجميع لم يتكلموا، فأنا أيضاً لا أتكلّم! بل عليه أن يتحدث عمّا يحتاجه الناس، من كلّ ما يملك أمره، أو يملك الحديث عنه، وأن لا يكون سلبياً أو حيادياً.

حقيقة معاصرة:

ومن هنا نعرف حقيقة معاصرة، وهي أن هناك تحديات كبيرة جداً تواجه العالم الإسلامي والعالم العربي وتواجه العالم كله، والناس قد يقعون في حيرة أمام هذه التحديات، لأنهم لا يعرفون كيف يتصرفون. وقد يقف الإنسان أمام تأييد خط أو رفض خط، أو تأييد جماعة أو رفض جماعة. فالإنسان قد يواجه مسألة تحليل سياسي، والسياسة سواء كانت دولية أو إقليمية، يجب أن تفهم من خلفياتها أو من طبيعة الخطوط التي تنطلق منها أو تسير عليها. فقد يقع الناس في حيرة من أمرهم؛ كيف نحلّ هذا الحدث السياسي؟ ربما يدرس بعض الناس جانباً ويهمل آخر، أو يترك بقية الجوانب.. وهذا موجود عندنا في الشرق، فربما

تعيش مشكلة وقد يأتي وضع دولي أو إقليمي أو محلي يحلّ لك هذه المشكلة ولكن هذه المشكلة التي حللتها قد ترافقها مشاكل أخرى تتصل بك، من خلال ما تُقبل عليه في موقعك أو من خلال ما يأتي من المواقع الأخرى. لذلك علينا أن نعرف حقيقة مهمة، وهي أنّ في العمل السياسي أو التخطيط السياسي لا يوجد عندنا شيء منفصل عن شيء، المحلي يرتبط بالإقليمي، والإقليمي يرتبط بالدولي، والمشاكل السياسية ترتبط بالمشاكل الاقتصادية، والمشاكل الأمنية ترتبط بهما، لذلك نقول دائماً: كما إننا نحتاج إلى ثقافة إسلامية ووعي إسلامي، نحتاج إلى ثقافة سياسية ووعي سياسي، لأن الناس ينخدعون بكثير من الكلمات الاستهلاكية. وكما قال أحد شعرائنا المبدعين، وهو السيد أحمد الصافي النجفي، أحد شعراء العراق، وهو الذي ترجم رباعيات (عمر الخيام) وقد رأى هذه الكلمة المأثورة للإمام عليؑ: ((انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال)) فقلب المسألة وعكسها بقوله:

كثر الخداع اليوم في أقوالنا
فانظر إلى من قال لا ما قيل
لأنّ الكلام في واقعنا لم يعد يمثل الحقيقة، فانظر إلى من أطلقه، هل هو ممن يلتزم بكلامه؟ هل هو مخلص؟ هل هو صادق؟ لأنه ربما يتكلم كلاماً يخدع الناس.

ويتابع عليؑ بقوله: ((ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله)). إذا كنت من أصحاب الرأي والخبرة في القضايا التي تتصل بالحياة، فإن مسؤوليتك أن تشير بالرأي. فتبادر وتشير بذلك، ولا تنتظر أحداً أن يستشيرك، لأنّ الرأي الذي تملكه هو أمانة الله سبحانه وتعالى عندك، وعليك أن تؤدّي الأمانة إلى أهلها.

ثم يقولؑ: ((.. فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء ..)) يعني لا يجيب إذا سئل، ولا ينطق إذا عجز الناس عن الكلام، ولا يشير بالرأي على أهله، ((.. فهو أحمق)) لأنه لا يحمل شيئاً من صفات علامات العاقل؛ لأنّه

يتحرّك في الحياة من دون مسؤولية واتّزان وتخطيط، ما يجعله يتوجّه إلى القبيح وهو يظنّ أنّه الحسن، ويتحرّك في خطّ الانحراف وهو يخيّل إليه أنّه الاستقامة، فيخبط في حركته خبط عشواء.

وهناك تتمّة لهذا الكلام نرجو أن نوفق لها في الأسبوع القادم إن شاء الله.
والحمد لله ربّ العالمين.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٢) تنظيم الوقت

العمر يمثل مسؤولية
الإنسان أمام الله
سبحانه وتعالى

- ♦ برنامج العمر
- ♦ العشرة من خلال العقل
- ♦ العقل والتخطيط للحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

من كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: ((وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرمّة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذّة في غير محرّم))، وقد جاء في رواية أخرى عنه عليه السلام: ((للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرمّ فيها معاشه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها في ما يحل ويجمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرمّة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذّة في غير محرّم)). وفي رواية أخرى تكمل قول علي عليه السلام: ((أو لذّة في غير محرّم، فإنها عون على تينك الساعتين))^(١).

برنامج العمر:

يريد الإمام علي عليه السلام في هذه الكلمة أن يقول للإنسان إن عليه أن ينظّم وقته، فيضع لوقته برنامجاً في كلّ ما تقتضيه مسؤولياته، أمام ربه، وأمام نفسه؛ لأنّ المسألة هي أنّ العمر يمثّل مسؤولية الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى. فالله سبحانه أعطانا هذا العمر من أجل أن نحركه في اتجاه المسؤوليات التي حمّلتنا إياها؛ من خلال مسؤولية العبد أمام ربه، سواء كان ذلك في ما يتصل بالإيمان العقيدي بوجود الله سبحانه وتعالى، السير على ما يحكم به العقل، وما جاء به الوحي من توحيد الله عزّ وجل في الطاعة والعبادة، أو في الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب التي أنزلها، وفي السير على الخطّ الذي أراد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يخضع فيه كل حياته لما يرضي ربه، وفي الاستعداد لليوم الآخر من

خلال الإيمان به.

ولعل كلمة الإمام علي عليه السلام: ((يناجي فيها ربه))، لا يُراد فيها المناجاة بمعناها اللفظي، وهي الدعاء لله سبحانه وتعالى والابتهال إليه، بل المراد بها كل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه، وبذلك فإنها تشمل كل العقائد، وكل الأعمال والأقوال التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، والتي حمل الله سبحانه الإنسان المسؤولية عنها، والتي هي محلّ رضاه عزّ وجلّ.

فالإنسان الذي يعبد الله عزّ وجلّ في فرائض العبادة ومستحباتها، هو في عملية مناجاة لله سبحانه وتعالى، لأنه يقف بين يديه ويتعبّد له في مناجاة داخلية وخارجية، والإنسان الذي يدعو إلى الله، هو في عملية مناجاة، لأنه يمثل استجابة الإنسان لربه في وجوب الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾^(٢)، ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^(٣)، والذي يجاهد في سبيل الله هو إنسان يناجي ربه، عندما يتحرك في موقع رضاه، أيّ كان نوع الجهاد، سواء كان عسكرياً، يقدم فيه نفسه في سبيل الله سبحانه وتعالى، أو اجتماعياً، أو ما إلى ذلك من وجوه الجهاد.. وهكذا، فإن الإنسان الذي يطلب العلم من أجل أن يطيع الله عز وجل في ذلك، أو أن يعرف الله سبحانه وتعالى، أو أن يقدم للناس الثقافة الإسلامية، أو أن يتعلم العلم ليقدّم للناس حاجاتهم في العلوم الأخرى، فهذا أيضاً يناجي ربه. فكل عمل ينفتح فيه الإنسان على ما يحبه الله ويرضاه، فإنه يعتبر مناجاة داخلية بشكل غير مباشر لله سبحانه وتعالى..

و(الساعة) في كلمة الإمام علي عليه السلام، هي كناية عن الوقت، وليس بمعناها المعروف من أنها ستون دقيقة، فالمقصود أنّ الإنسان يقسم وقته، بمعنى أن يجعل في يومه وحياته قسماً يتفرغ فيه لما يطلبه الله سبحانه وتعالى منه، سواء في ما

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الأحزاب: ٣٩.

يتصل بشؤون العقيدة أو الشريعة أو الحياة.

ثم يجعل القسم الثاني من وقته لمعاشه، حيث قال ﷺ: ((يرمُ فيها معاشه))، ويرمُ يعني يصلح، فكما يرمُ الإنسان البيت إذا صار فيه ما يوجب خرابه، وإصلاح المعاش إنما يكون في سير الإنسان في اتجاه تحصيل رزقه، وتدبير عيشه، مما يكفُّ ماء وجهه عن الناس، ومما يستطيع أن يقوم به نفسه من مسؤولياته عن عائلته وعمّن يتحمّل مسؤوليتهم في الحياة، ومن بينها مسؤوليته عن الأمة والمجتمع، مما تحتاجه الأمة والمجتمع من أفرادها في تلبية حاجاتها، التي تحتاج إلى المال هنا وهناك؛ فلا بد أن يجعل هناك وقتاً لتنظيم حركته في تدبير رزقه، وتحصيل عيشه، بكلّ ما تفتح عليه قضية المعاش، مما يحتاجه في تلبية حاجاته ومسؤولياته المالية.

والقسم الثالث في كلمة الإمام عليّ ﷺ أن: ((يخلّي فيها بين نفسه وبين لذتها..))؛ لأنّ النفس - في حاجاتها الجسدية، أو في حاجاتها المعنوية - تتطلب من الإنسان أن يلبي هذه الحاجات التي تتصل باللذة، سواء كانت اللذة تتعلق بالأكل والشرب أو الجنس، أو تتعلق باللعب في كلّ الشؤون المحلّلة، كما في السباحة أو في الرياضة، وفي كلّ الأشياء التي يأخذ بها الناس مما تفتح النفس عليها، وطبعاً كلّ ذلك كما يقول الإمام ﷺ ((في غير محرّم)) أو ((في ما يحل ويجمل))، يعني في الأشياء المحلّلة التي لا تبتعد عن الأمور التي تكون في موقع الرغبة وفي موقع الرضا. فالمسألة هي أن الله أراد للإنسان أن لا يخلق حاجاته الذاتية، وأن لا يصادها، لأنّ هذه الحاجات تجدد نشاطه، وهي التي تعينه على القيام بواجباته أمام الله سبحانه وتعالى وواجباته أمام نفسه وواجباته أمام الناس. ولو فرضنا أنّ الإنسان شغل نفسه بالعبادة من الصباح حتى المساء، لما استطاع أن يحصل على ما يصلح به عيشه، ولو أنّ الإنسان استغرق وقته في ما يصلح به رزقه، فلا يبقى لديه وقت للعبادة، لأنه عندما يعطي كلّ جهده هنا وهناك، فإنه لا يملك الجهد على العمل الآخر، فلو أعطى كلّ جهده للعبادة، فإنه

لا يستطيع أن يبقي لنفسه جهداً في تحصيل الرزق، والعكس صحيح أيضاً، ولذلك لابد أن يعيش الإنسان للذاته المحللة، حتى تتفتح النفس وترتاح، وحتى تستجيب لجهد العبادة وجهد المعاش، ولذلك وردت هذه الفقرة في كلمة الإمام علي عليه السلام: ((فإنها عون على تينك الساعتين)).

ونقرأ - أيضاً - حديثاً يعيش في أجواء هذه الكلمة يقول فيه: ((رُوحوا القلوب ساعة بعد ساعة))، أي لا تكره قلبك، ولا تثقله، والقلب هو العقل كما بينا أكثر من مرة، رُوح عقلك ولا تجهده، لأنك إذا أجهدته يكلّ ويتعب، فلا يملك التفكير. وفي حديث آخر: ((فإن القلب إذا أكره عمي))، والقلب طبعاً هو العقل، فإذا أكرهته على التفكير، بحيث إنك جعلته يستغرق إلى أن يكلّ ويتعب، فإنه يعمى، فلا يفتح على أي فكر، ولا ينتج أي فكر..

وقد ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام: ((إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل))، أي إذا كان عقلك وقلبك مرتاحاً منفتحاً على العبادة، فصلّ النوافل والمستحبات، ((وإذا أدبرت)) فلم تكن منفتحة، بل كانت مغلقة نتيجة الجهد الذي تبذله والذي تحاصره الشبهات والمشاكل.

((فاقتصروا بها على الفرائض))، وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في بعض كلماته يقول: ((رأيت أبي. الإمام محمد الباقر عليه السلام. في الطواف وأنا شاب، أتصاب عرقاً، من شدة الجهد في الطواف، فقال: يا بني: إن الله يرضى منك بأقل من ذلك)) بأن تطوف براحة، ثم قال: ((إن هذا الدين متين)) أي محكم، ((فأوغل فيه برفق)) يعني لا تدخل فيه بعنف وقوة، بحيث تعنف على نفسك وعلى واقعك، لأن الشيء المتين والمحكم إذا دخلته بقوة وبغف فإنه ينكسر، ((ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك))، يعني إذا دخلت هذا الدين، بحيث أجهدت نفسك، وأجهدت عقلك، فإن نفسك - عندئذٍ - تبغض العبادة بعد ذلك، وتصير العبادة كأنها مجرد حركات لا معنى لها، ولا خشوع فيها، ثم قال له وهو يعطيه المثل: ((فإن المنبت))، وهو عبارة عن الذي يسير بدابته الليل والنهار، ولا يريحها، فتسقط في منتصف

الطريق، ((لا أرضاً قطع))، أي أنه لا يحقق هدفه في الوصول. ((ولا ظهراً أبقي))^(٤)، والظهر هو الدابة التي تركب على ظهرها، والتي لم تعد تتحمل من شدة الجهد الذي أصابها. فكأنه يقول له: إنك عندما تثقل نفسك وتحملها ما لا طاقة لها به، أو بما يجهدا، ويجعلها تبغض العبادة، فإنك لا تصل إلى النتائج التي تريدها من القيام بكل مسؤولياتك وكل عباداتك أمام الله سبحانه وتعالى، ولا تبقي على جسدك عندما تجهد وعندما تتعبه، وعندها لا تستطيع أن تكمل الطريق.

ونستوحي من هذا التقسيم للأوقات، أن على الإنسان أن يأخذ في حياته بتنظيم وقته، خصوصاً إذا تنوعت مسؤولياته، سواء المسؤوليات العبادية، أو المسؤوليات العائلية، أو المسؤوليات الاجتماعية، أو المسؤوليات العملية بالنسبة إلى الرزق والمعاش، وما إلى ذلك.. فلا يطفئ شيء على شيء؛ لأن الإنسان إذا لم ينظم وقته، فإن ذلك يؤدي إلى تقصيره في العمل..

وقد قال الإمام علي^{عليه السلام} في بعض كلماته، وهو يشير إلى هؤلاء الذين يقصرون في ما كُلفوا به من العمل: ((من قصر في العمل، ابتلي بالهم))، باعتبار أنه سيجعل هم ما قصر فيه، ثم تتضاعف هذه المسألة حسب طبيعة تنوع التقصير وتعدده.

وفي هذا الاتجاه، لابد لنا أن نربي أنفسنا على أساس أنه عندما يكون عندنا عمل في هذا اليوم - مثلاً - فعلياً أن لا نؤخره لليوم الثاني، لأن لليوم الثاني عمله.. ولذا ورد في بعض الكلمات المأثورة: ((لا تؤخر عمل الغد، إن لكل يوم عمله))، فإذا أخرت عمل اليوم لغد، فإنك سوف تنتقص وتقصّر من عمل الغد، باعتبار أن هذا الجهد الذي يجب عليك بذله اليوم، فإنك سوف تبدله غداً، ويأتيك جهد الغد. لذا فمسألة تنظيم العمل، هي مسألة حيوية في حياة الناس. وهذا الأمر ينطبق على الفرد وعلى المجتمع. وعليه، لا بد للمجتمع أن ينظم

أعماله ومسؤولياته في المجالات التي تحتاجها أهدافه ومصالحه.
وفي هذا المجال، يجب أن نقسم الأعمال على الأشخاص على طريقة (توزع الأدوار)، بمعنى أن كل شخص يقوم بعمل ما، ولا يحمل الشخص أكثر من طاقته في هذا المجال، وأيضاً أن لا يطفى عمل على عمل، سواء على مستوى المجتمع، أو على مستوى الدولة ... وعلينا أن نستوحي ذلك من النظام الكوني، فالله سبحانه وتعالى خلق لنا هذا الكون منظماً، بحيث وضع كل شيء في موضعه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٥).

العشرة من خلال العقل:

وهناك كلمة للإمام عليؑ أيضاً تتصل بالعقل العملي، والعقل العملي هو الذي ينطلق من العقل النظري، لأنّ العقل يفكر ويكتشف الحسن والقبيح، ويميز المصلحة من المفسدة، ثم يوجه الإنسان من خلال إدراكه لما يدركه عقله، لتحويل هذا الفكر إلى الجانب العملي في سلوكه وفي سيرته. فهناك مسألة يمكن لكل إنسان أن يفكر بها، وهي كيف يمكن أن نربح محبة المجتمع؟ وكيف يمكن أن ننفذ إلى داخله، سواء كان المجتمع صغيراً أو كبيراً؟ كيف يمكن أن ينفذ الزوج إلى قلب زوجته أو تنفذ الزوجة إلى قلب زوجها؟ كيف يمكن أن ينفذ الأب إلى قلوب أولاده أو ينفذ الأولاد إلى قلوب آبائهم وأمهاتهم؟ وهكذا..

هذا عندما تريد أن تنفذ إلى قلوب الناس ليجبوك، ولتتمكن من الانفتاح على كل القضايا التي تريدها في انفتاحك عليهم، إذ من الطبيعي جداً أن يعيش الإنسان تجاه الإنسان الآخر نوعاً من الحذر، سواء كان الحذر حذراً خفياً، أو كان حذراً بارزاً، لأنّ الإنسان لا يعرف ما الذي يحمله الإنسان الآخر في المنطقة الداخلية من ذاته تجاهه، ولذا فإن الإنسان يخاف من الأشياء الخفية التي يفكر بها الآخر، وهذا هو الذي ورد في بعض الكلمات، وهو ما تشير إليه كلمة الإمام

عليه السلام: ((قلوب الرجال وحشية))، والقلب كما قلنا يمثل منطقة الإحساس الداخلي من العقل والشعور، فالقلوب تستوحش وتعيش الحذر، والاستعداد لما يمكن أن يأتيها من الآخر، ((فمن تألفها أقبلت عليه))، فمن يعرف كيف يتألف قلوب الناس، ويجعلهم يثقون به ويحبونه من خلال حسن الكلمة، وحسن الأسلوب، وحسن المعاملة. فإن من الطبيعي أن تقبل عليه قلوب الناس؛ فإن كل إنسان مهما كان درجته، فإنه يتحرك بإنسانيته، والكلمة هي الرسول الذي ينطلق من قلب الإنسان إلى قلب الإنسان الآخر، وهكذا الأسلوب والمناخ والنظرة واللمسة، حتى ورد في بعض الأحاديث أن الإنسان إذا اختلف مع بعض أرحامه، فإن عليه أن يمسه، لأن ((الرحم إذا مُسَّتْ سكنت))، وكل هذه الوسائل تعبر عن التودد وعن المحبة، وعن السلام فيما بينك وبين الآخرين.

ويقول الإمام عليه السلام: ((التودد نصف العقل)) بمعنى أن العقل يتحرك في خطوط: فهناك خط في الجانب الفكري، وهناك خط آخر في الأمور التي تتصل بحركة الإنسان في نفسه مما يتصل بحياته الخاصة، وهناك خط آخر للعقل في اتجاه علاقة الإنسان بالآخرين. فإن العقل في إحياءاته الاجتماعية - إذا صحَّ التعبير - لن حوله، يريد للإنسان أن يريح عقول الناس وقلوبهم، وأن يريح حياة الناس في حياته، وذلك بأن يتودد إليهم، وأن يحسن معاملته معهم، ويحسن خطابه لهم، الأمر الذي يجعل الآخرين يشعرون أنه يدخل قلوبهم. وهذا ما ينبغي للإنسان أن يعيشه، حتى إن الإمام علياً عليه السلام عندما أراد أن يعطينا منهجاً عملياً في التعامل مع الآخرين، قال في بعض كلماته: ((عاتب أخاك بالإحسان إليه))، أي أن هناك نوعاً من العتاب مما يتحقق بالكلام، لماذا عملت كذا؟ لماذا قلت كذا؟ لماذا أسأت إلي؟ وهناك أسلوب آخر للعتاب، وهو أن تقدم له هدية، وهو قد أساء إليك، ((واردد شره بالإنعام عليه))، لأن هذا أفضل عتاب، فيشعر أنه أساء إليك وأنت تحسن إليه. وهكذا كانت كلمته: ((احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من

صدرك))، أي افتح قلبك للآخرين الذين أسأؤوا إليك، ومن الطبيعي أنك عندما تقتلع الشر من صدرك، فإن ذلك ينعكس على سلوكك وسيرتك معه، وبذلك فإنه يؤثر تأثيراً إيجابياً في الدخول إلى قلبه.

العقل والتخطيط للحياة:

وتتحرك بعض كلمات الإمام علي عليه السلام في اتجاه آخر، حيث يقول: ((إذا تم العقل نقص الكلام))^(٦)، يعني إذا كان الإنسان كاملاً في عقله، فإن ذلك سوف يترك تأثيره على كلماته، فلا يتكلم كثيراً، ولكن كيف نفهم ذلك؟ نفهم ذلك من خلال أن الإنسان إذا جمع كل عناصر الفكر في دراسة الأمور من جميع جوانبها، فإنه عندما يواجه أي فكرة فالعقل يقول له: لا تتطرق بكلمة إلا بعد أن تدرس كل امتداداتها في نتائجها الإيجابية والسلبية، فمن الطبيعي أن ذلك يستغرق في الإنسان وقتاً، ويدفعه إلى أن يتأنى في إطلاق كلامه، وإلى أن يبتعد كذلك عن اللغو والعبث والهذر الذي لا معنى له، أو عن الكلام الذي يتضمن نتائج سلبية على مستوى علاقاته بالله سبحانه وتعالى، وكل مسؤولياته في الحياة، مما يتصل بحياته الخاصة. ومن الطبيعي أن الإنسان الذي يتحرك على أساس التأمل والتدبر في الكلام، بحيث يعرف أول الكلام وآخره، وخلفية الكلام وامتداده، فإنه لابد أن يقل كلامه. أما إذا كان عقل الإنسان ناقصاً، فإن العقل الناقص ينظر إلى بعض الجوانب، ولا ينظر إلى بعض الجوانب الأخرى، فقد تغيب عنه حقائق الأشياء ونتائجها، فلا يملك أية ضوابط في إطلاق كلماته. ومن هنا، فإنه يتكلم باللغو تارةً، وبالهذر تارةً أخرى... وهذا أمر نواجهه في الكثير من الناس الذي يعيشون في نطاق حب الكلام، وشهوة الكلام، فيتكلمون، ويخطئون، ويملاون عقول الناس باللغو من الكلام، ما ينعكس سلباً على الإنسان نفسه في نظرة الناس إليه، وعلى الناس. أيضاً. في هذا الكلام الذي لا يحمل أية نتيجة

تغني العقل، بل يمكن أن يحمل نتائج تفقره، وتفقر حياة الإنسان..

ويبقى للإمام عليؑ الكثير من كلمات الحكمة في مسألة العقل، فهو مهما تحدث الإنسان عنه، فإنه لا يستطيع أن يحيط بكل جوانبه، ولذا رأينا الإسلام في كل نصوصه، في الكتاب والسنة النبوية الشريفة، يحدثنا عن العقل كعنصر قائد في كل جوانب الحياة، ويحذرنا من اللاعقل في أنفسنا، ومن اللاعقل في القيادات التي تسيطر علينا، لأن مسألة اللاعقل هي مسألة السقوط في أكثر من موقع في الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والموقع الأخطر هو في القضايا الفكرية والثقافية. ويبقى الحديث مع الإمام عليؑ، ويبقى الإمامؑ معنا، يفكر لنا، ويعطينا عقلاً من عقله، وروحاً من روحه.. لنكون مع الإمام عليؑ في مدى الحياة، على أساس أنه الإنسان الذي عرف الله سبحانه وتعالى، وعرف الرسولﷺ، وعرف الإسلام كله، ولذلك فإننا عندما نعيش مع الإمامؑ، فإننا نعيش مع الإسلام كله.

والحمد لله رب العالمين.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٣) غضب العاقل

إنّ عقل العاقل هو
الذي يحدّد له طبيعة
فصله في مواقع
الاتزان والاستقامة.

- ◆ غضب الجاهل وغضب العاقل
- ◆ عناصر الحكم
- ◆ تنمية العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

غضب الجاهل وغضب العاقل:

من الكلمات المروية عن الإمام علي عليه السلام قوله: ((غضب الجاهل في قوله،
وغضب العاقل في فعله)). هذه الكلمة تمثل رد فعل الجاهل على كل ما يؤدي إلى
الإثارة السلبية في نفسه، فيخرجه ذلك عن التوازن، فيطلق الكلمات بطريقة
عشوائية بأساليب السباب والكلمات الحادة، والأساليب الانفعالية التي قد تخلق
الكثير من المشاكل للشخص نفسه وللمجتمع من حوله، بفعل تأثيرها السلبي على
المشاعر الملهبة والأحاسيس الغنية، بما يثير الفتنة وينتهي إلى القتال، لأن
الجاهل لا يقدّر العواقب ولا يدرس النتائج، بل يندفع بانفعاله إلى التفتيس عن
مشاعره في حركة غريزية لا تملك أية ضوابط للتوازن والتماسك الفعلي.

أما العاقل، فإنه لا يسارع إلى أي رد فعل انفعالي، بل يبدأ بدراسة الموقف
من حيث خلفيات المشكلة المؤذية، ودراسة الشخص الذي حرّكه والظرف الذي
يحيط به، وطبيعة المصلحة والمفسدة في حركة المواجهة وأسلوب الحل، ليتعرف
على النتائج في خط السلب والإيجاب، لما يقوم به من العنف أو الرفق بما يرتبط
به وبالناس من حوله، وبما يتصل بمواقع رضا الله سبحانه وتعالى وسخطه، فقد
تنتهي به الدراسة الواعية الشاملة إلى الانتصار لنفسه بالرد العنيف في دائرة
العقاب، لأن ذلك يمثل المصلحة في ردع المعتدي عن التصرف المماثل لما قام به
ضده، على هدى الكلمة المأثورة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق:
((وأما حق من ساءك، فإن تعفو عنه، فإن رأيت أن العفو عنه يضره انتصرت))،

وربما ينتهي به الأمر إلى أسلوب آخر، وهو الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: ((عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه))^(١)، لأن ذلك قد يمثل أسلوباً تربوياً يحرّج المعتدي، ويثير في نفسه الإحساس بالخطأ الذي ارتكبه، ويردعه عن الشر الذي تحرّك به، لما يوحي به هذا السلوك الأخلاقي من المعتدى عليه بالقيمة الأخلاقية الاجتماعية التي توجهه إلى عدم استعمال قدرته على مقابلة الإساءة بالإساءة، أو ردّ الشرّ بالشرّ، بل إلى الردّ بالإحسان والإنعام الذي يصغّر المعتدي عند نفسه، ويشعره بالمهانة والحقارة في ذاته، لا سيّما أنّ المعتدى عليه لم يفعل ذلك من موقع الضعف، بل من موقع القوة. وقد يلجأ إلى كظم الغيظ، فيحبس غضبه في نفسه، ولا يفجّر في أقواله وأفعاله بما ينفس عن العقدة التي قد يخلقها العدوان في نفسه، طلباً لما عند الله سبحانه وتعالى الذي جعل الجنة للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، كما جاء في سورة آل عمران ﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وجاء عن رسول الله ﷺ: ((ما تجرّع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها لله ابتغاء وجهه))^(٣)، وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: ((من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة))^(٤)، بالإضافة إلى ما يتمثل به، في هذا السلوك، من قوة الإرادة، وحكمة التصرف، ومراقبة العواقب، وتفادي الشرّ، بما يرفع درجته عند الله وعند الناس الذين لا يرون فيه من خلال ذلك ضعفاً، بل قوة وعقلاً، على أساس الموازين القيمية في تقدير الأشخاص لديهم، وهذا هو الذي توحى به الكلمة المروية عن رسول الله ﷺ الذي أعطى القيمة العليا لمن يملك نفسه عند الغضب، فقد جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((مرّ رسول الله ﷺ يقوم يرفعون حجراً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نعرف

(١) نهج البلاغة، ك ١٥٠، ص ٨١٤.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ١٠٩، ح ١.

(٤) نفسه، ص ١١٠، ح ٧.

أشدنا وأقوانا، فقال: ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرج منه سخطه عن قول الحق، وإذا قدر لم يناط ليس بحق، وقال: ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب))^(٥).

إن العاقل هو الذي يقوده عقله في خط التوازن، ويسلك به طريق الحكمة، ويقف به عند مواقع السلامة، ويدفع به إلى العدل في الحكم، وإلى الإحسان في السلوك، وهذا هو ما توحى به الكلمة المأثورة: ((إن غضب العاقل في فعله)) باعتبار أن عقله هو الذي يحدد له طبيعة فعله في مواقع الاتزان والاستقامة، وهذا هو العقل العملي الذي ياتمر بأمر العقل النظري في حساباته الدقيقة للأمور.

عناصر الحكم:

ومن كلماته المروية عنه ﷺ: ((ظن الرجل قطعة من عقله))، وفي كلمة أخرى: ((ظن الإنسان ميزان عقله، وفعله أصدق شاهد على أصله))، وفي كلمة أخرى: ((ظن العاقل أصح من يقين الجاهل)). والظن هو ما يدور في نفس الإنسان من أفكار، أو ما يصدر من أحكام، وما يحدث له من انطباعات أو مشاعر تجاه الآخر، مما قد يغلب عليه طابع السلب، من خلال بعض النوازع النفسية أو بعض المظاهر الخارجية، وربما ينفث على جانب الإيجاب من خلال الأسس الثابتة التي يرتكز عليها في حكمه وتفكيره وانطباعه. والظن يمثل أدنى درجة من اليقين، لأنه يترك فرصة لاحتمال مخالف.. أما علاقة الظن بالعقل، فلأن ما يتعلق بالظن، يرتبط - غالباً - بالعقل، باعتبار أن الأشياء التي تثيره تنطلق من حركة عقله في تقديم الأمور وتركيز الأحكام وتكوين الانطباعات، فهو الذي يمنع الإنسان من كل ذلك، إذا رأى فيه ضعفاً في الحجة، أو خللاً في الملاحظة،

أو خطأً في التقويم، وربما يتّجه به إلى الوجه الآخر من البحث عن الموضوع على أساس الاحتمال الذي قد يقلب الظن من حالة السوء إلى حالة الحسن، بالبحث عن المعطيات التي قد تثبت المسألة في الاتجاه الآخر، لأنّ العدالة تفرض على الإنسان العادل . بحكم العقل . أن ينظر في الأمر من جميع الجوانب بعينين مفتوحتين، ولا يقتصر على جانب واحد . وذلك هو شأن الحاكم والمفكر الذي لا بد أن يستجمع عناصر حكمه وفكره، لا سيما المرتبط بالآخرين، مما قد يترك تأثيره عليهم سلباً أو إيجاباً .

ولعلّ هذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»^(٦)، حيث لا يتحرّك الإنسان بظنّه تلقائياً كما لو كان يقيناً، بل أنّ يبحث عن الأسس التي ارتكز عليها في ما أدى إلى هذا الظن، فربما كان هناك خطأ في النظرة والملاحظة والاستنتاج، أو عقدة نفسية تقوده إلى ذلك من خلال هوى النفس ونوازعها في السرعة إلى اتهام الآخرين وإسقاطهم. فجاءت هذه الآية لتوجه الإنسان إلى دراسة الظنون السلبية التي حدثت له أو التي تحدث لدى الناس، ليجد أن بعضها كان مجانباً للحق ومجانباً للعدل . ولعلّ هذا هو الذي أشار إليه أمير المؤمنينؑ في قوله: ((ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً))^(٧)، وذلك بإثارة احتمال الخير في مقابل احتمال السوء، في ملاحقته للعناصر الإيجابية التي يختزنها والأجواء التي تحيط به، وللشخص الذي صدرت منه هذه الكلمة في أخلاقه وكل سيرته، لأنّ الحقيقة قد تكمن في هذا الاحتمال الإيجابي، فلا بد من ملاحقته ودراسته بدقة ومسؤولية، حتى لا نظلم هذا الإنسان بما نظنه من كلمته من دون تحقيق وتدقيق..

(٦) الحجرات: ١٢.

(٧) نهج البلاغة . ك . ٣٥٠ . ص ٨٨.

وفي ضوء ذلك، نفهم أنّ الظن قطعة من عقل الإنسان، لأنّه يوحى بالمستوى العقلي في النظرة إلى الأمور، من حيث قيمة الفكر الذي يطلقه - ظناً أو يقيناً - من خلال ثقافته وذهنيته وعدالته واستقامته في الملاحظة والمحكمة، وربما كانت ظنون الإنسان تنطلق من تجربته في نفسه في تعامله مع الآخرين ونظراته إليهم، وهذا ما جاء عن الإمام علي عليه السلام في تصويره للرجل السوء، قال: ((الرجل السوء لا يظنُّ بأحد خيراً، لأنه لا يراه إلا بوصف نفسه))، وفي كلمة أخرى: ((الشرير لا يظنُّ بأحد خيراً، لأنه لا يراه إلا بطبع نفسه))، وفي كلمة أخرى: ((من ساءت ظنونه اعتقد الخيانة بمن لا يخونه))، وهكذا نلتقي بالكلمة الأخرى: ((ظن الإنسان ميزان عقله))، فإنه يكشف عن مستوى العقل في الفكر ضعفاً وقوة. والكلمة الأخرى: ((ظن العاقل أصحُّ من يقين الجاهل))، لأنّ العاقل يركز في ظنه على الأسس الثابتة الدقيقة في تفكيره بما يعمل إليه ظنه، بينما الجاهل يتسرع في أسباب اليقين، وقد يخطئ فيها، لأنها لا تنطلق من قاعدة.

ولابد أن نشير في نهاية المطاف إلى أن حسن الظن لا يعني أن يحكم الإنسان بالخير على من ظنَّ به لمجرد الاحتمال، بل أن لا يخضع لسوء الظن في حكمه عليه بالسوء، ولا يرتب الأثر عليه، بل يتابع المسألة بالدراسة العلمية لكل الاحتمالات.

تنمية العقل:

وفي كلمة أخرى: ((من ترك الاستماع من ذوي العقل مات عقله))، وهذه قاعدة فكرية لتنمية العقل وتأكيد حياته، لأنّ العقل يمثل طاقة منفتحة على عناصر التأمل وحركة التجربة، مما ينمّي قدرته على التحليل والاستنتاج والمحكمة والإبداع، ولكن ذلك لا يرتفع به إلى المستوى الأعلى إلا من خلال الاعتناء بتأمّلات ذوي العقول وتجاربهم في ما أخطأوا فيه وفي ما أصابوا، ليدفعه ذلك إلى إضافة تلك الأفكار والتجارب الذاتية، فيدخل في عملية مقارنة بينها وبين ما لديه، فقد يكتشف الخطأ لديه مما اعتقده صواباً، وقد يكتشف

الخطأ لدى الآخرين مما اعتبروه صواباً. ولهذا لا بد من الاستماع إلى الآخر، وأن لا يكتفي بفكره، بفعل اعتزازه بنفسه وثقته بفكره وتوهمه بأنه يملك الحقيقة المطلقة من خلال عبقريته، فتلك عبقرية لا أساس لها، وقوة لا معنى لها. لأنه إذا بقي في حالة إصرار لما عنده، فإن ذلك يؤدي إلى التعفن العقلي والسقوط الفكري والضعف العلمي، الأمر الذي يؤدي إلى موت العقل، بفعل افتقاده لما يغذيه وينمي حياته.

وفي كلمة أخرى: ((من جانب هواه صحَّ عقله))، حيث ينطلق الهوى من شهوة الذات، التي قد تجمع بالإنسان، فتحركه بفعل الحس الذي تثيره الحرارة في جسده، وبفعل الرغبة التي تدفع الطمع إلى ممارسته العامة والخاصة من دون أية حالة من الضبط والاعتزان والتفكير في النفع والضرر، والخير والشر، والحق والباطل، ما يجعل الإنسان في حالة من الاندفاع نحو غرائزه بما يشبه السكر العمياء، فيتجه إلى الهلاك وهو يظن أنه السلامة، ويأخذ بالضرر وهو يخيل إليه أنه النفع، فيسقط في مهاوي الحياة. وقد خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان عقلاً يزن به الأمور، وينظّم له الغرائز، فيقف بها عن الحاجة الطبيعية للحياة، ويبتعد بها عن الإسراف الذي يدمرها ويدمر الإنسان من خلالها، ويدفع به إلى قاعدة التوازن التي تميز له الخير من الشر، والنفع من الضرر، فإذا جانب هواه واتبع عقله صحَّ عقله، لأنّ الهوى مرض يفقد به العقل عافيته، وقد يؤدي به إلى الخلل أو الهلاك.

والحمد لله ربّ العالمين.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٤) غضب العاقل

لا بدّ للإنسان أن
يستحضر علمه ليملك
عقله وليبعث فيه القوة
الواعية التي تقهر
شهوته أو تنظّمها.

- ♦ صراع العقل والشهوة
- ♦ العجب تعطيل للعقل
- ♦ وضوح الرؤية وإصلاح النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

صراع العقل والشهوة

من كلمات الإمام علي عليه السلام: ((العقل والشهوة ضدان، ومؤيد العقل العلم، ومزين الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما. فأيهما قهر كانت في جانبه)).

إن هذه الكلمة تصوّر حالة الصراع النفسي بين العقل والشهوة في الأمور التي يدرك العقل فسادها أو صلاحها فيما هو الميزان لديه في التمييز بين المصلحة والمفسدة للإنسان مما يأخذ به أو يدعه، مقارنةً بالشهوة التي تثيرها غريزته ويهزها جسده وتتفتح عليها أحاسيسه... وهكذا يبدأ الصراع القوي في حركة الإرادة التي قد تقوى فتأخذ جانب العقل، وقد تضعف فتأخذ جانب الشهوة.

وتشير الكلمة إلى أن الثقافة التي يملكها الإنسان من خلال التأمل والتجربة والقراءة والسماع بما يكسب علماً، قد تؤيد العقل وتدعمه في مسألة الاختيار، لأنها توسع أفقه وتدله على مواطن الضرر والنفع والخير والشر، فتغلب خيار الإرادة في السير في خط العقل، أما الهوى الذي يطوف في النفس ويحرك فيها الإحساس الغريزي، ويثير فيها حرارة الشوق إلى اللذة الحسية، فإنه يدعم الشهوة ويدفع بها إلى الضغط المحرّم على الإنسان بما قد يؤدي به إلى الغفلة عن النتائج والعواقب في ما تقوده إليه الشهوة، فلا بد للإنسان أن يستحضر علمه ليملك عقله وليبعث فيه القوة الواعية التي تقهر شهوته أو تتظمها بما

يحقق لها التوازن في الحركة . وبهذا تتوازن حركة الروح والمادة والعقل والجسد ليتوازن الإنسان في حياته .

وفي كلمة أخرى - تسير في هذا الاتجاه . ((من عشق شيئاً أغشى بصره.. وأمراض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولّته عليها نفسه، فهو عبد لها، وليس في يديه شيء منها، حيث زالت زال إليها، وحيث أقبلت أقبل عليها..))^(١) . إنه يتحدث عن الشهوات عندما تخترق العقل وتتغلب عليه، فتمنع عنه وضوح الرؤية لحقائق الأمور، وتجذبه إلى ما تقوده إليه الشهوة انجذاب العاشق لمعشوقه، فلا يرى أمامه غيره في استغراقٍ أعمى، فيصاب بمرض الفكر، ويبصر من غير نور، ويسمع من دون وعي، في غفلة تائهة، فيخيل إليه أنه يملك شيئاً وهو لا يملكه، ويقبل ويُعرض من دون إرادة، بل هو مشدود إلى ذلك منجذب إليه في الإقبال والزوال.. وتلك هي قصة سيطرة الشهوة على العقل بما يصادره ويدخله في المتاهات التي لا تنتهي إلى شيء.

العجب تعطيل للعقل:

وفي كلمة أخرى: ((عجب المرء بنفسه أحدُ حسّاد عقله))^(٢) . ويجري في هذا المجرى قوله: ((إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله)) . إن هذه الكلمة - وما بعدها - تعالج علاقة العجب بالعقل من الناحية السلبية، من حيث تعطيله للقدرة العقلية على النمو والانفتاح على التأمل الدقيق المستمر في مختلف القضايا التي تتصل بالإنسان في حياته العامة والخاصة، وفي علاقته بالآخرين ممن تتصل أوضاعهم ومسؤولياته بأفكارهم، هذا بالإضافة إلى مواصلة التجربة المتحركة التي قد تتجدد وتتغير، فتكشف للإنسان مواقع الخطأ والصواب مما أخذ به أو تركه على أساس التطورات الحياتية التي قد تختلف فيها النظرة إلى

(١) نهج البلاغة . خ ١٠٨ . ص ٢٦٤ .

(٢) نفسه . ك ٢٠٢ . ص ٨٢٤ .

الأشياء مع الملاحقة لتجارب الآخرين، الأمر الذي يزيد الإنسان علماً ويقوّيه عقلاً ويحسن له التجربة.. ولا يتأتّى له ذلك إلا إذا عرف مواقع النقص في علمه والضعف في عقله. وهذا لا يحصل في حالة إعجاب الإنسان بنفسه، لأنه يتخيّل فيها الكمال والوصول إلى أعلى الدرجات، حتى إنه . في ثقته المطلقة بذاته . يرى الحسن قبيحاً ويرى القبيح حسناً، وينكر على الآخرين ما يتميزون به عليه من علم وعقل وواقعية، ولعلّ هذا هو الذي توحى به الآية الكريمة: «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً»^(٣) والآية الأخرى: «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»^(٤). وقد جاء عن علي عليه السلام في كلماته القصار: ((الإعجاب يمنع الازدياد))، لأنه يرى نفسه قد بلغ المستوى الذي لا حاجة به إلى الازدياد من العلم من جهده الذاتي ومن جهد الآخرين، وأنه قد بلغ الغرض الذي يطلبه، فلا مزيد عليه، متخيلاً أنه بلغ الكمال، ((وانه يطلب المزيد من يستشعر التقصير))، وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام: ((من أعجب بحسن حالته قصر عن حسن حيلته))، وعن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: ((العجب صارف عن طلب العلم، داع إلى الغمط والجهل))^(٥). ولعلّ مشكلة العجب في الإنسان، ظنّ الإنسان بنفسه استحقاق منزلة هو غير مستحقّ لها.

أمّا كيف يكون عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله، فلأنّ الحاسد هو الذي يحسدك على أيّ خير تصيبه، ويعمل على الحيلولة بينك وبينه ويتمنى زواله، والعجب يجمّد العقل ويشلّه ويمنعه من النموّ والتطوّر ومن كلّ خير يستفيد، فيحول بينه وبين السموّ والارتفاع إلى مستوى الإبداع واكتشاف الآفاق والأفكار الجديدة، فكأن شأنه شأن الحاسد مع المحسود.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

(٥) نهج البلاغة، ١٥٧، ص ٨١٥.

وهذا هو الذي يجعل الإعجاب الذاتي بالنفس دليلاً على ضعف العقل، لأن العقل القويّ الكامل هو الذي يقود صاحبه إلى الخير والنموّ والتحرك الدائم لبلوغ الدرجة العليا، ويدفعه إلى الازدياد من خلال تجربته الخاصة في العلم والعمل ودراسته لما أنتجه الآخرون من فكر وتجربة، بينما يجمّد العجب ذلك كله، ويقف به عند الموقع المحدود، فلا يتجاوزه إلى غيره بفعل إحياء العقل الناقص الذي لا يملك الحركة نحو الكمال.

وتتنوّع الكلمات المروية عن الإمام علي عليه السلام عن التأثير السلبي للعجب على الإنسان، فقد ورد عنه: ((من أعجب بفعله أصيب بعقله))، و((العجب يفسد العقل))، و((رضاكَ عن نفسك من فساد عقلك)) و((اتهموا عقولكم فإنه من الثقة بها يكون الخطأ))، و((إدراء الرجل على نفسه برهان رزاة عقله وعنوان وفور فضله، وإعجاب المرء بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله))^(٦).

أمّا معالجة العجب، فقد جاء بها نصوص الأئمة من أهل البيت عليه السلام، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: ((إذا زاد عجبك بما أنت فيه من سلطانك، فحدثت لك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله وقدرته بما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يلين من جماحك، ويكف عن غريك، ويفيء إليك بما عزب من عقلك))^(٧). وورد عنه: ((ما لابن آدم والعجب وأولّه نطفة مذرة، وآخره جيفة قدرة، وهو بين ذلك يحمل العذرة))، وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: ((سدّ سبيل العجب بمعرفة النفس))^(٨).

وضوح الرؤية وإصلاح النفس:

وهكذا نرى كيف تؤثر النوازع النفسية السلبية على مستوى العقل وحركته، من خلال التصرّو الخاطئ للذات وللآخرين، كما يعالج العقل القوي نقاط

(٦) نهج البلاغة. ك ٤٤٣. ص ٨٨٧.

(٧) نفسه. ك ٥٣. ص ٦٩٨.

(٨) الكافي. ج ٩. ص ٢٣٦. ح ٥٠.

الضعف في نظرة الإنسان إلى نفسه وتحليله لها، في عملية تقويم تضع الأمور في مواضعها، وتدفع الإنسان إلى اكتشاف مواقع الإحساس بالنقص ما يوحي إليها بالسير في طريق الكمال في تصاعد قيمي وعلمي.

ومن كلمات الإمام علي عليه السلام: ((أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه، فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ظن)). إنَّ للعقل آفاقاً واسعة في إدراك الحقائق ومعرفة الأشياء، مما يفتح على الحياة والناس، ويحيط بالإنسان من ظروف وأوضاع، ما يغني ثقافة الإنسان ووعيه للأشياء، ولكن ذلك كله يجعله مربوطاً بالخارج، منفتحاً عليه في الصورة التي يرسمها للواقع كله في تنوعاته العامة والخاصة، ولكن تبقى معرفة النفس هي الأساس في الثقافة في وعي الذات لنفسها، من حيث عناصرها في الأجهزة الفاعلة المتحركة في الجسد التي تقيم للإنسان حياته، وتنتج له طاقاته في الفكر والحس والشعور والحركة، للوصول إلى الأهداف الكبيرة والصغيرة. وفي قمة ذلك العقل الذي يفتح بالإنسان على إنسانيته وإنسانية الآخرين وعلى كل امتداد المسؤولية بعد انفتاحه على الله الذي خلق ذلك كله بما أبدعه من تكامل الروح والجسد، والعقل والعاطفة، وبما آلهم كل نفس هداها، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإنَّ معرفة النفس في أبعادها النفسية والفكرية والحركية، توحى للإنسان بالخطط العملية التي تربطه بالآخرين في طريقة التعامل، وفي أسلوب الحوار، وفي اتخاذ الموقف، لأن علاقات الذات بالخارج ترتبط بالعناصر الكامنة في داخلها باعتبار أن الخارج يمثل صورة الداخل، فإذا كان الإنسان يتمثل وضوح الرؤية لما يملكه من العناصر الحية من تكوينه الذاتي وفي نظرته إلى الواقع، فإنه يتحرك من خلال هذا الوضوح في اتجاه سليم، لأنه يريه الحسن حسناً ويوحى له باتباعه، ويريه القبيح قبيحاً وينهاه عن ممارسته، فتستقيم له الأمور وتتوازن أمامه الأشياء، وترتبط لديه النهايات بالبدايات في سلبياتها وإيجابياتها، وبذلك ترتفع لديه المعرفة بالله من خلال معرفته بالإبداع

في خلقه وتكوينه، فيجد الله عنده، بل يدخل معه في عمق الوجود المعرفي العميق الممتد في مواقع العظمة في أسرار الخلق ومواقع النعمة في حاجات الحياة. ولعل هذا هو ما توحى به الكلمة الماثورة: ((من عرف نفسه عرف ربه))^(٩)، والآية القرآنية المعبرة عن الترابط بين منطقة الحس الداخلي والحركة الخارجية، وهي قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾^(١٠)، والتي تلحظها الكلمة الموحية: (غير نفسك تغير الواقع، غير نفسك تغير التاريخ).

والحمد لله رب العالمين.

(٩) البحار. ج ٢. ص ٣٢. ح ٢٢. ب ٩.

(١٠) الأنفال: ٥٣.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٥) عقل التجربة

التجربة هي حركتك في
الواقع، وفي ذاتك، فيما
تربح وفيما تخسر
وحركتك مع الآخرين
في عقولهم.

- ♦ عقلنة التفكير
- ♦ تجربة الفكر
- ♦ العقل مُمَوَّن الحياة
- ♦ من التأمل إلى التجربة
- ♦ التجربة أبداً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

عقلنة التفكير:

ونبقى مع علي عليه السلام في موضوع العقل، ونحن . كعالم إسلامي . بحاجة، في
هذه المرحلة، إلى العقل، العقل الذي يفكر بعمق من أجل أن يفهم الإسلام، في
عقيدته وشريعته، وفي منهجه وحركته، كدين يريد للإنسان أن يحيى، لا جسداً
فحسب، بل جسداً وروحاً، منهجاً وحركة، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١)، وأن يواجه الواقع، كل الواقع،
سواء واقع المسلمين في الدائرة الإسلامية، أو واقع القوى العالمية التي تتحدى
المسلمين في ثقافتهم واقتصادهم وسياساتهم وأمنهم، في التحالف بين قوى
الاستكبار وقوى الكفر؛ التي ترى في الإسلام خطراً على أفكارها وامتيازاتها
ومواقفها . لذلك لابد من عقل يتحرك في الدائرة الإسلامية، ليعرف كل مسلم،
مهما اختلف مذهبه عن المسلمين الآخرين، أنه لا يحلّ له دم المسلم ولا ماله ولا
عرضه، وذلك كما ورد في آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ في (منى) عندما
قال: ((إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ريكم كحرمة يومكم هذا...))،
وهو يوم (النحر)، ((في بلدكم هذا...))، في (منى)، ((في شهركم هذا...)) وهو
الشهر الحرام، ((فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض))^(٢) .

إن على المسلمين جميعاً أن يفهموا أن كل اجتهاد يبيح لمسلم أن يقتل مسلماً
من دون حق مما جعله الله من الحق في كتابه وسنة نبيه هو اجتهاد خاطئ،
يحاسب الله صاحبه على أنه لم يبذل الجهد في فهم الأسس التي يركز عليها

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) الكافي . ج ٧ . ص ٢٧٣ . ح ١٢ .

الجهاد. إن على المسلمين، مهما اختلفت مذاهبهم، أن يشعروا بأنّ عليهم أمام التحديات الاستكبارية أن يحمي بعضهم بعضاً، وأنّ ينصر بعضهم بعضاً، وأنّ الاستكبار مهما كان شكله، ومهما كان لونه، سواء كان استكباراً خفياً أو استكباراً ظاهرياً، فإنه يمثل الشرّ كله في كل خططه؛ لأنه يعمل من أجل أن يجعل اقتصادنا على هامش اقتصاده، وسياستنا على هامش سياسته، وأمننا على هامش أمنه. أيها المسلمون، أيها المستضعفون، لا تحذقوا في الدوائر الضيقة؛ لأنّ المسألة - في كلّ مشاكلنا - تكمن في ما يُخطّط في الدوائر الكبيرة في الخارج، في ما تمثّله قوى الاستكبار العالمي. لا تنظروا إلى الأمور من السطح، بل انظروا إلى عمقها؛ لأنّ السطح قد يجذب الأنظار في ما يزخره الآخرون، ولكن العمق هو الذي يعرفنا كيف يخططون لنا هنا وهناك. إن علينا أن لا تغرينا كلّ البسمات، وكلّ الكلمات الخادعة، وأن ننظر إلى الواقع الذي نعيشه. ونحن نقول: إن هذا التطرّف الذي يسمّيه البعض التطرف الإسلامي أيّاً كان، ولأيّ مذهب انتمى، وفي أي موقع إسلامي؛ هذا التطرّف ليس من الإسلام في شيء إذا كان هو الذي يسفك دماء المسلمين، ويعمل على أن يفرّقهم ويشتّت شملهم.

إننا ندعو إلى العقلنة؛ عقلنة التفكير الديني، وعقلنة التفكير السياسي، وعقلنة التفكير الاجتماعي. ولكن المشكلة هي أن الإعلام، والخطوط المخابراتية تحاول أن تنقلنا من انفعال إلى انفعال، ومن حماس إلى حماس، ومن أوضاع حارة إلى أوضاع حارة. أيها الأحبة: مهما كانت حرارة الألم، ومهما كانت حرارة المأساة، ومهما كانت حرارة الواقع، إننا بحاجة إلى العقل البارد؛ في العراق، في فلسطين، في باكستان، في الهند، في إيران، في أي بلد من بلداننا، أن نفكّر بعقل يحسب الحسابات بشكل دقيق، حتى ونحن نواجه الاستكبار العالمي؛ لأن الاستكبار يخطط، وعلينا أن نعمل على أن نوّكد العقل في مواجهته.

أيها الأحبة: هذه المأساة التي عشناها في (عاشوراء)^(٣) لا بد لنا من أن ندرسها كتجربة، وأن نستطّق تلك التجربة، ونعرف كيف نتعامل معها؛ لأنها في

(٣) إشارة إلى المجزرة الوحشية التي سقط فيها الكثير من الزوار والمحتفلين بالذكرى الحسينية في كربلاء والكاظمية في العراق يوم ١٠ محرم ١٤٢٥ هـ. (المعدّ)

الواقع العراقي، وفي كل واقع عربي أو إسلامي، تحرق المصير وتجعل الآخرين يدخلون إلينا من كل باب، وأن نعض على الجراح، وأن نفكر كيف يمكن لنا أن نخرج كل الذين صنعوا المأساة، على هدى قوله تعالى: «إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»، إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»^(٥).

تجربة الفكر:

ونبقى مع علي عليه السلام العقل، والإمام علي عليه السلام هو العقل الذي لا يزال ينطق للأجيال كلها؛ لأنه عقل الإنسانية كلها، في عقلنة الروح، وعقلنة الفكر، وعقلنة الحركة في الحياة.

لنأت إلى الإمام علي عليه السلام، ونحن لا نزال في حديثنا عن العقل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وفي تراث الأئمة من أهل البيت عليه السلام الذي هو امتداد لكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

فمن كلمات الإمام علي عليه السلام المروية عنه قوله: ((العقل عقلان: عقل الطبع، وعقل التجربة)). إنه يريد أن ينفذ إلى أصالة الإنسان في ما يختزن في داخله من العقل، تلك الطاقة التي تنفتح بالفطرة على أوليات الفكر الإنساني، وتنطلق إلى عقل ينفتح على الواقع ليأخذ من الواقع فكراً. هناك العقل الداخلي الذي يحمل بعض المفردات العلمية - كما يتحدث الفلاسفة - عن الأوليات البديهية، مثل (النقيضان لا يجتمعان)، و(الضدان لا يجتمعان)، والفطرة التي تنفتح على التوحيد، وما إلى ذلك.. وهذا العقل هو عقل الفطرة، ويعبر عنه الإمام عليه السلام بـ(عقل الطبع) الذي ينطلق إليه طبع الإنسان عندما ينفتح على أن يفكر بحيث تكون لديه قابلية التفكير، أي أنه يدرك أوليات الفكر، التي تمون الفكر المنطقي المتحرك وحتى التجريبي.

أما العقل الثاني، فهو الذي يتحرك من خلال التجربة، والتجربة هي

(٤) النساء: ١٠٤.

(٥) آل عمران: ١٤٠.

حركتك في الواقع، في ذاتيتك: في ما تربح وفي ما تخسر، في ما تنجح وفي ما تفشل، في ما تتصر وفي ما تهزم، في ما ترتفع وفي ما تنحط.. هي حركتك مع الآخرين الذين يملكون عقولاً كعقلك، لتعيش هذه الحركة في عملية التفاعل بين ما يملكون من فكر وما تملك من فكر؛ لأنّ على الإنسان أن لا يرفض الاستماع لأي فكر؛ لأنّ أيّ فكر من الأفكار سواءً كانت أفكاراً ملائمة أو غير ملائمة، فيها بعض العناصر التي قد تخدم فكرك أو تخدم حياتك.. اسمع من كل أحد ما ينطق به فكره، ثم بعد أن تستوعب فكره، وتضمه إلى فكرك، ادخل في تجربة الحوار، حوار الفكر مع الفكر، فربما تقتنع أن أفكارهم هي الصواب، وأن أفكارك هي الخطأ. أو أنّ أفكارك هي الصواب وأفكارهم هي الخطأ. لن تستطيع أن تغتني بتجربة الفكر لمجرد أن تحدّق بفكرك، ولكن أن تحدّق بكل الأفكار لتنفذ إليها، ولتعمل على أن تدرس نقاط ضعفها ونقاط قوتها، مقارنةً مع نقاط الضعف في فكرك ونقاط القوة فيه.

وهكذا، عندما تعيش التجربة الاجتماعية مع الآخرين، حيث تلتقي حاجاتك بحاجاتهم، وأوضاعك بأوضاعهم، وسلبياتك وإيجابياتك بسلبياتهم وإيجابياتهم، لتأخذ من ذلك تجربةً تعطيك فكراً ينطلق من الواقع، فيغنيك ويغير الكثير من حياتك.

ثم تجربتك مع الحياة كلّها، تلك الحياة التي تفتح لك آفاق الكون من أجل أن تكتشف أسرارها، وتفتح لك آفاق الواقع الإنساني كلّ، في كل تجاربه السياسية والأمنية والاقتصادية، وغير ذلك.. لتدرس طبيعة كل هذه التجارب لتضمها إلى ما لديك، لتمنحك عقلاً يتجسد الواقع فيه، كما إن الله وهبك في فطرتك عقلاً تتجسد الفطرة فيه، ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: ((...وكلاهما . أي عقل الطبع وعقل التجربة . يؤدي المنفعة)).. إنك تنفتح بفطرتك التي هي العقل الذي تخترنه إنسانيتك في طبيعة وجودك، وبالتجربة التي تأخذها من خلال حركتك عندما تحدّق في الواقع كله مع الآخر ومع الكون ومع حركة الحياة.

العقل مُمَوَّن الحياة:

وفي كلمة أخرى للإمام علي عليه السلام يقول فيها: ((العقل غريزة ..)) ومعنى

الغريزة، في ما نفهمه، الطاقة التي تحفظ لك حياتك في عناصرها المتنوعة وحاجاتها الحيوية، لأن كل غرائزنا، سواء كانت الغرائز التي تمتد في حياتنا الحسية، أو الغرائز التي تتمثل في حياتنا الفكرية أو الإنسانية، هي التي تمون الحياة، ولعلّ فقدان أية غريزة يصيب الحياة بالنقص والخلل، ولكن هذه الغرائز تمثل طاقةً تفتح كل ما فيها من عناصر لتستقبل كل الإثارات وتستقبل كل الغذاء الذي تمون به، وتنمو من خلاله في حركتها في داخل الإنسان، لذلك يقول الإمام علي^{عليه السلام}: ((تزيد بالعلم والتجارب)) يعني أن عقلك صفحة بيضاء، ولكنها تماماً كالأرض الصالحة للزراعة، إنها تستقبل البذور وتشرب الماء الذي يغذي هذه البذور، لتنتج الشجرة المثمرة، فالعقل يستقبل العلم بكل ما أعطاه الإنسان من أسباب العلم ومفرداته. ومن خلال ذلك، نعرف أن الإمام^{عليه السلام} لم يحدد علماً؛ لأنّ المسألة هي في الغنى الإنساني، إذ ليس أمام العقل حاجز، فالله سبحانه وتعالى جعل العقل حراً وقال للإنسان: مارس حريتك، ولكن مارس مسؤولياتك في هذه الحرية، فكّر كما تريد، ولكن تحمّل مسؤولية ما تفكر به، فالعلم بكل ألوانه وبكل أسبابه وبكل موارده ومصادره، يمثّل العنصر الذي ينمي عقلك، وينمي هذه الغريزة لتكبر هذه الطاقة. وباعتبار أن التجربة هي حركة تنتج فكراً، وربما يلتقي العلم بالتجربة، فالتجربة تصنع علماً، والعلم يوحى إلى التجربة أن تتحرك أمام علامة الاستفهام هذه أو تلك، وأمام هذه الثغرة هنا وتلك الثغرة هناك.

وهكذا يريد الإمام^{عليه السلام} أن يقول للمسلمين: إذا أردتم أن تكونوا الأمة القوية الفاعلة المنطلقة، كونوا عقلاء، كونوا عقلاً، كونوا علماً، وكونوا تجربةً. وكما أشرنا في أحاديثنا السابقة، أن هذه هي قيمة الإسلام من خلال كلام الله سبحانه وتعالى، حيث إنّ الإسلام كشف للإنسان أنّ مصدر المعرفة ينطلق من دائرتين: دائرة التأمل النظري، ودائرة التجربة. والتجربة إنما تتسع وتمتد من خلال التأمل، والتأمل إنما يفتح من خلال ما طرحه التجربة أمامه من أسئلة ومن علامات الاستفهام.

من التأمل إلى التجربة:

لندرس كيف تحدث الإمام علي^{عليه السلام} عن التجربة في حركتها في الواقع

الإنساني. من كلماته ﷺ: ((الأمور بالتجربة ..)) في الحياة كلها، في أمورك الخاصة، في بيتك، مع عائلتك، أمورك في علاقاتك مع الناس، علاقتك مع الحياة، كأنه يريد أن يقول لنا: إن الحياة تجربة، فكن الإنسان الذي يأخذ بأسباب التجربة، ولا تحاول أن تطرح الأحكام بشكل تجريدي، فتقول: هذا مستحيل، أو هذا صعب، بل عليك أن تجرب، ولا تقل: إن هذا مما لا طاقة لي به، لأن التجربة هي التي تعطيك واقعية الإمكان والاستحالة؛ لأن كل شيء ممكن في النظرة التجريدية، كما قال (ابن سينا): ((كل ما قرع سمعك فذره في بقعة الإمكان حتى يذودك عنه واضح البرهان))، ولكن عندما تريد أن تكتشف أن هذا الشيء الممكن نظرياً يحمل عناصر الثبوت عملياً، فعليك أن تدخل في التجربة. وهناك الكثير من الناس عندما تطرح عليه مشروعاً أو خطأ معيناً أو مسؤولية ما يبادر فيقول لك: لا، لا أقدر. من قال لك إنك لا تقدر؟ إنك لم تجرب، لم تجرب المسؤولية، ولم تجرب الحركة، ولم تجرب كل خطوط المشروع الذي يطلب منك، والتجربة هي التي تعطيك الصورة الحقيقية عن الواقع عندما تستكمل كل العناصر التي تؤدي بك إلى الصواب.

((والأعمال بالخبرة ..)) فعندما تريد أن تنطلق في أي عمل، فعليك أن تمتلك خبرة العمل، فلا تتحرك في العمل من موقع الجهل، أو من موقع الغفلة، بل من موقع الخبرة. واجعل عملك مدرسة تأخذ منها خبرة جديدة.

ويقول الإمام علي عليه السلام: في ما يُروى عنه: ((كل نجدة تحتاج إلى عقل ..)) أي عندما تريد أن تتجد إنساناً أو تنصره، فلا بد لك من أن تفكر في طبيعة النجدة، هل هي ضرورية أو غير ضرورية؟ هل تخدم مبادئك أو لا تخدمها؟ هل هي تغني إنسانيتك أو لا تغنيها؟ لابد أن يكون لك عقل يفكر في هذه النجدة: نجدة الإنسان، نجدة الوطن، نجدة المشروع، وما إلى ذلك.. أن لا تندفع عاطفياً، بل أن تندفع عقلياً، ليدرس عقلك واقعية هذه النجدة.

((وكل معونة تحتاج إلى تجارب)).. عندما تريد أن تعاون إنساناً في أي شيء من الأشياء التي تتعلق بحياته، فلا بد لك من أن تملك التجربة التي تستطيع من خلالها أن تخوض هذه المعونة أو تركّزها.

التجربة أبدأ:

وفي كلمة أخرى للإمام علي عليه السلام لعلها توحى بما تحدثنا عنه: ((التجارب علم مستفاد))، يعني أن التجارب هي مصدر للعلم، ومصدر للمعرفة. ونحن نعرف أيها الأحبة، أن كل ما اكتشفه الإنسان في عالم الفضاء، وكل ما اكتشفه الإنسان في علم الطب، والهندسة، والكيمياء والفيزياء، وكل الطبيعيات. إنما اكتشفه بالتجربة. وربما تقودك التجربة الى النتيجة بالصدفة، وهذا ما يفرض علينا أن لا نياس من التجربة؛ لأنّ فشل ألف تجربة لا يعني فشل الفكرة، فلنجرب الواحدة بعد الألف، ولعلنا في ما نقرأ من كثير من حقائق الدواء وحقائق الداء، أن العلماء قد يقضون سنين كثيرة يجربون ويفشلون، ويجربون ويفشلون، وربما ينجحون في نهاية المطاف إما بالصدفة، وإما بسلامة التجربة. ((والأيام تفيض التجارب...)).. إن هذه الأيام التي تتحرك في عمرك، والتي تحكم حياتك من خلال هذه الدقائق والثواني والساعات، مملوءة بالتجربة. ونحن نفهم من هذه الكلمة، أنّ عليك وأنت تجرّب في وسائلك في البيت، في إدارة شؤونك وعلاقاتك العائلية، وفي إدارة أوضاعك مع الناس، وفي إدارة مشاريعك في الحياة.. عندما تتحرك أعمالك وتجاربك في أيامك، عليك أن تكون واعياً للتجربة؛ لأن الكثيرين من الناس يدخلون التجربة، ولكنهم لا يفكرون فيها، لا يأخذون النتائج منها، بل يجربون وهم غافلون، ولذلك لا يستفيدون من التجربة شيئاً. الإمام علي عليه السلام يوحى من خلال هذه الكلمة أنّ الأيام تحمل إليك التجارب، وعليك أن تعرف كيف تحملها في وعيك وفي عقلك، كما حملتها في ممارستك في الحياة.

ويقول الإمام علي عليه السلام: ((لا تقدمن على أمر حتى تخبره...))، إذا أردت أن تدخل في أي أمر، وفي أي مشروع، وفي أي وضع، فعليك - عندما تدخل فيه - أن تمتلك الخبرة فيه؛ لأنّ الذي يدخل في أي أمر أو عمل لا يملك فيه الخبرة من خلال التجارب أو من خلال ما يحمل من فكر، فإنه لا بد أن يتخبط عند دخوله هذا الأمر أو العمل..

وفي وصيته لابنه الحسن عليه السلام التي توحى إليه بأن عليه أن يستفيد من تجارب الآخرين كما يستفيد من تجربته، يقول عليه السلام: ((فبادرتك بالأدب...)) بالتعليم

وبالتثقيف، وأنت غضٌ طريٌّ تنفتح على كل ما تتعلمه، ((قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك)) يعني قبل أن يشتدَّ عودك ويقسو قلبك، والمقصود من القلب هنا العقل، فلا يعود يتقبل شيئاً إلا بصعوبة، ((لستقبل بجد رأيك من الأمر)) إنما أعطيك علوم الماضين وتجاربهم لستقبل بجد رأيك لا بالمحاكاة، لكن ليكون رأيك بالجد لا بغيره، ((ما قد كفاك أهل التجارب بُغيته وتجربته..))؛ لأنهم جربوا وتركوا لك نتائج تجربتهم، فكفوك مهمة التجربة، فقد تعبوا وقدموا لك نتائجها، ((فتكون قد كُفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة)) من خلال الثقافة التي تحملها لك تجارب الآخرين.

ويقول ﷺ: ((ثمرة التجربة حُسن الاختيار))، فعندما تجرب وتتحرك في تجاربك، لمعرفة الواقع بحقيقته، فإن ثمرة التجربة هي أنك إذا أردت أن تختار موقعاً، أو مشروعاً، فإنك تعرف كيف تختاره.

ويقول الإمام علي ﷺ: ((من قلت تجربته خُدع))، أي إن الإنسان الذي تقل تجربته، هو إنسان مهياً لأنْ يخدعه الآخرون، باعتبار أن نظرتَه للحياة وإلى الناس من حوله ستكون نظرة ساذجة، ليس فيها أي عمق. وهكذا يقول الإمام ﷺ: ((من كثرت تجربته قلت غرته))، أي إن الإنسان الذي تكاثرت تجربته، فلن يغرّه أي أحد هنا وهناك.

ويقول ﷺ: ((كفى بالتجارب مؤدباً))^(١)، أي معلماً، التجارب لا تنقضي، فلتكن حياتك تجربة، والعقل منها في زيادة، كلما زاد عمره، زادت تجربته.

أيها الأحبة: هذا علي ﷺ، فأين نحن من علي ﷺ؟ علي العقل ونحن العاطفة! علي الفكر ونحن الوهم! علي التجربة ونحن الاندفاع! مشكلة علي مع الذين يعتبرون أنفسهم شيعته أنهم كانوا لا يفهمونه في حياته، ومشكلته معنا أننا لا نفهمه بعد انتقاله إلى رحاب الله. هل تريدون أن تفهموا علياً؟ لا تفهموا علياً في سيفه وإن كان سيفه قد انطلق من أجل الإسلام، ولكن افهموا علياً في عقله، في موقفه، في إخلاصه، في جهاده، هذا هو خط علي ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٦) حسن التدبير

التدبير هو أن تتحرك
في ما تخلقه أو تصنعه
أو تنظمه على أساس
تخطيط دقيق يضع كل
شيء في موضعه.

- ♦ المدبر الأول
- ♦ تدبير السوء
- ♦ تداخل الأمور
- ♦ الجهل والعصبية
- ♦ مواجهة الفتنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

من كلمات الإمام علي عليه السلام في العقل، وفي حركته في حياة الإنسان يقول: ((لا عقل كالتدبير))^(١)، أي إن أدلّ شيء على غزارة العقل هو حسن التدبير. وكلمة التدبير هي من الكلمات الشاملة؛ لأنّ التدبير هو أن تتحرّك في ما تخلقه أو تصنعه أو تنظمه على أساس تخطيط دقيق يضع كل شيء في موضعه، بما يحقق الهدف الذي تريده من خلال صنع هذا الشيء، أو من خلال خلقه أو تحريكه في الحياة، بحيث إنك - في ما توحيه هذه الكلمة - تدرس كل عناصر هذا الشيء، وكل ما يحيط به، وكل ما يصدر عنه، وتعمل على أساس أن تجمع ذلك كلّ في داخلك، لتحصل على النتائج الإيجابية بشكل محكم متقن دقيق.

المدبر الأول:

والله سبحانه وتعالى هو المدبر الأول؛ وقد تحدّث الإمام علي عليه السلام عن تدبيره سبحانه في الكون ببعض الكلمات، فقال: ((قدّر ما خلق فأحكم تقديره...))، يعني: عندما قدّر للأشياء مواقعها وخلق لها قوانينها، فإنه أحكم تقديره للأشياء، بحيث لا يختلّ منها شيء، وهذا ما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(٣).

(١) نهج البلاغة. لث. ١٠٨. ص ٧٩٧.

(٢) الطلاق: ٣.

(٣) الملك: ٣.

((ودبره))، يعني دبر هذه الأشياء التي خلقها من خلال التخطيط لكل ما تشتمل عليه من العناصر الحيوية التي تحكم وجود الشيء، ((فالطيف تدبيره))، بمعنى جعله لطيفاً في ما يحققه وفي ما يوحي به، ((ووجهه لوجهته))، يعني أن الله وجه ما قدره وخلق له للوجهة التي أراد له أن يبلغها وأن يحققها، كناية عن الهدف الذي يريد أن تبلغه هذه الأشياء التي خلقها، ((فلم يتعد حدود منزلته))، أي أبقى هذه الأشياء في المنزلة التي أنزلها الله تعالى بها، ((ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته))، بحيث يتحرك ليصل إلى الغاية التي أراد الله سبحانه وتعالى له أن يصل إليها، قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١). وخلاصة كلمة الإمام علي عليه السلام حول هذا التدبير الإلهي للخلق، تركز حول مسألة القوانين التي أبدعها الله في الكون كله، فليس هناك شيء في الكون لا قانون له، وليس هناك شيء في الكون يتحرك بالصدفة، حتى إن الصدفة عندما تحدث في الحركة الإنسانية، فإنها تخضع لقانون في حركة الإنسان. لذلك فإن مسألة الكون هي تدبير إلهي لكل ظواهره، وهذا ما أدركه العلماء المختصون، حتى الذين لا ينتمون إلى الأديان - بالمعنى الإيماني للانتماء .. فهم عندما يفكرون في كل الكون، فإنهم يختزنون في داخل تفكيرهم، أن كل شيء له سرّ وعليهم أن يكتشفوا سرّه، وهذا ما تحرّك به العلماء في اكتشاف الأمراض، ومن ثم اكتشاف الدواء للشفاء من الأمراض، وهذا ما تحركوا به في اكتشاف أسرار الأشياء، وقوانين الطبيعة، وآفاق الفضاء، وآفاق الكواكب... إنهم يختزنون في داخل تفكيرهم العلمي أن هناك سرّاً.. هل في كوكب المريخ حياة أو ليس هناك حياة؟ ماذا في الكواكب الأخرى؟ ما هي المسافات التي تقودنا إلى هذه الكواكب؟ ما سرّ أعماق الأرض؟ ما سرّ الزلازل؟ ما سرّ البراكين؟ ما سرّ الفيضانات؟ ما سرّ العواصف؟ .. إنهم يعتبرون أن هناك في كل ظاهرة كونية قانوناً يحكمها، وأنه ليس هناك أية فوضى في داخل أي

قانون.

ونقرأ في كلمة الإمام علي عليه السلام في (نهج البلاغة) عن الدنيا، فيقول بعد أن يتحدث عن الحالة التي تنتهي إليها الدنيا في فنائها، ويتحدث عن أن الله سبحانه لا يفنيها لراحة يحتاج إليها، ولا لتعب ولا لأية حاجة، بل لأن حكمته اقتضت ذلك، ثم يقول: ((لكنه سبحانه دبّر لها بلطفه))، بمعنى دبّر الدنيا في كلّ ما فيها من عوالم حية أو جامدة أو نامية، من حيوان أو إنسان أو نبات وغيرها، فإنك عندما تدرس مسارها، فإنك تجد أن لكل ظاهرة من هذه الظواهر، مساراً معيناً تحكمه القوانين، والله سبحانه وتعالى حدثنا عن سُننه في الكون، مما يُعرف بالسُنن الكونية، أو سننه في حياة الإنسان بما يعرف بالسُنن التاريخية، كما إننا نعرف - من خلال العلماء - سنن الله تعالى في الحيوانات، بل في نظام الحيوانات أيضاً، في حياتها، وفي لغاتها، حيث تحدّث الله سبحانه وتعالى عنها بقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾^(٥). فالله سبحانه وتعالى دبّر لها بلطفه، فجعل لكل ظاهرة حية أو نامية أو جامدة فيها، قانوناً يحكمها، ويدبّر حركتها وأمرها ووجودها، ((وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته))، فالله هو المهيمن عليها، لأنه المهيمن على الأمر كلّ.

تدبير السوء:

وفي سياق الحديث عن التدبير، يتحدّث الإمام علي عليه السلام في (نهج البلاغة) عن ظاهرة إنسانية تتحرك بنتائج سلبية في حياة الإنسان، وهي ظاهرة الفتنة.. من الذي يدير الفتنة؟ هل العقلاء الذين يملكون التمييز بين الحسن والقبيح، والذين يحدّقون بنتائج الأمور وعواقبها؟ أم الأشرار الذين قد تكون لهم عقول يدركون بها الحسن والقبيح، والخير والشر، ولكنهم ينحرفون عمّا علموه، ويفقدون إرادتهم في الوقوف أمام ما يصلح أمرهم أو يفسده، في هذا المجال؟

فيقول الإمام علي عليه السلام: ((يهرب منها الأكياس))، والأكياس جمع كَيْس، وهم أهل العقول، ((ويدبرها الأرجاس))، وهم الأشرار الذين يتحركون في حياتهم على أساس خطوط الشرّ..

وفي نص آخر للإمام عليه السلام في نشوء الفتنة، والفتن على أنواع، فهناك فتن تنشأ في الجانب الفكري للإنسان، وفتن تنشأ في الجانب العملي الحركي عنده، وفتن تنشأ في المواقع الدينية، أو السياسية أو الاجتماعية والأمنية.. فيقول عليه السلام: ((إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبّع ..)) يعني أنّ في المجتمعات جماعات يخضعون لأهوائهم، ولا يخضعون لمبادئهم ولعقولهم، والأهواء تنطلق من خلال الشهوات والأطماع، وما إلى ذلك مما تتحرك به الغرائز غير المنضبطة، فتوجّه الإنسان إلى ما فيه هلاكه أو سقوطه، بينما إذا خضع لعقله، فإنّ العقل لا يمكن أن يوحى لصاحبه بالفتنة، بإثارة الضوضاء في المجتمع، وإثارة الفوضى والأحقاد والحروب والنزاعات، وما إلى ذلك؛ لأنّ العقل يدرك أنها تمثّل الضرر للإنسان كلّ، على مستوى الفرد والمجتمع.

((وأحكام تبتدع..))، فقد تنطلق الفتنة من خلال أن هناك من يبتدع الأحكام، بحيث يقدم للناس وجهات نظر، أو أحكام ناشئة من أوضاع شخصية، أو من أوضاع فتوية تعمل على أن تجمع الناس حولها لتضلّلها وتسخرها في اتجاه إيجاد المشاكل للمجتمع، وخلط الأوراق، وإيجاد التصادمات. ولعلنا عندما ندرس التاريخ الإسلامي، منذ مرحلة ما بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإننا نجد أن الأحكام التي أثّرت في أكثر من جانب، كما في أحكام الإمامة والخلافة، أو المشاكل التي أثّرت بين المسلمين، أو في الحروب التي تحركت، نجد أنّها انطلقت من خلال عناوين غير شرعية، وقُدّمت للناس على أنها عناوين شرعية، فيقول عليه السلام: ((وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله))، أي: رجال يحكمون رجالاً آخرين، فيدخلون في أحزابهم وتنظيماتهم وخطوطهم الفكرية على أساس العصبية على غير دين الله سبحانه وتعالى.. وهذا يمثل كلّ الذين

يطلقون كلمة الحق، ويلبسونها لبوس الباطل، كما سيأتي، وكل الذين يبدعون في الدين بعنوان أنه من الدين، وليس من الدين في شيء، كما نلاحظ في الكثيرين من الناس الذين يحدثونك عن أن الإسلام لا يرضى بهذا، وأن الإسلام لا يوافق على هذا.. أو هؤلاء الذين حشدوا لنا كل ما استحدثته الفكر المادي أو العلماني من أمور شاعت بين الناس، وأعطيت لبوساً إنسانياً، واعتبرت من داخل الإسلام هنا وهناك، وأخذ بها الناس، وبذلك دخلت البدع في الإسلام، وهي على غير دين الله، ولكنها قُدمت للناس على أساس ذلك...

ويعلل الإمام علي عليه السلام كيف يتبع الناس المسلمون المؤمنون - أهل البدع، وكيف يسيرون وراء أهل الباطل، والمفروض أنهم ينتمون إلى الإسلام الحق، فيقول عليه السلام: ((فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق..)) أي أن الباطل لو قُدم كما هو وبصورته الحقيقية وبكل عناصره، ولم نحاول أن نمزج في داخله شيئاً من الحق لنضعه في الواجهة، ((لم يخف على المرتادين))، أي على الطالبين للحقيقة؛ لأنهم يدخلون في مقارنة بين الحق الذي عرفوه وبين الباطل الذي قُدم إليهم بكل عناصره، فإنه من الطبيعي أن يرفضوا الباطل، باعتبار وضوح الحق ووضوح الباطل عندهم.. ((ولو أن الحق خلص من لبس الباطل لانتقطعت عنه ألسن المعاندين)) أي لو أن الحق قدم بكل عناصره من دون أن تلبسه لبوس الباطل، أو أن نخلط الحق بالباطل، فلا يمكن لأحد أن يبتعد عن الحق؛ لأن الحق عندما يُقدم بصورته الحقيقية، فإنه لا يخفى على الناس، ولا يمكن أن يواجهه المعاندون، لأنهم إذا كانوا يملكون عقلاً يفكرون به، وميزاناً يزنون به الأشياء، فإنه من الطبيعي جداً أنهم سوف لا يتحدثون بالسوء عن الحق، ولا يمكن أن يعاندوا الحق في ذلك من قريب أو بعيد، مثلما كان الإمام علي عليه السلام يقول عندما قال الخوارج: (لا حكم إلا لله)، يقول عليه السلام - في إحياء كلامه -: نحن حكمنا الله من خلال ما أنزله في كتابه، وما شرّعه الرسول في سنته، والله لا يحكم بالامرة، بحيث يباشر الحكم بين الناس بشكل تلقائي، أو بشكل خارجي، ولكن الله سبحانه وتعالى

يُشَرِّع وَيَبَيِّن للناس منهج الحق، ويريد لهم أن يعملوا به، وأن يتحركوا في مساره من بدايته إلى نهايته، فقولهم 'لا حكم إلا لله' إنما يريدون به الباطل، ((إنهم يقولون: لا إمرة إلا لله))، وهناك فرق بين أن يكون الحكم لله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦)، وفي آية أخرى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٧)، وبين أن تكون الإمرة لله، فهذا أمر آخر، لأنه ((لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر))، لأنّ الكون لا بد له من نظام، ولا بد أن يكون هناك شخص يحفظ نظام الناس، وقد يحفظها بالحق، وقد يحفظها بالباطل. ولعلّ المشكلة في ما حدث في مسألة التحكيم، أنّ الحكّمين انحرفا عن حكم الله وابتعدا عن الحق، فلم يحكما بما أنزل الله من أحكام في مثل هذه القضية.

تداخل الأمور:

ولكن كيف تكون الفتنة؟ كيف يُخدع الناس؟ كيف يسيرون مع كلمات الباطل، ومع الذين يثيرون في المجتمع المشاكل التي تؤدي إلى النزاع وإلى الحروب كما حدث بعد النبي ﷺ، وكما يحدث الآن في مجتمعاتنا التي تُخلق فيها كل يوم فتنة مذهبية، وفتنة دينية، أو اجتماعية أو أمنية...؟ ((.. ولكن يؤخذ من هذا ضعف..)) والضعف هو القطعة من الحشيش، كما في قوله تعالى يخاطب النبي أيوب ﷺ: ﴿وَحُذِرْ يَدَكَ ضِغْثًا فَاصْرُبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٨)، ((ومن هذا ضعف فيمزجان))، يعني يؤخذ قطعة من الحق وقطعة من الباطل، فيمزجان، بحيث يتكوّن منهما خليط، قد يراه أحدهم حقاً وقد يراه أحدهم باطلاً بحسب سلامة النظر وسلامة الحكم على الأمور.. ((فهناك يستولي الشيطان على أوليائه))؛ لأنّ المسألة يحكمها الضباب،

(٦) المائدة: ٤٧.

(٧) المائدة: ٤٥.

(٨) ص: ٤٤.

بحيث لا يعرفون عمق الأشياء في ما تشتمل عليه من الباطل ويُخَيَّل إليهم أنه الحق.. ((وينجو الذين سبقت لهم من الله الحُسنى))، من هؤلاء الذين أعطاهم الله سبحانه وتعالى عقلاً يفكِّرون به، واختصوا بنظرة صائبة للأمور، فلا تنطلي عليهم الفتنة، ويستطيعون أن يميِّزوا بين الحق والباطل، سواء في حالة الوضوح الكامل، أو في حالة الغموض الكامل هنا وهناك؛ لأنهم يملكون أن يخترقوا هذا الغموض ليعرفوا الحق في حقيقته.

فالإمام عليه السلام يتحدث عن الذين يدبِّرون الفتنة في الواقع الإسلامي، وحتى في خارج الواقع الإسلامي، هؤلاء هم الذين يديرون الخطط، ويدبِّرون العناوين والشعارات والأوضاع، ويدرسون كل الظروف، وكل العناصر الموجودة في كل موقع يراد للفتنة أن تنطلق منه. ونفهم من خلال كلامه عليه السلام أن علينا - عندما نجد فتنة في المجتمع - أن ندرس من الذي يحركها، وأن لا تندفع فيها، بل أن تكون لنا الذهنية التي نستطيع بها أن نميِّز بين الأشياء في حقائقها، ثم إذا أردنا معالجة هذه الفتنة، فإن علينا أن لا نُؤخذ بالعاطفة، وأن لا نخدعنا الكلمات المعسولة ممن يثير الفتنة هنا وهناك، وأن لا نحدِّق في الدوائر المغلقة والضيقة. بل ننظر في نهايات الأمور وعواقبها. وهذا هو ما تحدث عنه اللغويون عندما أرادوا أن يحددوا معنى كلمة (التدبير)، فقالوا إن التدبير هو: أن ننظر إلى ما تؤول إليه عاقبة الأشياء، بحيث إنك لا تنظر إلى سطح الأمور، ولكن تنظر إلى أعماقها، ولا تنظر إلى بدايات الأمور، وإنما تنظر إلى نهاياتها وعواقبها، أي تدرس عناصر المشكلة أو تدرس عناصر القضية التي أنت فيها، وتتعرف خلفياتها.. من أين انطلقت؟ وما هي امتداداتها على مستوى النتائج؟ وهذا ما ينبغي لنا أن نلاحظه في كثير مما يُثار من الفتن المذهبية في داخل الواقع الإسلامي، فهناك فتن تحدُّث منذ قرون وحتى الآن بين المسلمين السُّنة والمسلمين الشيعة، من خلال بعض الكلمات التي تطلق هنا وهناك، أو بعض الأعمال السلبية التي تتحرك هنا أو هناك، فتثير العصبية التي ورثناها، فنحن كشرقيين نعيش العصبية في

تربيتنا الأولى في مختلف العصبيات الشخصية والعشائرية والدينية والحزبية وما إلى ذلك.. فنندفع ونتحرك، ويُقال: هذا الشخص من المذهب الفلاني سبّ مقدسات هذا المذهب، وذاك سبّ مقدسات هذا المذهب، وينطلق الناس وتكبر الفتنة.

هنا علينا أن ندرس من الذي أطلق الخطّة لا من الذي تكلم الكلمة، لأنّ الذي تكلم يمكن أن يكون موظفاً لدى الذين يرسمون الخطّة. وعلينا - أيضاً - أن ندرس ما نواجهه من تحديات وفتن، كما يحدث الآن في العراق، عندما يتحرك شخص أو جهة لتفجّر مسجداً يصليّ فيه السنّة، ليقابلها تفجير مسجد يصليّ فيه الشيعة، وليقتل إمام مسجد سُنيّ ليقابله - كما يحدث في الأيام الأخيرة - مقتل إمام مسجد شيعي، ومن الطبيعي جداً أنّ يثور السنّة هنا، أو يثور الشيعة هناك، وقد سمعنا كلاماً فيه شيء من العصبية، لكن من الذي دفع هذا ودفع ذاك؟ هل هي مسألة شخصية؟ هل هي مسألة محلية أو أنها مسألة تنطلق من مخابرات دولية؟ ونحن نعرف أن المحتل في كل البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، له مختصّون بأعلى درجات التخصص يدرسون هذا المجتمع أو ذاك، في مذهبهم، في اتجاهاته الفكرية، وفي تقاليده وعاداته، وفي تركيبته العشائرية وما إلى ذلك، ويحاولون أن يرسموا خططه من أجل الاستفادة من هذا التنوع، ليجعلوا منه تنوعاً عصبياً يفقر المجتمع ويسقطه بدل أن يكون مصدر غنى له.

لذلك، فإنّ المسألة تحتاج إلى شعب واع، أنّ لا يثور بمجرد أنّ يثار، بل أن يفكر: ماذا وراء هذا العمل؟ ويفكر بمبادئه الإسلامية العامّة. وعليه، لو أنّ شخصاً شيعياً قام بعمل سلبيّ ضدّ السنّة لا نقول: الشيعة عملوا كذا، بل نقول فلان عمله، و لو أنّ شخصاً سنياً قام بعمل سلبيّ ضدّ الشيعة فيجب أن نقول فلان من قام به لا المذهب الذي ينتمي إليه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الحكيم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وهذا مبدأ قرآني، وهو مبدأ إنساني أيضاً، أي أنّ لا يؤخذ البريء بجريمة المجرم، كما أنّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(١)، فَإِنَّ الْوَالِدَ لَا يَحَاسِبُ عَلَى خَطَا وَلَدِهِ، وَالْوَلَدُ لَا يَحَاسِبُ عَلَى خَطَا وَالِدِهِ؛ لِأَنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ فَرْدِيَّةٌ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

الجهل والعصبية:

لذلك، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ تَنْطَلِقُ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْعَصْبِيَّةِ الْعَمِيَاءِ، وَهَذَا الْجَهْلُ بِالْإِسْلَامِ، الْجَهْلُ بِالسِّيَاسَةِ، الْجَهْلُ بِكُلِّ مَا تَتَحَرَّكُ بِهِ أَجْهَزَةُ الْمَخَابِرَاتِ وَخُطُطُ الْاِسْتِكْبَارِ الْعَالَمِيِّ، وَلِذَلِكَ نَحْنُ الْآنَ بِحَاجَةٍ فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ، بَلْ فِي كُلِّ بِلَادِ الْمُسْتَضْعَفِينَ سِوَاءَ مَا كَانَ فِي الْعِرَاقِ، وَالَّذِي يَخَافُ كُلُّ النَّاسِ أَنْ تَنْطَلِقَ فِيهِ كُلُّ خُطُوطِ الْفِتْنَةِ، أَوْ فِي أَفْرِيقِيَا الَّتِي تَنْتِجُ فِيهَا الْفِتْنَةُ هَذِهِ الْحُرُوبُ الَّتِي ذَهَبَ فِيهَا الْمِلْيَارِينَ نَتِيجَةً خُطُطِ الْاِسْتِكْبَارِ الْعَالَمِيِّ الَّتِي يَرِيدُ أَنْ يَسَيِّطَرَ عَلَى مَقْدَرَاتِهَا، لِأَنَّهَا هِيَ الْقَارَةُ الَّتِي لَمْ تَخْرُجْ ثُرَوَاتُهَا بِشَكْلِ كَامِلٍ.. وَهَكَذَا فِي اللَّعْبَةِ الَّتِي لَعِبَهَا الْاِسْتِكْبَارُ الْعَالَمِيُّ، سِوَاءَ مَا كَانَ بَرِيطَانِيَاً أَوْ أَمْرِيكِيَاً أَوْ أَوْروپِيَاً، فِي قَضِيَّةِ تَحْوِيلِ فِلَسْطِينَ إِلَى دَوْلَةٍ يَهُودِيَّةٍ، بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ أَقْوَى مِنَ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا أَوْ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْصُلُ نَتِيجَةً الدَّعْمِ الْأَمْرِيكِيِّ بِشَكْلِ خَاصٍّ.. وَهَكَذَا فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ.

لِذَا نَقُولُ إِنَّنَا بِحَاجَةٍ لِأَنْ تَكُونَ لَدِينَا ثِقَافَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَنَا ثِقَافَةٌ سِيَاسِيَّةٌ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ لَنَا أَيْضاً ثِقَافَةُ اللَّعْبَةِ الدُّوَلِيَّةِ الْمَخَابِرَاتِيَّةِ؛ لِأَنَّ مَا يَحْكُمُ الْعَالَمَ الْآنَ هُوَ الْمَخَابِرَاتُ؛ فَأَمْرِيكَا تَحْكُمُهَا الْمَخَابِرَاتُ وَكَذَلِكَ أَوْروپَا وَالْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ وَالْإِسْلَامِيُّ، وَنَحْنُ نَعْرِفُ الْآنَ أَنَّ عَلَى بَعْضِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَى، إِدَارَاتٍ . كَمَا فِي أَمْرِيكَا . الْكَثِيرُ مِنْ عَلَامَاتِ الْاِسْتِفْهَامِ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ تَعَاطِيهَا مَعَ مَعْلُومَاتِ الْمَخَابِرَاتِ، حَيْثُ يَدُورُ جَدَلٌ وَاسِعٌ فِي هَلِ الْمَسْئُولِيَّةُ تَقَعُ عَلَى الْمَخَابِرَاتِ أَمْ عَلَى

الإدارة

لذلك، عندما نريد أن نكون واعين، علينا أن نجعل عقلنا يفكر بالأمور بطريقة دقيقة وعميقة، بحيث تنفذ إلى أعماق الأمور وإلى نهايات القضايا، لأنه كما يقول الإمام علي عليه السلام عن الفتنة: ((يهرب منها الأكياس ويدبرها الأرجاس))^(١٠).

وعندما نلاحظ الفتن التي تتحرك في داخل كل مذهب، سواء في داخل المذهب الشيعي أو المذهب السني، نرى ما استحدث من عصبية داخلية هنا وهناك، بحيث تتحرك المسألة بطريقة انفعالية، وطريقة غير شرعية، في أساليب التكفير، وأساليب التضليل، وأساليب التشهير، وأساليب الكذب والتمويه، وأساليب تحريف الكلام عن مواضعه... وهذا ما نلاحظه في الصراعات التي تعيش في داخل المذهب الواحد، سواء في المذهب الشيعي أو المذهب السني، باعتبار الافتقار إلى التقوى، وباعتبار أن العصبية تنطلق من أكثر من موقع كبير أو صغير، في سبيل إيجاد الفتنة التي تريد أن تهدم وضعا، أو تريد أن ترفع وضعا، وما إلى ذلك من الأمور، بحيث لا يعرف الناس ماذا هناك.. وربما كان الناس العاديون أوعى من الذين يديرون الأمور: لأنهم يشعرون بخطورتها على الواقع الإسلامي وعلى الواقع المذهبي بما لا يشعر به هؤلاء الذين يعيشون في داخل هذه الفتنة هنا وهناك.. وقد يكون من المفيد نقل بعض الخطبة التي اشتملت على الفقرتين المتقدمتين: لأنها تتحدث عن السلبيات التي تحدث من خلال الفتن المثارة في الواقع الإسلامي.

قال الإمام عليه السلام: ((ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النعمة، وثبّتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة، عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها ومدارحها. تبدو في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جليلة، شابها كشباب الغلام، وآثارها كأثار السلام.

تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائدٌ لأخرهم، وآخرهم مقتدٍ بأولهم، يتنافعون في دنيا دنيّة، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف، والقاصمة الزخوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضلّ رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها. من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة. قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتديق أهل البدو بمسحليها، وترضهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوجدان، ويهلك في طريقها الركبان، تردّ بمراً القضاء، وتحلب عبيط الدماء، وتثلم منار الدين، وتنقض عقد اليقين. تهرب منها الأكياس، وتدبرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفة عن ساق، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، بريها سقيم، وضاعنها مقيم، (منها) بين قتيل مطلول، وخائف مستجير، يختلون بعقد الإيمان بغرور الإيمان. فلا تكونوا أنصاب الفتن، وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبُنيت عليه أركان الطاعة، وأقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين، واتّقوا مدارج الشيطان، ومهابط العدوان، ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنكم بعين من حرم عليكم المعصية، وسهل لكم سبيل الطاعة))^(١١).

مواجهة الفتنة:

ثم إن هناك نقطة عالجه الإمام علي عليه السلام، وهي كيف نقف أمام الفتنة؟ فعندما تحدث فتنة بين باطلين، أو فتنة يختلط فيها الحق والباطل، بحيث لا نعرف أين الحق وأين الباطل، ماذا نفعل في هذه الحالة؟ ففي الوقت الذي ينكر فيه الإمام عليه السلام على الإنسان الوقوف على الحياد بين الحق والباطل وبين الظالم

والمظلوم، كما في قوله لولديه الحسن والحسين ﷺ: ((كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً))، فإنه في الفتنة التي تشتبه فيها الأمور، ولا يُعرف الحق من الباطل، أو إذا كانت بين باطلين، ولم تكن لنا الفرصة من أجل إسقاطها، على الأقل على مستوى المرحلة أو على المستوى المحلي، فإن الإمام ﷺ يتحدث عن الحياد، فيقول الإمام ﷺ في كلماته القصار: ((كن في الفتنة كابن اللبون)) وابن اللبون هو ولد الناقة الذي دخل - كما يقولون - في عامه الثاني - ((لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب))^(١٢)، لأن هذا لم يزل في أول عمره، إذ ليس له ظهر قوي، يمكن أن يركب عليه، ولا ضرع لديه ليدرّ الحليب؛ أي أن تكون في الفتنة حيادياً، بحيث لا يستخدمك أحد، ولا يستغلك أحد، ولكن هذا فيما إذا فرضنا أنك لا تستطيع أن تسقط الفتنة، بأن تسقط الباطلين، أو في الحالة التي لا تستطيع أن تميز فيها بين الحق والباطل، عندما يتقاتل باطلان، فإنك تارة تستطيع أن تقسمهما معاً، ليكون الحق هو القوة، وهو الخيار، وتارة يكون أحد الباطلين أكثر خطورةً على الحق من الباطل الآخر، فيمكن أن تتدخل بأن تسقط الأقوى و الأكثر خطورةً، لتتفرغ بعد ذلك للأضعف، وهذا كله لا يعالج بطريقة فردية، بل لا بد من أن يُعالج بطريقة جماعية من خلال أهل الخبرة الذين يعرفون مصادر الأمور ومواردها..

هذا بعض الكلام في ما تحدّث به الإمام علي ﷺ عن التدبير، وهناك كلام آخر في أكثر من جانب من الجوانب، نرجو أن نُوفّق له في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى..

والحمد لله ربّ العالمين.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٧) أنواع التدبير

إلى جانب العقل في
الذات هناك عقل في
الواقع، ومن خلالهما
يتكامل الإنسان

♦ حركة التكامل

♦ تدبير العقل

♦ تدبير الغريزة

♦ تدبير الجسد

♦ التدبير المالي

♦ التدبير الروحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

كنّا نتكلّم حول كلمة الإمام علي عليه السلام: ((لا عقل كالتدبير))، هذه الكلمة التي يركّز فيها الإمام عليه السلام على العقل العملي؛ فالعقل العملي هذا ليس مجرد تأملات ينفّث فيها الإنسان على الفكر التجريدي لي طرح فكرة هنا وفكرة هناك، ولكن الله تعالى خلق العقل ليفكّر، وليخطّط، وليحوّل هذا التفكير وهذا التخطيط إلى حركة في الواقع، بحيث يكون هناك عقل في الواقع، إلى جانب العقل في الذات، حتى يرى الناس العقل في الذات منفتحاً على تنظيم الواقع، وعلى السير به نحو النتائج الإيجابية التي تتسع بالإنسان، فيصبح الإنسان من خلالها إنساناً يتكامل مع الكون. فإذا كان الكون خاضعاً للتدبير الإلهي بطريقة حتمية من خلال القوانين التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه، فإنّ الإنسان يعيش التدبير من خلال القوانين التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه، والتي تنفتح على الفكر، وتتحرّك في خط الإرادة.

حركة التكامل:

لذلك، يؤكّد الفكر الإسلامي مسألة النظرة إلى الوجود، سواء كان وجوداً كونياً أو وجوداً إنسانياً، على أساس أنه يمثّل وحدة التنوّع، وهذا ما يوحي به دعاء الصباح والمساء، الذي كان يدعو به الإمام علي بن الحسين عليه السلام، الذي نعيش ذكره بكاءً، من دون أن نعقله أو ننفتح عليه، ومن دون أن ندخل إلى كيانه العظيم جداً في المعرفة؛ لأننا حوّلنا الأئمة عليه السلام إلى دموع ولم نحوّلهم إلى فكر.. يقول الإمام عليه السلام وهو يستقبل صباحه ويستقبل مساءه: ((أصبحنا وأصبحت الأشياء كلّها بجملتها

لك، سماؤها وأرضها، وما بثت في كل واحد منهما، ساكنه ومتحركه، مقيمه وشاخصه، وما علا في الهواء وما كن تحت الثرى، أصبحنا في قبضتك، يحوينا ملكك وسلطانك، وتضمنا مشيئتك، ونصرف عن أمرك، ونتقلب في تدبيرك، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت، ولا من الخير إلا ما أعطيت..)). إنه يفتح على الكون كله، ليرى نفسه مع كل مفردات الكون، شاخصاً إلى الله سبحانه وتعالى في كل إرادته، وفي كل تدبيره، وفي كل تنظيمه للكون وللإنسان. وربما نستوحي من ذلك أيضاً أن الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يفهم الكون، قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَيْنًا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(١).

وفي هذا الإطار تأتي كلمة الإمام علي^(ع): ((لا عقل كالتدبير))، حيث لم يحدد التدبير في موقع خاص، ولكنه أطلقه؛ لأن كل شيء في الإنسان، في ما يتصل بنفسه، وبعلاقته بالكون من حوله، مما يقع تحت قدرته، وفي نطاق مسؤوليته، أو في علاقاته بالإنسان الآخر، سواء في الدائرة الضيقة، أو في الدائرة الواسعة، إن كل مفردة من هذه المفردات بحاجة إلى التدبير، وذلك بأن يجعل لنفسه نظاماً اختيارياً إرادياً، تماماً كما هو النظام الذي أودعه الله في داخل جسده في الأجهزة التي تحفظ حياته وتحرك مسيرته، وتفتح على أكثر من طاقة يمكن أن تتج، ويمكن أن تبدع، ويمكن أن يحركها الإنسان، في كل ما يؤكده في إرادته واختياره.. لقد دبرك الله تعالى جسداً بكل أجهزته، فدبر نفسك روحاً، وفكراً، وحركة في الحياة.

تدبير العقل:

ولكن كيف تنظم فكرك؟ كيف تصنعه؟ كيف تطلق عقلك؟
ذكرنا في ما سبق، أن الله سبحانه وتعالى جعل أحكاماً لكل جهاز من أجهزتنا الجسدية، فهناك حرام وحلال في اللسان، وحلال وحرام في الفم، وفي

ما يدخل إلى جوف الإنسان من طعام وشراب، وهناك حلال وحرام في ما يستعمل في يده، أو في ما يحرك فيه رجله، أو في ما يحرك فيه شهوته، وينظم غريزته، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يجعل هناك حلالاً أو حراماً في العقل، أعطاه كل حريته، وأراد له أن يفكر في أي شيء يملك الوسيلة إليه، ويملك الآلية للوصول إليه، ولكنه قال له: أطلق عقلك في الكون كله، في ما تريد أن تتحرك فيه، ولكن تحمل مسؤوليتك؛ فعقلك هو الحجة عليك من الله سبحانه وتعالى، وعليك أن تقدم الحجة إلى الله سبحانه وتعالى يوم تلقاه في يوم الحساب، لتكون الحجة لك في عقلك، لا لتكون عليك، عندما تعرف كيف تمون عقلك بالوسائل التي تؤدي بك إلى الحق، وتفتح به على ما أحبه الله تعالى وما يرضاه، وأن تحركه في الخير لا في الشر، وفي قوانين العدل لا في قوانين الظلم..

لذلك لا تدخل عقلك في الفوضى، بحيث تجعله يفتح على فكرة هنا، لتؤكد لها في داخله دون أن تحاكمها، أو فكرة ضائعة في متاهات الأوهام هناك، أو خيال يخلق في الضباب هنا أو هناك، وما إلى ذلك.. أعط عقلك نوراً، ولا تجعله في ضباب أو ظلام. نظمه، موّنه، نمّه بالتفكير، بالتعلم، بالتجربة، بالقراءة، حتى يصبح عقلك مرتكزاً على قاعدة من فطرة خلقها الله سبحانه وتعالى في تكوينك، ومن ثقافة اخترتها في نفسك من خلال ما تأمل به الآخرون أو جربوه. دبر عقلك، فإنك مسؤول عنه، كيف أضعفته؟ وكيف قوّيته؟ وكيف حركته؟

تدبير الغريزة:

ثم بعد ذلك، لابد لك من أن تنظّم غرائذك وتدبرها، فالله سبحانه وتعالى أعطاك الغرائز التي يمكن أن تحفظ لك حياتك بحسب طبيعة تكوينها، فيما أعدّه الله سبحانه وتعالى لما تحركه في إرادتك واختيارك، كما أنها يمكن أن تقضي على حياتك إذا استعملتها بالطريقة التي تبتعد فيها عن التوازن؛ لأنك عندما تعيش فوضى الغريزة، فربما تقتلك هذه الفوضى، وربما تُريك حياتك وتتحرف بها إلى ما يسقط مواقعها، ويسيطر بطريقة سلبية على مواقعها، وقد

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(١)، وهكذا بالنسبة إلى الجنس، وبعض الجوانب الأخرى في النفس، كغريزة (الأنثى)، الأنانية، أو حب الذات... ولذلك يجب أن لا تحبسك هذه الغرائز في دائرة ذاتك الضيقة، بل اجعلها تنطلق بك إلى الأعالي، لترتفع بك إلى مواقع رضا الله والوصول إلى مجالات القرب منه والحصول على نعيمه في جنته، من خلال تحقيق الغايات التي أراد لك أن تبلغها في بناء الإنسان والحياة على قاعدة تفجير طاقاتك في الخير والحق والعدل قرباً إلى الله. لذلك لا بد لك من أن تنظم غرائذك، بمعنى أن لا تجعل غرائذك في حالة انفلات، بحيث لا تقف عند حد.

وهناك نقطة أخرى، وهي أن الغرائز تتكامل، فكل غريزة في جسدك تمثل حاجة تتكامل مع الحاجات الأخرى، وفي هذا المناخ، لا بد لك من أن تجعل الغرائز تتكامل، فلا يطفئ بعضها على بعض؛ أن تعطي غرائذك عقلاً، بحيث يكون للجنس عقله، وللأكل والشرب عقله، ولأننا عقله، وما إلى ذلك.. لتحتفظ بتوازن ذاتك في دائرة غرائذك.

وعندما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى خلق للإنسان عقلاً يفكر به، وعاطفة تنفتح على عالم المشاعر والأحاسيس، فهنا لا بد أن تدبر أسلوب عقلك وحركة عاطفتك، وهذا ما أطلقناه في المعادلة التي تقول: لا بد أن نعطي العقل جرعة من العاطفة ليرق ويلين، لأن في العقل قساوة وصلابة من خلال هذه المعادلات الفكرية التي ينطلق بها، ولا بد أن نعطي العاطفة جرعة من العقل لتتوازن، فلا تندفع بطريقة غير متوازنة.

تدبير الجسد:

وكذلك لا بد أن تنظم حركة جسدك في مسؤولياتك؛ فهناك حالة يرهق فيها الإنسان جسده في عمله المعاشي أو أي عمل آخر، ويمكن أن يلحق به الكثير

من حالات الضعف التي قد تتمثل في مرض أو ما إلى ذلك. وهناك حالة يسترخي فيها جسده بالمستوى الذي يبقى معه في حالة نوم واسترخاء، بحيث يضعف جسده عن المقاومة والمواجهة، لأن حالات الاسترخاء الدائم، والنوم الغالب، تضعف الطاقة التي يمكن أن تشتد، وتتصلب في جسده، وهنا لابد أن تدبر نفسك في التعامل مع جسدك، بحيث لا تندفع في حالة الراحة بنحو تستوعب كل وقتك، ولا تندفع في حالة الجهد بحيث تستوعب كل وقتك، بل أن تعالج الأمر بشكل متوازن، وهذا ما عبر عنه الإمام علي عليه السلام في بعض كلماته التي يقول فيها: ((للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرم فيها معاشه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها في ما يحل ويجمل، فإنها عون على تينك الساعتين))^(٣).

ونقرأ في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه محمد الباقر عليه السلام: ((مربي وأنا في الطواف، وأنا حدث وقد اجتهدت في العبادة فرآني وأنا أتصاب عرقاً)) من الجهد الذي كان يبذله الإمام في شبابه في الطواف، ((فقال لي: يا بني: إن الله إذا أحب عبداً أدخله الجنة ورضي عنه باليسير))^(٤) ثم قال له: ((إن هذا الدين متين)) في العبادة، ((فأوغل فيه برفق)) أي لا تندفع بقوة، لأن الشيء المتين الصلب إذا اندفعت فيه بقوة انكسر، ((ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك)) بالإلحاح بالعبادة بالطريقة التي تنقل فيها جسدك، حتى تنفر نفسك من العبادة، ((فإن المنبت لا ظهراً أبقى)) المنبت الذي ينقطع به السير في نصف الطريق، لأنه يدفع بدابته إلى أن تسير ليلاً ونهاراً من دون أن يريحها، فتتعب، وتسقط في منتصف الطريق، ((ولا أرضاً قطع))^(٥) ولم يصل إلى نتائج، وكأنه يقول له: هوناً من هنا، وهوناً من هناك، أرح دابتك، وأرح نفسك، حتى تصل إلى هدفك الذي

(٣) نهج البلاغة. ك. ٣٨٠. ص ٨٧٥.

(٤) الكافي. ج ٢. ص ٨٦. ح ٤٦.

(٥) نفسه. ص ٨٧. ح ٦٠.

تستهدفه من رحلتك هذه.

وهذا ما نستوحيه أيضاً من الحديث المعروف: ((إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض))^(١)، أو الكلمة المأثورة - وربما كانت حديثاً -: ((رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْرَهَ عَمِي)). أن تدبّر حركة جسدك وحركة إرادتك، ولا تجعل إرادتك تشعر بالسقوط وأنت تجهدُها بالطريقة التي تمتنع فيها عن التجدد، لتأخذ حيوية جديدة، فلا بدّ للإنسان من أن يدبّر نفسه في كلّ ذلك، ولعلّ هذا هو الذي توحى به الأحاديث التي تريد للإنسان أن يحاسب نفسه، وأن يفكر فيها ليتعرّف عليها؛ لأنك عندما تعرف نفسك، فإنك تعرف كيف تقودها، وتعرف حجم طاقتها، وما تستطيع تحمّله من طاقة. ولعلّ مشكلة الكثير من الناس أنهم يعيشون خارج ذواتهم، ولا يعيشون في داخلها، فنلاحظ أنهم يفعلون في الخارج حتى يكونوا صدقاً لما في الخارج؛ لأنهم يرون فلاناً يفعل كذا فيفعلون، ويرون فلاناً يفعل كذا فيفعلون..

التدبير المالي:

وهكذا نجد على المستوى الفكري، حيث لا بدّ للإنسان أن يدخل في عملية مقارنة. فهناك أناس يتحدثون - مثلاً - عن مسألة (الزهد في الدنيا)، فيتركون الدنيا كلّها، ويحدثونك عن الزهد في الدنيا، وعن العابد الفلاني، والزاهد الفلاني، وما إلى ذلك، بحيث يدرسون جانباً من المسألة، ولا يدرسون الأحاديث التي تتحدث عن مسؤوليات الإنسان في الدنيا، وما ينبغي له أن يمارسه فيها، وأن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن العمل في الدنيا هو العبادة، وهو مسؤولية الإنسان، وأن قضية الآخرة هي قضية القيم التي ترتفع بك في الدنيا، وهذا يعني أن لا تترك الدنيا كلّها، وهذا ما نستوحيه مما قاله قوم موسى لقارون في

البرنامج الذي نقله الله عنهم، وكأن الله سبحانه وتعالى يقول: هذا هو المنهج الطبيعي والواقعي، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ أي لا تبطر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ * وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ^(٧)، كن قارون، وكن الإنسان الذي يملك من الكنوز ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾^(٨)، كن أغنى الناس، ولكن ماذا تفعل بهذا المال؟ إن للمال مسؤوليات؛ فالله خلق لك المال وجعله وظيفة لك لا امتيازاً، جعلك مسؤولاً عنه، وقد جعل أفراد الأمة شركاء له، ومالكٌ يعتبر تجارة لك للآخرة. قال تعالى: ﴿وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ اذكر الله، فهو الذي أعطاك هذا المال في ما هيأه لك من وسائل، وفي ما هيأ لك من عقل يدبر ويفكر ويسعى، ومما أعطاك من وسائل عملية تستطيع أن تحركها في المال، ومما هيأه لك من الظروف التي تعينك على أن تربح هنا وتربح هناك.

﴿وَابْتَغْ فِي مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، والدار الآخرة هي أن تعيش الخير في حياتك، فتتذكر الخير من مالك للناس، وأن تعيش المسؤولية في حياتك، وأن لا تنسى نصيبك من الدنيا، بأنك إنسانٌ لك حاجاتك الشخصية، ولك حاجاتك العائلية، ولك حاجاتك الاجتماعية، ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ حتى ترفع حاجات الناس، وترتفع بهم في مستواهم، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾، ولا تسخر مالك في ما يفسد حياة الناس أخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

التدبير الروحي:

ولا بد للإنسان أن يدبر ذاته في ترويضها على الخير والحق والتقوى والعدل، بما يصل بها إلى الدرجات العليا في مواقع القرب إلى الله، بالمحاسبة

(٧) القصص: ٧٧، ٧٦.

(٨) القصص: ٧٦.

لكل أفكارها وأقوالها وأعمالها، ليعرف من أين يبدأ وإلى أين ينتهي، في عملية وعي وانفتاح على خلفيات النشاط الداخلي والخارجي، في حركته الفكرية والعملية؛ ثم المحاكمة لها لتحديد الخطأ والصواب مما يصدر منها أو مما تؤمن به؛ ثم المجاهدة في إبعاد الخطأ عن التصور والانتماء، وعن القول والفعل، لتستقيم له ذاته في خط الإيجاب والسلب، ليكون الإنسان الخير العادل والتقّي السائر على طريق الحق والاستقامة.

هذا هو التدبير الذاتي، ويبقى عندنا أنواع أخرى من التدبير، ومن بينها تدبير المنزل، وتدبير الأسرة، وهل هو مسؤولية المرأة؟ أو أنه مسؤولية الرجل؟ أو هو مسؤوليتهما معاً؟ مما نرجو أن نتحدث عن ذلك إن شاء الله تعالى في الأسبوع القادم.

والحمد لله رب العالمين.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٨)

تدبير الأسرة

بمقدار ما تكون
الإنسان المدبر تكون
الإنسان العاقل

- ♦ الخلية الاجتماعية
- ♦ مسؤولية البيت
- ♦ عمل المرأة
- ♦ المرأة العاملة وتدبير المنزل
- ♦ التخطيط لبناء أسرة
- ♦ فسخ العلاقة الزوجية
- ♦ الاحترام المتبادل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لقد ذكرنا سابقاً كلمة الإمام علي عليه السلام: ((لا عقل كالتدبير))، وكلمة (التدبير) هي كلمة تشمل الحياة كلّها، والإنسان كلّهُ، كما تشمل الكون كلّهُ؛ لأن مسألة التدبير هي مسألة التخطيط والتنظيم والتسيق بين الأشياء بالطريقة التي يصل فيها كل شيء إلى غايته الكبرى، بحيث يتحوّل إلى عنصرٍ من عناصر توازن الحياة في الواقع، وتوازن الإنسان في الحياة.

الخلية الاجتماعية:

وقد تحدّثنا في ما مضى عن تدبير الإنسان نفسه، ونتحدّث اليوم عن تدبير الأسرة؛ لأن الله سبحانه وتعالى أراد للمجتمع الإنساني أن يبدأ من خلية اجتماعية يتكامل فيها الرجل والمرأة تكاملاً جسدياً وروحياً واجتماعياً، بحيث يتحوّلان إلى خلية تنتج الحياة في جانبها المادي، وتمتد في الحياة في إنتاج الإنسان روحياً وتربوياً وثقافياً.. ونحن عندما ندرس مسألة التدبير في الأسرة، فإننا نجد مسؤولية التدبير - حتى داخل المنزل - لا تنحصر بالمرأة، بخلاف ما يتصوّره البعض من أنّ الإسلام حبّس المرأة في داخل المنزل، وجعلها إنساناً معزولاً عن حركة الحياة، وأن دورها ينحصر في إنتاج الأولاد وتدبير المنزل في حاجاته الغذائية والتنظيفية، وما إلى ذلك مما تعارف الناس عليه. أما الرجل (الزوج) فيتصوِّرون أن لا مسؤولية عليه في داخل المنزل، ومسؤوليته فقط أن يهيئ للمنزل حاجاته من خلال ما يكتسبه في عمله.. وربما يتصور بعض الناس أنّ المسألة تنطلق من قاعدة تشريعية في الإسلام، وليس من قاعدة توافقية، أو قاعدة تنفتح على مسألة (أخلاقية) للطرفين فيما تمثله كلمتا (المودة) و (الرحمة).

لو أردنا أن ندرس المسألة دراسة موضوعية من الناحية الشرعية القانونية . كما هو القانون في مواده التي يحدّد فيها حقوق الناس مع بعضهم البعض . فإننا نرى من وحي التشريع الإسلامي، أن العقد الزوجي لم يحمل المرأة أية مسؤولية عن مجمل تدبير المنزل، بل نلاحظ أن التشريع أقرّ بأن للمرأة أن تطلب أجراً عليه، فهي بالنسبة إلى الزوج عاملة كأي عامل آخر، لها أن تتبرّع بعملها، ولها أن تطلب أجراً على عملها، ولعل أوضح نص في هذا المجال، هو ما تحدّث به القرآن الكريم عن الأم المرضعة، وأن لها أن تطلب أجراً على رضاعها، مع أن الرضاع من أكثر الأشياء ارتباطاً وصلةً بالأمومة والتدبير الزوجي، وذلك هو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوْا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، وإذا أرادت امرأة أخرى أن ترضعه بأجر، فالأمّ مقدمة، إلا إذا طلبت أجراً يزيد عن أجر الأخرى. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ﴾، بحيث فرض كلّ فريق على الآخر قيمةً مرتفعةً فلم يصل الأمر إلى توافق بينكم، أو أصرت المرأة الأم على أجر مرتفع لا يقبل به الأب لزيادته عن الحدّ الطبيعي، ﴿فَسَتَرْضَعُ لَهٗ أُخْرَى﴾^(١)، أي امرأة أجنبية غير والدته إذا رضيت بأجر معقول.

وأذكر أنني قرأت قبل أكثر من ٢٠ أو ٢٥ سنة، خبراً في مجلة (آخر ساعة) المصرية، أنه عقد في الغرب مؤتمر يبحث في مسألة أن الزوجة في البيت الزوجي تستحقّ الأجر على عملها أو لا؟ وكان المؤتمر - كأي مؤتمر - بين مثبت وناف، وكان تعليقي في ذلك الوقت أن الإسلام احترام إنسانية المرأة واعتبر أن العقد الزوجي لا يلزمها بذلك، فهي حرة في أن تعمل أو لا تعمل كأي شخص حرّ في أن يعمل أو لا يعمل، أو أن يتبرّع بعمله أو أن يطلب أجراً عليه من الناحية القانونية كما ذكرنا.

إنّ العقد الزوجي لا يفرض على المرأة من الناحية التشريعية إلا المسألة الجنسية، طبعاً في الحالات الطبيعية، أما في الحالات المرضية، أو في الحالات التي يمكن أن تواجه حرجاً أو ضرراً أو ما إلى ذلك، فتشملها الأدلة التي تنفي الحرج والضرر عن الإنسان.. ومن رأينا الفقهي أيضاً أن حق المرأة على الزوج.

خلافاً لرأي المشهور من الفقهاء . كحق الزوج على المرأة في الجانب الجنسي؛ إذ يجب عليه أن يستجيب لحاجاتها في غير حرج ولا ضرر، كما يجب عليها أن تستجيب لحاجته كذلك، حتى إن حرمة خروج المرأة من بيت زوجها بغير إذنه مختصّ بما إذا كان خروجاً تمرّدياً، أما الخروج الطبيعى لزيارة أهلها أو غيرهم، أو للتبضع وغيره إذا لم يكن الزوج بحاجة إليها في الاستمتاع، فغير محرّم، وهو الموافق لرأي بعض الفقهاء، ومنهم السيد الخوئي في مسألة خروج المرأة من المنزل.

مسؤولية البيت:

لذلك، فإن مسؤولية البيت . حتى الداخلية . على الرجل وليست على المرأة . نعم، إذا اشترط الزوج على المرأة أن تقوم بأعمال المنزل، ففي هذه الحالة يجب عليها أن تقوم بتلك الأعمال كأى إنسان يشترط على إنسان آخر عملاً ضمن العقد، وفقاً لما روي عن النبي ﷺ: ((المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً أو حلل حراماً))^(٢)، أو كما نقل التاريخ في مسألة اتفاق الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام على مسألة التدبير المنزلي، فكان الإمام علي عليه السلام يستقي الماء للمنزل ويحتطب ويكنس البيت، وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز، من دون أن يرى الإمام علي عليه السلام نزولاً في شخصه أو في موقعه إذا قام بكنس البيت، أو إذا قام باستقاء الماء أو بالاحتطاب للبيت بنفسه .

يقول النبي ﷺ . في ما روي عنه :- ((لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد)) ممن يشهد على الناس، ((أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة))^(٣) . وفي مجمل تعامل الرجل مع عائلته يقول ﷺ: ((اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة، فإن خياركم خياركم لأهلهم)) ، وفي حديث آخر: ((خيركم خيركم لأهلهم، وأنا خيركم لأهلي))^(٤)، وفي حديث شريف آخر: ((من حسن برّه بأهله زاد الله في

(٢) التهذيب . ج ٧ . ص ٤٦٧ . ح ٨٠ .

(٣) البحار . ج ١٠٤ . ص ١٣٢ . ح ١ .

(٤) الفقيه . ج ٣ . ص ٥٥٥ . ح ٤٩٠٨ .

عمره))^(٥).

فالمرأة في الإسلام - من الناحية القانونية - ليست ربة بيت، ولكن ذكر في القرآن الكريم قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً»^(٦)، فالعلاقة الزوجية لا يحكمها القانون، وإن كان القانون موضوعاً من أجل الحالات الاستثنائية التي يُراد من خلالها للرجل والمرأة أن يقفا عند حدٍّ في التشريع القانوني في المشاكل التي تحدث بينهما، بل إنَّ ما يحكم العلاقة الزوجية هي المودة والرحمة من الناحية الأخلاقية، ومن ناحية الإحساس بالاندماج بين الرجل والمرأة، لا الاندماج الجسدي فقط، ولكن الاندماج الإنساني، وهذا ما نستوحيه من قوله تعالى: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ»^(٧)، يعني أن علاقة الرجل بالمرأة، في عملية الاندماج والوحدة، كما هي علاقة اللباس بالجسد؛ فالمرأة تلبس الرجل، والرجل يلبس المرأة، حتّى كأنّه ليس هناك انفصالية في طبيعة حركتهما في الحياة، ما يفرض على المرأة - إنسانياً وأخلاقياً - أن تقوم بأعمال البيت طوعاً وتبرّعاً ومشاركةً في مسؤوليات الأسرة؛ لأنّها الركن الأساس في الأسرة، إحساساً منها بالجهد الذي يبذله زوجها في الحصول على التمويل الذي يقوم بحاجات الأسرة، كما أنّ على الرجل - إنسانياً وأخلاقياً - أن يتجاوز الحدّ القانوني في الإنفاق، فيقدّم لزوجته المزيد من المال مما تحتاجه في كمالياتها مما لا يجب عليه، إحساساً منه بالجهد الذي تبذله في رعاية الأسرة تبرّعاً.

عمل المرأة:

وقد نجد في التشريع الإسلامي، أنّ عدم إلزام المرأة بتدبير البيت ورعاية الأسرة من الناحية القانونية، واستحباب ذلك لها، إنما هو باعتبار أنّ قيامها بذلك يؤدّي إلى رضا الله، كما يوحي للزوج بقيمتها الروحية وإحسانها العملي إليه، ما يؤكّد العلاقة الزوجية بينهما، كما هو الحال في التصرف الطوعي للزوج

(٥) الكافي. ج. ٨، ص ٢١٩. ح ٢٦٩.

(٦) الروم: ٢١.

(٧) البقرة: ١٨٧.

تجاهها بما لا يجب عليه، بحيث يتمثل البيت كله معنى المودة والرحمة التي تطلّله، فتخلق فيه معنى الحب والانفتاح بما ينعكس إيجاباً على الأسرة كلها.

ونحن نلاحظ . في مسألة عمل المرأة إلى جانب عمل الرجل . أنّ هناك تطوراً فرضته تطورات الحياة، سواء من خلال الحاجات الاقتصادية التي قد يحتاج فيها إلى التكامل بين المرأة والرجل في العمل حتى يغطي تكاليف الأسرة، أو من جهة حاجة المرأة الاقتصادية عندما تطرأ عليها بعض الظروف السلبية، كأن تفقد أهلها، أو يموت زوجها، أو تُطلق منه، أو أنها تريد أن تشعر بإنسانيتها من خلال الإنتاج العلمي والعمل من حيث كونها متعلمة ومثقفة، أو لأنها صاحبة اختصاص، حتى إن هناك بعض الاختصاصات تفرض أن تكون هناك نساء يتخصصن فيها، كما في الطب النسائي وغيره، حيث لا يجوز للرجل في الحالات العادية من ناحية شرعية أن يقوم بمعالجة المرأة وما إلى ذلك، ولذلك فرض أن تكون في المجتمع طبقة من النساء عاملات، وهذا ليس جديداً عندنا، فالمرأة كانت تعمل سابقاً في الخياطة والفلاحة والتطريز، وكانت أمهاتنا يعملن بطريقة وأخرى، ولكن الحياة تطوّرت وأصبحت ساحات العمل أوسع، والإسلام لم يحرم على المرأة أن تعمل، كما لم يحرم على الرجل ذلك. وقد ذكرنا أكثر من مرة أنّه إذا كانت المسألة الأخلاقية تفرض على المرأة أن تعمل في ظروف أخلاقية ملائمة، فهذه الظروف الأخلاقية الملائمة أيضاً مفروضة على الرجل؛ لأن الأخلاق ليست ضريبة مفروضة على المرأة فقط، وإنما الأخلاق هي للإنسان كله، رجلاً كان أو امرأة، فكما لا يجوز للرجل أن يعمل في ظروف محرمة، فإنه لا يجوز للمرأة كذلك، فهما سواء في كل ما فرضه الله سبحانه وتعالى من نظام أخلاقي هنا وهناك.

المرأة العاملة وتدير المنزل:

هنا لا بد أن ينظّم واقع المنزل الزوجي بحسب ما تقتضيه الظروف الحاضرة، والظاهر أننا لم نصل حتى الآن إلى إيجاد نظام إنساني كهذا، فنحن نلاحظ الآن أنّ المرأة العاملة التي قد تعمل في مصنع أو في مزرعة أو في التعليم أو في الطب، أو في غير ذلك، تأتي بعد انتهاء الدوام وهي في أشدّ حالات

الإجهاد، لتدبر أمور الأولاد عندما يعودون من المدرسة، ولتهيئ الطعام، وتقوم بتنظيف البيت وغير ذلك، ولذلك تكون المسألة . بالنسبة إليها . جهداً فوق جهد، ومن خلال ذلك، قد تنتج مشكلة زوجية؛ لأنها لا تستطيع أن تتفرغ لزوجها في حاجاته الخاصة، باعتبار أن هذا الجهد المضاعف لابد أن ينعكس سلباً على طاقتها النفسية والجسدية.

ولذلك فقد أصبحت مشكلة المرأة العاملة من المشاكل التي تحتاج إلى علاج، قد يكون بالتفاهم بين الزوجين في أن يقوم الزوج بالعمل كله، أو تختار المرأة عملاً لا يأخذ كل وقتها أو أكثر وقتها، أو أن يتقاسما المسؤولية كما تقاسمها الإمام علي ؑ والسيدة الزهراء ؑ، حيث كان الإمام ؑ . كما ذكرنا . يحتطب ويستقي ويكنس البيت، وكانت السيدة الزهراء ؑ تطحن وتطبخ وتعجن وتخبز، بحيث نخرج من الذهنية المتخلفة الموجودة لدينا، من أنه يُعاب على الرجل أن يعمل في البيت، حتى إن المرأة قد ترى عيباً عليها أن تمكّن الرجل من العمل في البيت، بينما لا نرى لدى الأمم الأخرى مشكلة في أن يقوم الرجل بالطبخ والتنظيف وما إلى ذلك.. هذا في الحالات التي لا يمكن أن يستخدما خادمة تقوم عنهما بشؤون البيت بسبب تدني وضعهما الاقتصادي أو من خلال بعض الأوضاع الاجتماعية.

هذا النوع من التدبير الذي هو مسؤولية الرجل من الناحية التشريعية، كما هو مسؤولية المرأة من الناحية الواقعية، أو من الناحية الأخلاقية، فيما أراد الله سبحانه وتعالى للمرأة أن تعطي كل قلبها وجهدها وكل محبتها وإخلاصها لزوجها، كما أريد للرجل أن يكون كذلك بالنسبة للمرأة. ولذلك، لا بد لنا من أن ندرس المشاكل الناجمة عن عمل المرأة دراسةً واقعيةً عمليةً، حتى نستطيع أن نجد حلاً؛ لأنّ الحل ليس . كما يتصور البعض . أن لا تعمل المرأة، وإن كنا نعتقد أن على المرأة أن توازن بين عملها خارج البيت وبين رعايتها لأولادها وزوجها، وأن تدرس هي وزوجها المسألة الاقتصادية، وأنه هل يمكن لهما أن يعيشا في وضع مستقر اقتصادياً من دون عمل المرأة أو لا يمكن ذلك؟ لأن القضية قد تكون في حال الضرورة، فكيف يمكن أن نخفف من جهد المرأة، وكيف

يتحمّل الرجل بعض جهده، وهذه المشكلة تُبحث اليوم من قِبَل علماء الاجتماع وغيرهم، باعتبار أن تطوّر الحياة أعطانا بعض النتائج الإيجابية أو الحل لبعض المشاكل، ولكنّه خلق لنا مشاكل أخرى أكثر تعقيداً من سابقاتها، والتي لا بدّ أن نحلّها ونتفادها . هذا من حيث الخط العام في الجانب التشريعي من جهة، والجانب الواقعي في مواجهة المشكلة من جهة أخرى.

التخطيط لبناء أسرة:

تبقى هنا نقطة أخرى، حيث إنّ مسألة التدبير المنزلي ليست تدبير الحاجات الغذائية والصحية والتنظيفية، وما إلى ذلك، بل هي علاقة الرجل بالمرأة باعتبار أنهما يمثلان الشخصين المسؤولين عن بناء الخلية الاجتماعية التي يبدأان بناءها من أجل أن تتوسع في أولادهما في المستقبل.

في البداية، هناك نقطة يتحمّلها الرجل، وهي أن يختار لأولاده المستقبلين أمهم، وقد ورد في بعض الأحاديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((إنّ من واجب الولد على الوالد اختياره لأمّه))^(٨)، بحيث تستطيع أن تربي الولد ليكون إنساناً يعيش إنسانيته، وليكون عبداً مطيعاً لربه، وليكون عنصراً اجتماعياً يخدم المجتمع ولا يسيء إليه. حتى إنّ هناك بعض الأحاديث تقول: ((اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين))^(٩)، باعتبار أن المرأة قد تأتي - كما في حديث آخر - بأولاد يشبهون أخوتها وأخواتها، فعليك أن تختار لولدك أمّه، بأن لا تختار المرأة ذات الأخلاق السيئة لمجرد أنها صاحبة مال أو صاحبة جمال، وقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((بإياكم وخضراء الدّمن، قالوا: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء))^(١٠)، باعتبار تأثرها بالبيئة الخبيثة التي عاشت فيها، بل أن تختار الإنسانية التي تصلح أن تكون أمّاً لأولادك، سواء في ما تعطيهم من وراثة أخلاقية مما تفرضه طبيعة قانون الوراثة أو غير ذلك .. حتى إنه روي - إذا صحّت القصة - أن الإمام علي عليه السلام أراد أن يتزوَّج، فطلب من

(٨) البحار. ج. ٥٥. ص ٦٩. ح. ٢.

(٩) الكافي. ج. ٥. ص ٣٣٢. ح. ٢.

(١٠) نفسه. ح. ٤.

أخيه عقيل ؓ أن يختار له امرأة ولدتها الفرسان، بحيث يكون أبؤها وأجدادها من فرسان العرب الذين يتميزون بالشجاعة، لتنتقل هذه الخصوصية من الشجاعة لأولاده، وتنتقل هذه القصة في قضية أم البنين، أم العباس وأخوته ؓ.

وقد ورد أيضاً في بعض الأحاديث: أن شخصاً سأل النبي ﷺ قال له: من أتزوج؟ قال: ((عليك بذات الدين))^(١١)، يعني الإنسانية التي تملك ديناً يقف بها عند حدود الله سبحانه وتعالى، وينعكس على تصرفاتها الاجتماعية وعلاقتها بالإنسان الآخر، وأيضاً رعايتها لأولادها، بحيث ينشأ أولادها نشأة صالحة. وقد ورد عن الإمام علي ؓ، وهو يتحدث عن نفسه، ولكن بأسلوب الموعظة، فيقول: ((ما سألتُ ربي أولاداً، نضر الوجوه))، يعني جميلي الوجه، ((ولا سألتُه ولداً حسن القامة، ولكن سألتُ ربي أولاداً مطيعين لله، وجِلين منه، حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قررتُ عيني)).

وهكذا نقول بالنسبة للمرأة التي يختارها الرجل لتكون أمّاً لأولاده، ونقولها بالنسبة إلى المرأة لتختار أباً لأولادها، وهذا مما ورد في الحديث المشهور: ((إن جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))^(١٢)، أن يُختار الإنسان الذي يملك الخلق الذي يفتح به على الناس ويتحمل مسؤولياته عنهم، وفي كل ما يمكنه من أن يكون أباً صالحاً لأولاده، وأن يكون له الدين الذي يمنعه من اضطهاد زوجته ومن الإساءة لمن حوله وما حوله.

وعلى هذا الأساس، نفهم أن تدبير الأسرة - في مسألة اختيار الأبوين - يسبق بناء الأسرة في عملية إدارتها، فعندما نريد أن نكون أسرة إسلامية صالحة، فإنّ على الرجل الذي يريد أن يكون زوجاً، أن يفكر في من تكون أمّاً لأولاده، وسيدة لبيته، وأن تفكر المرأة أيضاً في الزوج الذي تختاره ليكون أباً لأولادها، وسيداً لبيتها. هذا في المجتمعات التي تعطي الحرية للمرأة، ولكننا وللأسف - لا نزال مجتمعاً جاهلياً، يحاول أن لا يعطي المرأة حريتها فيمن تختاره

(١١) نفسه. ج ١.

(١٢) الكافي. ج ٥. ص ٣٤٧. ح ٢٠.

زوجاً لها، بل إنَّ الأب هو الذي يزوّجها، والأخ هو الذي يزوّجها، والعشيرة هي التي تزوّجها، وما إلى ذلك .. وربما نجد في بعض المجتمعات أن هناك ضغطاً على الرجل أيضاً في أن يختار ابنة عمّه، أو يختار قريبته، أو ما إلى ذلك، بضغط من أمّه أو من أبيه. وهذه نقطة لا بد أن تُدرس لأجل التحضير لبناء أسرة.

فسخ العلاقة الزوجية:

والأمر كذلك بعد الزواج، وعندما تتألف الأسرة من الزوجين، حيث جعل الله سبحانه وتعالى هناك عناوين أخلاقية رائعة. قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾^(١٣)، فلا تتعقدوا لترتجلوا فسخ العلاقة الزوجية، بل فكروا بعقولكم، وادخلوا في الحسابات على مستوى المصلحة والمفسدة لا على مستوى المزاج، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، لأنَّ الكثيرين من الناس عندما يعيشون بعض المشاكل في داخل الحياة الزوجية، فإنهم يبادرون إلى فسخ العلاقة، أو إلى غير ذلك من الأساليب غير الإنسانية بالنسبة إلى الزوجة، انطلاقاً من عصبية المزاج أو من الانفعالات النسبية أو الارتجال العاطفي، لا من خلال المصلحة أو المفسدة التي يرتبط بهما مستقبل الأسرة، ولا سيما مع وجود طرف ثالث لا بدّ من ملاحظة أوضاعه الداخلية والخارجية في أيّ قرار يتّصل بالأسرة، ثم قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(١٤)، وبعض الرجال - كما كنا نقول على سبيل النكتة والطرافة - يعتبر الدرجة كعلو ناطحة سحاب، ولكنّ هذه الدرجة هي درجة الطلاق، حسب تفسير البعض. قد تنشأ هناك مشاكل فيما بينهما، ولكنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^(١٥)، ولا نلجأ مباشرة إلى الطلاق، فيلجأ البعض إلى المشايخ، بحيث يطلق بعضهم غيابياً، حتى نقل لي عن بعض المشايخ إنه طلق غيابياً طلاقاً ثالثاً لزوجين لهما ثلاثة عشر ولداً، ويمكن أن يكون

(١٣) النساء: ١٩.

(١٤) البقرة: ٢٢٨.

(١٥) النساء: ٣٥.

هذا جائزاً، ولكنه جريمة من الناحية الإنسانية والأخلاقية العامة؛ لأن المفروض دراسة الأمر بأناة ومسؤولية ومراعاة لجميع الجوانب.

وهناك قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾ (١٦)، فهو الذي يحكم الحالة الزوجية في المعاشرة بين الزوجين، أو عندما نريد أن ننهي الحياة الزوجية، فـ ﴿أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾، أي أننا دخلنا بيت الزوجية بحب واتفاق، فيجب أن نفترق على حب ووفق، حتى إنه سبحانه وتعالى يتحدث عن بعض الناس الذي يفرض على زوجته أن تبذل مهرها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ❖ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (١٧)، أي أنه يعبر عن العقد الزوجي أنه من قبيل الميثاق الغليظ، وأنه لا يجوز للإنسان أن يجبر زوجته على أن تتنازل عن حقها، ولكن المشكلة أن البعض لا يفهم هذا الميثاق، فنجد حالات إيذاء كثيرة من الرجل لامرأته، بحيث إن بعض الناس قد يعتبر أن عقد الزواج يجيز له أن يضربها، أو أن يطردها من بيته، وأن يتعسف معها، ويمكن أن نقرأ بعض النصوص في هذا الجانب السلبي والتي توحى بالجانب الإيجابي، في الحديث عن النبي ﷺ: ((ما زال جبريل يوصيني بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة)) (١٨) يعني أن طلاقها جائز، ولكن يقول إنه عندما رأيت هذه الوصية المتلاحقة بالمرأة، فإني شعرت أن الطلاق لا يجوز إلا إذا ارتكبت فاحشة، أما في الحالات العادية التي تحدث فيها مشاكل وتعقيدات وما إلى ذلك، فلا ينبغي طلاقها.

وفي الجانب الآخر، ورد في الحديث: ((جهاد المرأة حسن التبعل)) (١٩) أي أن تكون المرأة زوجةً صالحةً تصبر على ما ترى من أذى زوجها، ولها الأجر الكبير على ذلك، حتى يمكن أن نحصن الحياة الزوجية، من أن لا تخضع للانفعالات وللحالات النفسية الطارئة، لأنه لا يمكن في الدنيا أن يعيش اثنان، حتى الأب

(١٦) البقرة: ٢٢٩.

(١٧) النساء: ٢٠-٢١.

(١٨) البحار ج ٣٣، ص ١٢٥، ح ٥٠.

(١٩) الكافي ج ٥، ص ٩، ح ١.

والأولاد، أو الجيران مع بعضهم البعض، أو الأخوة فيما بينهم، دونما مشاكل فيما بينهم، لأن الإثنية قد تخلق حساسية معينة بين هذا وذاك، تبعاً لاختلاف المزاج وغيره.

وعن النبي ﷺ يقول: ((ألا وإن الله عز وجل ورسوله بريئان ممن أضر بامرأة حتى تختلع منه))، بحيث يستمر باضطهادها، ويضغط عليها حتى تقول له: أبذل لك مهري وأبذل لك كل شيء لكي تخلعني. وفي حديث آخر - وهو موجه أيضاً لبعض الرجال الذين يعتبرون أن لهم الحق في ضرب زوجاتهم - يقول ﷺ: ((إني لأتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها))، ولتحقيق التوازن قال النبي ﷺ: ((من كانت له امرأة تؤذيه، لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر)). ويكمل النبي ﷺ: ((وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً))^(٢٠).

الاحترام المتبادل:

ولذلك لا بد من أن تنطلق الحياة الزوجية، على أساس الاحترام المتبادل: لأن المرأة ليست إنساناً من الدرجة الثانية، بل إن المرأة والرجل يحكمهما العقد الزوجي، ولا تحكمهما العادات والتقاليد، والعقد الزوجي يساوي في المسؤولية بين الرجل والمرأة في الحياة الزوجية، وإذا كانت الآية الكريمة تقول: «الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ»^(٢١)، فليس المراد بالقوام السيطرة، بل إن ذلك يرجع إلى التدبير في المنزل وإدارته، ولأن هناك بعض الخصائص التي يتميز بها أكثر مما تتميز بها المرأة، ولكن ليس للرجل أن يضطهد المرأة، كما أنه ليس للمرأة أن تعصي زوجها أو تؤذيه في ما أمره الله سبحانه وتعالى. ولذلك فإننا عندما ندرس القرآن الكريم، في مسألة الحقوق والواجبات، وفي مسألة المنزلة عند الله سبحانه وتعالى، فإن الله جلَّ وعلا ساوى بين المؤمنين والمؤمنات، قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(٢٢)، ونقرأ في سورة (الأحزاب) في قوله تعالى: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»^(٢٣)، بل إن الله سبحانه وتعالى لم يتحدث عن المؤمن إلا وتحدث عن المؤمنة، قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»^(٢٤)، وقوله تعالى: «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى»^(٢٥).

هذا ما يتعلق بتدبير الأسرة، بقدر ما يتعلق بأمر الزوجين، أما في ما يتعلق بالأولاد، فله حديث طويل آخر، نرجو أن نوفق له في الأسبوع القادم من خلال كلمة الإمام علي عليه السلام الرائدة ((لا عقل كالتدبير))^(٢٦). إنك بمقدار ما تكون الإنسان المدبر، بمقدار ما تكون الإنسان العاقل، صلوات الله عليه وعلى زوجته وعلى ابن عمه رسول الله وعلى الأئمة الطاهرين وسلامه.

والحمد لله رب العالمين.

(٢٢) التوبة: ٧١.

(٢٣) الآية: ٣٥.

(٢٤) الأحزاب: ٣٦.

(٢٥) آل عمران: ١٩٥.

(٢٦) نهج البلاغة، ك: ١٠٨، ص ٧٩٧.

رؤية الإمام علي عليه السلام للعقل (٩)

تدبير الأولاد

لا بدّ أن نهتمّ بتغيير
الذهنية، لأنّ أيّ إصلاح
نقوم به إذا لم يعتمد
هذا التغيير فسوف لن
يدوم أو يستقر

- ♦ النظرة إلى الأولاد
- ♦ امتداد المهنة
- ♦ تغيير الذهنية
- ♦ شرف العائلة
- ♦ التمييز بين الذكر والأنثى
- ♦ مركز البنت في المفهوم الإسلامي
- ♦ إيثار الذكور بالوصية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.
لا نزال في الحديث عن (تدبير الأسرة). كيف يدبر الأبوان الأولاد، وما هي نظرتهم إليهم؟ وما هي مسؤوليتهم تجاه أبنائهم ولا سيما الأب؟ لأنّ الذهنية التي يحملها الأبوان أو أحدهما قد تؤثر على طبيعة الرعاية المطلوبة للأولاد، ما يترك تأثيراً سلبياً على صلاية الأسرة وعلى حيويّتها ورفع مستواها.

النظرة إلى الأولاد:

النظرة العامة إلى الأولاد عند كثير من المجتمعات - حتى المسلمة منها - أن الولد يمثل حاجة الأب والأم، باعتبار أن الولد يملأ الفراغ النفسي والاجتماعي، ومن لا يرزق بولد فإنه قد يشعر بفقدان امتداده المستقبلي. وهذا ما كان الناس في الجاهلية يحملونه كفكر، وهو ما حدثنا عنه القرآن الكريم عندما كان بعض المشركين يقول إن النبي محمداً ﷺ أبتر، أي لا نسل له يمتد بامتداد الزمن، وبالتالي فهو ينقطع بانقطاع حياته، خصوصاً أن العرب كانوا يعتبرون أن امتداد النسب إنما هو بالولد الذكر لا بالولد الأنثى، وعلى هذا الأساس جاء قول الشاعر:

بَنُونَا بَنُوا أَبْنَانَنَا وَيَنَاتُنَا
بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ
في حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١)، أي النسل الكثير، وقد كان ذلك من خلال السيدة فاطمة الزهراء ؑ التي امتد نسل رسول الله ﷺ من خلالها، وهي التي كانت مميزة عنده بكل فضائلها وخصائصها الروحية والثقافية والحركية.. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢) الذي لا نسل له.

(١) الكوثر: ١.

(٢) الكوثر: ٢-٣.

ولذلك كانت مسألة الولد من المسائل الحيوية ولا تزال؛ حيث نجد كثيراً من الناس الذين كانت لديهم موانع تمنعهم من الإنجاب، ينطلقون شرقاً وغرباً . بحسب إمكاناتهم المادية . من أجل علاج هذا النقص في تكوينهم الذي يعتبرونه نقصاً في إنسانيتهم. إذاً، مسألة الولد قد تبدأ مسألة ذاتية تملأ فراغ الإنسان من دون أن يكون لديه أيُّ تخطيط لمستقبل هذا الولد .

امتداد المهنة:

ومن ناحية أخرى، ربما نجد هناك تقليداً يتحرك فيه الناس، وهو أن يعلم الإنسان ولده مهنته، حتى إن بعض الناس يحاول أن تمتد المهنة في أولاده، فإذا كان ممتهداً للحداثة، فيجب أن يكون أولاده حدادين، وإذا كان نجاراً، يجب أن يكون أولاده نجارين، وإذا فرضنا أن عنده . مثلاً . اختصاصاً في الأدب، فإنه يريد لأولاده أن يختصوا بالأدب، وإن كانوا يرغبون بالعلوم الطبيعية، وما إلى ذلك.. وهنا لا بد . في التربية الإسلامية . من أن يتحسس كلُّ من الأب والأم دوره في التربية، والتي تنطلق من أن ولده ليس حالة ذاتية بالنسبة إليه، ليس ملكاً من أملاكه يختص به، وليس شأناً من شؤونه الخاصة، بل إنه يلد إنساناً يؤثر في المجتمع ويتأثر به، يعني أن ابنك هو ابنك بالولادة والتشئة، ولكنه . مع ذلك . ابن الأمة والمجتمع، ونحن نتج جيلاً كما أنتجنا جيلاً آخر، وعلينا أن نجعل هذا الجيل الذي نتجه جيلاً يستطيع أن يبني للأمة كيانها، ويحقق لها قوتها، ويفتح لها الآفاق التي ترفع مستواها، سواء كانت آفاق العلم أو آفاق الحرية، من كلِّ ما يرفع من إنسانية الإنسان.. هذه المسألة يجب أن نعالجها بتغيير الذهنية، وقد ربط الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد مستقبل الإنسان بالذهنية التي يعيشها ذلك الإنسان؛ لأن حركة الواقع إنما تنطلق من الداخل، ونحن نفكر، فنحول ما نفكر فيه إلى واقع، بحيث تتأثر المسألة الخارجية بالمسألة الداخلية، على كل المستويات؛ على مستوى العلم والجهل، وعلى مستوى التقدم والتخلف، وعلى مستوى الروح المنفتحة أو الروح المغلقة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٣)، فالله سبحانه وتعالى من خلال هذه الآية يؤكد

أن من سننه التاريخية في امتداد مسيرة الإنسان في الواقع أن يتم التغيير بإرادة الإنسان نفسه، وكأَنَّهُ - سبحانه - يقول للإنسان - في إحياءات الآية -: إن قضائي وقدري في مسألة تغيير الواقع ينطلق من إرادتك واختيارك، فغير ما في نفسك تُغيّر الواقع. ومعنى ذلك، أن الله سبحانه وتعالى جعل سبب التغيير في الواقع - سلباً كان أو إيجاباً - ينطلق من قضية التغيير في فكر الإنسان وانطباعاته ومشاعره وأحاسيسه وعلاقاته، في ما يحمله في هذه العناوين من الفكر في الداخل.

وقد تحدّث الله سبحانه وتعالى في آية أخرى في الجانب السلبي للتغيير، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤)، فالله أعطى النعم للإنسان، ولكنه سبحانه قد يغيّر هذه النعم إلى ما يضادّها، فتتحول النعمة إلى نقمة، لا من جهة أن الله سبحانه وتعالى يريد ذلك بشكل مباشر، ولكن لأن الله تعالى جعل تغيير النعمة إلى نقمة، أو تغيير النعمة إلى نعمة، خاضعاً للإنسان، فالإنسان هو صانع التغيير، وهو صانع الخير والشر، فيما عدا القضايا الكونية، من الزلازل والبراكين والفيضانات، فالنوع الإنساني هو الذي يصنع قضاءه وقدره مما أوكل الله تعالى إليه من الاختيار في صنع عمله، وقد قرأنا في أكثر من آية كريمة من القرآن الكريم، أن الله سبحانه وتعالى يفسّر بعض القضايا السلبية في المجتمع أو في الأمة أو في الإنسان، بما يقوم به الإنسان نفسه. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٥)، فالله تعالى يقول ما معناه: إنك تذوق ما صنعت، وما طبخت، فإذا كنت تطبخ الفساد فستأكل الفساد، وإذا كنت تطبخ الإصلاح فستأكل الإصلاح.

تغيير الذهنية:

وقد تحدّث الله سبحانه في أكثر من آية عن أن الأساس في حركة الانحراف والاستقامة في التاريخ كانت ناشئة من الإنسان نفسه، قال تعالى:

(٤) الأنفال: ٥٣.

(٥) الروم: ٤١.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٦)، أي أنهم يذوقون كل ذلك بسبب ما صنعوه، لأن الإنسان هو الذي يضع أسباب عذابه وأسباب بلائه، وهذه نقطة أساسية. ولذلك لا بد أن نهتم في عالم التغيير؛ تغيير المجتمعات في كل قضاياها، أن نهتم بتغيير الذهنية؛ لأن أي إصلاح نقوم به، إذا لم ينطلق من تغيير الذهنية في اتجاه الإصلاح، لا يمكن أن يدوم، ولا يمكن أن يستقر أو يستمر. ولذلك تجد الآن - مثلاً - الكثير من الناس الذين يتحدثون عن مسألة الاعتراف بالآخر وعن (الديمقراطية)، لكن إذا كنت غير مستعد لتعترف بالآخر من خلال ذهنيّتك فتتخذه - مثلاً -، فكيف يمكنك أن تبني هذه الديمقراطية؟ وإذا كنت تعتبر أن فلاناً غير موجود وتحاول أن تلغيه ولم تكن مستعداً أن تتقبل الفكر الآخر وتدخل معه في حوار، فكيف يمكن أن تبني مجتمعاً متنوعاً؟ إن تلك الذهنية لا تخلق إصلاحاً سياسياً وإصلاحاً اجتماعياً وحتى إصلاحاً اقتصادياً، وإلا من أين تأتي الديكتاتوريات في العالم؟ لأن الإنسان يعتبر نفسه هو العالم، وأن الناس كلهم عبيد له، أو أن عليهم أن يخضعوا له.. هذه الذهنية هي التي تخلق الديكتاتورية، ونحن عندما يكون عندنا روحية العبودية، روحية الخضوع للقوي، فمن الطبيعي جداً أن يحكمنا القوي، لأننا نلغي إرادتنا أمام إرادته. وإذا كنّا مستعدين أن نبيع موافقنا ومبادئنا ونبيع كل بلادنا لمصلحة شخصية، بحيث إن الخاص يأكل العام، فلن يقوم هناك بلد، لأن كل شخص سيفكر بما تُمليه عليه أهواؤه الشخصية، ولذلك ففي أي بلد نريد رسم برامج إصلاحية، سواء كانت للإصلاح السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الأمني، علينا أن نضع أولاً تغيير ذهنية الإنسان في التعامل مع الآخر، وذهنيته في الاعتراف بالآخر، وفي التعامل مع الظروف الموضوعية التي تحيط به. هذا هو الخط الذي نستطيع أن نفتح عليه من خلال حديثنا عن مسألة الذهنية عند الأيوبيين في ما يستهدفانه من الرغبة في أن يكون لهما ولد.

شرف العائلة:

النقطة الثانية التي نحاول أن نثيرها، هي أن هناك ذهنية موجودة في التاريخ ولا تزال بقاياها موجودة في الشرق، وإن كانت قد بدأت تتضاءل في الغرب، وهي ذهنية العقدة من ولادة الأنثى، بحيث نجد الرغبة موجودة عند الكثيرين منّا، حتى المتدينين أو المؤمنين، بإنجاب الذكور، خاصة الوليد الأول، وربما عاش بعضهم العقدة إذا وُلِدَتْ له بنت أو بنات، وقد كان الجاهليّون قبل الإسلام يعيشون ذهنية أنّ شرف العائلة مربوط بالأنثى، بحيث إذا أُسيء إلى الأنثى، ولا سيّما في الأمر الذي يتصل بالعرض، فإنهم يعتبرون أن شرف العائلة قد سقط، ولذلك كانوا يثدّون البنت، بمعنى أنّهم كانوا إذا رُزق أحدهم بنتاً دفنوها وهي حيّة، وقد ندّد القرآن الكريم بهذه العادة، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(٧)، والمؤودة هي التي يئدها والدها أو أخوها، ويئدها بمعنى يدفنها وهي حيّة، ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٨). ولا تزال هذه الذهنية معروفة إلى الآن في كثير من البلدان العربية والإسلامية، وربما الشرقية عموماً، حيث نجد أن البنت أو المرأة إذا انحرفت - حتى إذا كان انحرافها تحت ضغط أو اغتصاب - فإن العائلة تجتمع لتوكل بعض أفرادها، أخاها أو أباه، أو أيّ أحد، بقتلها، وهناك بعض القوانين الموجودة في بعض البلدان العربية والإسلامية، لا تعاقب القاتل بجريمة القتل بالقتل، وإنما تعاقبه بعقوبة مخفّفة تقديراً للظروف الاجتماعية الموجودة التي تحيط بهذا العمل أو بهذا البلد. وكان العرب في ذلك الوقت يثدّون البنات، لأنه عندما كانت تقع الحرب بينهم، كان الطرف الغالب يسبي نساء الطرف المغلوب، ويؤدي هذا إلى أن يتزوّجوهن أو يمارسوا معهن علاقات غير شرعية، وهذا ما كان يلبّخ سمعة العائلة أو العشيرة أو القبيلة بالعار، ولذلك كانوا يقتلونهن عندما تولد. وقد انتهت ظاهرة الواد هذه بعد انتشار الدين الإسلامي، لكن المأساة تحولت إلى اتجاه آخر، حيث بدأ البعض بقتل النساء المتزوّجات أو غير المتزوّجات من دون دراسة الظروف التي حكمت على المرأة بأنها - مثلاً - زانية، وأن ذلك كان باختيارها أو بالإكراه، هذا من جهة.

(٧) التكوير: ٨.

(٨) التكوير: ٩.

التمييز بين الذكر والأنثى:

ومن جهة ثانية، تعتبر بعض التقاليد والعادات الاجتماعية أنّ الولد الذكر هو الذي يمكن أن يقوم بالمسؤولية تجاه العائلة، فهو الذي يعمل، وهو الذي يتاجر، وعلى المرأة أو البنت أن تجلس في البيت، فتصير عبئاً على البيت؛ لأنها مستهلكة وليست منتجة، وقد انطلقت هذه الأفكار مع ما يشير إليه بعض المحللين النفسانيين إلى نقطة، وهي أنّ حركة التاريخ بشكل عام، إلا في بعض الاستثناءات، هو تاريخ الذكورة، وليس تاريخ الأنوثة، يعني أن الذكر هو الذي يشرع، وهو الذي يحكم، وهو الذي يصنع العادات والتقاليد، ولذلك أصبحت الذهنية تعتبر الأنثى إنساناً من الدرجة الثانية أو الثالثة أو حتى لا درجة لها نتيجة سيطرة الذكر على الأنثى في مدى التاريخ. ونحن نعرف أن التاريخ عندما يمتد آلاف السنين، فإنه يصنع ذهنية، وتبدو هذه الذهنية كما لو كانت طبيعية، بحيث يواجهها الإنسان كما يواجه الحالات الطبيعية الذاتية، حتى إن بعض التقاليد والعادات - في بعض البلدان - تعتبر أنه لا يجوز أن تذكر المرأة باسمها، سواء من قبل الأهل أو الزوج، مع أنّ النبي ﷺ كان يذكر اسم (فاطمة الزهراء ﷺ)، والقرآن تحدث عن مريم بنت عمران ﷺ، ونحن الآن نتكلم عن السيدة زينب ﷺ، وما إلى ذلك، حتى إنّ بعض النساء سُئلت: ما هو اسمك، فأجابت: ليس لي اسم! لأنني لا أنادي به حتى في البيت، لأنها تنادي بأُم فلان، مع أنّ الاسم ليس فيه أية سلبية بالنسبة للإنسان، لأنه رمز لما يعرف الإنسان به.

وإذا أردنا أن نواجه القرآن الكريم وكيف يتحدث عن هذه الذهنية، نقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى﴾^(٩)، والله سبحانه وتعالى يتحدث عن ذلك الواقع، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، يكظم بمعنى يحبس غيظه، كأن في صدره غيظاً والظروف لا تساعد على أن يظهره، ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾^(١٠)، كأنه فعل شيئاً معيباً، ويريد من القوم أن لا يكتشفوا هذا العيب، وهو أنه قد ولدت له بنت، ﴿أَيُمْسِكُهَا عَلَى هُونٍ﴾ أي يدع هذه الأنثى على ضعف واحتقارٍ

(٩) النحل: ٥٨.

(١٠) الآية: ٥٩.

وما أشبه، «أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ» فيدفن الوليد في التراب، «أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» وهو الحكم في التمييز بين الأنثى والذكر، واعتبار أن الإنسان عندما يرزق بأنثى، فهي مشكلة له وعيب، وعندما نريد أن نستخدم مصطلحاتنا الحديثة، نقول: إن هذا التمييز عنصري، لأنه من قبيل التمييز بين الأبيض والأسود، مثلاً، أو التمييز بين الشرقي والغربي، سواء كان في الألوان، أو في الجغرافيا، أو في أي مجال من مجالات تنوع الناس؛ لأننا نعتبر أن تفضيل إنسان على إنسان لمجرد هذه العناوين الخارجية التي يتّصف بها من دون الالتفات إلى القيمة الروحية والفكرية، هو تمييز عنصري.

ولذلك نرى ما يتحدث به اليهود من أنهم شعب الله المختار تمييزاً عنصرياً، وهم أيضاً في الدولة التي صنعوها ظلماً وعدواناً يميزون بين العربي الموجود أو المسلم أو المسيحي الموجود في كيانه، نقول كذلك عندما يحصل التمييز بين الذكر والأنثى فهو تمييز عنصري، بل هو أسوأ من التمييز باللون أو بأي شيء آخر، ففي الحديث الشريف: ((لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى))، والله سبحانه وتعالى حدثنا عن المساواة في التنوع، ولم يجعل التنوع بين الناس ميّزة وفضيلة لهذا النوع على ذلك النوع، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا»^(١١)، فلم يفرّق بين هذا الشعب وذاك الشعب، وهذه القبيلة وتلك القبيلة؛ لأنّ كلّ الناس مخلوقون من ذكر وأنثى، والله سبحانه وتعالى إنما جعل تنوعاً هنا وهناك، بحيث جعل شعوباً متنوعة، وقبائل متنوعة، بحيث تتحرك هذه الأنواع كلّ في دائرتها، حتى تملك بعض الخصائص من العلم والخبرة والأمور الأخرى، حتى يتعارف الناس فيما بينهم، ويعطي كل شعب للشعب الآخر ما لديه من خصائص وتجارب، ولكن كل هذا لا يمثل القيمة، فالقيمة في قوله تعالى: «إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»، فالله سبحانه وتعالى لا يريد أن يعتبر هذه الخصوصيات الخلقيّة أساساً تمييزاً عنصرياً، فكيف بالنسبة للذكر والأنثى؟ الذكورة والأنوثة هي في كيان الإنسان، هي خلق الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ الذكر يملك في داخل تكوينه

العقلي وتكوينه الروحي وتكوينه الجسدي، ما جعله والأنثى يتشاطران بناء الحياة، وكذلك الأمر بالنسبة للأنثى. ولذلك فإن التمييز العنصري بالنسبة إلى الذكر والأنثى أخطر من ناحية القيمة الإنسانية من التمييز بين الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، هذه هي الفكرة الإسلامية، ولذا قال تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، يعني أن هذا الحكم حكم ظالم وحكم باطل وحكم سيئ، هذا بالنسبة إلى الكتاب العزيز.

مركز البنت في المفهوم الإسلامي:

ويمكن أن تضيء ما ذكرناه بعض النصوص الواردة عن الرسول ﷺ وعن الأئمة من أهل البيت ﷺ، الذين كلامهم هو كلام الرسول ﷺ. ففي الرواية: ((أتى رجل)) يعني أتى به من قبل أهله، ((وهو عند النبي ﷺ فأخبر بمولود أصابه)) أي زوجته كانت تلد فأخبر بالنتيجة، ((فتغير وجه الرجل، فقال له النبي ﷺ: ما لك، فقال: خير)) فلم يرد أن يدخل في التفاصيل مع النبي ﷺ، ((فقال له النبي ﷺ: قل، ما الذي حدث؟ قال: خرجت والمرأة تمخض)) يعني في حالة ولادة، ((فأخبرت أنها ولدت جارية)) يعني أنثى، ((فقال له النبي ﷺ، الأرض تقلها والسماء تظللها)) مثل بقية الناس، ((والله يرزقها)) ورزقها ليس عليك، ((وهي ريحانة تشمها))^(١٢) دلالة على ما تحمله الأنثى لأبيها من حنان، ومن عاطفة قد لا توجد لدى الذكر.. وفي حديث آخر عن الإمام الصادق ﷺ: ((عن رجل رآه متسخطاً من جارية ولدت له)) أي ساخطاً وغضباً، فقال له الإمام ﷺ: والأئمة ﷺ عندهم أساليب متنوعة في جعل الإنسان يتحرك بالفكرة دون أن يشعر أنها على خلاف ما هو عليه. ((قال: أرايت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول؟)) أي عندما حملت زوجتك، لو أن الله تعالى أوحى لك: أي شيء تحب؟ أنا أختار ما هي المصلحة وأنت؟ ((قال: كنت أقول يا ربي تختار لي.. قال: فإن الله قد اختار لك)) فما دمت مستعداً لأن تقبل بخيرة الله تعالى لك أكثر من خيرتك لنفسك، فالله تعالى اختار لك، فارض بما اختاره الله تعالى لك. وكان الإمام الصادق ﷺ يقول للشخص الذي يتعقد من أنه (أبو البنات) ولم

يأتاه أولاد: ((هل أنت أفضل أم رسول الله ﷺ أفضل؟)) فإنه ((كان رسول الله أبا البنات))^(١٣) وكان عنده ولد وهو إبراهيم، فاختره الله سبحانه وتعالى. وفي حديث آخر عن الرسول ﷺ: ((لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات))، وفي حديث آخر عنه ﷺ: ((من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها..)) على الأخلاق والقيم الروحية والأخلاقية، ((وعلمها..)) وهذه موجّهة إلى الذين ينكرون على البنت أن تتعلّم، ويعتبرون أن البنت للمطبخ ولحضانة الأولاد فقط ((فأحسن تعليمها، فأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليها)) فإن له جائزة كبيرة: ((كانت له منعة وستراً من النار))^(١٤)، فتوا به من الله سبحانه وتعالى على هذه الرعاية التأديبية والتعليمية والإحسانية لابنته أن يجعل هذا سترًا ومنعةً من النار.

وفي حديث آخر أيضاً عن الرسول ﷺ: ((من ولدت له ابنة فلم يؤدّها ولم يهنّها، ولم يؤثر ولده عليها..)) يعني من الذكور، ولم يفضل الابن الذكر عليها، نتيجة ذكورته، باعتبار أنه الولد المميز وهي في الدرجة الثانية أو الثالثة ((أدخله الله بها الجنة))^(١٥). وهذا هو المعنى الإنساني الذي يريد الرسول ﷺ للناس أن يعيشوه، بمعنى أن تتعامل مع ابنتك كإنسان كامل، يحتاج إلى الاحتضان والمحبة والرعاية والتدبير، تماماً كما هو الولد، وأن لا تؤثر ولدك على ابنتك، ولكننا - مع الأسف - لا نزال نعيش بحسب الواقع غير ذلك مما بيّناه.

إيثار الذكور بالوصية:

وهناك ظاهرة أخرى موجودة في مجتمعاتنا، وذلك في مسألة (الوصية): إذ نلاحظ الكثير من الأشخاص يحاول أن يوصي بأكثر تركته للأولاد الذكور، أما البنات، وهنّ أكثر حاجةً عادةً من الذكور، ولا سيما إذا كنّ لا يعملن، فإنه ينقص من حظهن، وكأنه يعتبر المال الذي عنده إذا أعطاه للأولاد فإنه يبقى مال العشيرة أو مال القبيلة أو ما إلى ذلك، لكن إذا أعطاه للبنات فإنه ينتقل

(١٣) البحار. ج. ٥. ص. ٥٦. ح. ٦٠.

(١٤) البحار. ج. ٥. ص. ١٠٠. ح. ١١.

(١٥) نفسه. ص. ٢٩٣. ح. ٥٠.

لأصهرته، على طريقة بيت الشعر الذي قرأناه سابقاً، مع أننا لو درسنا القضية بعقل بارد، فإنك عندما تعطي ابنك الذكر ویتزوّج، فإنّ الزوجة التي تُعتبر غريبة هي التي تتنعم بهذا المال، وإذا رُزقت ابنتك بأولاد فهؤلاء أولاد ابنتك، وهم أولادك، فكيف لا تعتبرهم أولادك، مع أن النبي ﷺ كانت ذريته من ابنته السيدة الزهراء ؑ، ابنته المميّزة الطاهرة المطهرة، حيث كان يقول الرسول ﷺ: ((إن هذين ابناي)) وهو يشير إلى الحسن والحسين ؑ.

لذلك، فإنّ تلك الذهنيات ذهنيات جاهلية، تجذّرت وأصبحت من العادات والتقاليد التي قد يصعب على الكثير من الناس التخلّص منها، لكن يجب أن نعمل على ذلك، خصوصاً ما أشرنا إليه في الندوة السابقة، وهو أنّ البنت أصبحت تعمل كما يعمل الولد، ولذلك يمكن لبعض البنات أن تتملّك من إنتاجها، ومن عملها أكثر مما يملك الولد، فقضية أن الولد هو المنتج وأنّ البنت ليست منتجة، هذه كانت في العصور السابقة، أما الآن فالأمر مختلف، غاية ما هناك أنه يمكن أن تكون هناك تحفّظات، وتساؤلات عندما تعمل البنت وكيف تحافظ على أخلاقها وعلى قيمها، ولكن هذا أيضاً ينطبق على الولد، كيف يحافظ على أخلاقه؟ وقد قلنا سابقاً إنّ الأخلاق ليست ضريبة مفروضة على المرأة فقط، بل هي مفروضة على الرجل والمرأة، على الإنسان كله، كما قال الرسول ﷺ: ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) ومكارم الأخلاق تشمل الإنسان كله.

هذا ما يتعلّق بتغيير الذهنية التي تميّز الذكر عن الأنثى، في ما يتصل ببداية تدبير الأسرة، في نظرة إلى الأولاد في بداية نشوئهم، وسنتحدث عن الجانب العاطفي الذي لا بد أن يعيشه الأبوان بالنسبة إلى أولادهم، وما هي المسؤوليات، وما هي التطلّعات، وهذا ما نرجو أن نتحدث عنه إن شاء الله تعالى في الأسبوع القادم.

والحمد لله ربّ العالمين.

تدبير الأسرة (١)

الأسلوب الإسلامي في التعامل مع الأطفال

الطفل بحاجة إلى أن
يعيش الاندماج العاطفي
مع أمه وأبيه في حركته
ولفته ولعبه .

- ♦ التربية الصامته
- ♦ إشعار الطفل بالقسوة
- ♦ التعبير عن العاطفة
- ♦ برّ الأولاد
- ♦ العدل بين الأولاد
- ♦ حقوق الولد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا زلنا نتحدث في موضوع (تدبير الأسرة)، ما هو الأسلوب الإسلامي في التعامل مع الطفل في طفولته الأولى؟ وكيف يتعامل الأب مع طفله؟ وكيف تتعامل الأم مع طفلها من الناحية العاطفية والشعورية؟

التربية الصامته:

هناك حديث نبوي شريف يقول: ((من كان عنده صبي فليتصاب له))^(١)، وفي حديث عن الإمام علي عليه السلام: ((من كان له ولد صبا))، يعني عندما يكون لك طفل تقمّص شخصيته في تعاملك معه، وتحدث معه كما لو كنت طفلاً يتحدث مع طفل، والعبّ معه كما يلعب الطفل مع الطفل الآخر، وتعامل مع طريقته في التفكير والحركة كما لو كنت طفلاً يفكر مع طفل ويتحرك معه؛ لأنّ الطفل بحاجة إلى أن يعيش هذا النوع من الاندماج مع أبيه ومع أمه، بحيث يتمثلهما في لعبه، وفي لغته، وفي كلّ حركاته، وهذا هو الطريق الذي تدخل فيه إلى مشاعره وأحاسيسه، ولا سيّما إذا لم يكن في البيت طفل آخر يعيش معه ويلعب معه.. كنّ بديل الطفل في ذلك؛ لأنّ ذلك ينمّي شخصيته الطفولية، بحيث تستطيع أن تمنحه بعض المفردات التربوية والروحية من خلال لغته الطفولية، أو من خلال مشاعره الطفولية.

هذه المسألة لم يطلقها النبي ﷺ بطريقة فكرية تجريدية، بل إنّه عاشها في بيته؛ فنحن نعرف أن النبي ﷺ هو الذي ربّى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في طفولتها، على الرواية المعروفة بأن السيدة الزهراء عليها السلام ولدت في السنة الخامسة

بعد البعثة النبوية، وماتت أمها السيدة خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين ﷺ في السنة العاشرة بعد البعثة، ما يعني أنَّ عمر السيدة الزهراء ﷺ آنذاك كان خمس سنوات، ولم يكن في البيت أي امرأة تتعهدا، ولم يتزوج النبي ﷺ آنذاك. ومع أن التاريخ لم يترك لنا الكثير من أخبار السيدة الزهراء ﷺ، إلا أن بعض القصص الصغيرة يمكن أن يستشف منها أن السيدة الزهراء ﷺ من خلال هذه التربية الرسالية والروحية في التفاعل مع أبيها، كانت عندما ترى المشركين يلقون سلل الجزور، أي أمعاء، على ظهره، كانت تقابله بالبكاء، ما يدل على أنها اختزنت في داخل طفولتها هذه الكثير مما أعطاه إياه رسول الله ﷺ.

كما نستطيع أن نتعرف أسلوب رسول الله ﷺ مع الزهراء ﷺ من خلال أسلوبه ﷺ مع الإمامين الحسن والحسين ﷺ، حيث تنقل كُتُب السيرة أنه كان يلعبهما، وكان يغني مشاعرهما بما يتصرف به معهما من الاحتضان والتقبيل، ويُنقل في سيرته أن رسول الله ﷺ كان يقبل الحسن والحسين ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: ((إن لي عشراً من الولد، ما قبلت أحداً منهم))، كأنه يشير إلى وجود جفاف عاطفي ربّما يكون ناشئاً من فكرة يعيشها المجتمع آنذاك، وهي أنه لا يناسب الرجل الكبير أن يقبل أطفاله، بل لابد أن يُشعرهم بالهيبة، فيعاملهم بالجفاء حتى يهابوه ويخضعوا له، فقال رسول الله ﷺ: ((من لا يرحم، لا يُرحم))^(٢)، فإذا لم ترحم ولدك وطفلك. وهو بحاجة إلى رحمة الأبوة. لا ترحم.. ومن الطبيعي أن هذه العاطفة، بالإضافة إلى ما ذكرناه من ملاعبة الصبي والتصابي له، تُغني جوعه العاطفي؛ لأن الصبي، في هذا الضعف الذي يخزنه في شخصيته، يحتاج إلى الكثير من الاحتضان، وإلى الكثير من الإحساس بالرعاية والمحبة والعاطفة، حتى يشعر بالأمان. ونحن نحتاج إلى أن ندرس شخصية الطفل ومشاعره وأحاسيسه؛ لأن الكثيرين يرون الطفل مجرد لعبة أو شيء يملكه ويتزين ويستمتع ويزهو به.

إشعار الطفل بالقسوة:

ونحن نلاحظ في هذا المجال، أن مسألة العاطفة هي أسلوب من أساليب

إحساس الطفل بالقوة، وأنه ليس وحده أمام ما يلاقيه، وهذا ما نلاحظه عند شعور الطفل بالخوف أو بالألم، فإننا نجد يأتى مباشرة إلى أحضان أمه أو أبيه، أو إلى حضن من هو أكبر منه؛ لأنه يشعر كأنه المأمّن والمُلجأ الذي يُشعره بالإشباع العاطفي.. كما نلاحظ أنّ اليتيم الذي يفقد أباه، أو يفقد أمّه إلى جانب أبيه، يعيش في نفسه جوعاً للحنان. ومن هنا أمر الدين الإسلامي برعاية اليتيم وكفالتهم؛ فقال رسول الله ﷺ: ((أنا وكافل اليتيم كهاتين. مشيراً إلى السبابة والوسطى معاً. في الجنة))^(٣)؛ وهذا ما يوجب علينا أن نشبع اليتيم من العاطفة كما نشبعه من الغذاء؛ فكما أن للإنسان جوعاً غذائياً وعطشاً غذائياً، فهناك أيضاً جوع عاطفي وجوع شعوري، ولذلك فإن الأشخاص الذين يحرمون من العاطفة - عاطفة الأب أو عاطفة الأم - يعيشون نوعاً من الإحساس بشيء من الجوع، ولعل كلمة النبي ﷺ عن السيدة فاطمة الزهراء ؑ التي حضنت أباها وأعطته كل قلبها وكل حنانها وعاطفتها: ((فاطمة أم أبيها))، هذه الكلمة توحى بحسب ظاهرها - بالرغم من أنّ بعضهم فسّرها تفسيرات عرفانية - أن النبي ﷺ فقد حنان أمه، كما فقد حنان أبيه، والأم هي التي تعطي جرعات الحنان للطفل، سواء كان في إرضاعه، أو في احتضانه، أو في هدهدته، أو في كل ذلك .. لذلك فإنّ السيدة الزهراء ؑ - بحسب إحياءات الكلمة - عوّضت النبي ما فقد من حنان أمه، والنبي ﷺ بشر، ولا مانع من أن يكون لديه جوع، فكما يجوع النبي ﷺ عند حاجته للغذاء، وكما يعطش ويظلم عند حاجته للماء، كذلك يعيش الجوع عند حاجته إلى العاطفة، ليس من باب النقص، ولكنه أمر إنساني طبيعي كالحاجة إلى الغذاء وما شابه..

كذلك نحن نلاحظ في كلام الإمام علي ؑ في (نهج البلاغة) عن طريقة تربية النبي ﷺ للإمام علي ؑ إذ يقول: ((وضعني في حجره وأنا وليد يضمنني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمني عرقه)) أي عطره، ((وكان يمسّغ الشيء ثم يلقمنيه))^(٤) وهذا معناه أن النبي ﷺ في تربيته لعلي ؑ في

(٣) البحار. ج ٣٥. ص ١١٧. ح ٥٨.

(٤) نهج البلاغة. خ ١٩٢. ص ٤٧٤.

طفولته الأولى، وكان عمره سنتين، كان يريد أن يعطيه إشباعاً عاطفياً، بحيث إنه يضمّه فراشه، ويشمّه عرفه، ويحضنه، ويطعمه كما تطعم أم الطيور فراخها..

التعبير عن العاطفة:

ثم نقرأ في النصوص الدينية ما يشير إلى الجائزة التي يحصل عليها من يقبل ولده، والتقبيل هو حركة تعبّر عن العاطفة والاحتضان والمحبة، وعن كل تلك المشاعر الإنسانية، فعن النبي ﷺ: ((من قبل ولده كتب الله له حسنة)). وفي حديث آخر: ((إن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده))، بحيث أراد الله تعالى أن يشجّع الأب والأم على محبة الولد، بما يستتبعه ذلك من أساليب السلوك التي يحتاجها الولد، كأنه قال له: هذا عمل تقترب به إليّ، وإن الذي يجب ولده يعيش الرحمة لولده، والله سبحانه وتعالى يرحم الرحماء؛ لأنه تعالى هو الرحمن الرحيم، إنه تعالى جعل ذلك من صفات النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦)، وهكذا كان صحابة النبي ﷺ الرحماء فيما بينهم، كما في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٧).

وفي حديث عن النبي ﷺ قال: ((أحبوا الصبيان وارحموهم)) بكل ما تفرضه الرحمة من وسائل التعامل معهم، من خلال الشحنة العاطفية التي تُشحن بها مشاعرهم وحواسهم وقلوبهم، ((وإذا وعدتموهم ففؤا لهم))^(٨) يعني إذا طلب منك ولدك شيئاً، أي شيء، وقلت له إني سوف آتي به لك، فعليك أن تفي بوعدك له، فلا تعدّه وتتهرب منه. ونحن نلاحظ في سلوك بعض الآباء مع أبنائهم -أنّه عندما يريد الأب الخروج من المنزل يأتيه أولاده ويطلبون منه أن يشتري لهم شيئاً ما، وربّما كان الأب يريد أن يتخلص من مطالبهم، فيقول لأحدهم: سأتي لك بجاجتك، ولكن عندما يرجع إلى البيت لا تكون معه حاجة ولده معه، والحديث

(٥) آل عمران: ١٥٩.

(٦) التوبة: ١٢٨.

(٧) الفتح: ٢٩.

(٨) الفقيه، ج ٣، ص ٤٨٣، ح ٤٧٠٢.

يقول: ((ففوا لهم))، والوفاء بالوعد أسلوب تربوي، حيث يعطي الولد درساً في أن الوعد يستتبع الوفاء؛ لأن الأب هو المثل الأعلى للولد، ولا سيما في طفولته الأولى، فمن الطبيعي أنه إذا وعده فعليه أن يفي بوعد له. كما أن لذلك بعداً نفسياً، ((فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم))، فالطفل يفهم أنك أنت الذي ترزقه، الذي منك غذاؤه، ومنك شرابه، ومنك لباسه، ومنك كل ما يتمناه في حياته، منك ذلك كله، فإن لم تفِ بوعدك له، فإنه يشعر بما يشبه الضياع، باعتبار أن الذي يرى أنه يرزقه امتنع عن ذلك، وعلى هذا يعيش الفراغ بالنسبة إلى المستقبل... هذه هي الرقة الإسلامية في التعامل..

بر الأولاد:

وهناك مسألة يركّز عليها الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ما ينقله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي مسألة برّ الأولاد، والمعروف عندنا هو برّ الوالدين، وهذا ما يتحدث به الوعاظ والعلماء والنصحاء، ولكن هناك شيئاً آخر يركّز عليه الإمام الصادق عليه السلام وهو بر الولد، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((قال رجل من الأنصار من أبرّ قال: (والديك)) والإمام - في ذلك - ينقل الحوار بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أحد أنصاره ((قال: قد مضياً)) أي ماتا، ((قال: برّ ولدك))^(٩)، وهنا نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أن بر الوالدين وبر الولد في مستوى واحد، وكأن الثاني يصير تعويضاً عن بر الوالدين، يعني أن ما تحصل عليه من الثواب من بر الوالدين، إن فاتك من الأجر والفضيلة، فإن هناك تعويضاً، وهو بر ولدك، فإنك تتال من ذلك ما تتاله من برّ والديك.

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما))^(١٠)، يعني أنّه كيف هو عقاب العاق لوالديه؟ وكيف تكون نظرة الإسلام إليه؟ فإن إهمال الوالدين لولدهما والتعسف معه، والضغط عليه ومعاملته بالقسوة - من دون حق - من العقوق الذي يؤاخذ به الإنسان، هذا في الجانب السلبي.

أمّا في الجانب الإيجابي، فهناك أيضاً حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((رحم

(٩) الكافي ج ٦، ص ٤٩، ٢٠.

(١٠) التهذيب ج ٨، ص ١١٢، ح ٣٥.

الله والدين أعانا ولدهما على برهما))^(١١) أي أنك إذا أردت لولدك أن يبرك، فعليك أن تتبع معه أسلوباً يجعله يحبك، ويجعله يخلص لك، ويجعله يتعلق بك، وذلك بأن ترحمه، وأن تحسن إليه، وأن تتعامل معه في موقع المسؤولية، في إغناؤه عاطفياً، وفي تلبية حاجاته الواجبة عليك، وفي رعايته بالحسنى، وفي تجاوز أخطائه، وما إلى ذلك مما سيأتي بيانه لاحقاً.. لذلك أنت تجعل ولدك يحبك، وتجعله يخلص لك، ويذوب فيك، وبذلك فإنك تعينه على برّك، هذا كله في مسألة المحبة ومسألة البر..

العدل بين الأولاد:

وهناك مسألة أخرى، وهي مسألة العدل بين الأولاد. فإذا كان لديك أكثر من ولد، فكيف تعدل بين أولادك؟ بأن لا تفضل ولداً على ولد في الجانب العاطفي، فقد روي عن النبي ﷺ: ((اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)). وفي حديث آخر: ((إن لهم عليك من الحق)) أي أولادك، ((أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك))^(١٢)، فإذا أردت أن يبروك ويتعاملوا معك بالإحسان، فعليك أن تعدل فيما بينهم؛ لأنك إذا لم تعدل بينهم، فسوف يتعقد منك من تفضل أخاه عليه، وسوف يتعقد أيضاً ضد أخيه.

ويمكن التعرّض هنا إلى ما جرى مع أخوة يوسف ﷺ، حيث إنهم أتهموا أباهم بأنه يؤثر يوسف وأخاه عليهم، لكن كلامهم هذا لم يكن صحيحاً، بل إن المسألة كانت حباً طبيعياً، لأنهم كانوا كباراً، وكان النبي يوسف ﷺ صبيّاً صغيراً، وكان أخوه أيضاً أصغر منه، وكان يعقوب ﷺ يرعاهما، بلحاظ صغر سنهما؛ لأن أبناء الكبار ليسوا بحاجة إليه، ومع ذلك فإنهم حسدوا أخاهم النبي يوسف ﷺ وأخاه على هذه المحبة. ومن الطبيعي جداً أن الإنسان عندما يكون عنده ولد عمره عشرون سنة وولد آخر عمره سنتان أو ثلاث، أن يحتضن الصغير وأن يحبه، وقد قيل لامرأة: (أي الأولاد أحب إليك؟ قالت: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يشفى، وغائبهم حتى يعود)، لأن هذا هو محل العاطفة الطبيعية:

(١١) الفقيه. ج ٤. ص ٣٧٢. ح ٥٧٦٣.

(١٢) البحار. ج ٦٦. ص ٣١٤. ح ٩.

لأن هذا بحاجة إلى العاطفة، وذلك ليس بحاجة إليها، لا أن المسألة مسألة تمييز بينه وبين الآخر، والتعامل سيكون مع كلٍّ منهما بحسب ما يحتاجه، وإلا هل من المعقول أن يعتبر أحدٌ أن احتضان الأم لوليدها وحداها له وما إلى ذلك هو تمييز بينه وبين الولد الذي عمره ١٥ سنة مثلاً؟. ولذلك فإن من يعتبر أن النبي يعقوب ﷺ يميّز بين النبي يوسف ﷺ وأخوته لم يفهم طبيعة المسألة؛ لأن أولاده الكبار كانوا معقّدين من يوسف مع أنّه كان لا يزال صغيراً، وهو ما يُستفاد من قوله تعالى حكايةً عن لسانهم: «أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(١٣)، ما يعني أنّ النبي يوسف ﷺ كان في سن اللعب، وقد وُصف أيضاً بأنّه غلام، كما في قوله تعالى: «وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ❖ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ»^(١٤)، كانوا يريدون بيعه للخدمة، ولكنهم لاحظوا أنّه لا يصلح لذلك لصغر سنّه، فباعوه بثمن بخس. فلذلك يجب أن تفهم قضية النبي يعقوب ﷺ على أنها عقدة ذاتية عاشت مع أولاده الكبار، وليست مسألة أنه هو لم يعدل بينهم وبين النبي يوسف ﷺ وأخيه.

ومما روي عن الرسول ﷺ قوله: ((إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القَبْلِ)) فعندما تقبّل ولداً، قبل الثاني، حتى لا يكون هناك شعور بالألم عند أحدهم، وأنك تحب أخاه أكثر منه، كما هو الشعور الطبيعي.. وعن الإمام علي ﷺ قال: ((أبصر رسول الله رجلاً له ولدان، فقَبِل أحدهما وترك الآخر، فقال ﷺ: فهلاً ساويت بينهما))، أي لماذا تركت تقبيل الآخر؟ ونلاحظ من خلال ذلك - على الهامش - كيف أن النبي ﷺ كان دقيقاً في متابعة أصحابه حتى في الأمور الجزئية، بحيث إنه يعمل على تربيتهم حتى في سلوكهم في الشارع، وسلوكهم في المنزل، وسلوكهم في المسجد، لأن كان حريصاً عليهم، وقد قال تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»^(١٥)، بحيث إنه إذا رأى أية سلبية، فإنه يحاول أن يلاحقها ويحوّلها إلى

(١٣) يوسف: ١٢.

(١٤) يوسف: ١٩، ٢٠.

(١٥) التوبة: ١٢٨.

إيجابية، وهذا درس ينبغي أن يتعلمه كل العلماء والمبشرين والمرشدين، في أن يتابعوا الناس حتى في مفردات حياتهم، لكي ينبهوهم على أخطائهم. ومع الأسف، فإنّ الفكرة الموجودة لدى كثير من المبشرين أنّه يكفي في التبليغ أن نعطي الناس العناوين العامة، ولكن لا نلاحقهم في طريقة التطبيق، ولذا تختلف الخطوط العامة مع الخطوط التفصيلية عندنا، وهذا الذي يسبب الجهل ويسبب الفوضى الفكرية عند الكثيرين من المؤمنين.

وفي بعض الأحاديث عن (النعمان بن بشير) أنه قال: ((أعطاني أبي عطية)) أي أعطاني هدية ما، ((فقال أمي: لا أرضى حتى تشهد النبي)) وربما يكون قد أعطاه قطعة أرض، فأرادات أمه أن تكون هذه الوثيقة مؤكدة، بحيث يشهد عليها النبي ﷺ، ((فأتى النبي ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من غمرة)) غمرة هي أم الولد، ((عطية، فأمرتني أن أشهدك، فقال: أعطيت كل ولدك على مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، لا أشهد على جور))، وهذا الظلم ليس ظلماً حقيقياً؛ لأن ((الناس مسلطون على أموالهم))^(١٦)، ولكن النبي ﷺ أراد أن يشير إلى أنّ ذلك يعتبر ظلماً أخلاقياً، وظلماً تربوياً.

حقوق الولد:

وفي مسألة إعانة الوالدين ولدهما على برهما، قال رسول الله ﷺ: ((رحم الله من أعان ولده على بره، قال: قلت كيف يعينه على بره؟ قال: يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره)) عن الأشياء المرهقة له، ((ولا يرهقه))، يعني لا يجهد في ما يكلفه، ((ولا يخرق به)) يصيح بوجهه بشكل عنيف، ((وليس بينه وبين أن يدخل في حد من حدود الكفر)) والمقصود هو الكفر في خطوته الأخلاقية، وليس الكفر في خطوته العقائدية، ((إلا أن يدخل في عقوق أو قطيعة رحم))^(١٧) مما يكون داخلاً في العقوق.

وهناك حديث آخر يقول فيه الإمام علي عليه السلام: ((حق الولد على الوالد أن

(١٦) البحار. ج ١٥. ص ١١١. ح ٦.

(١٧) التهذيب. ج ٨. ص ١١٣. ح ٣٩.

يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن))^(١٨). وفي هذا الحديث ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: ((أن يحسن اسمه)). فعندما تريد أن تسمي ولدك، فلا تنظر إلى مزاجك، ما الذي تحب من الأسماء، بل انظر إلى تأثير هذا الاسم على ولدك في حياته؛ لأن بعض الأسماء ربما يؤثر سلباً على الولد، بحيث تخجله، أو تخلق له مشاكل معينة مثلاً، وهناك عادة موجودة عند بعض الناس في بعض المناطق أنهم يسمون أولادهم بأسماء تحمل دلالات سلبية على المستوى النفسي والاجتماعي، وربما يكون ذلك بسبب بعض الظروف، كأن يموت له أكثر من ولد فيسمي ابنه (زبالة) - مثلاً - حتى يعيش، وهذه النظرية متخلفة وخرافية، بل ظالمة؛ لأنه كيف سيكون موقف هذا الولد أمام الناس عندما يكبر؟. وفي بعض المناطق قد يسمون الولد بأسماء مثل (كلب علي) أو (كلب الحسين)، وحتى لو فرضنا أن ذلك ناشئ من التواضع لعليّ والحسين ﷺ، لكن حتى الإمام علي لا يقبل بذلك، لأن الإمام علياً ﷺ كان يحترم الناس ويحبهم.

وهناك بعض الأسماء التي قد توحى بما لا نريده على المستوى العقائدي بالرغم من أن ذلك ليس مقصوداً في هذا المجال؛ فمثلاً يسمي البعض ولده (يد الله) أو (نور الله)، مع أنه لا يوجد أحد يكون نور الله جلّ وعلا، أو يده سبحانه، وهو بهذه التسمية لا يريد من الاسم معناه الحقيقي، بل يوحى بشيء آخر. ومن هذا القبيل الأسماء التي تكثر في أوساطنا مثل (عبد علي) أو (عبد الحسين) أو (عبد الحسن)، ومن المعلوم أنه ليس هناك أي شيعي يسمي ابنه بهذه الأسماء وهو يريد معنى العبودية، كما نقول (عبد الله)، ولا يقصد ذلك قطعاً، بل يكون قصده التعبير عن المحبة الولائية المخلصة حتى كأنه عبدٌ لسيّده، كما كان يُعرف في مرحلة وجود العبيد والإماء في المجتمع الإسلامي، عندما كان الناس يُباعون في سوق النخاسة بلحاظ الظروف العسكرية في ذلك الوقت، لكن هذه الأسماء عندما تُقدّم للآخرين، فيقولون إن الشيعة يعبدون أئمتهم، والدليل على ذلك أنهم يسمون (عبد الحسين) أو (عبد علي) أو (عبد الحسن)، في الوقت الذي نستطيع أن نعبر فيه عن حبنا للأئمة ﷺ بأن نسمي (علياً) أو (حسناً) أو (حسيناً) ونتج

من جديد كلّ أسماء الأئمة عليهم السلام، ونجعل الناس تتذكّرها، خصوصاً وأنّه ورد عندنا في الحديث الشريف: ((خير الأسماء ما حمّد وأصدقها ما عبّد)) يعني كلمة (عبد الله)، وكل ما هو من أسماء الله سبحانه وتعالى، فإذا كنا نريد أن نسمي، فإنّ أشرف الأسماء هو اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، فسمّ محمداً مثلاً، وسمّ أيضاً بأسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام، ليعيش الإنسان هذا الانفتاح على أهل البيت عليهم السلام وعلى سيرتهم، فعندما يذكر اسم (الحسين) مثلاً، فإننا نسترجع كل ما يمثله هذا الاسم من أسماء الأئمة عليهم السلام، وهذا شيء جيد، ونوع من أنواع التذكير المتحرك بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

فكثير من الكلمات تطلق ويحملها الآخرون من معانيها ما لا تقصده قطعاً، وبذلك يتعذب الشخص الذي عنده هذا الاسم، كما في الذين يذهبون إلى بعض الدول المعقّدة مذهبيّاً، وهم يحملون أسماء مثل (عبد الحسين) أو (عبد الرسول)، فإنهم يكتبون بدلها (عبد رب الحسين)، و(عبد رب الرسول)، باعتبار أنهم يتصوّرون في ذهنيّتهم أن هذا نوع من الشرك. ونحن دائماً نقول إنه لا يمكن اعتبار زيارة القبور والتوسل بالأنبياء والأولياء والاستشفاع بهم شركاً؛ لأنّ الشرك هو أن تجعلهم في مرتبة الربّ، أو مرتبة قريبة من مرتبة الربّ في الدرجة، وهذا ليس وارداً في عقيدة أيّ مسلم شيعي، بل يراهم عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. وعلى كل حال، فإن هذه الأسماء تتعب الولد، وتوحي بغير ما يراد، وخصوصاً تسمية البنات. الآن. حيث يوجد عندنا الآن أسماء جديدة وعصرية تتسجم مع أصالتنا. فيجب أن ننظر إلى المجتمع الذي ستعيش فيه هذه البنت أو هذا الولد؛ لأنّ الاسم يوحي بالكثير من الأشياء بالنسبة للولد، ولذلك من حق الولد على أبيه أن لا ينطلق في تسميته له من حالة مزاجية، بل أن ينطلق من دراسة أن هذا الاسم، هل يجعل الولد يرتاح له أم لا؟ أو يجعله ينزعج منه. وللكلام بقية إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين.

تدبير الأسرة (٢) حقوق الولد على الوالدين

من أصول تدبير الأسرة
أن يربّي الوالد أسرة
تنفتح على المعرفة
والخير والأخلاق

- ♦ حق التعليم
- ♦ حق الزواج
- ♦ المنهج الإسلامي في التربية
- ♦ البعد الديني للتربية
- ♦ الشعور بالحاجة
- ♦ قيمة المرأة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع انبياء الله المرسلين.

تحدثنا في وقت سابق حول ما ورد عن رسول الله ﷺ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى حق الولد على والده، لأنَّ من أصول تدبير الأسرة أن ينطلق الوالد ليبنى أسرة تفتح على المعرفة وعلى الخير وعلى الأخلاق، وذلك هو الذي يجعل الأسرة تحقق للمجتمع غناه وتقدمه وخيره، حيث إنَّ المجتمع يتكوّن من هذه الخلايا العائلية التي يتحرّك فيها القائمون على شؤون هذه العائلة أو تلك من أجل أن يقدموا للمجتمع عائلة تحقق له التقدّم والنمو والازدهار.

حق التعليم:

وقد ورد في حديث عن الإمام علي عليه السلام يقول فيه: ((حق الولد على الوالد أن يُحسن اسمه))، وقد تحدثنا عن ذلك بأن يختار له الاسم الذي لا يتعبه ولا يُرهقه، ولا يعطي عنه فكرة لا يلتزمها الولد.. ((ويُحسن أدبه))، وكلمة (الأدب) تعني التربية الأخلاقية، سواء على مستوى الأخلاق الفردية في ما يأخذ به الإنسان لنفسه من الأدب في كل شؤونه الخاصة، أو التربية الاجتماعية مما يأخذ الإنسان به لنفسه من الأدب الاجتماعي، لأنَّ على الأب أن يربّي الولد على أساس كونه جزءاً من المجتمع يتحرّك على أساس مسؤولية المجتمع، تماماً كما يربيه على أن يكون شخصاً يحترم نفسه في ما يبنى لنفسه الكيان الذي يمنحه القيمة والخير والحماية والرعاية، وهذا أمر يتصل بالتربية الجادة المتحركة، التي يراقب فيها الأب ولده في ما يعمل على أساس تهيئته ليكون إنساناً صالحاً. ((ويعلمه القرآن))، وهذه هي الخصلة الثالثة، وهي أن نهتمّ بتعليم أولادنا

القرآن، لأن القرآن هو كتابُ الله، وهو وحي الرسالة، وهو الذي يجعل الإنسان في ما يتضمّنه من أفكار العقيدة والشريعة والمفاهيم والمناهج، إنساناً مسلماً يحمل الشخصية القرآنية. وعندما نتحدّث عن تعليمه القرآن، فإنه لا يُراد به مجرد تعليمه الكلمات القرآنية، بل أن يتناول المفاهيم القرآنية بما يتمثّل فيها من القيم الروحية والأخلاقية والأصول العقيدية والمنهجية، فالله أراد من القارئ أن يتدبّر القرآن تدبّر فكر ووعي ومقارنة في مواجهة الشبهات المثارة حوله، فقال تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(١)، «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^(٢)، وهذا ما ينبغي لنا أن نأخذ به بالوسائل الحديثة المتطورة، لأن الآباء في الماضي كانوا يعلّمون أبناءهم القرآن في (الكتاتيب) التي يقوم عليها بعض الشيوخ الذين قد لا يملكون كثيراً من الثقافة، فيتعاملون معهم بطريقة لا تخلو من القسوة، ولا تخلو من العنف، بحيث قد يتعقّد التلميذ من ذلك، وقد عشنا في بداية حياتنا في النجف مثل هذه (الكتاتيب) في طفولتنا الأولى.

حق الزواج:

وهناك حديث عن النبي ﷺ يضيف فيه مسألة الزواج إلى مسألة تعليم الولد. وفي المسائل الفقهية لا يجب على الوالد أن يزوّج ولده، بل إن الواجب على الولد أن ينفق على الأب ما يحتاجه في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، ولكن ورد في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: ((حق الولد على والده يحسن اسمه ويعلمه الكتابة))^(١)، وهذه وسيلة من وسائل التثقيف، لأن الكتابة هي التي تجعل الإنسان إلى جانب القراءة إنساناً ينفّث على وسائل المعرفة، فكما أن الإنسان يقرأ ما يقدم إليه إذا تعلّم القراءة، فإنه يكتب أيضاً ما يسمعه أو ما يقرأه في الكتب وما إلى ذلك.. ((ويزوجه إذا بلغ))، أي لا بد أن يزوجه إذا بلغ، كواجب

(١) النساء: ٨٢.

(٢) محمد: ٢٤.

يأخذ موقع الحقّ الذي يملكه الولد على والده. وهناك حديث لا يخلو من العنف العقابي في هذا المجال، فعن رسول الله ﷺ مما روي عنه: ((من بلغ ولده النكاح)) يعني سن الزواج، ((وعنده ما ينكحه)) أي من المال الذي يزوجه به، ((فلم ينكحه)) أي لم يزوجه، ((ثم أحدث)) الولد ((حدثاً))، كأن زنى - مثلاً - ((فالإثم عليه))، أي على الأب؛ لأنه كان بإمكانه أن يعصمه من هذه المعصية التي تؤدي به إلى العلاقات غير الشرعية، وذلك بأن يهيئ له وسائل العلاقة الشرعية.

ومن هنا نجد أن مسألتى التعليم والتزويج تشملان التهيئة التي يهيئ بها الأب ولده لأن يكون إنساناً يملك حركة الثقافة من خلال القراءة والكتابة، ولا يُراد من الكتابة والقراءة المعنى الساذج لهما، بل المراد أن يأخذ الولد بأسباب العلم في كل مرحلة من المراحل تبعاً للأوضاع العامة المحيطة به في حاجات العلم، ونحن نعرف أن العلم يتطور في مناهجه، وفي مراحل، وفي كل مواده. وربما نستوحي من مسألة تعليمه، أن نشرف على تعليمه في المراحل الابتدائية والثانوية، وربما الجامعية، باعتبار أن قضية العلم ليست قضية جامدة، بل هي من القضايا المتحركة..

وقد نستوحي من بعض النصوص من الحديث أن ((يزوجه إذا بلغ))، أن المسألة لا تقتصر على الولد الذكر، بل تشمل على الولد الأنثى، لأنه لا فرق بين الولد الذكر والولد الأنثى في مسألة الحاجة الجنسية؛ فالزواج إنما جعل من أجل تحصين الإنسان وإعفافه، والعفة ليست مجرد حالة نفسية تجريدية، بل هي مسألة تركز على تهيئة وسائل العفة، سواء للذكر أو للأنثى. وإذا كان المجتمع في تقاليده لا ينسجم مع سعي الأب لتزويج ابنته واختياره لها زوجاً مناسباً، فليس ذلك منطلقاً من خلال الشرع، وإنما هو من خلال التقاليد؛ إذ نقرأ في (السيرة النبوية الشريفة) ما يفيد أن للمرأة الحق في أن تطلب الزواج، فتطلب ذلك من أقاربها كالأب والأخ والعم، أو ممن يملك أمر زواجها ويملك تهيئته، من دون أن يجد الناس - وخصوصاً في زمن النبي ﷺ - في ذلك خروجاً عن المألوف أو الحياء.

فقد جاء في السيرة النبوية الشريفة، أنّ النبي ﷺ كان جالساً مع أصحابه، إذ جاءت أمّته امرأة، فقالت له: زوجني يا رسول الله، فلم ينكر عليها هذا الطلب، ما يدلّ على أن المجتمع كان لا يخضع لتقاليد سلبية في مثل هذا الطلب، وهنا تذكر الرواية أنّ النبي ﷺ قال لمن حوله: من لها؟ فقال رجل وقال أنا، فسأله النبي ﷺ: عما يملك مما يقدمه لها من مهر، ولا سيّما في القضايا العادية كالفراش وما إلى ذلك.. فقال الرجل: إني لا أملك شيئاً، فقال النبي ﷺ: حسب الرواية: ((اجلس، فجلس، وقال النبي ﷺ: من لها؟ فلم يقم غير هذا الرجل، وفي المرة الثالثة لم يقم غير هذا الرجل، فقال له النبي ﷺ بعدما شعر بحاجة هذه المرأة إلى الزواج، وبعدم تمكّن هذا الرجل من تقديم أي شيء مالي كمهر لزواجه بها، فسأله إن كان يحفظ شيئاً من القرآن، قال: بلى، قال له ﷺ: زوجتكها بما معك من القرآن، فتزوجها)).

ونحن عندما نقرأ هذه الرواية، فإننا نلاحظ أنها توحى بأن ليست هناك أي مشكلة شرعية أو أخلاقية في أن تطلب المرأة الزواج من أبيها أو من أخيها أو من أمها أو من أيّ إنسان آخر؛ لأنّ ذلك حق لها كونها تحتاج إلى الجانب الجنسي تماماً كما يحتاجه الرجل، أو تشعر بالفراغ في حياتها الخاصة، أو ترغب في تكوين الأسرة وفي إنجاب الأولاد؛ وعلى الأب أن يعمل على أساس تهيئة الزواج لبناته، كما يعمل على تهيئة الزواج لأبنائه، وأن يدرس حاجاتهم، خصوصاً أنّ التقاليد قد تمنعهنّ من أن يتحدّثن بما يردّنه من ذلك، بل ربما نلاحظ أنّ الآباء قد يسيئون إلى بناتهم إذا ما أفصحن عن حاجاتهم في هذا المجال، وقد يصل بهم الأمر إلى منعهنّ من الزواج، لأنّه يعتبر أنّ قضية الزواج هو حاجة الذكر فقط، مع أنّ المطلوب هو تحصين المرأة وتحصين الرجل معاً. وإذا كان الإسلام في القرآن وغيره يتحدث: «فليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله»، فإن هذا يمثّل الحالة التي قد لا يستطيع فيها الإنسان أن يعف نفسه

بالزواج، فهو لا يمثل الخط العام على الصبر في هذا المقام، لأن الصبر لابد فيه من شروط تجعل الإنسان قادراً على التماسك وعلى التوازن.

وفي هذا الإطار، أحبّ أن أشير إلى مسألة في فتاوى الفقهاء - عموماً - وذلك في ما يتعلّق بحق الزوجة في الجنس؛ حيث حدّد بثلاث مرّات في السنة، في كل أربعة أشهر مرة، حتى إنهم يذكرون أنّه لا يُشترط في الممارسة احترام حاجات المرأة بالنسبة للجنس، فليس من المفروض على الرجل إشباع شهوتها بما يطفئ نار الغريزة، بل قد يكتفون بمسمّى المعاشرة الجنسيّة.. وإنّي أتساءل أنّه كيف يمكن تحصين المرأة وعفافها بهذه الفتاوى؟ في الوقت الذي نعرف فيه أنّ المسألة أشدّ عليها مما لو كانت لا تزال عزباء، والرجل بذلك يطبّق القانون في ما يروونه بالطريقة الجامدة في فهم النص لا بروح التشريع، وقد تبدو المسألة أكثر شدة فيما لو تزوّج الرجل امرأة ثانية، حيث يكون للأولى الحقّ في المبيت عندها من دون معاشرة أيضاً، لأنّ ذلك هو حقّ القسم عندهم.

وعلى هذا الأساس - ولغيره - نحن نُفتي بأنّه يجبُ على الرّجل أن يستجيب للمرأة في حاجاتها كما يجب على المرأة أن تستجيب له في حاجاته، إذا لم يكن هناك حرج أو مانع صحي أو ما شاكل ذلك مما يجمّد الوجوب. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣)، والبارز في علاقة المرأة والرجل هو الجانب الجنسي. وإننا من خلال دراستنا لما جاء في النصوص، نقرأ أن الزواج يُراد به إعفاف المرأة، حتى إنه ورد في بعض الأحاديث ((من سعادة الرجل أن لا تطمئنت ابنته في بيته))^(٤) يعني أن لا تحيض قبل زواجها، من باب المباغرة.

لذلك نحن نقول إنّ على الأب أن يهيئ لابنته الزوج الصالح، كما يهيئ لولده الزوج الصالح، لأن كلمة الولد لا يبعد أن يراد بها الذكر والأنثى معاً، هذه

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٤) الفقيه. ج ٥. ص ٥٩. ح ٢٠٤٧.

نقطة قد تكون محلَّ جدل، ولكننا نستوحىها من الكتاب والسنة.

المنهج الإسلامي في التربية:

وهناك روايات أخرى في مسألة التعليم، وهي تتحدث عن بعض شؤون التعليم، فقد ورد في بعضها عن بعض الأئمة عليهم السلام في مسألة مراحل تربية الولد، كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: ((الغلام يلعب سبع سنين ويتعلم الكتاب سبع سنين ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين))^(٥)، وهو هنا يقسم المراحل: إلى مرحلة يترك فيها الولد يلعب، ومرحلة يترك فيها يتعلم القراءة والكتابة، ومرحلة يتعلم فيها الحلال والحرام، وربما كان ذلك نوعاً من التقسيم، ولكنه ليس تقسيماً حسابياً مطلقاً، بمعنى أن هذا هو المنهج التربوي الإسلامي، لأن قضية التربية تتطور، لذلك فمسألة أن يلعب الولد في سبع سنين لا يعني أنه يحرم من ذلك بعدها أو يهمل تعليمه بحسب مداركه، فله أن يلعب حتى وهو يتعلم، كما نلاحظ الآن في بعض البرامج المعمول بها حالياً، حيث إن الولد يدخل المدرسة - بغض النظر عن مرحلة الروضة والحضانة - وعمره ست سنوات، بحيث يلعب في المدرسة أيضاً، وتعطى له الفرصة لذلك، ولا مانع بأن يكون اللعب بطريقة فنية ثقافية، بحيث أصبحت وسائل اللعب الآن أكثر تطوراً وتثقيفاً، باعتبار أن معظم ما أنتج من ألعاب واكتشف مؤخراً هي ألعاب مثقفة، فهي تعلم الطفل في كثير من القضايا. ولذلك فإن هذه الروايات لا يُراد منها تحديد الموضوع، ولكن يراد منها بيان المراحل التي يمر بها الطفل، حيث يُعطى الفرصة للعب، والفرصة لتعلم الكتابة والقراءة، ثم لتعلم الحلال والحرام، ولكن ربما تتطور الأمور، وقد تحرق المراحل في هذا المجال، وربما كانت الأوضاع التي كانت تحيط بالتربية في زمن الإمام عليه السلام تتحرك في هذه الدائرة وهذا المجال.

البعد الديني للتربية:

وهناك حديث روي عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه: ((أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم))، فإن الإمام عليه السلام في كلامه هذا يعتبر أن إحسان آداب الأولاد وإكرامهم مما يستحق عليه المغفرة من الله سبحانه وتعالى، ثم يتابع الإمام عليه السلام كلامه، فيقول: ((لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا))، بحيث كان الإمام الصادق عليه السلام يوجه كل أصحابه إلى التفقه في الدين، والتفقه في الدين هو فهم الدين، والتفقه بالعقيدة والتفقه بالشرعية والتفقه في الخطوط التربوية والمنهجية للإسلام، لأن الإمام عليه السلام كان يريد لأصحابه - ونحن أصحابه لأننا نحن نسير في خطه - أن يكونوا مثقفين ثقافة إسلامية واسعة، بحيث يستطيعون من خلالها حماية أنفسهم من ضلال الآخرين، بل ويمكنهم هداية الآخرين إلى ما يتمثله ويمثله الخط الإسلامي الأصيل.

ويتابع الإمام عليه السلام: ((يا بشير)) وهذا اسم من كان يخاطبه الإمام الصادق عليه السلام ((إن الرجل منهم من الفئات المنحرفة. إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم)) يعني إذا كان الشيعة من المسلمين السائرين في خط أهل البيت عليه السلام لا يملكون الثقافة الإسلامية في خط أهل البيت عليه السلام، فسوف يحتاجون إلى غيرهم: لأن كل جاهل يحتاج إلى العالم، ((فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم))، لأنه ليس لديه ثقافة حتى يستطيع أن يميز بين خط الضلال وخط الهدى، وهذا المعنى كما ينطبق على الرجال فإنه ينطبق على الأولاد أيضاً، لأننا إذا لم نعلمهم ونربيهم على أساس الوعي والإسلام بما يتناسب مع ذهنيّتهم، فإنهم سوف يحتاجون إلى الآخرين، فإذا كان الإمام عليه السلام يتحدث عن الآخرين في الجوانب المذهبية، فإننا نواجه الآن الآخرين في الجوانب العقيدية التي قد تتصل بالإلحاد والشرك.

ونقرأ في حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام: ((بادروا أحداثكم بالحديث قبل

أن تسبقكم إليهم المرجئة^(١) و(المرجئة) هي طائفة تختلف في مفاهيمها في قضايا العقاب والثواب وما إلى ذلك عن الخط الإسلامي الإمامي، وكان هؤلاء يمثلون فرقة متحركة تعمل على أساس جرّ الناس إليها بأن يعتقدوا أفكارها. فالإمام الصادق عليه السلام يطلب من شيعته أن يبادروا أحداثهم، وهم الشباب الذين هم في مقتبل العمر، بالحديث عن الثقافة والعلم قبل أن تسبق إليهم المرجئة فتربحهم وتثقفهم بالخطوط الضالة التي تبعدهم عن المذهب الحق.

وفي كلام الإمام علي عليه السلام: ((مروا أولادكم بطلب العلم))، فإن الإمام عليه السلام يريد من المسلمين أن يوجّهوا أولادهم إلى طلب العلم مما يحتاجه الناس في كل شؤون حياتهم الدنيوية أو حياتهم الدنيوية، في ما يأخذ به الناس من أسباب العلم، وإذا كان الإمام عليه السلام يؤكد على ذلك في تلك المرحلة التي عاشها، فإن علينا أن نؤكد ذلك في مرحلتنا الحاضرة؛ لأن العالم الآن يتحرك على أساس القوة العلمية.

الشعور بالحاجة:

ونحن عندما ندرس أحوال الدول القوية، سواء كانت قوية في اقتصادها أو في ثقافتها أو في علومها، فإننا نجد أنها كبرت بواسطة العلماء المتخصصين في شتى أنواع المعرفة، بحيث أصبحوا يمثلون حاجة للناس في كل ما يحتاجونه. ولعلنا نلاحظ في هذا العالم العربي الذي هو في حالة الصراع مع إسرائيل، أو في العالم الإسلامي، أنه لم يستطع أن يكون قوة في وجه إسرائيل؛ لأن إسرائيل تملك العلماء المتخصصين الذين وضعتهم في المحل الأعلى في مجتمعاتها، والتي جعلت كثيراً من الدول - حتى المتقدمة - بحاجة إليها، فنحن نلاحظ - مثلاً - أن الصين والهند وغيرهما بحاجة إلى إسرائيل، وحتى إننا نجد فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بحاجة - في بعض المجالات - لإسرائيل؛ لأنهم أخذوا

بأسباب العلم، بينما لم نأخذ نحن بأسباب العلم بالمستوى الذي يمكن أن يجعل أمتنا حاجة للأمم الأخرى، بل إننا نجد أن غالبية الأنظمة التي تسيطر على بلاد المسلمين لا تحترم العلماء المتقدمين المتخصصين بالاختصاصات المتطورة، كما ونلاحظ أن العلماء الذين يتخصصون في الغرب عندما يأتون إلى بلادهم لا يجدون أي موقع لهم في مدارسها وفي مواقعها، ما يجعل الدول التي تخصصوا فيها تستوعبهم ليساهموا في تقدمها وتطورها مما تحرم منه بلادهم.

لذلك أصبحنا نعيش أمام هذا العالم الذي يتميز بالعلم، ونشعر بالحاجة إليه ولا يشعر بالحاجة إلينا، ونحن نقرأ دائماً - ومع الأسف لا نؤكد ذلك في القضايا الكبرى التي تمثل قضايا المصير - الكلمة المأثورة: (أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره)؛ لأن الإنسان تستعبده حاجاته، فإذا احتاج إلى شخص أسرته حاجته إليه، وإذا احتاج إليه شخص كان ذلك الشخص أسيراً بالنسبة إليه، وإذا اكتفى واستغنى عما في أيدي الناس فإنه سيكون معهم بمنزلة سواء. ولا يزال الناس يتداولون هذه الكلمات ولكنهم لا يعيشونها. هذا بقدر ما يتعلق الأمر بتعليم الأولاد، وقد قلنا إنه علينا أن نأخذ أولادنا بالعلم، ذكوراً وإناثاً، لأن كثيراً من الناس لا يحترمون مسألة تعليم الإناث، ولكننا نعرف أن الله سبحانه وتعالى لم يميز ذكراً عن أنثى في قضية العلم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧)، إن هذا يمثل القيمة التي تجعل الإنسان في الموقع المتقدم، بين من يعلم وبين من لا يعلم، من دون فرق بين الذكر والأنثى في هذا المجال.

قيمة المرأة:

ونقرأ كلمة الإمام علي عليه السلام: ((قيمة كل امرئ ما يحسنه))^(٨)، لذلك لا بد لنا

(٧) الزمر: ٩.

(٨) نهج البلاغة. ك ٧٦. ص ٧٨٧.

أن نعلّم فتياتنا ونساءنا كما نعلّم شبابنا ورجالنا، لأن للمرأة دوراً في الأخذ بأسباب العلم، كما أن للرجل دوراً في الأخذ بأسباب العلم، لأنّ المسألة هي أن عقل المرأة ليس بأقلّ من عقل الرجل، وذهنية المرأة ليست بأقلّ من ذهنية الرجل. فنحن عندما نواجه الواقع من خلال التجربة الإنسانية في العالم، فإننا نجد أن الكثيرات من النساء تفوّقن على الرجال وأصبحن مخترعات ومكتشفات في عالم الفضاء وفي عالم الطب، مع أن بعض الناس لا يزالون يتحدثون عن شخصية المرأة في طاقاتها الإدراكية العقلية وفي إمكاناتها التجريبية بطريقة سلبية، مما يوحي بأنّها إنسان أدنى درجة من الرجل، ليكون هو في الدرجة الأولى وهي في الدرجة الثانية، ولكنهم لا ينظرون إلى التجربة الواقعية الموجودة في العالم، في أنّ المرأة تستطيع أن تصل إلى المستوى الذي يجعلها تتفوق على الرجال. القضية ليست مجرد قضية تجريدية، نفكر بها في الهواء، لكنّها قضية واقعية، حتى إنّنا رأينا كيف أن بعض النساء استطعن أن يحكمن بلاداً كبرى، وهنّ يتمتعن بكثير من الطاقات.

نحن نقول إنّ التجربة التي عاشها الإنسان في كل واقعه، وربّما عشنا بعضّها في المدارس المختلطة، قد نرى فيها أن درجات النساء ربما تعلو عن درجات الرجال. ولذلك نقول لا بد أن تأخذ نساؤنا بأسباب العلم، كما يأخذ رجالنا بأسباب العلم، وإذا كان البعض يتحدث عن الأخلاق في مسألة تحصيل العلم، فإن قضية الأخلاق هي قضية مشتركة بين الرجل والمرأة، فكما لا يجوز للرجل أن يتعلم أو يعمل في مجتمع غير أخلاقي، لا يجوز للمرأة أن تعمل أو تتعلم في مجتمع غير أخلاقي. إن القضية هي مسألة أن تتعلّم المرأة من حيث المبدأ، بقطع النظر عن الظروف المحيطة بها هنا وهناك، وقد جاء في الحديث: ((طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة))^(٩)، فإن هذا الحديث يشير إلى أن العلم يصل إلى مستوى الفريضة على الرجال والنساء. ولل كلام بقية في الأسبوع

القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

تدبير الأسرة (٣) تربية وإعداد الجيل الصالح

مسؤولية الوالدين ليس
فقط إنتاج الجيل
الجديد.. بل الجيل
الصالح

- ♦ إنتاج الجيل الصالح
- ♦ إسماعيل.. الولد الصالح
- ♦ يحيى.. الولد الصالح
- ♦ أمنيات الصالحين
- ♦ الحياة المتحركة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

إنتاج الجيل الصالح:

تحدثنا في ما سبق عن (الولد) من خلال حديثنا عن (تدبير الأسرة)، ونتابع حديثنا عما ورد في أكثر من نص قرآني عن مسألة الولد الصالح، وذلك في ما دعا به الأنبياء ﷺ، وفي ما أريد للمؤمن أن يدعو به. وقبل أن نستعرض ما ورد من الآيات في موضوع (الولد الصالح) وما يتعلّق به، نشير إلى أنّ مسألة الأبوة والأمومة التي تمثل حركة الأسرة في إنتاج الأجيال، ليست - في نظر الإسلام - مسألة ذاتية للأب يملأ فيها فراغه من خلال الولد، وذلك في ما يعيشه من الحاجة إلى تفعيل الأبوة بما يحصل عليه من نعمة البنوة، وكذلك فهي ليست مسألة ذاتية للأم لتملأ فراغها باعتبار أن الأم تحتاج إلى أن تعيش أمومتها الفعلية لتملأ هذا الفراغ النفسي تجاه الولد، بل إن مسألة الأبوة والأمومة هي مسألة فيها الكثير من المسؤولية، وهي مسؤولية إنتاج الجيل الجديد الذي يخلف الجيل القديم لينشئ مجتمعاً جديداً يحقق للإنسانية ما يرفع مستواها فكرياً وروحياً وعملياً، بحيث يمكن لهذا الجيل الجديد أن يتحرّك في خطّ تصاعدي لبنني الحياة على صورة المبادئ والقيم التي يؤمن بها لينشئ، جيلاً آخر على صورته عندما تكون صورته حسنة، أو بأفضل مما هو عليه، بحيث يعيش الأب والأم إلى جانب حاجتهما النفسية الذاتية للولد المسؤولية في ذلك.. وهذا ما لاحظناه في الأدعية التي دعا بها الأنبياء ﷺ، عندما دعوا الله سبحانه وتعالى أن يرزقهم (الولد). فنقرأ في سورة (الصافات)، كيف ناجى النبي إبراهيم ﷺ ربه،

عندما طلب أن يرزقه الولد، وذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، أي هَبْ لي ولداً يتميز بالصلاح. وكلمة (الصلاح) هي من الكلمات التي تشتمل على صلاح العقل الذي يتحرك في خط الفكر الذي ينتجه في اتجاه فكر الحق، وصلاح القلب الذي ينبض بالمحبة لله سبحانه وتعالى وللناس جميعاً، وصلاح العمل الذي يفتح على كل القيم الأخلاقية وفي مقدمتها الخير في كل مفرداته، والعدل في كل مواقفه، وفي كل اتجاهاته.. أن يكون صالحاً في علاقته بالله سبحانه وتعالى، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالحياة والناس. ومن الطبيعي أنه عندما يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يهبه ولداً صالحاً، فإن هذا الطلب يختزن في داخله الطلب إلى الله سبحانه أن يوفقه، وأن يرشده، وأن يسدده في رعاية هذا الولد الذي يرزقه الله تعالى إياه لأن يكون الولد الصالح.

إسماعيل.. الولد الصالح:

وهذا ما لاحظناه في ما قصّه الله تعالى من أمر ولده الذبيح، وهو إسماعيل، خلافاً لما يرويه البعض من أنه إسحاق، ودليل أن الذبيح لم يكن إسحاق، ماجاء في قوله تعالى حيث أردف تعالى قصة الذبح بقوله: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).. ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾^(٣)، ورباه النبي إبراهيم على محبة الله تعالى، وعلى الإسلام لله سبحانه وتعالى.. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤). وهكذا كانت وصية النبي إبراهيم ﷺ لبنيه، واختزن بنوه هذه الوصية بكل كيانه، فأسلموا كل أمرهم لله سبحانه وتعالى، وهذا ما كان عنواناً لرسالة النبي إبراهيم ﷺ: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ

(١) الصافات: ١٠٠.

(٢) الصافات: ١١٢.

(٣) الصافات: ١٠١.

(٤) البقرة: ١٣١-١٣٢.

إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ^(٥)، وإن كان الإسلام هو رسالة النبي نوح ﷺ، ورسالة من قبله، لكن الإسلام في شريعة النبي إبراهيم ﷺ أخذ حجمه الحركي الذي تحول إلى ملةٍ وشريعةٍ وحركةٍ وانفتاحٍ على آفاق الله سبحانه وتعالى. ولعل ذلك هو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(٧).. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾^(٨)، أي رِياه وهياً روحه للقرب من الله سبحانه وتعالى، وهياً قلبه للمحبة من خلال الله سبحانه، وهياً خطواته للسير في طريق الله تعالى... ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ فاجأه، ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، إن هذا المنام يوحي إليّ بأن هناك أمراً إلهياً بأن أذبحك، وقد كان الوحي يتمثل للأنبياء ﷺ بالمنام، كما يتمثل بالملك الذي يحمل الأمر، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ ولم ينتظر هذا الولد الصالح أن يفكر، أن يدرس شبابه، وهو لا يزال في بدايات الشباب، لأنه كان يسعى مع أبيه .. ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ فما دام هذا أمر الله سبحانه وتعالى، فإني أسلمت أمري لله تعالى، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٩) مهما كلفني ذلك من الآلام.. ولا سيما أن هذه التجربة هي من أصعب التجارب، أن تسلّم نفسك للذبح بالسكين، وأن يذبحك أبوك طائعاً مختاراً، ولكن كانت عظمة إسماعيل أنه كان يقدم نفسه للذبح كما لو كان يصلي لله سبحانه وتعالى، فكانت هذه التجربة صلاةً يؤدّيها ويتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بها بروحية الصلاة التي يتعبّد بها ويتقرب بها إليه، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾^(١٠)، أسلم الوالد والولد أمرهما لله سبحانه، فأطاعا الله تعالى في ما أمرهما به، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾، أي صرعه على وجهه، وهنا اكتمل المنام،

(٥) الحج: ٧٨.

(٦) آل عمران: ٦٧.

(٧) النساء: ١٢٥.

(٨) الصافات: ١٠٢.

(٩) الصافات: ١٠٢.

(١٠) الصافات: ١٠٣.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾^(١١)؛ لأن الرؤيا لم تكن تشتمل على الذبح، بل كانت الرؤيا أنه يذبح ابنه، يعني أنه يقوم بمقدمات الذبح، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۖ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٢).

يحيى.. الولد الصالح

ونقرأ أيضاً في قصة النبي زكريا ﷺ، وكان من أنبياء الله تعالى ولم يرزق ولداً، فقد جاء في قصصه في القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ انِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾^(١٣)، يعني أنه بلغ من الكبر عتياً، وكانت امرأته عاقراً، فليست هناك أي فرصة من الناحية الطبيعية ليُرزق بولد، ولكنه عندما رأى مريم ﷺ وهو الذي كفها، ورأى روحانيتها وقربها من الله سبحانه وتعالى، أحب أن يرزقه الله تعالى ولداً، وكأنه يريد على صورة مريم ﷺ الروحية والعبادية والأخلاقية وما إلى ذلك. حيث ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.. قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَكَانَ يُرْزَقُ مِنَ الْمَلَأَىٰ نَحْلًا﴾^(١٤).

ونحن نلاحظ أن النبي زكريا ﷺ أيضاً طلب ذريةً سالحةً طيبةً، تماماً كما أراد إبراهيم ﷺ من الله تعالى أن يمنحه ولداً من الصالحين، وفي آية أخرى تتحدث عن هذا الطلب من زكريا ﷺ بصيغة أخرى: ﴿يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(١٥)، أي إني أريدك أن تهب لي ولداً راضياً. وقد رزقه الله سبحانه وتعالى يحيى، وذلك هو قوله عز وجل: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ

(١١) الآيتان: ١٠٤، ١٠٥.

(١٢) الصفات: ١٠٥، ١٠٩.

(١٣) مريم: ٨.

(١٤) آل عمران: ٣٧-٣٨.

(١٥) مريم: ٦.

يَحْيَى تَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا»^(١٦)، وقد أعطى الله يحيى عليه السلام النبوة، كما قال تعالى: «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ»^(١٧)، ويقال (حضوراً) يعني أنه كان يعيش في رهبانية مشروعة، فلم يتزوج، وخاطب الله النبي يحيى عليه السلام: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»^(١٨)، قاله سبحانه وتعالى رزق النبي زكريا ولداً رضيعاً، وجعله نبياً، وجعله داعيةً، والمقصود بهذا الكتاب هو التوراة الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام؛ لأنهم كانوا يأخذون به، فقوله: خذه بقوة، يعني: تقدم به إلى المجتمع غير خائف ولا وجل ولا تأخذك في الله لومة لائم، وادعُ إلى ربك من خلال هذا الكتاب، وتحمل مسؤولية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

أمنيات الصالحين:

وهكذا نلاحظ أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد لكلِّ إنسان أن يدعو به، فتحدث عن عباد الرحمن، من حيث إنهم يتحركون في أخلاقياتهم مما يفعلونه لأنَّ الله سبحانه وتعالى أمر به وأحبَّه، ومما يتركونه لأنَّ الله سبحانه وتعالى نهى عنه وأبغضه، ثم كيف يفكرون في أمنياتهم، وما هي أمنياتهم؟ قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا»^(١٩)، إن أحلامهم هي أن يرزقهم الله تعالى زوجات صالحات حتى يعيشوا معهن في بيت صالح يتعاونون فيه لبناء البيت على قاعدة الصلاح، ليشمل كلَّ القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية في كل ما أمر الله به ليفعلوه، وفي كل ما نهى الله تعالى

(١٦) مريم: ٧.

(١٧) آل عمران: ٣٩.

(١٨) مريم: ١٢.

(١٩) الفرقان: ٧٤-٧٥.

عنه ليتركوه.. يسألونه أن يهب لهم من أزواجهم قرة أعين، بحيث تقرّ أعينهم بهن، لا من الجوانب المادية وحسب، وإن كان للإنسان الحقّ في أن يفكر في الحاجات الحسية المادية في علاقته بزوجته، ولكن من خلال الجانب الروحي، الذي يجعل الزوج والزوجة يعيشان البيت في طاعته ورضوانه.

﴿وَذُرِّيَاتُنَا﴾ الذرية التي تتألف منها الأسرة، وبما تتحرك به الذرية الطيبة الصالحة في خطّ الصلاح، فتكون قرة عين للأبوين، ثم يتحدثون عن أنفسهم، ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي اجعلنا نرتفع في التزاماتنا الدينية، وفي قربنا إليك، وفي تقوانا، وفي كلّ ما أمرت به ونهيت عنه، وفي كلّ منهج رسمته لنا، واجعلنا القدوة للمتقين، لكي يأتّم بنا المتقون في كلّ ما يعتقدونه، وما يقولونه، وما يفعلونه، من خلال المرتبة العليا في الإيمان بالله والالتزام بشريعته وبمنهجه في كلّ أمورهم في القول والعمل والعلاقة والموقف والأخذ بالقيم الروحية والأخلاقية في أبعادها الإنسانية، ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ في الجنة في الموقع المميز الذي يشعرون فيه بالعلو والسعادة والنعيم والرضوان، ﴿بما صبروا﴾ لأنّ قضية الالتزام بالله سبحانه وتعالى ورسوله وشريعته هي قضية تحتاج إلى المزيد من المعاناة، والمعاناة تحتاج إلى مزيد من الصبر، والصبر هو الذي يتحرّك ليرتفع بالإنسان إلى مواقع القرب من الله سبحانه وتعالى.

ونقرأ الآية التي تتحدث عن الأسرة الصالحة في الجنة، وهي مسألة لا بد لنا أيضاً من أن ندخلها في نطاق الأسرة، حيث من المعروف أن الأسرة هي الزوجان والأولاد، ولكن القرآن الكريم يريد أن يجعل مسألة الأسرة الصالحة، سواء كانت هذه الأسرة في نطاق الزوجين وأولادهما، أو في نطاق الأبناء وآبائهم أيضاً، فكما أن على الإنسان مسؤولية أن يربّي أولاده، فإنّ عليه أن يربّي آباءه وأمه، إذا كانا منحرفين عن الخط بما يستطيع في هذا المجال، كما لاحظناه في ما تحدث به النبي إبراهيم بالأسلوب العاطفي عندما تحدّث مع أبيه في أن يتحرّك في خطّ رضا الله سبحانه وتعالى .. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ

تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ❖ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ❖ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ❖ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا^(٢٠)، فإن هذه الآيات تتحدث عن حوار النبي إبراهيم ﷺ مع أبيه، ليكون هذا نموذجاً للأبناء الواعين المؤمنين المنفتحين الذين يريدون أن يعيشوا في بيت يتكامل فيه أفرادُه في خطِّ الصلاح، وفي خط الانفتاح على الله سبحانه وتعالى، والقرب إليه، والتقوى في أعمالهم بين يديه.. وهذا ما حدثنا عنه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ❖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ^(٢١)﴾.

الحياة المتحركة:

ونقرأ في النصوص التي وردت في مسألة (الولد الصالح)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((مرّ عيسى ﷺ بقبر يعذب صاحبه، ثم مرّ به من قابل)) يعني في العام القادم، ((فإذا هو ليس يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذب، ومررت به العام وهو ليس يعذب)) كأنه يريد أن يقول لربه في مناجاته له، ما الذي رفع العذاب عنه؟ إنه ميت، لم يعمل عملاً يرفع العذاب عنه، وإن كان لا يستحق العذاب، فلماذا عذّبه أولاً؟ وإن كان يستحق العذاب فلماذا رُفِعَ عنه؟.. ((فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا روح الله قد أدرك له ولد صالح))، أي بلغ وبدأ في العمل والطاعة، ((فأصلح طريقاً وآوى يتيماً))، والملاحظ هنا أنّ الله سبحانه قد تحدّث - بحسب الرواية - عن الجوانب الاجتماعية، وهو يبيّن له أنّ الصّلاح ليس فقط أن يؤدي الإنسان الصلاة والصوم، بل الصّلاح هو أن ينفع مجتمعه، وأن يفكر بمسؤوليته في رعاية الناس، بإصلاح الطرق التي يمشون عليها، وإيواء

الأيتام الذين يحتاجون إلى مأوى ورعاية، بما يفرضه المأوى من رعاية لهم في طعامهم وشرابهم وملبسهم وما إلى ذلك .. ((فغضرت له بما عمل ابنه)).. وربما يقال: إن ما عمله الولد ليس عملاً للأب، فكيف ينتج عنه ما تذكره الرواية؟ ولكنَّ المسألة أنَّه ربَّى ولده بالطريقة التي جعلته في حالة إعداد يمكن أن يتحرك من خلالها ليشعر بحاجته لأن يرضي الله سبحانه وتعالى بالعمل الاجتماعي الذي ينفع الناس، كما يرضي الله سبحانه وتعالى بالعمل العبادي.. والله سبحانه وتعالى عندما ميَّز بين الحق والباطل، قال: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢٢)، فنحن نعرف أن الله سبحانه وتعالى يقدم إلينا الحق على مستوى المثل، لأن الحق هو الذي ينفع الناس، لأنَّ كلمة (الحق) تمثِّل كلَّ ما يعيش الإنسان فيه، سواء في عباداته أو في معاملاته أو في علاقاته أو في أقواله أو في أفعاله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه إحياء بأنك إذا أردت أن تكون من أهل الحق، فعليك أن لا تعيش ذاتك، بل أن تحرك طاقاتك وكل ما كلفك الله سبحانه وتعالى به من عبادات ومعاملات ومواقف وأقوال وأعمال، أن تجعله يتحرك في خط نفع الناس، ليبقى ذلك بعدك .. وهذا ما نقرأه في الحديث المأثور المشهور: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث: ورقة علم ينتفع بها)) أي ينتفع بها الناس من خلال ما فيها من العلم، ((وصدقة جارية)) وهي المشاريع الخيرية التي يمكن أن تبقى من بعده، سواء تلك التي يفجّر فيها الإنسان نبعاً، أو التي يحفر فيها نهراً، أو يصلح فيها طريقاً، أو يبني فيها ميتماً أو مدرسة أو مستوصفاً، أو مستشفى، أو ما إلى ذلك مما يكون من الصدقة الجارية التي تلتقي بالحديث الشريف: ((من سنَّ سُنَّةً كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سُنَّةً سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)) فأنت عندما تتطوَّق بعمل جيد يمتدُّ بعدك، فإذا كان هذا العمل مما

ينفع الناس، فإن ذلك يبقى لك، كما لو كنت تمارس العمل بعد موتك وأنت في قبرك.

وقد ورد في الحديث الشريف: ((الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. أو من أدخل على بيته سروراً)). ما يعني أن الأقربية إلى الله سبحانه وتعالى هي أن ينفع الإنسان عباد الله تعالى، وسرّ هذا، أن كلّ الطاقات التي هيّا الله تعالى كيان الإنسان لأن يفجرها ويتحرّك بها، فإنّه جعلها مسؤوليته، بأن يعمل على أساس أن يفجرها لكلّ الذين يحتاجون إلى طاقته. وهذا ما جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ما روي عنه: ((إن الله لم ينعم على عبد نعمة إلا وقد ألزمه فيها الحجة من قبله، فمن منّ الله عليه فجعله موسعاً عليه ماله، فحجّته عليه ماله، ثمّ تعاوده الفقراء بفرائضه ونوافله، ومن منّ الله عليه فجعله قوياً في بدنه، فحجّته عليه القيام بما كلفه واحتمال من هو دونه ممن هو أضعف منه، ومن منّ الله عليه فجعله شريفاً في قومه جميلاً في صورته، فعليه أن لا يغمط حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله))^(٢٣).

فطاقاتنا هي مسؤولياتنا، وهي شركة بيننا وبين الناس، فمن حجب طاقاته عن الناس كان سارقاً لهم، وكان بعيداً عن الله سبحانه وتعالى، ومن خلال ذلك نفهم الحديث الوارد عن الأئمة عليهم السلام: ((إن الله ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا))^(٢٤)، أو الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: ((إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، ومن لم يفعل فعليه لعنة الله))^(٢٥). هذه هي طاقتك، وهي ملكك وملك الناس من حولك وعليك أن تحرّكها لتكون في ما ينفع الناس.

وعودة إلى الحديث المأثور: ((.. وولد صالح))، أي إذا كان لك ولد صالح،

(٢٣) الكافي. ج. ١. ص ١٦٣. ح. ٦. و ص ٣. ح. ١٢.

(٢٤) نفسه. ص ٤١. ح. ١.

(٢٥) نفسه. ص ٥٤. ح. ٢.

وكنت شريكاً في صلاحه، من خلال تربيته، ومن خلال إعداده ليكون إنساناً صالحاً لنفسه، وصالحاً أمام ربه، وصالحاً للناس وللحياة، فإن ولدك عند ذلك يتحرك في عمله وفي كل خط صلاحه، على أساس أن يكون عمله امتداداً لعملك، بحيث يلحقك بعد موتك في قبرك، كما لو كنت أنت الذي عملته.

ونقرأ في الحديث المروي عن النبي ﷺ: ((الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة))^(٢٦)، يعني أن الله سبحانه وتعالى يدخلك الجنة ببركته، حتى كأنك تشم ريحان الجنة عندما تشمه، أو عندما يدخلك الله الجنة.

وهناك حديث عن الإمام علي عليه السلام: ((من سعادة الرجل الولد الصالح))، لأن هذا الولد الصالح يعطي أباه السعادة من خلال ما يجده فيه من شخصية الإنسان الذي تتحرك طاقاته في سبيل الحق والخير والعدل والصلاح، كما أنه يعيش السعادة به في الآخرة..

ونقرأ من حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام، يقول: ((إن الولد الصالح هو ميراث الله عز وجل)) كذلك يقول الإمام عليه السلام: ((ميراث المؤمن من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده))، ثم تلا أبو عبد الله الصادق عليه السلام آية زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(٢٧) كأنه يقول: إن الله جعل للنبي زكريا عليه السلام وريثاً من آل يعقوب في خط الرضوان، وعلى الإنسان المؤمن أن يتحرك في هذا الخط.

هذا بالنسبة إلى الولد الصالح. أما ولد السوء، فله حديث آخر، كما إننا سوف نتحدث بإذن الله تعالى حول مسألة الصلاح كعنوان للأنبياء وللأولياء عليه السلام، كما نتحدث عن الفساد كعنوان للجبابرة وللظالمين وما إلى ذلك من خلال مناسبة الحديث عن الولد الصالح والوالد الصالح.

والحمد لله رب العالمين.

(٢٦) الكافي، ج ١، ص ٣٠١.

(٢٧) مريم: ٥٠-٦٠.

تدبير الأسرة (٤) الولد غير الصالح

الإسلام يريد إنشاء
المجتمع الصالح، ولذلك
أراد للأسرة أن تنتج
أولاداً صالحين

- ♦ جيل السوء
- ♦ تواصل الأجيال
- ♦ منهج الصلاح
- ♦ الإيمان والعمل الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا في ما سبق عن اهتمام الإسلام بأن يفكر الأبوان ويتطلعا إلى أن يكون ولدهما صالحاً، وقلنا إن الأساس في ذلك هو أن الإسلام يريد أن ينشئ ويؤسس المجتمع الصالح، فأراد للأسرة أن تنتج أولاداً صالحين، حتى تتلاحق الأجيال في خط الصلاح، بحيث ينشئ الجيل الصالح جيلاً صالحاً يخلفه من بعده، ويؤكد في صلاحه توازن المجتمع، ورفع مستواه في روحيته وأخلاقيته وثقافته وخبرته، وفي انفتاحه على الإسلام كله بجميع موارده ومصادره. ولذلك فإن مسألة الولد لا تخضع للمزاج الذاتي للإنسان، ليملاً فراغ الأبوة للنبوة إذا كان أباً، أو فراغ الأمومة إذا كانت أمّاً.

جيل السوء:

وفي مقابل ما تحدثنا عن الولد الصالح، هناك بعض الكلمات لعلّي ﷺ في ولد السوء، وهو الولد غير الصالح.

يقول الإمام علي ﷺ: في ما روي عنه: ((ولد السوء يهدم الشرف ويشين الخلف))، أي إن ولد السوء الذي تتحرك كل عناصر شخصيته في السوء، سواء تمثل ذلك بالسوء في العقيدة فيما إذا كان منحرفاً عن عقيدته، أو بالسوء في مسألة الالتزام فيما إذا كان منحرفاً في التزامه العملي بعيداً عن الالتزام الديني، أو بالسوء في الأخلاق بحيث يتحرك في أخلاقه في خطأ الرذيلة وإيذاء الناس والإساءة إليهم، أو بالسوء في المواقف في ما يؤيد أو يرفض، أو في العواطف في ما يحب ويبغض؛ إن مثل هذا الإنسان يهدم الشرف؛ لأنه لا يلتزم بقواعد الشرف

فيهدم ما تأسست عليه أسرته أو مجتمعه من خطوط الشرف. وهو - في الوقت نفسه - يشين ويعيب الخلف، الذي يأتي من بعده.

ويقول علي ؑ: ((ولد السوء أشد المصائب))، ويقول ؑ: ((أشد المصائب سوء الخلف))، يعني ليست المصيبة هي أن يكون الإنسان فقيراً، أو يمرض أو يُبتلى ببعض البلاء هنا وهناك، لأن مثل هذه الأمور يمكن أن تكون طارئة، ولكنها تتغير، فالفقير قد يصبح غنياً، والمريض قد يتعافى، والمبتلى قد يرتفع عنه البلاء، ولكن المشكلة هي أن يكون خلف الإنسان خلفاً سيئاً، بحيث يكون امتداده في المستقبل امتداداً سيئاً؛ لأن الإنسان الذي يكون خلفه خلف سوء، قد يتحمل عند الناس المسؤولية في ذلك؛ لأن الناس يعتبرون أنه لم يحسن تربيته، ولم يتوفر على بناء شخصيته على أساس الخير والحق والعدل.

وقد تحدّث الله سبحانه وتعالى عن بعض الناس الذين كانوا طيّبين وأتقياء، وربما كانوا من الأنبياء ؑ، فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾^(١)، وفي الآية نقطة لغوية ينبغي الانتباه إليها، حيث يوجد فرق بين كلمة (الخلف) و كلمة (الخلف)، فعندما يُقال الخلف يعني الولد الصالح، فلا نحتاج إلى أن نقول (الخلف) الصالح، لأن كلمة (الخلف) تختزن معنى الصلاح، أما الولد الطالح، الولد غير الصالح، فيقال عنه (خلف) كما في الآية الكريمة. وعلى كلّ حال، فقد وصف الله سبحانه هذا النموذج من الأولاد بوصفين:

الوصف الأول: هو إضاعة الصلاة، والصلاة تُمثّل الخط الذي يربط الإنسان بالله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت الصلاة عمود الدين كما في الحديث الشريف: ((الصلاة عمود الدين إن قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وإن رُدَّتْ رُدَّ ما سواها))، لأن الصلاة هي التي تجعل الإنسان في حالة حضور أمام الله وارتباط به سبحانه وتعالى، وقد ورد أيضاً في بعض الأحاديث: ((الصلاة معراج روح المؤمن إلى

الله))، ولذلك فإن كلمة (الصلاة) تجمع الهيكل العبادي الذي يشتمل على كل الأعمال المرتبطة بالله سبحانه وتعالى، وبذلك تدخل في إحيائها مسألة الصوم والحجّ والعمرة والدعاء، وما إلى ذلك من الأمور، بحيث إذا أضاع الإنسان الصلاة، فإنه يكون قد أضاع ربه في نفسه.

الوصف الثاني: اتباع الشهوات، وهي تُمثّل السلوك الإنساني السلبي، والإنسان الذي يتبع الشهوات هو الإنسان الذي لا ينطلق من قاعدة الخطوط السلوكية المتوازنة والقيم الروحية والأخلاقية، وما إلى ذلك.. بل هو كما قال الله سبحانه وتعالى في قوله: «أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ»^(٢)، حيث جعل هواه إلهاً يعبد، فيتحرك حيث يحركه هواه. والهوى هو العنوان الكبير أو الخط العريض لكل الشهوات التي تتحرك داخل الإنسان وتحركه في الخط السلبي. ولا بدّ هنا من الإشارة إلى نقطة، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى لم يمنعنا من ممارسة شهواتنا، ولكنّه أراد لنا أن نمارسها في الحلال لا في الحرام.. فالإسلام لم يحرم الإنسان من تفجير غرائزه، لأنّ غرائزنا هي التي تبني حياتنا، لكنه سبحانه وتعالى جعل للغرائز خطأً للتوازن، ففرّق بين حركة الغريزة في الحلال، وحركة الغريزة في الحرام.

تواصل الأجيال:

والكلمة الثالثة للإمام علي عليه السلام، قوله: ((شراً الأولاد العاق)) الذي يعق أبويه، ويسيء إليهما بمختلف أنواع الإساءة. وقد تحدث القرآن الكريم عن نموذج العلاقة التي أرادها الله بين الولد وأبويه، فقال تعالى في سورة (الأحقاف): «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا»^(٣)، يعني أن يكون سلوكه مع والديه سلوك المحسن الذي يعيش في داخل نفسه معنى الأبوة التي بذلت كل حياتها من أجله، ومعنى الأمومة التي تحملت أكثر الآلام وأشدّها في ولادته وحضانه وتربيته،

(٢) الفرقان: ٤٣.

(٣) الآية: ١٥.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، أي حملته أمه في حالة الألم وحالة الشدة، و﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ لأنَّ أقلَّ الحمل ستة أشهر، ثم بعد ذلك سن الرضاع، وهو سنتان، فيكون ذلك أربعة وعشرين شهرًا، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، أي تكامل وقوي، ونشأ على تربية طيبة وصالحة، وانطلق من الطفولة إلى الشباب، حتى بلغ قمة الشباب، وهي المرحلة التي يكمل فيها عقل الإنسان، وتخف فيها نزواته الذاتية، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾، فهو الإنسان الذي يعيش روحية الشكر لله سبحانه وتعالى، فهو عندما يتابع ويفكر في كل ألطاف الله سبحانه وكل نعمه عليه، يشعر بأن عليه أن يشكر ربّه، كما يلتفت إلى ما تفضل به الله سبحانه وتعالى على أبويه من الألطاف والنعم التي هيأت لهما الوسائل التي استطاعا من خلالها أن ينميا ولدهما وأن يربياه؛ فالله سبحانه وتعالى هداهما للإيمان، ولذلك ربيًا ولدهما على الإيمان، والله سبحانه وتعالى هداهما للقيم الروحية والأخلاقية والفكرية وما إلى ذلك، فاستطاع أن يعرف ربه، واستطاع أن يعبد، وأن يطيعه انطلاقاً من توحيده له، ثم يدرس ما أنعم الله تعالى به على والديه من النعم الكثيرة، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي ألهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي أطلب منك يا رب أن تجعلني من الصالحين، الذين يعملون الصالحات في كل حياتهم، وفي كل أوضاعهم، وأن أعمل الصالحات بالمستوى الذي أنال به رضاك: لأنَّ رضاك هو في العمل الصالح الذي يقوم به عبادك، ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فيطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعينه على أن يصلح له ذريته، بمعنى أن يوفقه لأن يربي ذريته لتكون ذرية صالحة طيبة، كما رباه أبواه على خط الصلاح.

وهنا يلتفت هذا الولد الصالح إلى أنه أذنب في حياته بعض الذنوب، فيقف ليعلم توبته الخالصة النصوح لله سبحانه وتعالى ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من الذين انتموا إلى الإسلام، وأسلموا كل أمرهم وكل حياتهم وكل

نشاطهم لله سبحانه وتعالى.. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾^٤، يعني نتقبل منهم أعمالهم التي هي في مستوى الأحسن، بمعنى كل أعمالهم التي تتحرك في خطّ الأفضل، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، باعتبار أنهم تابوا وعملوا صالحاً، ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدُوقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي أنه الوعد الصادق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^٥، وهذا هو النموذج للولد الصالح؛ كيف يفكر، وكيف يشكر ربّه، وكيف يتعبد إليه، وكيف يفكر في ذريته، وكيف يتوب إلى الله تعالى...

وفي مقابل ذلك، هناك النموذج الطالح من الأولاد، والذي يظهر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفْ لَكُمَا﴾^٦، وهو نموذج الإنسان البشع الذي يعيش جواً غير ما كان عليه أبواه؛ إذ كان والداه صالحين، وكانا يريدان لولدهما أن يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويعمل صالحاً، وكانا يحذّرانه من الآخرة ومما يلاقيه الإنسان فيها، وكانا يبشّرانه بالجنة إذا أصلح أمره مع الله تعالى وكان مؤمناً يسير في خطّ الإيمان، وينذرانه عذاب النار إذا انحرف، ولكن هذا الولد بفعل البيئة السيئة، وبفعل بعض العناصر والظروف المحيطة به، ولأنه أغلق عقله وقلبه عن سماع كلمة الإيمان، وعن سماع الموعظة، ولم يحترم أبويه، بل كان موقفه من أبويه موقف المتمرّد الذي يتأقّف من كلامهما ومن موعظتهما ومن نصيحتهما، ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ تقولان غداً إذا متُ ودفنت، سوف أخرج وأبعث بعد الموت، ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ وقد مرّت السنون وأنا في القبر، وقد تحوّلت إلى تراب، فكيف تتحدّثان معي بهذه العقلية؟ ﴿وَهُمَا يَسْتَعْثِيَانِ اللَّهَ﴾، وهذه هي روحية الوالدين المؤمنين الطيّبين عندما يتكلان بابنهما وهو في الحياة، لأنهما يشعران بأنه مات إيمانياً، ومات روحياً، ومات أخلاقياً، وأنه ابتعد عن الله

(٤) الآية: ١٦.

(٥) النساء: ١٢٢.

(٦) الأحقاف: ١٧.

سبحانه وتعالى، ولذلك كان أسلوبهما معه أسلوب الاستغاثة، كما لو كان الوالدان يريان ولدهما وهو يريد أن يلقي نفسه في النار، أو يريد أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، فكيف تكون مشاعرهما في هذا المجال؟ ﴿وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ هذه خرافات مما تركه الاولون، مما لا يمت إلى الحقيقة بصلة، وكم عندنا في هذه العصور من الأبناء الذين يكفرون بالله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر، ويضلّون، وينكرون على آبائهم التحرك من أجل هدايتهم، ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾، أي ثبت عليهم القول، يعني صدر الحكم من الله عزّ وجلّ وثبت عليهم، ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني ساروا في هذه المسيرة الضالة الكافرة المتمردة المنكرة البعيدة عن الله سبحانه وتعالى، ﴿مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ولكل درجات مما عملوا أي لهؤلاء ولأولئك درجات تصاعدية تارة ليلبغ مواقع القرب لله سبحانه وتعالى، وتنازلية أخرى ليلبغ الحضيض في نار جهنم، ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٧)؛ لأن الله سبحانه لا يظلم عباده، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم.

منهج الصلاح:

وعندما ندرس خطّ الصلاح الذي ركّز فيه الإسلام على مسألة الولد الصالح من أجل أن تتحرك كل الأسر على أساس أن يصنعوا للمجتمع وللأمة كلها جيلاً صالحاً، نجد أنّ الصلاح هو العنوان الكبير الذي يريد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يتمثله في كل حياته، في أوضاعه الخاصة والعامة. وما يؤكد لنا ذلك في مسألة خطّ الصلاح، وعظمة هذا العنوان، هو ما نقرأه في القرآن الكريم، من أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن عظمة الأنبياء ﷺ وكرامتهم عنده، فوصفهم بالصالحين، ما يدل على أنّ هذه الصفة هي من الصفات التي تمثل الكمال الإنساني الذي لا بدّ للأنبياء ﷺ أن يتمثلوه. وهذا ما نقرأه عن النبي

إبراهيم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمُنِ
الصَّالِحِينَ﴾^(٨)، ونقرأ بحق النبي إبراهيم ﷺ أيضاً قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ
الصَّالِحِينَ﴾^(٩)، فنجد أنه استعرض كل هؤلاء الأنبياء ﷺ وجعل قيمتهم أنهم
يتمثلون صفة الصلاح، في شخصياتهم، وفي كل أنواع حياتهم، ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١٠).

ونقرأ أيضاً في النبي لوط ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ❖
وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١١)، كما نقرأ قوله تعالى عن النبي
عيسى ﷺ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾^(١٢)، ونقرأ في قوله
تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ ❖ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(١٤)، وننتقل في كل ذلك لنعرف أن رتبة الصلاح
هي الرتبة العليا التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لأنبيائه ﷺ، كما أننا عندما
نستعرض سيرة الأئمة من أهل البيت ﷺ، نجد من صفات الإمام موسى بن جعفر
الكاظم ﷺ التي يتحدث بها الرواة أنهم يصفونه بـ(العبد الصالح): لأن كلمة
الصلاح تعني أن هذا الإنسان يعيش الصلاح في العقل والفكر، ويعيش الصلاح

(٨) البقرة: ١٣٠.

(٩) الأنعام: ٨٤-٨٥.

(١٠) الأنعام: ٨٧.

(١١) الأنبياء: ٧٤-٧٥.

(١٢) آل عمران: ٤٦.

(١٣) آل عمران: ١١٣-١١٤.

(١٤) النمل: ١٩.

في قلبه، فلا ينبض قلبه إلا بالعاطفة الصالحة، ويعيش الصلاح في كل حياته وسلوكه على أساس العدل؛ لأن الحياة الصالحة هي التي تتحرك في خط الخير وفي خط العدل.

الإيمان والعمل الصالح:

ونقرأ في الكثير من الآيات القرآنية التي تربط بين الإيمان والعمل الصالح، لتؤكد أن مسألة الإيمان لا تكفي في نجاح الإنسان وفي نجاته، بل لا بد أن ينطلق الإيمان ويتحرك في كل عناصر شخصية الإنسان العقلية والعملية في خط الصلاح، ولعل أفضل ما يشير إلى ذلك، ما ورد في سورة (العصر): ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وهذا هو النجاح في ما يعيشه الإنسان في شخصيته الفردية والاجتماعية.

وبذلك نعرف أن القرآن الكريم يؤكد مسألة الصلاح كعنوان كبير للفئة المميزة، وهي فئة الأنبياء ﷺ والأولياء ﷺ، وكخط يتحرك فيه الناس من أجل أن يكون الفرد ويكون المجتمع وتكون الأمة كلها في خط الصلاح، حتى يمكن لها أن تعطي الحياة سموً وارتقاءً وانفتاحاً على الحق والخير والعدل بين يدي الله سبحانه وتعالى.

وإذا كنا تحدثنا عن الصلاح، فلا بد أن نتحدث عن الفساد، مما يأتي من حديث إن شاء الله في الأسبوع القادم.

والحمد لله رب العالمين.

مظاهر الفساد في الأرض (١)

خط الصلاح يشمل جوانب
الحياة الإنسانية كلّها،
العقيدية، والفكرية والعامة
والسياسية والاجتماعية
والاقتصادية والأمنية.

♦ مظاهر الفساد

♦ الهيمنة المطلقة للخالق

♦ إفساد الحياة ♦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ذكرنا في ما سبق أن الله سبحانه وتعالى أراد للحياة الإنسانية أن تسير في خط الصلاح؛ هذا الخط الذي يشمل كل جوانب الحياة، العقيدية منها والفكرية والعبادية والسياسية والاجتماعية والأمنية والاقتصادية؛ لأن ذلك هو الذي يثبت الأرض الإنسانية المتحركة، فيجعلها قوية منتجة منفتحة يفتح فيها الماضي على الحاضر ليتكاملا في صناعة المستقبل. وفي مقابل الصلاح هناك عنوان الفساد. والفساد عبارة عن الخلل الذي يحصل للشيء، بحيث يفقد بعض عناصره التي تحكم وجوده، أو تحكم كماله أو إنتاجه لما يُراد منه، سواء كان هذا الخلل صغيراً أو كبيراً، وهو ما قد يصيب النفس والبدن والعقل والموقع والموقف والقول والفعل.

مظاهر الفساد:

في البداية، نشير إلى أن الله سبحانه وتعالى رفض الفساد في أصل التكوين؛ فقد تحدث عن مسألة (الوحدانية) في مقابل (الشرك) الذي يمثل تعدد الآلهة، واعتبر أن هذا التعدد في الألوهية يفسد توازن الكون. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)؛ لأن التعددية في الآلهة تقتضي أن يملك كل إله صفة الألوهية، ومن أهمها القدرة المطلقة التي لا حد لها، الأمر الذي يفرض التمايز بين إله وإله، فقد يختار هذا الإله شيئاً أو برنامجاً في الكون، ويختار الإله الآخر غير ذلك، ما يؤدي إلى الفساد، بل ربما يؤدي إلى أن لا يحدث شيء؛

لأن كل واحد منهما عندما يستعمل قدرته المطلقة ضد ما يريده الآخر، والمفروض أن القدرتين متساويتان في الحجم، فتكون النتيجة أن لا يتحقق الشيء كلياً، كما أن هذا النوع من التمانع يوجد خللاً في ما يريده هذا بضغط من ذاك، أو ما يريده ذاك بضغط من هذا. ويعبر الله سبحانه وتعالى عن هذه المسألة في آية أخرى فيقول: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢)؛ لأن القضية - عندئذ - تكون قضية الغلبة، بحيث يكون إله غالب وإله مغلوب، وعند ذلك يستقل كل واحد منهما كما يحدث في الأرض. والله تعالى أراد أن يقرب الفكرة بالطريقة التي يفهمها الناس، لا بالطريقة الفلسفية المعقدة، فإن الإثينية تفرض التمانع، وتفرض استقلال كل واحد منهما بما خلق، أو بما يسيطر عليه. ولذلك فإن الوجدانية - وحدانية الإله - تقوم على قاعدة الصلاح، فيما تعني الإثينية في الألوهية الفساد؛ لأن الإله الواحد تلتقي في ذاته كل صفات الكمال والجمال والجلال، وهذه الصفات سوف تؤدي إلى أن يكون الخلق كله، سواء كان هذا الخلق خلق السموات والأرض، أو خلق الموجودات الأخرى المتحركة كالإنسان والحيوان والملائكة، والنامية كالأشجار، أن يكون مرتكزاً على خطّ التوازن، بحيث لا يختل - في أصل وجوده - أي عنصر، بل تتكامل العناصر في أي من الموجودات..

وهذا ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٤)، بمعنى أن الله تعالى وضع لكل شيء قدراً معيناً في ما أودعه في داخله من قانون يحكم طبيعة وجوده، ويحكم طبيعته وحركته، ولا يستثنى من ذلك حياة الإنسان، إذ ليس في القوانين خلل، وإنما الخلل يأتي من تعامل الإنسان مع هذه القوانين، وهذا ما

(٢) المؤمنون: ٩١.

(٣) القمر: ٤٩.

(٤) الطلاق: ٣.

أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٥)، فאלله تعالى جعل الأرض صالحةً، وعليكم أن تلتزموا المنهج والقوانين التي أودعها فيها. وعندما تحدث سبحانه وتعالى عن السماء، قال: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾^(٦) فالله سبحانه وتعالى جعل لكل ظاهرة . سواء كانت أصغر الموجودات حجماً أو أكبرها حجماً. قانوناً، وقد اكتشف العلماء . في تطور اكتشافاتهم العلمية . أن القانون ذاته الذي يحكم أصغر ذرة، هو القانون الذي يحكم أكبر جبل، ويحكم السماء والأرض، وهذا ما أكدّه القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(٧)، فقانون الزوجية يحكم الموجودات الكونية كلها في داخلها وفي خارجها، فهناك عنصر سلب وعنصر إيجاب، عنصر فاعل وعنصر منفعل، وهكذا.

ومن هنا، نجد أن هذا الوعي لدى العلماء الذين ينفذون في دراساتهم إلى الأشياء من خلال فكرة يختزنونها في وعيهم العلمي، وتتمثل في أن كل ظاهرة وكل موجود يحمل سرّاً يتمثل في القانون الذي يحكمه، ولا يعتبرون أن هناك صدفة في كل الوجود، أي إنهم الآن عندما ينطلقون إلى الفضاء من كوكب إلى كوكب، فإننا نجد أنهم يتصورون أن لهذا الكون لوناً من ألوان الحياة بطريقة أو أخرى، ولذلك فهم يبحثون عنها، ولا يفكرون كما يفكر السطحيون الملحدون بمسألة الصدفة. العلماء المكتشفون أو المخترعون ينطلقون في كل اكتشافاتهم وكل إبداعاتهم من فكرة (اللاصدفة)، وأنّ الكون كله مرتبط، في كل ظواهره الصغيرة والكبيرة، على أساس قانون يحكم كل مفرداته وكل أوضاعه، بل إنهم يرون في ما يعتبر صدفة أنّ هناك قانوناً يحكمه من خلال العناصر التي تجتمع

(٥) الأعراف: ٥٦.

(٦) الملك: ٣-٤.

(٧) الذاريات: ٤٩.

فيه ..

الهيمنة المطلقة للخالق:

على ضوء هذا، قلنا إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الكون على أساس أنه لم يترك شيئاً في الكون إلاّ وقدره تقديرًا، وخلق في داخله كلّ عناصره، فليس في الكون خلل، وليس فيه نقص، وقد سجلنا - في أبحاثنا - من خلال هذه النقطة إشكالاً على ما يذهب إليه الكثير من العلماء من (الولاية التكوينية) للأنبياء وللأئمة عليهم السلام، لأنّ الولاية بحسب مفهومها تمثل سدّ النقص في المولّى عليه، فالأب يكون ولياً للطفل، على أساس أن الطفل لا يستطيع أن يتحرك بما يصلحه، أو بما يكمل أوضاعه، فيأتي الأب (الولي) ليكمل هذا النقص، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ربّب الكون كلّّه من أصغر ذرّة إلى أكبر ذرة بشكل دقيق ليس فيه أي خلل، فأية حاجة للولي، لأننا إذا قلنا إنّ الأئمة عليهم السلام هم أولياء الكون، وأولياء النعم، والأنبياء عليهم السلام - أيضاً - أولياء الكون، وأولياء النعم، فذلك يعني الإيمان بالنقص في هذا الخلق، مع أنه ليس هناك نقص حتى يكملوه بالولاية، ولذلك فإنّ الولاية التكوينية حق لله وحده، فهو ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وهو الذي يحيي ويميت، وهو القاهر فوق عباده، المهيم على الأمر كله، والكل عباده المكرمون، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. أمّا المعاجز التي يأتي بها الأنبياء عليهم السلام، فهي جزء من النظام الإلهي، فالله سبحانه هو الذي قال للنبي موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾^(٨)، فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى العصا القوة، وأعطاهها حركة الحياة في داخلها، وهو الذي حوّل اليد السمراء إلى يد بيضاء، والله سبحانه وتعالى هو الذي جعل النار برداً وسلاماً على النبي إبراهيم عليه السلام، وهو الذي فجّر الأرض عيوناً في طوفان نوح عليه السلام، والله سبحانه وتعالى

أعطى الروح لما صنعه النبي عيسى ﷺ، وكان دور عيسى ﷺ أن يصنع من الطين كهيئة الطير، وينفخ فيه، فيجعل الله تعالى في النفخة سر الحياة، كما جعل الله تعالى في نفخة الملك سر الحياة في السيدة مريم ﷺ، حيث ولد النبي عيسى ﷺ. ولذلك نحن نقول إن الله تعالى خلق الكون كاملاً لا نقص فيه، وهذا لا يمنع من القول إن الله تعالى قد يلقي المعجز على يد أنبيائه لما تحتاجه نبوتهم في ذلك، أو يمنح الأولياء الكرامة، في ما يكرمهم به من خلال حاجتهم في الإمامة إلى ذلك..

إفساد الحياة:

ونخرج من كل ذلك إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يحب للإنسان أن يتحرك في الحياة على أساس الفساد.. وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً حول هذا الموضوع، من خلال تناوله الأشخاص المفسدين في حركتهم في الواقع الإنساني، وما يملكونه من عناصر القوة، وعناصر السيطرة، أو عناصر الخداع، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ❖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ❖ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٩).

إنه يصور هؤلاء الناس الذين يستغلون الضعف النفسي والضعف الثقافي والروحي للآخرين، ليحصلوا على ما يبتغون من الناس، ولا سيما ممن يعد نفسه ليكون حاكماً وليكون سلطاناً ومسيطرًا، فيخطبون في الناس، ويتحدثون بأعلى درجة من الفصاحة والبلاغة، ويلعبون على عواطفهم وعلى مشاعرهم وأحاسيسهم ليجتذبوهم، مستغلين حاجتهم إليهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾،

بأن يشهد الله بأنه مخلص، وأنه يتكلم مع الناس كلاماً يخرج من القلب ومن عمق الصدق، ولكنه في حقيقة نفسه هو من أكثر الناس الذين يعيشون الجدل والخصام، من خلال حاجاتهم الشخصية، وعندما يرفعه الناس على أكتافهم أو إلى مواقع السلطة، ويتولى أمورهم، ينسى كل برامج الإصلاحية، وكل وعوده في إدارة شؤون الناس على أساس الحق والعدل، وينطلق من أجل إفساد حياة الناس، لا لصالح أمرهم، تلبيةً لأطماعه وشهواته وكل ما تختزنه ذاتياته، «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا» كي يفسد اقتصادها وسياستها، وثقافتها وأمنها، «وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ»، فيصادر كل الثروة الزراعية، ويجمّد طاقات الأرض وعطاءاتها، لأنه لا يملك أي برنامج زراعي، ويهلك الناس في قتل الصغار والكبار في ممارسته وأحكامه الجائرة.

«وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»، وهذه هي اللافطة التي أراد الله سبحانه وتعالى للناس أن يضعوها في عقولهم وفي قلوبهم، وفي كل حركتهم في الحياة، وإذا كان الله سبحانه لا يحب الفساد، سواء كان من نفسك، أو من الآخرين، فعليك أن ترفض ذلك من نفسك، فتمنع نفسك من السعي بالفساد، وأن ترفضه من غيرك، فلا تؤيد ولا تدعم ولا تساعد ولا تعاون الآخر في إفساد حياة البلاد والعباد.

ثم يعطينا الله صورة لهذا الإنسان المفسد، صورة كبرائه من الداخل التي يشعر من خلالها أنه في الموقع الذي لا يملك أحد أن يصحح له فكره في ما يفكر فيه، أو يصحح له طريقه في ما يخطئه، أو يصحح له سلوكه ومنهجه وبرنامجه، لأنه يعتبر نفسه فوق الموعظة، وفوق النصيحة، وفوق كل العقول، «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ»، فيقول: من أنتم حتى تقولوا لي اتق الله، أنا الذي أمركم بالتقوى وأنا الذي أعظكم وأنصحكم، «فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ». هذه الصورة نجدها في الكثير من الناس الذين يستغلون بساطة الناس وطيبتهم وحاجاتهم، ليخدعهم بالكلام المعسول الطيب، الذي يوحي بأنهم قادرين على أن يحلوا مشاكلهم هنا وهناك.

كما تحدث الله سبحانه وتعالى عن بعض نماذج الفساد السياسي، كما ورد في قصة فرعون، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١٠). علو الاستكبار، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾، يعني ممزقين متفرقين، من خلال السياسة التي تجعل له السلطة العليا، ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾، وقد تمثل ذلك في ما قصه القرآن الكريم من استضعافه لبني إسرائيل، ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لأنه يخاف أن ينشأ من هؤلاء الأطفال رجالاً يمكن أن يتمردوا عليه في ثورة المستضعفين على المستكبرين، ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ حتى تبقى النساء قوة عاملة يستخدمها في ما يريده من خطط أو ما يريده من حاجات، ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، فإن هذا الأسلوب هو أسلوب الفساد السياسي والاجتماعي، أسلوب الإنسان الذي يستكبر، والذي يمزق المجتمع، والذي يذبح أبنائهم ويستحيي نساءهم، فهو يمثل مظهر الفساد الذي يفسد الحياة، لأنه يمنع المجتمع من أن يتكامل على أساس احترام إنسانية أفراده، وعلى أساس احترام حريتهم في ما يفكرون فيه، أو يتعاملون به. وهكذا يصور لنا القرآن الكريم هذا النوع من الفساد السياسي الذي قد يصل بصاحبه إلى الفساد الفكري والفساد الروحي، وما إلى ذلك، مما يجسده هذا الاستعلاء على الناس ليشعر بأنه فوقهم، كما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى تحدث إلينا عن بعض المفسدين، في الجانب الاقتصادي، أو في جانب السلوك الإنساني في العلاقات الإنسانية، كالعلاقات الزوجية، وما إلى ذلك، وهذا ما سنتحدث عنه إن شاء الله في الأسبوع القادم.

والحمد لله رب العالمين.

مظاهر الفساد في الأرض (٢) الإفساد العام

للإفساد مظاهر
متعددة: عقدي
وأمني وسياسي
 واجتماعي وتربوي.

- ♦ الإفساد العام.. نموذج فرعون
- ♦ الاستعراض الزائف
- ♦ مظاهر الفساد
- ♦ الشذوذ الجنسي
- ♦ الفساد الأكبر
- ♦ الإسراف والفساد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الإفساد العام.. نموذج فرعون:

من الأساليب التي كان يستخدمها فرعون وقومه في سبيل إفساد التصوّر العام لدى الناس ضد موسى ﷺ، العمل على تخويف الناس وإثارة إحساسهم بالخطر على مصالحهم من النبي موسى ﷺ، كما يفعل الكثيرون من الطغاة في التاريخ، الذين إذا واجهوا أية معارضة من أي شخص أو جماعة، فإنهم يحاولون تشويه صورتهم وإصاق بعض الاتهامات بهم بالطريقة التي تنفر الناس منهم، وقد يصل الأمر بهؤلاء الناس إلى أن يبرروا اضطهاد الطغاة لهم أو قتلهم أو سجنهم أو التعرّض لهم بطريقة وبأخرى. وهذا ما نلاحظه اليوم في ما يحاوله الاستكبار العالمي في ما تخطط له مخابراته وينشره إعلامه من إسقاط الكثير من المصلحين والمجاهدين، والذين يعملون على تغيير الواقع على أساس ما يصلح الناس، لينفّر الناس منهم، فيخلو الجو للطاغية.

ينقل لنا القرآن الكريم بعض أساليب فرعون وقومه ضدّ النبي موسى ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، فقد حاولوا إصاق التخطيط للفساد بالنبي موسى ﷺ وقومه، في الوقت الذي لم يطرح النبي موسى ﷺ في كل ما حدثنا القرآن الكريم عنه. أي طرح يؤدي إلى خلل اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي أو أمني يتصل بالناس: إذ كان من بين طروحات النبي موسى ﷺ أن يرسل فرعون معه بني إسرائيل

ليعطيتهم الحرية، لأن فرعون كان يستضعفهم ويذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وكان ﷺ يدعو فرعون إلى الإيمان برب العالمين، ويسعى إلى إدخاله في حوار معه بعد أن قدّم له الدليل الساطع والمقنع على أنه رسول من قبل الله تعالى، سواء كان بإطلاق العصا في مجلسه التي استحالت ثعباناً، أو بيده التي تحولّت من يد سمراء إلى يد بيضاء، ولكن فرعون الذي هاله ذلك، حاول أن يتّهمه بتهمة السحر، واستدعى السحرة، الذين خضعوا لموسى ﷺ، لأنه أثبت لهم - وهم أهل الصنعة - أن ما جاء به ليس سحراً، وعندما أعلنوا إيمانهم أسقط ما في يد فرعون، لأنهم كانوا يمثلون القوة التي كان يستخدمها في سبيل مواجهة المعارضين له.

لذلك عندما ندرس القرآن الكريم، نجد أن النبي موسى ﷺ لم يطرح أي شيء يمكن أن يُوصَمَ بالفساد، ولكنهم أرادوا أن يطلقوا عليه تهمة الإفساد في الأرض، لأنهم خافوا أن يضعف فرعون أمام ما قدّمه النبي موسى ﷺ، ولذلك أرادوا أن يثيروه ضد النبي موسى ﷺ، وخوفوه من أن ملكه سوف ينهار، وذلك هو ما تابعه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ أي وحدك من دون الجماهير، وكان جوابه: ﴿قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾. وقد أراد النبي موسى ﷺ أن يثبت قومه حتى يصمدوا أمام هذا التهديد الفرعوني الذي أراد أن يسقط معنوياتهم، ويثير في أنفسهم الخوف، كما يحدث عندما ينطلق الطغاة ليهيّدوا المستضعفين الذين يسيرون مع المصلحين في المجتمع.. ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ﴾^(٢)، وليست لفرعون، ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فهو الذي يملكها بقدرته من خلال خلقه، وهو الذي يملكها لمن يشاء من عباده في السيطرة عليها، وإذا كان فرعون يستولي على هذه الأرض الآن، فربما يورثكم الله تعالى الأرض بعد ذلك، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ولكن مشكلة قوم النبي موسى ﷺ تكمن في أنهم كانوا يعيشون الضعف في

أنفسهم نتيجة الضغط الفرعوني الطويل، وحالة الاستضعاف المسيطرة عليهم، حيث لم يبلغوا المستوى العالي من الإيمان. ولعلّ مشكلتهم، أو مشكلة النبي موسى ﷺ معهم، أنهم كانوا يتبعونه لأنهم يعتبرون أنه الشخص القيادي الوحيد الذي برز بينهم ليتحدى فرعون، ولكن النبي موسى ﷺ لم يستطع حتى ذلك الوقت أن يجذبهم إلى خط الإيمان بالله تعالى ليعيشوا الإيمان به بالطريقة التي يشعرون بها بالثقة بوعده سبحانه، وبالصبر أمام التحديات. ولذلك كان جوابهم على لسان القرآن: ﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾^(٢)، أي قبل أن تأتي وتسلم القيادة وتدخل في معركة مع فرعون، أي كنّا نعيش الأذى من فرعون، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾، وابتلينا عندما جئتنا بعد ذلك، فكأنّهم يقولون: إنّنا ابتلينا بك أيضاً لأنك دخلت في صراع القوة بالرسالة مع فرعون، ما أدى إلى أن يستمر ويزيد في اضطهادنا للضغط عليك ولإسقاط مواقع قوتك بإسقاط قومك بظلمه وعدوانه، فلم يتغير من أمرنا شيء، فما هو الشيء الذي أفدتنا به؟ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ لأنه كان واثقاً بالله سبحانه وتعالى من خلال أنه يحمل رسالة الله عزّ وجلّ، وأن الله لن يخلف وعده له، ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ لتكونوا القوة الجديدة التي تمسك بموقع القوة في امتدادها في الحياة العامة من خلال الحكم والإدارة في تدبير شؤون الأرض والناس ﴿فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ هل تأخذون بأسباب العدل والاستقامة من خلال الإيمان بالله والسير على منهاجه على قاعدة الرسالة التي بلغتكم إياها، أم أنكم سوف تسيرون على سنن الطغاة الماضين في ظلم العباد وإفساد البلاد تماماً كما هو دور المستضعفين الذين يتحوّلون إلى مستكبرين عندما يأخذون دورهم في الحياة.

ومن خلال ملاحظتنا لذلك الأسلوب الذي اتّبعه المستكبرون مع النبي موسى ﷺ بإثارة المجتمع على أساس أنه ﷺ وقومه مفسدون في الأرض، فإنّنا عندما ندرس الصراع بين المستكبرين والمستضعفين، نجد المستكبرين يحاولون

إلصاق التُّهم بالمستضعفين تحت عناوين الإرهاب، وتحت عناوين الإفساد، وتحت عناوين كثيرة أخرى، كما نجد ذلك في ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، سواء في فلسطين أو في العراق أو في أفغانستان أو في أي مكان في العالم، حيث يحاولون أن يصادروا أوضاع المستضعفين لحساب مصالحهم، بالضغط المادي والسياسي والاقتصادي والأمني تحت تأثير الشعارات السلبية العدوانية المثيرة كالإرهاب ونحوه.

الاستعراض الزائف:

هناك أسلوب استعراضي كان فرعون يقوم به لتأكيد موقعه في نفوس الناس حذراً من أن يقنعهم النبي موسى ﷺ بدعوته التي كان يدعو فيها إلى الله الواحد، ويحدثهم أن رب العالمين هو الذي خلق، وهو الذي يرزق، وهو الذي يعطي ويمنع، ويحيي ويميت، فكان هذا أقرب إلى عقول الناس من أن يؤمنوا بأن ربهم هو فرعون الذي يروونه أماهم والذي يعيش نقاط الضعف التي يعيشونها، وإن كان يملك ما لا يملكون، فأراد أن يستعرض عضلاته أمام قومه، «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنُ لِي صَرِّحاً»^(٤)، يعني برجاً عالياً، «لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ» أي المناطق العليا «أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى»^(٥)، حتى أدخل معه في صراع، وأتخاصم معه، «وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ» من خلال غطرسته، ومن خلال انتفاخ شخصيته، ومن خلال أسلوبه في إذلال الناس، «وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ» إلا في هلاك. ولم ينجح فيه فرعون: لأن هامان لم يستطع أن يفعل شيئاً، فكان طلبه هذا من هامان يبعث على السخرية، لأنه لم يستطع أن يبلغ أقطار السماء والأرض، حيث إن النبي موسى ﷺ لم يتحدث عن الله تعالى أنه يجلس في مكان يمكن للناس أن ينالوه.

كما إنه اتبع أسلوباً حاول من خلاله أن يهول على موسى ويضعف فيه من

(٤) غافر: ٣٦.

(٥) غافر: ٣٧.

شأنه عند الناس. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾^(٦)، كل هذه (مصر) هي ملكي، يعني أنتم تحتاجون إليّ في كل ذلك، وأنا الذي أملك كل هذه الأرض، ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ثم قارنوا بيني وبين موسى، هل تتبعون موسى أم تتبعونني؟ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾^(٧)، ضعيف، لا يملك القوة، ولا يملك زعامة، لا يملك عائلة محترمة، لا يملك مالاً، ولا يملك أرضاً .. ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، لأن النبي موسى ﷺ - كما يروى - كان عنده حبسة في لسانه، ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾^(٨)، كمظهر من مظاهر الغنى، بحيث يلقى عليه أساور من ذهب، ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ فلقد جاء وحده، من دون أية قوة غيبية مما يدعيه من الاتصال بالعالم الغيبي، وهو عالم الملائكة الذين لا بد لهم من دعمه في مواجهته لنا لو كان صادقاً، وبما أنه لم يأت بأيّ من هذه، فإن هذا يدل على أنه لا يملك أية مصداقية حقيقية في واقع أمره ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ يعني استخفّ بعقولهم، واستغلّ بساطتهم وجهلهم ﴿فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. لا يملكون الاستقامة على خط الوعي والاتزان والاعتدال، بل يتجاوزون الحدود المعقولة في سلوكهم الفكري والعملية.

هذه الأساليب التي كان يستخدمها فرعون، لا بد لنا من أن نفتح من خلالها على ما يستخدمه المفسدون من الطغاة في حياتنا؛ لأن القرآن الكريم لا يتحدث عن التاريخ من خلال ما عاشته الأمم السابقة، من طغاة ومن شعوبهم، بل إنه يقدم لنا النموذج والفكرة من خلال الأساليب التي اتبعها الطغاة في الماضي والحاضر، ليكون القرآن الكريم مدرستنا التي ندرس فيها الحاضر من خلال بعض الأساليب التي كان يستخدمها المستكبرون في الماضي، لأن التاريخ قد يعيد نفسه في بعض ذلك.. فهذا نوع من أنواع الفساد السياسي، وهو متمثل بفرعون.

(٦) الزخرف: ٥١.

(٧) الزخرف: ٥٢.

(٨) الزخرف: ٥٣.

مظاهر الفساد:

وهناك فساد أمني واجتماعي، كما تحدّث عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٩)، فهي تتحدّث عن المفسدين في الأرض، والذين يعلنون الحرب على الله ورسوله. والمفسدون في الأرض، ربما يحددهم الفقهاء بأنهم (قطّاع الطرق)، وهم هؤلاء الذين يستخدمون قوتهم في قطع طريق الناس لينهبوا أموالهم ويهتكوا أعراضهم، وربما يؤدي ذلك إلى القيام بقتل الناس عندما يؤدي نهب المال إلى قتل أصحاب الأموال عندما يقاومونهم، وقد تتمثل بما يشبه ذلك، وربما يستفيد منها الفقهاء عنواناً عاماً يتمثل حتى في المسألة الاقتصادية، عندما يتاجرون بالبضائع التي تشكل خطراً على الناس، سواء كان ذلك الخطر يتصل بعقول الناس، أو بصحتهم، أو بالانحراف الأخلاقي، وما إلى ذلك.. كالذين يتاجرون بالمخدرات، التي تسقط كل من يتعامل بها، وكل من يتخدّر بها، لأنها تترك تأثيرها على عقل الإنسان، وعلى توازنه، وعلى صحته، ولذلك كانت الحرب على المخدرات حرباً عالمية، تمارسها كل الدول، سواء كانت من الدول الكبرى أو الصغرى، لأنها تسقط الشعب كله، عندما يتخدّر الشعب بها، فيفقد توازنه وإرادته ووعيه لما حوله ولمن حوله. وينقل لنا تاريخ الاستعمار أن بعض الدول خاضت حرباً ضد الصين، لأنها دفعت بالمخدرات إلى هذه الدولة، لتسقط روح الشعب الصيني، وعندما وقفت السلطات ضد هذا النوع من الإفساد، شنت حرباً عليها لأنها منعت تجارة المخدرات، وهكذا بالنسبة إلى الذين يتاجرون بالمسكرات، أو الذين يحاولون إثارة الانحراف الأخلاقي هنا وهناك، أو الذين يفسدون الوضع السياسي والوضع الاجتماعي والوضع الاقتصادي، بالطريقة التي تؤدي إلى سقوط المجتمع في

قضاياها الحيوية والمصيرية، فمن الممكن جداً أن نطلق على هؤلاء أنهم المفسدون في الأرض، وأنهم المحاربون لله ورسوله، لأن الحرب لله ورسوله لا يراد منها الحرب القتالية بوسائل السلاح، بل يراد منها الحرب ضد القيم التي تركّزها الرسالات في ما يوحي به الله عزّ وجلّ، وفي ما يبلغه رسول الله، والوقوف ضد خطوط الإسلام هنا وهناك، وهذا النوع من الفساد الأمني والفساد العام يشمل كل هذه المفردات. ولذلك جعل القرآن الكريم العقوبة قاسية، وجعل لولي الأمر أن يختار إما أن يُقتلوا أو أن يُصلّبوا، أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينضوا من الأرض، لأن ما يقومون به يشكل خطراً على السلامة العامة للمجتمع في كل ما يتصل بأمنه وسياسته واقتصاده.. ما يجعل العقوبة أمراً مناسباً لقسوة أعمالهم التي تفسد أوضاع البلاد والعباد بالأخطار الأمنية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية المتّصلة بحياتهم العامة.

الشذوذ الجنسي:

ومن الأمور التي تمثّل الفساد في الأرض قضية الشذوذ الجنسي، وهو ما يسمى بـ(اللواط)، وهو ما حرّمه الإسلام تحريماً قاطعاً، وجعل العقوبة عليه الإعدام، للفاعل والمفعول به، إذا كانا مختارين وراضيين بذلك. هذا النوع من العلاقات الجنسية الشاذّة بدأ . حسب ما قد يلوح من القرآن الكريم أو تاريخياً على الأقلّ . بقوم (لوط) الذين كانوا يمارسون الشذوذ الجنسي، وهو اللواط، وقد تحدّث القرآن الكريم عن ذلك في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾^(١٠)، وكما في آية أخرى، قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾^(١١)، يعني كانوا يقضون على طريق المارة، فإذا جاء بعض الشباب الحسان الوجوه، كانوا يقطعون الطريق عليهم، ليأتوا في ناديهم المنكر، قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾، وهو هذا الشذوذ الجنسي، ﴿فَمَا كَانَ

(١٠) الأعراف: ٨١.

(١١) العنكبوت: ٢٩.

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»، نحن لن نترك هذا، إذ هي عاداتنا، وهذا هو أسلوبنا في إطفاء شهواتنا، فإذا كنت تنذرنا بعذاب الله، فنحن نتحدّاك أن تأتي بعذاب الله إِنْ كُنْتَ صادقاً، «قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ»^(١٢)، إذ إن النبي لوط عليه السلام، في دعائه لله تعالى، وضعهم في دائرة المفسدين، لأنّ هذا يُمثل الفساد في الأرض، باعتبار أن الله عز وجل جعل المسألة الجنسية مخصوصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة، ولا سيّما أن الله سبحانه وتعالى هيأ أعضاء المرأة لهذه العملية من خلال الزواج، بينما لم يهيئ ذلك بالنسبة للرجال مع بعضهم بعضاً، بالطريقة التي يمكن أن يحدث فيها هذا بشكل طبيعي، لأنّه يؤدي إلى نتائج سلبية على أكثر من جهة، سواء كان من خلال الإيذاء الجسدي، أو من خلال بعض الأمراض التي تأتي من ذلك. ومن المؤسف جداً أن الغرب - وإن لم يكن ذلك شاملاً لكل البلدان - جعل مسألة الحريات الفردية مطلقة، بحيث إنه يرى حرية الإنسان في أن يمارس شهواته بكل الوسائل التي يرغب بها ويشتهيها، حتى إننا نجد أن بعض البلدان الغربية بدأت تُشرّع الزواج المثلي - حسب تعبيرهم -، ويعني زواج الرجل بالرجل، بحيث يسجّل هذا في القوانين المتبعة على أساس أنه زواج تماماً كزواج الرجل بالمرأة، فيحصلان على كل الحقوق الزوجية تماماً كما يحصل عليها الزوجان الطبيعيان. وهكذا شرّعت بعض الدول الغربية زواج المرأة بالمرأة من خلال الشذوذ الجنسي المؤنث والذي يسمّى بـ (السحاق)، وما تزال بعض الدول الغربية التي لم تشرع تبحث في ذلك في برلمانها، وفي وسائل إعلامها، وفي تجمعاتها الاجتماعية والقانونية.

إن الإسلام يعتبر هذا خروجاً عن الطبيعة الإنسانية؛ لأنّ الإنسان حرّ في أن يمارس شهواته وغرائزه، لكن بالوسائل الطبيعية التي أَعَدَّ الله جسده الإنسان لها بشكل طبيعي، وبما شرّعه الله سبحانه وتعالى في هذا وذاك. لأن التشريع

الإسلامي يخطط لحماية الإنسان من نفسه كما يخطط لحماية غيره منه، لأن رحمة الله الذي خلقه تؤكد هذه الحماية المتنوعة في كل مواردها، فلا حرية له في ما يضر نفسه جسدياً أو روحياً أو عقلياً أو نفسياً كما نلاحظه في كثير من المحرمات.

الفساد الأكبر:

وننتقل من ذلك إلى المنافقين، سواء كانوا منافقين على المستوى الديني من الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، أو الذين يبطنون الفسق ويظهرون التقوى، أو النفاق السياسي من هؤلاء الذين يبطنون الغش والخداع والانحراف ويظهرون الإخلاص والاستقامة السياسية أمام الناس، وهكذا نجد أنّ هناك نفاقاً اجتماعياً ونفاقاً اقتصادياً، من أنواع النفاق، لأن كلمة (النفاق هي الكلمة التي تعبر عن هذا النموذج من الناس الذي يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر.

هناك بعض الناس الذين تحدّث عنهم الله سبحانه وتعالى ممن يحاولون إغراء الناس وخداعهم، وإظهار أنهم المصلحون الذين يرفعون مستوى الناس في إيمانهم وفي تقواهم، وفي برامجهم السياسية، أو في خططهم الاقتصادية، أو في مناهجهم الأمنية، فهم يقدّمون أنفسهم للناس كمصلحين في كل جوانب الإصلاح في المجتمع، ولكنهم يبطنون الإفساد لحياة الناس، لأنهم يخططون في أنفسهم ما يفسد حياة الناس بطريقة لا يكشفها الناس.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. ١٣﴾. هذه الآية التي جاءت لتؤكد الواقع الداخلي الذي يعيشون فيه، أرادت لنا أن ننتبه إلى ذلك، ولا نخدع بالكلمات المعسولة ولا بالشعارات الفضفاضة، بحيث لا ننظر إلى ظاهر الإنسان، بل ننظر

إلى باطنه، ولا سيّما إذا كانت المسألة تتصل بالمصير العام للناس، لأننا عشنا ونعيش في كثير من أوضاعنا، ولا سيّما في العصر الحاضر، الذي تنوعت فيه وسائل الخداع، وأساليب الغش، خاصة في أجهزة المخابرات التي تحاول أن تصوغ للناس العناوين الكبرى الإصلاحية والخلاصية، لتجذب الناس إليها، وهي التي تخفي في داخلها الكثير مما يفسد حياة الناس، ومما يسقط حرمتهم ويسقط أوضاعهم على جميع المستويات. وهذا ما نعيشه الآن من خلال الاستكبار العالمي الذي تمثله أمريكا وحلفاؤها في كل العالم، عندما تحاول أن تقدم صورتها إلى الشعوب بأنها صورة الدولة التي تعمل على تحرير الناس من الطغاة، وهي التي زرعت الطغاة في حياة الناس، أو من جهة إصلاح الأوضاع التي يعيشونها، كما في مشروع (الشرق الأوسط الكبير)، وغيره من المشاريع، فعلى الناس أن يلتفتوا إلى ذلك، وأن يلتفتوا إلى واقع هؤلاء الناس، وإلى تاريخهم، وإلى طريقتهم في إدارة المسألة السياسية والاقتصادية والأمنية والثقافية في العالم، وهذه المسألة التي ينبغي للشعوب أن تعيها.

وفي هذا المجال، أيضاً ورد عن رسول الله ﷺ قوله: ((إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان))^(١٤) يعني يعرف كيف يتكلم، وكيف يقدم الكلمات المعسولة، والشعارات الفضفاضة، والإنسان دائماً - كما كنا نقول - عليه أن لا ينظر إلى الكلمات، ولكن أن ينظر إلى ما وراء الكلمات أو ما بين الكلمات، ورحم الله الشاعر السيد أحمد الصافي النجفي الذي قلب الحكمة المعروفة التي كانت تقول: (انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال)، فقد قال بيتاً من الشعر معارضاً لذلك من جانب آخر:

كثر الخداع اليوم في أقوالنا فانظر إلى من قال لا ما قيل

يعني أن تنظر إلى الشخص الذي يتكلم، هل هو من الصادقين، هل هو من المخلصين، لأنك تستطيع أن تعرف قيمة كلامه، واستقامة كلامه، وصحة كلامه،

من خلال المعرفة طبيعة أخلاقيته التي يعيشها في نفسه وفي كل سلوكه .

الإسراف والفساد:

ومن الذين تحدّث عنهم الله سبحانه وتعالى بالفساد: (المسرفون)، الذين يسرفون في طريقة الإنفاق على المستوى الاقتصادي، أو الذين يسرفون في طريقة سلوكهم، أو طريقة العمل أو طريقتهم في الانتماء، لأنّ الإسراف هو تجاوز الحد الطبيعي، والمسرف هو الذي يصرف ماله من دون أن ينتفع به، وقد ورد في حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((إن القصد أمر يحبه الله وإن السرف أمر يبغضه الله)) القصد يعني الاقتصاد ((حتى طرحك النواة فإنها تصلح لشيء)) فإن هذه النواة، نواة الزيتون، أو كل نواة يمكن أن تستخدمها في ما ينفع الناس، فإنك عندما تطرحها في الأرض ولا تنتفع بها فأنت مسرف ((وحتى صبك فضل شراك))^(١٥) حتى وأنت تريد أن تشرب الماء، وأنت تحتاج إلى نصف الكأس، فتملأ الكأس كله، وثم تشرب نصفه وترمي النصف الآخر، فهو إسراف، لأن هذا النصف الآخر كان يمكن أن تحتفظ به، وهذا أمر موجود في كثير من الحالات عندنا، فإن الكثير من الناس عندما يولم لخمسـة أشخاص، فإنه يسرف ليملاً عين الشخص المدعو، فيطبخ لعشرين شخصاً، وآخر الأمر يرمى ذلك في النفايات مثلاً، أو الإنسان الذي يقف عند الوضوء - مثلاً - ويمكنه أن يتوضأ الوضوء الطبيعي بنصف كأس من الماء، ولكنه يصرف نصف ماء البركة، وما أشبه ذلك .. وما أكثر الإسراف عندنا، بحيث إننا عندنا الكثير من الأنهار ولا ننتفع بها من جهة إقامة السدود، والأرض عطشى والناس كذلك ، وكما يقول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وهكذا الإسراف في أن يتجاوز الإنسان الحدود المألوفة، سواء على مستوى الانتماء، فينتمي إلى ما لا ينفعه، أو إلى ما يضره، أو من خلال طبيعة التعامل مع

الناس، أو التعامل في بيته، وما إلى ذلك .. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۖ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١٦). وهذا يشمل كل الإسراف الاقتصادي والاجتماعي والعائلي والديني، وما إلى ذلك من الأمور. ويبقى هناك حديث عن الفساد في الأرض.

والحمد لله رب العالمين.

مظاهر الفساد في الأرض (٣) الفساد الاجتماعي

المفسدون لا يحترمون
العلاقات الإنسانية
المتوازنة، لذلك تراهم
يسعون لإفسادها.

♦ القطيعة الاجتماعية

♦ الذهنية العقرية

♦ الطغيان الاقتصادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال في الحديث عن مظاهر (الفساد في الأرض)، وعن النماذج المتحركة المنتجة لهذا الفساد، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى أراد للحياة أن تنطلق في خطّ الصلاح، ولهذا خلق الله تعالى الكون بكلّ ظواهره، في خطوط وقوانين وسنن الصلاح، التي لا تختزن أيّ خلل. ولذلك كنا نقول إنّ الله سبحانه خلق الكون كاملاً لا نقص فيه، وعلى ضوء هذا، فإن حكاية إعطاء (الولاية التكوينية) لأية شخصية من رسل الله أو أوليائه، هي مسألة لا أساس لها، على قاعدة أن الولاية إنما تكون لسدّ النقص، فإذا كان الكون كاملاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١)، فليس هناك نقص ليُجعل الله تعالى شخصاً يكمله، وقد تحدثنا عن ذلك كثيراً. ونحن الآن في مقام استعراض الآيات القرآنية التي تتحدث عن مظاهر الفساد ونماذجه.

القطيعة الاجتماعية:

ومن بين العناوين التي اعتبرها الله تعالى من مظاهر الفساد، (قطع الرحم)، باعتبار أن الرحم هو مما أمر الله تعالى به أن يوصل. وهكذا نفهم من سياق الآية الكريمة أن المفسدين في الأرض، هم الذين لا يحترمون العلاقات الإنسانية، بكلّ أوضاعها المتصلة بتوازن الحياة، لأنّ الحياة تتوازن بتوازن العلاقات الإنسانية، باعتبار أن العلاقات الإنسانية هي التي تنتج للحياة وللإنسان الخير في ما يرتبط بالقضايا الحيوية للحياة الإنسانية، ما يجعل من إفساد هذه

العلاقات الإنسانية، بقطع الروابط بين الناس الذين يرتبطون برابط الرحم، أو برابط العقيدة، أو بروابط أخرى عائلية، حتى في بعض الحالات من روابط وطنية أو قومية مما يجمع الناس، وما يلتقون عليه، بقطع النظر عن طبيعة الخطوط التي تحكم هذه العناوين، إفساداً للإنسانية. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٢)، إنه يتوجه إلى هؤلاء الذين يركبون بعض الموجات - كما نعبر في هذه الأيام - سواء الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، التي يثيرون فيها غرائز الناس، من أجل أن يريحوا عواطفهم ومشاعرهم، من دون أن تركز حركتهم على قاعدة من فكر، أو من عقل، أو من إيمان، وذلك بانفتاحهم عاطفياً على بعض الشخصيات، سواء الماضية، من الشخصيات التاريخية، أو الحاضرة، أو على بعض الشعارات، أو بعض الأوضاع، ليرفعهم الناس إلى مواقع السلطة، أو مواقع الواجهة الاجتماعية أو المراكز الدينية، مقدمين أنفسهم إلى الناس على أنهم حراس عقائدهم، وحراس مصالحهم، وحراس أوطانهم وأديانهم، مستخدمين كل الأساليب التي تهز مشاعر الناس، فإذا حصل لهم ذلك، وتولوا أمور الناس، فإنهم يعملون على أساس إفساد حياتهم، من خلال البرامج الفاسدة التي كانت تحكم أفكارهم، وتوجه خططهم، لتلبية أطماعهم أو طموحاتهم في الحياة.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ لأن الأشخاص الذين قد يصلون من خلال حركة صراع بينهم وبين الآخرين إلى المواقع العليا، فإنهم يعملون على تمزيق الروابط الاجتماعية، ولعل أقرب تلك الروابط الاجتماعية هي ما تتصل بالدم، فيما يرتبط به الإنسان بالآخرين - بالآباء والأمهات - فيحاولون تقطيع هذه الروابط - كما نقرأ في الآية الثانية - كنموذج لتقطيع كل الروابط التي أراد الله تعالى للحياة الإنسانية أن تتأكد فيها، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى يريد للمجتمع أن يتحرك على أساس

الدوائر الصغيرة التي تفتح على الدوائر المتوسطة، لتتعلق إلى الدوائر العامة في مستوى الإنسان، وهذا ما نقرأه في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(٣)، فالله تعالى لم يلغ خصوصياتنا القبلية أو خصوصياتنا القومية، وحتى خصوصياتنا الإقليمية واللونية، ولكن أراد لهذه الدوائر - التي تتغنون بهذه الخصوصيات - أن لا تنغلق على نفسها، بل أراد لكل دائرة صغيرة أن تفتح على الدائرة الأكبر منها... وهكذا، حتى تصل إلى الدائرة الإنسانية العامة في هذا المجال.. وهذا هو (التعارف)، لأن كل دائرة من الدوائر، وكل قبيلة، وكل شعب، وكل قومية، وكل وطن، يختزن في داخله الكثير من التجارب المعرفية، والتجارب الواقعية، ولذلك فإنه عندما يفتح على الدائرة الثانية، فإن الدائرة الثانية تفتح عليه لتأخذ مما يملكه من ثروة التجربة، أو من ثروة المعرفة أو ما إلى ذلك. وهكذا تتحرك هذه الدوائر في خصوصيتها الفكرية، والعملية من أجل أن تعطي الدائرة الثانية، وبذلك يكون التعارف.

وقد روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام وهو يشير إلى هذه الدوائر، والموقف الشرعي السلبي أو الإيجابي في التعامل معها، أنه قال: ((إن العصبية التي يَأْثُمُ عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، وإنما أن يعين قومه على الظلم))^(٤) فإن تفتح على قومك، فهذا أمر تفرضه الطبيعة الإنسانية في أن كل شكل لشكله ألف - كما يقولون - ولكن إذا اقتربت قوميتك، أو قبيلتك، أو ما أشبه ذلك إلى مبادئك، فهنا تقف الدائرة القومية والعائلية لتتقدم المبادئ. كما تشير هذه الآية إلى أن تولي هؤلاء الناس الذين لا يركزون على قاعدة من المسؤولية التي يعيشها الإنسان أمام الله والناس والتاريخ، يعني أن الإنسان إذا تولى، فإنه لابد أن يكون

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) الكافي. ج. ٢، ص ٣٠٨. ح. ٧٠.

المفسد في الأرض، والمقطع للروابط الاجتماعية، وهذا ما قرأناه من قبل . في حديث سابق . عن بعض النماذج التي حدثنا الله سبحانه وتعالى عنها، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ ❖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ❖ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمَّهَادُ^(٥)﴾، وفي آية أخرى تسير في خط هذه الآية الكريمة، وإن كانت أكثر شمولية، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ^(٦)﴾، فهؤلاء ينقضون عهد الله تعالى من بعد ميثاقه، لأنهم ينشؤون العقود ثم ينقضونها، سواء العقود مع الأفراد، أو مع الجماعات، وسواء في قضايا مالية أو في قضايا سياسية أو اجتماعية أو زوجية،، وقد عبر الله عن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة بأنها ميثاق غليظ. قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا^(٧)﴾، فاعتبر هذا ميثاقاً غليظاً، تماماً كما هي المواثيق التي يعقدها الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى مع الآخرين، ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ^(٨)﴾. يعني يقطعون كل الروابط الاجتماعية، فقد أمر الله تعالى برابطة الرحم أن توصل، وهكذا بالنسبة إلى رابطة الإيمان وغيرهما من الروابط الأخرى التي فيها صلاح للبلاد وللعباد .

الذهنية العقربية:

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، من خلال الذهنية العدوانية، تلك الذهنية التي تتفتح على الحياة وعلى الإنسان من موقع العقدة السوداء التي تحكم نظرته إلى

(٥) البقرة: ٢٠٤-٢٠٦.

(٦) البقرة: ٢٧.

(٧) النساء: ٢١.

(٨) الرعد: ٢٥.

الواقع وإلى المجتمع، لأن هناك بعض الناس الذين يعيشون الذهنية العقربية التي تتحرك غرائزياً بأن تلسع كل من تلتقي به، كما تلسع العقرب كل ما تلتقي به حتى الحجر، لأن القضية إنما تنطلق من حالة غرائزية وليس من حالة فكرية، «أُوْثِنِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»، وهذا نموذج من نماذج المفسدين في الأرض في خططهم التي يفسدون بها البلاد والعباد.

من بين المواقع التي ركّز الله سبحانه وتعالى عليها، من حيث إنها مظهرٌ من مظاهر الفساد هو (السحر)، فنحن عندما نقرأ القرآن الكريم، فإننا نجد أن ظاهر القرآن الكريم يشير إلى أنه السحر ليس أمراً واقعياً، ففي حديث له عن تجربة السحرة مع النبي موسى ﷺ، عندما أراد لهم فرعون أن يهزموا النبي موسى ﷺ، لأنه كان يحاول أن يثير الجو حول النبي موسى ﷺ بأنه ليس نبياً يملك قدسية الرسالة في خط النبوة، بل هو مجردٌ ساحرٍ كبقية السحرة الذين يستهوون الناس من دون أن تكون لهم أية قداسة، والسحرة عنده هم مجردٌ جند من جنوده، يستخدمهم لتثبيت ملكه وسلطانه في خداع الناس، يقول تعالى: «قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ»^(٩)، إن هذه الآية تتحدث عن أنهم لم يغيروا شيئاً في الواقع، كما في الآية: «قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى»^(١٠)، وقال تعالى: «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ۖ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ»^(١١)، فإنهم قاموا بلعبة تسحر أعين الناس وتجذب عيونهم، ولكن الحبال تبقى الحبال، والعصي تبقى عصياً، ولكن اهتزاز العملية السحرية جعل الناس يتصورون ذلك.. كما نلاحظ الآن في كثيرٍ من ألعيب السحر التي يستعرضها البعض لاجتذاب الناس إليهم، وللحصول على المال وما إلى ذلك.

(٩) الأعراف: ١١٦.

(١٠) طه: ٦٦.

(١١) طه: ٦٧، ٦٨.

ونقرأ في آية أخرى تتحدث عن هذا العمل وأنه من عمل المفسدين، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ^(١٢)﴾، فهو لا يمثل الحقيقة، «إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ»، يعني سيكشف زيفه، وسيبطل من خلال ما أعطاني من قدرة، ما قمتم به من خداع الناس، لأن ما أقوم به هو الحقيقة، هو المعجزة الخارقة للعادة، والتي هي بقدرة الله سبحانه وتعالى، كما هي قدرته في خلق الأشياء وتكوينها «إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ»، فأنتم في عملكم هذا، أو في دوركم هذا الذي وظفكم به فرعون، هو إفساد للناس، لأنكم تخدعونهم، وتخلون إليهم أنكم تغيرون حقائق الأشياء، والواقع إنكم لا تغيرون شيئاً.

وقد ورد في آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى^(١٣)﴾، لأنه لا يملك أي حقيقة في ما يقوم به، ولذلك فسوف ينكشف خداعه وغشه وألعيه بعيون الناس.

وربما يقول بعض الناس إن قصة (هاروت وماروت)، اللذين كانا يعلمان السحر دليل على أنه واقع، ولكن كانوا يقولون للناس، لأن هذا الأمر لا تستعملوه في السوء أو في خداع... وهو لا يدل على أن السحر كان له حقيقة، ولذلك عقب الله سبحانه على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ^(١٤)﴾، بطريقة الألاعيب... ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، والله سبحانه وتعالى لا يضر أحداً من الناس ممن يرجعون إليه.

وعلى ضوء هذا - أيها الأحبة - فقد نجد الآن بعض الألاعيب التي يقوم بها بعض الذين يعيشون على غفلة الناس، ممن يخدعون الناس بأنهم قادرون على أن

(١٢) يونس: ٨٠-٨١.

(١٣) طه: ٦٩.

(١٤) البقرة: ١٠٢.

يفرقوا بين المرء وزوجه، أو قادرون على أن يحلوا بعض الأشياء التي قد تصيب الإنسان، ببعض ما يكتبونه، أو ببعض ما يلعبون به، وهكذا نجد أن البعض قد يخيّل لبعض الناس بأنّ الجنّ قد تلبّسهم، وأنهم قادرون على أن يخرجوا الجنّ من داخل أجسادهم، وهكذا، فهم يحاولون خديعة الناس، وعلى الناس أن يعرفوا أن الله سبحانه وتعالى لم يعط غيبه لهؤلاء، وأنّ مثل هذه الأمور هي مجرد ألعاب يستغلون فيها بعض السذاجات النفسية لدى هذا الشخص أو تلك المرأة، حتى يحصلوا منهم على المال، وقد رأينا الكثيرين من هؤلاء ممن يستغلّون سذاجة الناس، وقد يخيّل للناس أنهم يسحرون الواقع عندهم، ولكن المسألة ليست كذلك.

الطغيان الاقتصادي:

ومن بين مظاهر الفساد في الأرض: (الفساد المالي)، أو الفساد الاقتصادي والاجتماعي، ولعل النموذج البارز لهذا الفساد هو المتمثل في (قارون)، فآله سبحانه وتعالى حدثنا عن (قارون) باعتباره أنه كان يملك المال الضخم الذي قد لا يملكه أحد من قومه.. فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾^(١٥)، يعني استغلّ موقعه المالي في البغي والعدوان، وفي السيطرة عليهم، ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾، فآله سبحانه وتعالى يصوّر الكنوز التي يملكها قارون، بحيث إن مفاتيح هذه البيوت التي تجمع هذه الكنوز، بلغت من الكثرة ومن القوة بحيث لو جاء عصبة من الرجال الأقوياء، لأثقلهم حملها، فتصور كم عنده من المال في البيوت، والتي يصعب على الرجال الأقوياء حمل مفاتيحها، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ أَي لَا تبطر ولا تفرح فرح الاستعلاء والاستكبار بمالك، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ يعني لا يحب الناس الذين يجعلهم إحساسهم، أو شعورهم بالقوة، سواء كانت قوة جسدية، أو

قوة مالية، أو قوة سياسية أو اجتماعية، في موقع الخيلاء والاستكبار والبطر، وما إلى ذلك. وفي المقابل، فإن الله يحبُّ للإنسان أن يفرح بالفرح الهادئ بذاته مما يملك من الطاقة الخيرة، والفرح بالطاعة، والفرح بالعمل الصالح، والفرح بالخير، والفرح بالإصلاح.. فإله يريد الفرحة في نفسه مما يمثل الإحساس الذي يدفع إلى الفرحة، ويريد أيضاً للإنسان أن يجعل الآخر يفرح. مثلاً. ولذلك ورد عندنا في الأحاديث الكثيرة استحباب إدخال السرور على المؤمن، وأن الله سبحانه وتعالى يرفعه درجةً ويفخر له إذا أدخل السرور على المؤمنين. لذلك ليس المراد من الفرحة المعنى اللغوي، فالله سبحانه وتعالى أراد أن يضع برنامجاً متوازناً لمسألة الحزن والفرح.

وهذا ما عبّر عنه الإمام علي عليه السلام بأروع التعبيرات من خلال الرسالة التي بعثها إلى ابن عباس عليه السلام، حيث قال ابن عباس عليه السلام: ((ما انتفعت بكلام كما انتفعت بهذا الكلام من كلامه))، قال الإمام علي عليه السلام: ((أما بعد، يا ابن عباس: فإن المرء ليفرح بالشئ لم يكن ليفوته..))، يعني مثلاً يراد لك أن ترزق بولد، فتفرح به أنت، لأنه تحققت ظروف مجيء الولد، ((ويحزن على الشئ الذي لم يكن ليصيبه))، ويحزن على الشئ الذي لم يتحقق أسبابه، فبطبيعة الحال أنت لا تصيبه، ((فلا يكن أفضل ما نلت من دنياك بلوغ لذة وشفاء غيظ))، يعني لا يكن الجانب الشعوري هو الذي يحكم أهدافك في الحياة، فلا تقل إن هدفي إما أن أشفي غيظي أو أحصل على لذتي، لأن قضية شفاء الغيظ وبلوغ اللذة تمثل إحساس اللحظة، لأنه ما منا إلا ويعيش بعض حالات شفاء الغيظ وبلوغ اللذة، يعني لو أردنا طريقة الإحساس باللذة لحظة، سواء كانت لذة طعام أو شراب أو جنس، فهي لحظة، ثم تغيب... فالإمام علي عليه السلام كأنه يقول: لا تجعل حياتك كلها خاضعة للحظة، لا تتبع حياتك، ولذا كان عليه السلام يقول: ((ما لعلني ولذة تفنى ولنعميم لا يبقى))، ولذا قال الإمام عليه السلام: ((فلا يكن أفضل ما نلت في دنياك بلوغ لذة وشفاء غيظ، ولكن إطفاء باطل وإحياء حق)) فإنه هو الذي يبقى ((فليكن

سرورك في ما قدمت وأسفك في ما خلّفت من فرص، وهمك في ما بعد الموت^(١٦) فهو الشيء الذي يحكم مستقبلك، ويحكم مصيرك، وهو الذي ينبغي أن تجعله هدفك في الحياة.

وقد قال الله تعالى: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ»^(١٧)، أي حرّك كل هذه الطاقات وهذه المواقع في الدار الآخرة، يعني انطلق بها من خلال القيمة الروحية، من خلال رضا الله تعالى، من خلال الطلب لما عند الله بأن تحركها في ما يرضى الله تعالى لتتال ثوابه، وأن تبعد بها عما يسخط الله تعالى حتى لا تقع في عقابه، «وَلَا تَتَسَنَّاهُ نَفْسُكَ مِنَ الدُّنْيَا»، لا تتس، فأنت إنسان تحتاج إلى أمور تبني حياتك، وتمدها وتسعدها وتريحها، مما تأكل وتشرب وتلذذ وتلبس وتسكن، وما إلى ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى لم يحرمك من الدنيا ما تحتاجه من أجل بناء حياتك، ومن أجل استكمال شروط عيشك، «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»، أي أحسن للناس كما أحسن الله إليك من بذل المال والعطاء، «وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» ولا تحرّك مالك في إفساد حياة الناس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية، لأن الله لا يحبّ المفسدين. فماذا كان ردّ قارون؟ ككثير من القارونيين الذين يعيشون في كل زمان ومكان، كان يقول: «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي»^(١٨)، ما علاقة الله بما عندي؟ أنتم تحدثونني عن الله، مع أن ما عندي هو من شطارتي، ومن اقتناص الفرص، والمال الذي جمعته أنا حرّ في التصرف به، «وَلَمْ يَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ». وللحديث بقية.

والحمد لله ربّ العالمين.

(١٦) نهج البلاغة. ك ٦٦. ص ٧٥٢.

(١٧) القصص: ٧٧.

(١٨) الآية: ٧٨.

مظاهر الفساد في الأرض (٤) الإفساد المالي

الفساد المالي يهدم
الحياة على جميع
المستويات

♦ عبودية الحاجة

♦ نموذج قارون

♦ إفساد الحياة الاقتصادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

عبودية الحاجة:

تحدثنا في ما سبق عن نموذج (الفساد المالي)، وهو الذي يتمثل في
الشخصيات المالية الاقتصادية التي تملك الثروة وتحاول أن تجعلها وسيلة من
وسائل الطغيان على المجتمع، في استغلال لسيطرتها على مقدراته، وحاجة
المجتمع إليها، ولذلك فإنها تفرض على المجتمع العبودية؛ لأن الإنسان تستعبده
حاجاته، و(قارون) الذي حدثنا الله سبحانه وتعالى عنه يمثل نموذجاً من هؤلاء.
فقد قرأنا في ما تقدم، أن قومه وعظوه، وأرادوا له أن يعتبر المال الذي بين يديه
نعمة من الله تعالى عليه، رزقه الله تعالى إياه، وهو وظيفة وظّفه الله تعالى بها
من أجل أن يسخرها في بناء المجتمع على الأسس التي تضمن الخير والعدل،
وتنفذ على حاجات الناس وقضاياهم من خلال أنها مسؤولية حمّله الله تعالى
إياها. ولكنّ ضخامته الاقتصادية جعلته يعيش الضخامة في شخصيته بالطريقة
التي يحتقر فيها الآخرين من جهة، وبالطريقة التي ينسى فيها ربه من جهة
أخرى، وكأنه كان غارقاً في غفلة الذات عن طبيعة الحياة وتقلباتها، وعن تاريخ
الأقوياء الذين سبقوه وسقطت قوتهم فهلكوا، وتاريخ الأغنياء الذين سقط غناهم
وهلك وهلكوا معه، ولذلك كانت كلمته - كما نصّ القرآن -: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى
عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(١)، وكأنّه يقول: ليس لله تعالى أي دخل في ما حصلت عليه، بل إنّ
كل هذا المال، وكلّ هذه الثروة، هي نتيجة ما أملكه من عناصر الشخصية التي

عندما حركتها أنتجت لي كل هذه الثروة. ونسي ربّه الذي خلقه، ونسي الرسل التي بلغها النبي موسى ﷺ، إذ كان من قوم النبي موسى ﷺ، ونسي كل شيء، لأن الإنسان - أيها الأحبة - إذا استغرق في ذاته، في كل ما يملكه من المواقع المالية أو السلطوية، فإنه ينسى ما حوله، حتى إنه ينسى أصله، وينسى كل الظروف التي أحاطت به واستطاع من خلالها أن يصل إلى ما وصل إليه، ولكن الله سبحانه وتعالى يذكره بتاريخ من سبقه من الأقوياء والأغنياء ممن كانوا يملكون المال، أو يملكون من الأتباع الذين يلتفون حولهم ويمنحونهم القوة: «أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ» في كل هذا التاريخ الذي سبقه، والذي يرقى إلى مئات السنين، «مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً»، سواء من خلال سلطته أو أتباعه، «وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» لأن ذنوبهم واضحة بيّنة تتمثل في كل جرائمهم وأوضاعهم السلبية التي يحركونها في حياة الناس.

نموذج قارون:

ثم يصوّر الله سبحانه وتعالى لنا صورة هذا الرجل، ويصوّر من خلاله صورة كل الأغنياء وأصحاب السلطة والقوة، الذين يستعرضون عضلاتهم أمام الناس في طريقة الخيلاء، قال تعالى: «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ» قال الذين يريدون الحياة الدنيا «وَلَا يَفْكُرُونَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا يَفْكُرُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَا يَفْكُرُونَ بِالنَّاتِجِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ»، وأصبح الواحد منهم يسقط أمام هذه المظاهر الاستعراضية ويتمنى لو كان له مثل ما أوتي قارون، «إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»^(٢)، وقولهم هذا ينبع من أن فهمهم لمسألة الحظ يتمثل ويقتصر على النماذج المادية ولا ينفّث على النتائج الروحية، ولا سيما في ما يستقبلونه من أمر الآخرة، مما ينتظر الناس عند الله سبحانه وتعالى من ثواب وعقاب. أما الذين أوتوا العلم، هؤلاء الذين يدرسون الأمور من

خلال العمق، لا من خلال السطح، ويحكمون على الأشياء من خلال حقائقها ومن خلال نتائجها، فلهم شأن آخر، «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ»^(٣)، وكأنهم يقولون لهم: إنكم تستغرقون في ثواب الدنيا، وثواب الدنيا زائل، تستمتعون به مدة من الزمن، فقد يفارقكم وأنتم في الدنيا، وقد تفارقونه بعد أن تتركوا الدنيا، وإذا كنتم تعيشون بعض المشاكل من ضيق الحال وقلة المال، فإن على الإنسان أن يصبر منفتحاً على ثواب الله تعالى، وطالبا لرضاه في ما يأخذ به أو يدعه.

ثم يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن النتيجة التي واجهها (قارون)، بعد عملية الاستعراض لزيته ولثروته، «فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ»^(٤)، من كل ما جمعه حوله من الناس، «مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ»، لأنه لا يملك قوة ذاتية، ولا سيما أمام الله سبحانه وتعالى. وإذا كان الله قد خسف به وبداره الأرض من الناحية الحسية الواقعية، فإنه قد يخسف ببعض هؤلاء القوارين وبأملأهم من الناحية المعنوية العملية، بإسقاط ثروتهم وتحطيم مواقعهم وإهلاك ذواتهم بطريقة وأخرى، فلا يستسلموا للبقاء الدائم في أوضاعهم الخاصة معتقدين أنه لا زوال لملكهم ولا لذواتهم.

وعندما رأى هؤلاء الذين كانوا يتمنون أن يكون لهم مثل ما أوتي (قارون) عاقبته، انقلبت لديهم الصورة: «وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ»^(٥)، فالله تعالى عندما يوسع على الإنسان أو يضيق عليه فإنه لا يوسع على ذاك الإنسان لكرامة له عنده، ولا يضيق على هذا الإنسان إهانة له، بل إن الله سبحانه وتعالى قدر الأمور في الحياة على أساس حكمته في ما يعطي وفي ما يمنع، «لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا

(٣) القصص: ٨٠.

(٤) القصص: ٨١.

(٥) الآية: ٨٢.

لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَأَنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ».

ثم يختصر الله سبحانه النموذج الذي يمكن أن يبلغ الدرجة العليا عند الله سبحانه وتعالى، وهو الإنسان الذي يعيش متواضعاً في الحياة يحترم الناس ويشكر ربه ويعمل بطاعته، ويعتبر الحياة مسؤولية، ويرى المسؤولية في المنهج الذي لا بد من اتباعه لإصلاح الحياة من خلال طاقاته، سواء كانت هذه الطاقات طاقات فكرية أو طاقات عملية، «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ»^(٦)، والمقصود من (العلو) هنا ليس العلو الذي ينطلق من كفاءات الإنسان ومن طموحاته في التطور العلمي والعملية ومن عمله الصالح، ولكنه العلو بمعنى الاستعلاء والاستكبار والحالة التي يشعر بها الإنسان بأنه أعلى من الناس وأن الناس أسفل منه، «وَلَا فَسَادًا» وأيضاً لا يريدون الفساد في الأرض، بل يريدون الإصلاح، «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

هذا النموذج الذي يقدمه الله سبحانه وتعالى في قصة (قارون) يمكن أن نأخذه مثلاً لكل القارونيين الذين يعيشون الذهنية الاستعلائية، ويعيشون الذهنية التي تختنق في داخل الذات حتى تتحول الذات معها إلى سجن يسجن فيه الإنسان عقله، ويسجن فيه روحه وكل حياته، ذهنية تجعل الإنسان يختصر العالم في ذاته، ولا يفتح على ما حوله ومن حوله، وعلى مسؤولياته في ما رزقه الله سبحانه وتعالى إياه.

ونحن نعرف أن الفساد المالي هو الذي يهدم الحياة، وهو الذي يؤدي إلى نتائج سلبية على جميع المستويات، وهذا ما نلاحظه الآن في الرأسمالية التي تتحرك من أجل أن تستغل طاقات المستضعفين لتحاصرها ولتستخدمها في سبيل إنماء ثروات الرأسماليين أو الدول المستكبرة، حيث تتحرك الرأسمالية الحاكمة المجنونة التي تستغرق في ذاتها من أجل إثارة الحروب، حتى تستولي على ثروات الشعوب من جهة، وتمنعها من تفجير طاقاتها من جهة أخرى، وتجعل

كل الشعوب مدينة لهؤلاء الذين يسمونهم (الثماني الكبار)، والذين أطلقوا (العولمة)، ولا سيما (العولمة) الاقتصادية، التي نجد المستضعفين في الشرق والغرب يثورون ضدها، ويتظاهرون أمام مؤتمرات هؤلاء، لأنهم يعتبرونهم يمثلون الدول الكبرى التي هي أغنى الدول في العالم، والتي تحتكر كل الصناعات التي يحتاجها الناس، وتسخر أيضاً مصانعها في سبيل إثارة الحروب، كما في مصانع السلاح، والصناعات البترولية.

ونحن عندما ندرس هذا العالم، فإننا نجد لا يملك طاقاته، ولا يملك ثرواته، بل إنه يتحرك من أجل أن يدمر بعضه بعضاً بالحروب والمنازعات التي تثيرها السياسات الاستكبارية، وهذا ما نلاحظه في أكثر من موقع، ولا سيما في أفريقيا التي تختزن في داخل أرضها الثروات الطبيعية الهائلة التي لم تستخرج حتى الآن. ولذلك نجد أن الدول الكبرى تخوض فيما بينها صراعاً مريراً من أجل السيطرة على أفريقيا بهذه الوسائل التي تجعل بعض الأفريقيين - من خلال تخلفهم - يمزقون بعضهم بعضاً، فنجد حروباً يسقط فيها الملايين من الفقراء والمستضعفين، بالإضافة إلى الأمراض التي تفتك بهم.

إننا الآن نعاني من كل هذه الحروب التي يثيرها المستكبرون، الذين تخضع حكوماتهم للشركات الاحتكارية، سواء كانت شركات السلاح، التي هي بحاجة إلى إثارة الحروب بين الشعوب من أجل استهلاكها للسلاح، أو شركات النفط التي تستغل الحروب من أجل أن تحصل على منابع النفط وتسيطر عليها، في الوقت الذي لا تستفيد فيه الشعوب التي ينبع النفط في أرضها إلا ما يساوي العشرة في المائة، بينما يذهب الباقي بأجمعه إلى شركات البترول الاحتكارية.

لذلك عندما نتطلع إلى (قارون)، فإن علينا أن نتطلع إلى كل القارونيين الذين قد يتمثلون في أشخاص هنا، وفي دول هناك، والقرآن الكريم عندما يحدثنا عن (قارون)، فإنه يريد منا أن لا نستغرق فيه كتاريخ، بل أن ننتفع على ذهنيته، لنعرف الذهنيات التي تسيطر على كل القارونيين الذين يعاصروننا

ويعاصرون كل جيل في كل زمان وفي كل مكان. هذا نوع من أنواع الفساد المالي.

إفساد الحياة الاقتصادية:

وهناك نوع من أنواع الإفساد المالي ينطلق في عالم (المعاملات) التي يتعامل فيها الناس، وهو ما حدثنا عنه الله سبحانه وتعالى في نداء النبي شعيب عليه السلام لقومه الذين كانوا يطففون المكيال والميزان، فكانوا يأخذون تاماً ويدفعون ناقصاً. قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(٧)، أي لا تحرموهم من حقوقهم، ولا تنقصوهم من أشياءهم، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ وهذا ما قد نتمثله في كثير من الناس الذين يلعبون بالمعاملات، ويستغلون قدراتهم القانونية في اللعب على الفقراء والمستضعفين، في إنقاص حقوقهم هنا وهناك.. أو يستغلون أوضاعهم من خلال الوجاهات التي يملكونها، ما يجعلنا نرى الكثير من المستضعفين يسقطون أمام اللعبة الاقتصادية التي يتقنها هؤلاء المحتكرون الذين يلعبون على الناس بطريقة الغش، أو بطريقة إنقاص حقوقهم، في الوقت الذي لا يتنازلون عن حبة من حقوقهم. وهنا أيضاً لا بد أن نجعل ما تحدثت الله سبحانه وتعالى عنه في نموذج قوم شعيب عليه السلام نموذجاً لكل الناس الذين يلعبون لعبة المعاملات المغشوشة. وهذا نوع آخر من أنواع الطغيان والإفساد المالي.

ونقرأ أيضاً في القرآن الكريم مسألة (إفساد الطغاة)، الذين يملكون طغيان القدرة السلطوية، وكيف يتحركون من خلال الظروف التي هيأت لهم هذا النوع من القدرة، أو الذين يملكون القوة الجسدية، أو القوة المادية، ومن هؤلاء الذين عاشوا في التاريخ وحدثنا عنهم القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾^(٨)، هذه المدينة الضخمة، ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي

(٧) هود: ٨٥.

(٨) الفجر: ٦.

الْبِلَادِ^(٩)، فِي تِلْكَ الْأَزْمَنَةِ، «وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ»^(١٠)، كَانُوا يَقْتُلُونَ الصَّخُورَ مِنَ الْجِبَالِ وَيُسْتَخْدِمُونَهَا فِي الْقِلَاعِ الَّتِي يَبْنُونَهَا، «وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ❖ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ❖ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ❖ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ❖ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ»^(١١).

إن الله سبحانه وتعالى يقدم لنا هؤلاء الطغاة بعنوان أنهم طغوا في البلاد، يعني تجاوزوا حدود الإنسانية وحدود المسؤولية في حياتهم، فكانوا الطغاة الذين يبيغون في الأرض بغير حق، فأفسدوا حياة الناس بكل ألعابهم وبكل وسائلهم وبكل أوضاع حكمهم، وذلك عندما يقتلون الناس بغير حق، وينهبون أموالهم بغير حق، ويستغلونهم، ويستخدمونهم بغير حق، ويعبثون بمصائرهم بغير حق.. هؤلاء الطغاة يتحدث عنهم القرآن الكريم كما يتحدث كتاب التاريخ، لا لنستغرق في التاريخ، بل ليعرض نماذج للإفساد والطغيان، لنقارن بين ذلك التاريخ وبين الواقع الذي نعيشه، ليكون القرآن الكريم نوراً نستضيء به. فالله سبحانه وتعالى يريد أن يحدثنا عن الماضي لنستفيد منه في الحاضر وفي المستقبل، وهذا هو معنى تدبر القرآن الكريم. أن نجعل القرآن الكريم يتحرك في الحياة، كما تتحرك القضايا التي تحكم حياتنا. أن لا نقرأ ككتاب تاريخي، ولكن أن نقرأ كمفاهيم وكمبادئ وكنماذج نعيشها في حياتنا ونأخذ العبرة منها هنا وهناك. وبهذا يمكننا الاستفادة من هذه النظرة القرآنية التي تتحدث بسلبية عن هؤلاء الطغاة، لنعرف كيف نواجه الطغاة الذين يعيشون في زماننا، لنعلم أن الله سبحانه وتعالى يغضب عليهم، ويمكن أن يعذبهم ويسقطهم في الدنيا، وعلينا أن لا نعاونهم، ولا نساعدهم، ولا نكون الجهة التي يمكن أن يكبروا بها، أو أن يطفوا من خلالها. يعني أن نعقد عقولنا وقلوبنا على رفض الطغيان، كيفما تمثل، سواء كان طغيان

(٩) الآية: ٧-٨.

(١٠) الآية: ٩.

(١١) الآيات: ١٤، ١٥.

قوة بدنية، أو قوة عسكرية، أو قوة اقتصادية.

وهكذا يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن (ملكة سبأ)، التي أرادت أن تستشير قومها وأن تعرف النبي سليمان ﷺ هل هو نبي أو ملك؟ لأن ثمة فرقاً كبيراً بين الملك والنبي، فالنبي لا يضل الناس ولا يفسد حياتهم ولا يستعلي عليهم، ولكن الملك في ذلك الزمان، بحسب طبيعته، كان يشعر بالاستعلاء على الناس، وأن له الحق عليهم، وليس للناس حق عليه. قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾^(١٢)، أي أفسدوا اقتصادها وسياستها وثقافتها وأمنها.. ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، لأنهم لا يحترمون عزة الناس وكرامتهم؛ لأنهم يشعرون أن العزة لهم لا لغيرهم، وأن الكرامة لهم لا لغيرهم. باعتبار أن الملكية في تلك الأزمنة كانت تمثل السلطة المطلقة التي يفعل بها الملك ما يشاء. أما الملكية الآن - وفي الغالب في بعض المواقع - فهي ملكية دستورية، ولكن الآخرين الذين قد لا يحصلون على لقب الملك مثل رؤساء الجمهوريات أو الوزراء أو رئاسة الوزراء. هم ملوك في ما يبسطونه من سيطرتهم على الناس، وإن لم يكونوا ملوكاً بالمعنى القانوني...

إن القضية أن كل من يملك السلطة ليستخدمها ويستغلها في إفساد حياة الناس وإذلالهم، وفي احتقارهم واحتقار كرامتهم، هؤلاء لا بد لنا من أن نتخذ منهم موقفاً سلبياً نضغط من خلاله عليهم بكل ما عندنا من قوة، لأن الله سبحانه وتعالى أراد للمؤمنين العزة كما أراد العزة لرسوله وكما هي العزة في ذاته المقدسة، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٣)، وعلى الإنسان المؤمن أن لا يتنازل عن عزته، فلا يذل نفسه تحت أي تأثير، بل لا بد له من أن يبحث عن مواطن العزة.. وهذا ما فسر به الإمام الصادق ﷺ الآية الكريمة عندما

(١٢) النمل: ٣٤.

(١٣) المنافقون: ٨.

قال: ((إن الله فوّض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوّض إليه أن يذل نفسه))^(١٤).
ويبقى للكلام بقية إن شاء الله تعالى.
والحمد لله ربّ العالمين.

مظاهر الفساد في الأرض (٥)

فساد القوة

الإصلاح
أساس الوجود
كلّه

- ♦ معركة الإصلاح والفساد
- ♦ منتهى المكر السيئ
- ♦ القوة فساد مطلق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال في موضوعنا: (الفساد في الأرض)، والذي تحدث عنه القرآن الكريم كثيراً في مقابل الحديث عن الإصلاح الذي هو الأساس في الوجود كله، سواء في الوجود الكوني أو الإنساني، حتى إن الملائكة في حوارهم مع الله سبحانه وتعالى عندما أخبرهم بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١)، كانوا - في وجدانهم الروحي - يفكرون بأن الأرض لا بد لها من أن تعيش نظاماً وعهداً يمارسه القائمون عليها بالطريقة التي تبتعد عن الفساد، لتؤكد الإصلاح؛ لأنَّ الإصلاح يمثل العناصر الأساسية للحياة، والفساد يمثل الخلل في هذه العناصر.

معركة الإصلاح والفساد:

وعندما يتناول القرآن الكريم الأنبياء ﷺ، وبالتحديد أمهم، نجد أنه يتحدث عن فريق من الناس قد لا يكون كبيراً من حيث العدد في المجتمع، ولكنه يمثل الجهاز الذي يخطط في الخفاء لإيقاع المجتمع في مشكلة، لممارسة الجريمة ولمواجهة المصلحين الذين يفتحون على المجتمع من موقع الدعوة إلى إصلاحه، ولا سيما الأنبياء ﷺ. فنجد في قصة النبي صالح ﷺ حديث الله سبحانه وتعالى عن هذه الجماعة التي كانت تخطط للفساد والإفساد بطريقة خفية - إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(٢)، أي دعوة التوحيد ﴿فَإِذَا

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) النمل: ٤٥.

هُمُ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ حيث أصرَّ فريق على الشرك وآمن فريق بالتوحيد، وحصل جدل بين الفريقين، ما أدى إلى نوع من الخصام والخلاف فيما بينهم، وكان حديث النبي ﷺ مع القوم المعاندين حديث الناصح المشفق: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾^(٣)، فإنهم يستعجلون العذاب الذي كان يندبرهم بوقوعه عليهم، إذا لم يستجيبوا لهذه الدعوة، وكان يستنكر عليهم إقبالهم على السيئة قبل الحسنة، ويدعوهم إلى الانفتاح على ما يمثل الحقيقة بما يدعوهم إليه، لأن الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله لا تملك ضرراً ولا نفعاً، ولا تمثل شيئاً في حساب العقل الذي يحترم الإنسان به نفسه. فبالانفتاح على التوحيد، يحصل الإنسان على النتائج الطيبة في الدنيا والآخرة.

﴿لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾^(٤)، أي تشائمنا بك وبالتابعين لك، لأنكم خلقتم لنا أكثر من إرباك في استقرار المجتمع الموحد بما أثرتموه من الفكر الذي يؤدي بنا إلى الخلاف والخصام الذي يمزق وحدتنا. والطيبة في اللغة العربية تعبير عن التشاؤم بالشيء؛ لأنهم كانوا في البداية يتشاءمون ببعض الطيور، كالغراب والبومة، فإذا أقبلت وشاهدوها في سفرهم تطيروا من ذلك وتشاءموا، ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، إن التشاؤم الذي تشعر به ليس عندي ولا عند المؤمنين، ولكنه عند الله الذي يعذب المشركين والجاحدين لتوحيده، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، أي تصيبكم الفتنة التي تبتد بكم عن الخط المستقيم.

هذا هو الحوار الذي دار بين صالح ﷺ وبين الفئة المناهضة له من قومه، وفي خضم ذلك، كان هناك بعض الأشخاص الذين يخططون للشر: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾^(٥)، أي تسعة أشخاص، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وكان دورهم

(٣) الآية: ٤٦.

(٤) الآيتان: ٤٦، ٤٧.

(٥) الآية: ٤٨.

هو التآمر على كل دعوة إصلاحية، ويخططون لقتل كل داعية للإصلاح، لإرباك المجتمع وإبعاده عن خطّ العدل والوعي وتقريبه من خطّ التخلف. كانوا يعيشون العقدة ضد كل حركة إصلاح وكل حركة توحيد وكل حركة تقدم وازدهار في المجتمع، «وَلَا يُصْلِحُونَ» لأنهم لا يعيشون الإصلاح كرسالة، بل إنهم يواجهون الموقف في الإصلاح كعقدة نفسية كامنة في مشاعرهم وأحاسيسهم الخبيثة. واجتمعوا فيما بينهم في هدأة من الليل «قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ»^(٦)، أيّ احلفوا على أن تنفذوا هذه الخطة، وهي خطة قتل صالح ﷺ، وهذا ما يدل على أنهم كانوا يؤمنون بالله كالقرشيين من حيث المبدأ، ولكنهم كانوا يعبدون الأصنام ويشركون بعبادة الله غيره.. «لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ»، يعني نرصده في البيت الذي يقيم به وأهله ثم نقتله، وإذا أصبح الصباح وجاء رئيس العشيرة ومن ينتمي إليهم من عشيرته . «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِأُولِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ» أيّ لم نكن حاضرين وليس لنا علم بذلك، «وَأِنَّا لَصَادِقُونَ». ولكن هؤلاء فشلوا في تنفيذ خطتهم بالنسبة إلى النبي صالح ﷺ، «وَمَكْرُوهَا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»^(٧) و(المكر) هنا التدبير بخفاء وسرية، بحيث لا يشعر الآخر بالخطة التي يدبرها، وبهذا تفسّر نسبة المكر إلى الله سبحانه وتعالى. وبذلك يجاب عن تساؤل البعض الذي يقول إنّ المكر صفة سيئة، فكيف ينسب المكر إليه تعالى؟ فالمكر إذاً ليس صفة سيئة بحسب معناها، بل هو عبارة عن الوسيلة الخفية التي يخطط بها الإنسان للوصول إلى النتيجة التي يريدها، ولكن لما كان الغالب من الناس يستعملون الوسائل الخفية للأشياء السيئة، لذلك غلبت صفة السوء على (المكر)، ولذا يقول الله تعالى: «وَمَكْرُوهَا مَكْرًا» أيّ دبروا تدبيراً، «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ»^(٨)، والنتيجة: أنزلنا عليهم العذاب، نتيجة الخطة التي

(٦) الآية: ٤٩.

(٧) النمل: ٥٠.

(٨) الآية: ٥١.

دبرها الله سبحانه وتعالى، وهذه هي خلاصة ما تحدث الله به عن هؤلاء.

منتهى المكر السيئ:

وعندما نريد أن نستوحي القرآن الكريم، فإننا نستوحي منه أن كل الفئات أو الجماعات أو الأجهزة التي تحاول أن تفسد المجتمع، أو التي تخطط لجريمة فيه، سواء كانت الجريمة قتل المصلحين والأبرياء، أو كانت عبثاً بأموال الناس أو بأمنهم، أو تدبيراً لسيطرة الظالمين أو المستكبرين على الأمة من خلال التعاون معهم، إن من طريق الدخول في أجهزتهم المخبرانية أو أجهزتهم المتحركة التي تمنحهم القوة على أساس ثقافي أو سياسي أو أممي، ستنتهي إلى التدمير وعقاب الله... وهذا ما نجده في كثير من المجتمعات، حيث نجد أمثال هؤلاء التسعة من الرهط الذين يفسدون في الأرض في الذين يتعاونون مع المخابرات الدولية وغيرها ضد شعوبهم، وضد أمتهم، على مختلف المستويات، أمثال هؤلاء في الذين يقتلون الأبرياء نتيجة عقدة مذهبية تارة، وطائفية أخرى، وحزبية ثالثة، وما نجده في مرحلتنا هذه التي ينطلق فيها بعض الناس كما تنطلق الأشباح، ليفجروا مسجداً هنا ومقاماً مقدساً هناك، ليتجسسوا لحساب المحتلين، وهذا ما نلاحظه في فلسطين حيث يتجسس البعض من الفلسطينيين ضد المجاهدين ليكتشف الإسرائيليون أماكنهم ليقتلوهم بطريقة وبأخرى، وكذلك في العراق، حيث يطلق البعض عليهم 'خفافيش الليل'، فيقومون بارتكاب المجازر بحق الأبرياء من المدنيين، أو الاعتداء على المقامات المقدسة والمساجد وعلى الشخصيات الإسلامية، هنا وهناك. إن التاريخ يعيد نفسه في هؤلاء من أمثال التسعة من الرهط، الذين يتحركون في كل زمان ومكان ليفسدوا في الأرض بكل ألوان الفساد، وعلينا أن نراقبهم وأن نحذرهم، لأنهم يحاولون أن يتبرأوا مما هم فيه، وربما تأخذ البعض منهم العزة بالإثم، فيعلن ذلك ويفتخر به، وخصوصاً هؤلاء التكفيريون الذين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم لاختلافهم معهم مذهبياً، أو ما إلى ذلك. هذا هو نموذج من النماذج التي تحدث عنها القرآن

قصص الأنبياء .

القوة فساد مطلق:

وقد تحدّث القرآن . أيضاً . عن فريق من الناس يملكون القوة الهائلة، فيحاولون أن يعتدوا على الشعوب التي في جوارهم ليصادروا أموالهم، أو ليقتلوا أطفالهم ونساءهم وشيوخهم، أو ليشردوهم... وهذا ما حدثنا عنه القرآن الكريم في قصة (يأجوج) و(مأجوج)، فعندما جاء ذو القرنين إلى تلك المنطقة واستطاع أن يفتح بالقوة على الناس هناك، جاء إليه مستضعفون من تلك المنطقة وحدثوه عن يأجوج ومأجوج، باعتبارهما عشيرتين أو جماعتين تفسدان في الأرض، لأنهم يصادرون حياة الناس الذين في جوارهم.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾^(٩)، إما من حيث غرابة لغتهم، ما يوحي بأنهم كانوا يعيشون البساطة والسذاجة في فهمهم ولا يعيشون العمق الفكري، ما يجعلهم في حاجة إلى من يدير لهم أمورهم ويقودهم إلى الحلول الممكنة التي كان بإمكانهم الوصول إليها بأنفسهم لو كانوا يملكون الوعي الكامل المنطلق من حالة المعاناة وهذا ما واجهوه مع أولئك الذين كانوا يعيشون في الجانب الآخر من المنطقة وراء الجبلين، فبدلاً من أن يبحثوا عن الوسيلة التي يستطيعون من خلالها أن يتخلّصوا من الضغط على واقعهم فيما كان يتحرك به يأجوج ومأجوج من إفساد البلاد والعباد، وذلك من طريق المواجهة أو عقد معاهدة أو بغير ذلك من الأمور، لم يجدوا هناك إلا إقامة السدّ بينهم وبين أعدائهم ليكون حاجزاً طبيعياً يمنعهم من القدوم إليهم أو الهجوم عليهم.

وهكذا طرحوا المسألة على ذي القرنين بسذاجة: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١٠)، لأنهم يهجمون علينا ويقتلوننا

(٩) الكهف: ٩٣.

(١٠) الآية: ٩٤.

ويصادرون أموالنا وقد يشردوننا من أرضنا، **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾**، أن نعطيك مالاً **﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا﴾**، بحيث تنصب سدّاً عالياً بالطريقة التي لا يستطيعون فيها أن يهجموا علينا أو ينفذوا إلى أرضنا أو إلى بلادنا، **﴿قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾**^(١١)، فالله تعالى أعطاني ما لا أحتاج معه إلى مالكم، وإنه سبحانه أرادني أن أكون مع المستضعفين ضد المستكبرين، ومع المظلومين ضد الظالمين، ولذلك فإني لا آخذ منكم مالاً، **﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾**، يعني أنا بحاجة إلى أن تحضروا لي المواد التي أستطيع من خلالها صنع هذا السد، وأن تعملوا معي في بنائه، **﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾**، تردم هذه الهوة التي بينكم، **﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾**، أي قطع الحديد التي تمثل الأساس في قوّة السدّ وإحكامه، **﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾**^(١٢)، استخدم النحاس المذاب لكي يصهره. **﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾**^(١٣).

نستوحي من هذه القصة عن يأجوج ومأجوج النموذج من الناس الذين يستغلون على الناس بقوتهم وإمكاناتهم، وأعدادهم الهائلة، ليضطهدوا ويظلموا المستضعفين، وهو ما نعيشه اليوم في العالم كلّ، حيث نجد أنه ما من دولة كبرى تملك القوة العددية أو القوة العسكرية أو القوة الاقتصادية أو القوة السياسية، وحتى القوة العلمية التي يحتاج الناس من خلالها، إلا وهي تضغط على الدول وعلى الشعوب المجاورة لها بمختلف ألوان الضغط، وقد تمتد بحسب ما تملك من القوة إلى شعوب تسكن في بلاد أخرى، لتضطهدها وتصادر ثرواتها، ولتستولي على مقدراتها، ولتستغلّ نقاط الضعف فيها، كما نلاحظه في المستكبرين الذين استعمروا بلاد الشرق الأوسط، أو ما يسمّى بلاد العالم الثالث، وما زالوا

(١١) الآية: ٩٥.

(١٢) الآية: ٩٦.

(١٣) الآية: ٩٧.

يستفيدون من نقاط الضعف الموجودة في هذا البلد أو ذاك، من خلال الطغاة الذين يسيطرون على بلد هنا أو هناك ممّن وظّفوهم وأعطوهم القوة ليأتوا إلى هذا البلد أو ذاك بعنوان أنهم يحررونه من هذا الطاغية الذي انتهت مهمّته، ليكونوا محررين لا محتلين! ولكنهم بعد ذلك يظهرون بمظهرهم الواقعي، أي أنهم محتلون يعملون من أجل السيطرة على ثرواته الطبيعية، ومن أجل التصرف بكل مقدراته وتحويله إلى سوق استهلاكية لمنتجاتهم من دون أن يفسحوا له في المجال لأن يتحوّل إلى بلد يستطيع أن يحقق الاكتفاء الذاتي لشعبه.

إنّ يأجوج ومأجوج كانوا مجرد جماعة من التاريخ، ولكن كم من يأجوج ومأجوج يعيشون في حياتنا على مستوى الدول الكبرى، أو العشائر الكبرى والمواقع والأحزاب الكبرى التي يضطهد فيها القويّ الضعيف في كلّ ما لديه من طاقة ومن قوة. وفي هذا المجال، نؤكد ضرورة قراءة القرآن الكريم، لنستوحي منه للحاضر والمستقبل، وأن لا نقرأه ليكون مجرد تاريخ يتحدث عن الماضي، لأن الله سبحانه وتعالى يحدثنا عن الماضي ليكون عبرة لنا ودرساً، وليكون هؤلاء الذين يحدثنا الله سبحانه وتعالى عنهم مجرد نماذج تتكرر الحاضر والمستقبل، لنعرف كيف نواجههم في الحاضر والمستقبل، كيف نكتشف خطّتهم، نكتشف ألاعيبهم وخدعهم، كما اكتشفها السابقون.

والحمد لله ربّ العالمين.

الفساد التخريري للحياة (١) الفساد الاجتماعي

لمواجهة الفساد في
حياتنا الخاصة
والعامّة علينا أن
نعقلن علاقاتنا

- ♦ ولاية المؤمنين
- ♦ ولاية الكافرين
- ♦ من الفساد الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

من بين القضايا التي عالجها القرآن الكريم قضية واقع العلاقة في حركة الناس، بين الكافرين مع بعضهم بعضاً، والمؤمنين مع بعضهم بعضاً، في التأكيد على أن على المؤمنين أن يؤكدوا الولاية بينهم في علاقتهم ببعضهم البعض على كل المستويات، على قاعدة أنهم فريق واحد ومجتمع واحد لا بد من أن يتعاون أفرادهم ويتناصروا ويواجهوا الآخرين الذين يخططون من أجل إيقاع المؤمنين في الكثير من المشاكل، بما يطلقونه من تحديات في كل أمورهم العامة والخاصة، بحيث لو لم تتحرك في هذا الاتجاه الولائي، في ما تمثله ولاية المؤمن للمؤمن، فإن الواقع قد يتحول إلى واقع فساد.

ولاية المؤمنين:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١). إنه يقدم لنا النموذج الأمثل، والفئة الطليعية من الصحابة في بداية الدعوة الإسلامية، سواء منهم من عاش مع النبي ﷺ وهاجر معه، أو الذين استقبلوا النبي ﷺ وهياؤوا له المأوى والنصرة، وعاونوه بكل ما يمكن من معاونة.. وتحرك هذا المجتمع، مجتمع الذين آمنوا وهاجروا، ومجتمع الذين آووا ونصروا، في وحدة إسلامية على أساس القاعدة الفكرية والروحية في الإيمان بالله ورسوله ورسالاته، والالتزام العملي بشريعته ومنهجه ووسائله وأهدافه، مما يؤكد الوحدة

بينهم كما لو كانوا فريقاً واحداً، في ارتباط عضويّ منفتح على الحاضر والمستقبل في المسيرة الإسلامية، ومسؤوليتهم في نصرة الإسلام في مواجهة المشركين الذين أرادوا إسقاط الإسلام في عقيدته وشريعته وأمنه، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله غير عابئين بكل الآلام والمشاكل والفقر الذي كان يعبت بكل حاجاتهم، وبكل الغربة التي عاشوها. هؤلاء بعضهم أولياء بعض، وهذه هي صورة الولاية التي تربط المؤمن بالمؤمن، هؤلاء هم الفئة المميزة، هم فئة المهاجرين الذين هاجروا مع النبي ﷺ، وتحملوا كل العذاب وكل الاضطهاد وكل التشريد من خلال إسلامهم، ولم يتنازلوا عن الإسلام، وجاءوا مهاجرين مجاهدين بأموالهم وأنفسهم، والذين آووا ونصروا، الذين تحدّث الله عنهم في آية أخرى إذ يقول: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢) بحيث كانوا يؤثرون المهاجرين على أنفسهم، فيجوعون ليشبع هؤلاء، ويعبرون ليكتسي هؤلاء، ويضيّقون على أنفسهم في مساكنهم ليأووا هؤلاء، هذا هو النموذج الذي تتمثل فيه قاعدة الولاية للمؤمنين مع بعضهم بعضاً.

ثم يتحدّث الله سبحانه وتعالى عن فريق آخر من المؤمنين، وهم الذين لم يأخذوا بأسباب الولاية بشكل عملي فاعل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾، يعني آمنوا بالله وبالرسول واليوم الآخر، ولكنهم بقوا في مكة حفاظاً على امتيازاتهم، وعلى أموالهم، وعلى أوضاعهم الشخصية، ولم يفتحوا على حاجة المسلمين إلى المجاهدين، وقد كان المسلمون قلّة في تلك المرحلة التي أثار فيها المشركون الحرب عليهم، وعبأوا كل حلفائهم لإسقاط الإسلام والمسلمين، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لستم مسؤولين عنهم، لأنهم لم يتحمّلوا المسؤولية عنكم وعن الإسلام، ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾، بمعنى أنهم إذا دخلوا في معركة على أساس ديني بينهم وبين الآخرين، فعليكم

النصر، باعتبار أن المسألة هي نصره الدين، لا نصره هؤلاء، إلا إذا كانت المعركة ضد طرف لكم معه معاهدة «إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»^(٣).

ولاية الكافرين:

ثم يأتي إلى الفريق الثاني، وهو فريق الكافرين. قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»، لأنهم ينطلقون من قاعدة واحدة يلتزمون بها، وهي قاعدة الكفر بالله أو الشرك بالله، والالتزام بكل الخطوط التي يفرضها الكفر أو الشرك، سواء كانت هذه الخطوط خطوطاً عقيدية أو خطوطاً عملية أو على مستوى العادات والتقاليد؛ لأنَّ الشرك والكفر يختلفان عن التوحيد حتى على مستوى خطوط العادات والتقاليد والالتزامات العملية. لذلك كانوا يشعرون بوجود رابطة تربط بينهم، وتجعل مجتمعهم مجتمعاً واحداً، يوالي أحدهم الآخر، ويعمل على أساس أن يتحمل مسؤوليته في حرب أو سلم.

وكان القرآن الكريم يريد أن يؤكد في هاتين الآيتين أن على المؤمنين أن يكونوا على الصورة التي كان عليها المؤمنون الأولون، أن يكون بعضهم أولياء بعض، وأن يلتزموا هذه الولاية، بمعنى أن يشعر المؤمن بأن العناصر الأخرى، سواء كانت عناصر قومية أو وطنية أو عرقية أو ما أشبه ذلك، أنها لا تفصله عن المؤمن الآخر. وأن لا يعتبر نفسه في مجتمع آخر غير المجتمع المؤمن، أو من فصيلة أخرى، فقد يرى الإنسان فرقاً بينه وبين الإنسان الآخر لكونه عربياً والآخر أعجمياً، أو ذاك من قومية والآخر من قومية أخرى وما إلى ذلك في اختلاف الأعراق والألوان والبلدان، ولكننا مسلمون جميعاً.. أن لا يشعر المؤمن بهذه الفواصل التي تفصله عن أخيه المؤمن، بل يعتبر أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى والإيمان بالرسول ﷺ وبالرسالة وبكل التزامات الإسلام، هو الذي يجمعه

مع المؤمن الآخر. لتكن لكل فريق من المؤمنين خصوصية قومية أو عرقية أو لونية أو لغوية... ولكن بشرط أن لا تلغي هذه الخصوصية العلاقة الإيمانية لتفصله عنه فصلاً كاملاً.

ومن جانب آخر، يريد الله تعالى أن يبين لنا أن الكفار يشعرون بهذا الشعور، فالكافرون لا تفصلهم عن بعضهم بعضاً هذه الفواصل، بل يعتبرون الكفر كقاعدة فكرية وعملية هو الأساس الذين يربط بعضهم ببعض. وعلى ضوء هذا، فإنهم يتواصلون ويتعاونون ويتناصرون ويندمجون في مصالحهم وفي قضاياهم، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول للمؤمنين: إن هناك مجتمعين ولا بد أن تدرسوا الواقع من خلال ذلك، فهناك مجتمع الكفر وهناك مجتمع الإيمان، ليشعر مجتمع الإيمان بأن أفرادهم بعضهم أولياء بعض على أساس الإيمان، كما يشعر مجتمع الكفر بأن أفرادهم بعضهم أولياء بعض على أساس الكفر.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٤)، يعني أنكم إذا لم تتحركوا في مسألة الولاية كرابطة تربط المؤمنين بعضهم ببعض، وإذا واليتم الكافرين واتخذتموهم أولياء من دون المؤمنين نتيجة حالات شخصية، أو نتيجة أوضاع مصلحة، أو نتيجة حالات سياسية، أو اقتصادية، فإن ذلك سوف يخلق أكثر من فتنة في الواقع، وأكثر من فتنة في المجتمعات المؤمنة؛ لأن هذا الفريق من المؤمنين يوالي الكافرين، وذاك الفريق من المؤمنين يوالي المؤمنين، وعندما تحدث المشكلة بين المؤمنين وبين الكافرين، فإن ذلك سوف يتحول إلى فتنة في داخل المؤمنين أنفسهم، لأن المؤمنين ينقسمون عند ذلك بين فريق يتبنى خطوط الكافرين وبين فريق يتبنى خطوط المؤمنين، وعندما تحصل الفتنة يحصل الفساد في داخل المجتمع المؤمن؛ لأن أي مجتمع لا يتكافل أفرادهم مع بعضهم بعضاً على أساس القاعدة التي تربط بعضهم ببعض، وهي قاعدة الإيمان، فمن الطبيعي أن ينفذ الخلل والفساد إلى داخلهم

في الجانب الفكري، فيما تتوزع فيه الأفكار، بين فكر ينفث على الكفر، وفكر ينفث على الإيمان، في هذا الجانب السياسي، أو هذا الجانب الاجتماعي، أو هذا الجانب الاقتصادي، «إِلَّا تَفْعَلُوهُ» إذا لم تلتزموا بهذه الولاية الإيمانية بين المؤمنين. «تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ».

وهذا ما يجب أن ندرسه على مستوى الواقع، فنحن - في عالمنا الإسلامي - نعيش في عالم غير إسلامي، وهناك في هذين العالمين خطوط سياسية واقتصادية وأمنية، بالإضافة إلى الخطوط الفكرية التي يختلف فيها هذا العالم عن ذاك العالم. هنا، عندما ندرس الواقع الإسلامي، فإننا نجد الكثير من المجتمعات الإسلامية، سواء التي تعيش في داخل بلاد المسلمين هنا وهناك، على مستوى القيادات أو على مستوى الأفراد، يعملون على أساس موالاة الكافرين من دون المؤمنين، فنجد أن البعض من هؤلاء يتحالف مع الكافرين، لا تحالف الإنسان الحر مع الإنسان الحر، أو تحالف القوي مع القوي، ولكن تحالف الإنسان العبد مع الحر، أو تحالف الإنسان الضعيف مع القوي، ليكون هذا التحالف وسيلة من وسائل سيطرة الكافرين على المؤمنين باسم المعاهدة، وباسم التحالف.. في الوقت الذي نعرف أن هذا العنوان إنما يمثل آلة من آلات السيطرة، ولكن مع حفظ ماء الوجه، فهم يحتلون بلادنا، باعتبار أن هناك معاهدة بيننا وبينهم في أن يحفظوا أمننا، ومن الطبيعي أن الآخرين عندما يفكرون بأنهم يحفظون أمن بلاد أخرى، فإنهم يحفظون أمنهم باسم حفظ أمن هذه البلاد.

وهذا ما نلاحظه في مسألة دخول الدول الاستعمارية والاستكبارية في عالم المسلمين، وعالم المستضعفين، حيث إنهم ينطلقون معهم باسم المعاهدات، كما لاحظنا في الحلف الذي كان بين الحكومة البريطانية وبين بعض القيادات العربية الإسلامية في مواجهة الحكومة العثمانية، على أساس أنهم يعطون العرب الحرية والدولة المستقلة... ولكن المسألة تحولت بعد ذلك إلى احتلال بريطانيا لهذه الدول الإسلامية، وعاش الاحتلال فيها زمناً طويلاً.

وهذا ما رأيناه أيضاً في الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان، وهو ما يتكرر الآن مع الاحتلال الأمريكي الذي نواجه حركاته باسم التحرير، ولكنه احتلال يحمل لافتة التحرير من دون معنى، وسوف يبقى كل جنود الأمريكيين وغير الأمريكيين يحتلون هذا البلد، باعتبار أنهم هم الذين يحفظون الأمن، وهم الذين يديرون الاقتصاد، والكثيرون يصفقون، والكثيرون تنطلي عليهم اللعبة والحيلة، ويتحركون في كل هذه الخطة التي يُراد من خلالها تلبية وتنفيذ مصالح الاستكبار العالمي في مقدراتنا السياسية والاقتصادية والأمنية، وفي اعتبار هذا البلد أو ذاك جسراً لمصالحه في البلدان الأخرى هنا وهناك.

وقد أكد القرآن الكريم أنّ هؤلاء الذين يتحركون مع الكافرين ضدّ المؤمنين أو ضدّ المسلمين، أو الذين يتعاملون معهم ويقدمون لهم كل الخدمات وكل الأوضاع التي تجعل مواقعهم مواقع متقدمة في بلاد المسلمين، أكد أن لهم العذاب الأليم وهذا هو قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ❖ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا﴾^(٥).. لن يعطوكم العزة؛ لأنّ الذي يريد أن يحتلّ بلادك، ويسيطر على مقدراتك، فإنّه يذلّك عملياً، ولا يمكن أن تحصل على واحد بالمائة من العزة في ذلك، فإنّ من يذلّ نفسه لا يمكن لأحد أن يعزّه؛ لأنّ قضية العزة لا بد أن تنطلق من خلال إرادتك ومن داخل وعيك، ولا تعطى العزة بمرسوم؛ فالحرية تؤخذ ولا تعطى، وكذلك العزة. وقد حدثنا الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيقول سبحانه وتعالى في أمثال هؤلاء: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٦).

وعلى هذا الأساس، فإنّ القرآن الكريم عندما يحدثنا عن ولاية المؤمنين

(٥) النساء: ١٣٨-١٣٩.

(٦) آل عمران: ٢٨.

للكافرين، وعدم ولاية المؤمنين لبعضهم بعضاً، ما يحول دون تحويلهم إلى قوة متراصة ووقفه متعاونة ومتناصرة تقف في وجه التحديات التي يثيرها الآخرون، فإن هذا سينجم عنه فتنة وفساد كبير، بل إن هذا الفساد هو من أخطر أنواع الفساد، لأنه يتدخل في إسقاط الأمة، في ثقافتها وسياساتها واقتصادها وأمنها واجتماعها، تحت لافتة الاستقلال، وتحت لافتة الحرية، ولكنها لافتة لا تعطي معنى، ولا توحى بأي شيء...

من الفساد الكبير:

وقد استعملت هذه الكلمة، كلمة: «إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»، في حديث النبي ﷺ، وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام في العلاقات الزوجية، وهي مسألة حساسة في حياة كل فرد، من الرجال والنساء، وذلك عندما يريد المسلمان أن يتزوجا، فأَيَّ زوج نقبل؟ وأَيَّة زوجة نقبل؟ ما هو الأساس الذي لا بد أن يلاحظه كل من يتقدم للزواج، سواء كان الذي يتقدم للزواج رجلاً يبحث عن زوجة، أو امرأة تبحث عن زوج.. نقرأ في حديث نبوي شريف: ((إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ))^(٧)، فهو قد استخدم هذه الفقرة من الآية ليبين خطورة هذه المسألة. يعني إذا لم يراع الشخصان اللذان يريد كل منهما لنفسه شريكاً يعيش معه حياته الزوجية، الجانب الأخلاقي والديني، فإن هذا يؤدي إلى فتنة في المجتمع وفساد كبير فيه بفعل النتائج السلبية التي قد تحدث من قبل الطرف الذي لا يملك أخلاقية الذات ولا عصمة الدين، ما يدفعه إلى الكثير من التصرفات السيئة تجاه الطرف الآخر. وقد ورد ذلك أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام بقوله: ((من خطب إليكم فرضيتهم دينه وأمانته فزوجه، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ))^(٨)، فكيف نفهم المسألة، سواء بالنسبة إلى الشخصين إذا كانا يملكان أمرهما، أو

(٧) الكافي. ج ٥. ص ٣٤٧. ح ٢.

(٨) نفسه. ح ١.

الأهل إذا كانا يملكان أمر زواج ابنهما أو ابنتهما، كيف نفهم هذه المسألة؟
 إننا نفهم هذه المسألة، باعتبار أن الأسرة هي الخلية الأولى التي يتعلم فيها
 الإنسان أو يتدرب على المسؤولية، سواء في دائرة الشخصين اللذين هما الأساس
 في العلاقة الزوجية، أو في ما ينتج عن الزواج من الأولاد، لأنّ الإنسان قبل أن
 يدخل الحياة الزوجية هو فرد لا يتحمّل مسؤولية أحد بحسب طبيعته الفردية،
 فهو يفكر بنفسه، ولكنه عندما يريد أن يرتبط برباط الزواج بإنسان آخر تتصل
 حياته بحياته وأوضاعه بأوضاعه، فمن الطبيعي أن يبدأ التفكير بالإنسان الآخر،
 بالإضافة إلى تفكيره بنفسه، ولذلك نجد أن القرآن الكريم أكّد هذه المسألة من
 الترابط الروحي والعاطفي والعملي بين الشخصين، إذ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
 خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٨)، فالزواج
 يمثل حالة السكينة، وهي الطمأنينة التي يسكن فيها الإنسان إلى الإنسان الآخر
 من أجل أن يملأ الفراغ الروحي أو النفسي الذي يعيشه، في فرديته وذاتيته،
 ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، يعني أن هذه العلاقة تعلّم الإنسان كيف يحب
 الإنسان الآخر في خط المسؤولية، وكيف يرحم الآخر بدراسة كل ظروفه
 وأوضاعه الحالية، أو أوضاعه السابقة، العائلية منها أو الاجتماعية.

لذلك، لا بد لهذه العلاقة أو لهذه الرابطة أن تركز على أساس ثابت
 يتحسّس فيه كل طرف مسؤوليته عن الآخر، بحيث يحفظه ويصونه ويراعي كل
 أوضاعه، وهذا لن يكون إلا إذا كان لديه عناصر أخلاقية تدخل في نطاق
 المنظومة الأخلاقية التي يعيشها في تركيبته الإنسانية، بكل ما تحمله المنظومة
 الأخلاقية من قيم، وأن يكون متديناً، يخاف الله سبحانه وتعالى في نفسه وفي
 الناس، لأنّ عقد الزواج ارتبط فيه الطرفان بكلمة الله سبحانه وتعالى، بحيث لم
 تكن بينهما في السابق أي علاقة في أي جانب من الجوانب، ولكن عقد الزواج

الذي شرّعه الله سبحانه وتعالى وخطأ كل أحكامه هو الذي يجمع بينهما، بالإضافة إلى الجوانب الدينية الأخرى، بحيث لا يعصي الله تعالى في الإنسان الآخر، ويقوم بكل ما أوجبه الله تعالى من حقوق، وما إلى ذلك...

هذا هو الذي يجعل كل واحد منهما مسؤولاً مسؤولية عظيمة أمام الله سبحانه وتعالى، وأمام أخلاقه، وأمام قيمه الإنسانية والروحية، حتى لا يسيء إلى الآخر، ولذلك فإن المسألة الأخلاقية والدينية هي الأساس في عملية الاختيار، وليس معنى ذلك أن لا يتطلب كل واحد منهما في الآخر الصفة التي يجذب إليها، كالجمال والمستوى الفكري أو المستوى الجسدي المادي، لكن ذاك هو الأساس الذي يجعل الإنسان يحترم الإنسان الآخر، ويجعل الإنسان يتحمل مسؤولية الإنسان الآخر، حتى في الواقع الإنساني العام، ولكن بالنسبة إلى الحياة الزوجية، فإنها تتمثل في العناصر التي تختلف عن أية علاقة أخرى، لأن الزوجين يعيشان مع بعضهما بعضاً حياة يلبس فيها كل واحد منهما الآخر، على حسب الإيحاء في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾^(١)، لأن هناك اندماجاً جسدياً، واندماجاً حياتياً، في كل الأمور المادية والمعنوية.

وهنا يقول: إذا لم تختاروا، أو لم تقبلوا الإنسان الذي ترضون خلقه ودينه، واخترتم الإنسان الذي لا أخلاق له، ولا ضابطة أخلاقية له في عالم القيم، والإنسان الذي لا دين له، ولا يخاف الله تعالى في نفسه وفي الناس، فإن ذلك سوف يتحول إلى فتنة تثير المشاكل بينهما، باعتبار أنهما لا يتحملان المسؤولية في كل حقوقهما، وفي كل أوضاعهما، وفي ما يحدث أيضاً من المشاكل تؤدي إلى الخلل في هذه الخلية الاجتماعية الأولى، بالنسبة إلى الأولاد الذين قد يعيشون المشاكل الصعبة التي تعقدتهم نفسياً، أو التي تدخلهم في أوضاع صعبة، من خلال ما يحدث من خلافات ومنازعات ومشاكل. ونحن نعرف أن الكثير من الأبناء، سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، يتعقدون ويحملون في داخل أوضاعهم النفسية والعملية

حالة العنف؛ التي يتعلمونها من عنف الرجل ضد المرأة بدون حق، وعنف المرأة ضد الرجل، وربما تتعقد البنت من الزواج كلياَ عندما ترى أباهها يضطهد أمها، أو يتعقد الولد أيضاً في حياته الزوجية، عندما يتعلم من أبيه كيف يتعامل مع زوجته، وفي هذا كله الفتنة الاجتماعية في داخل الأسرة وخارجها، والفساد الكبير في المجتمع، وهذا ما يجب علينا أن نواجهه في كل حياتنا الخاصة والعامة.. أن نعقلن علاقاتنا، وأن نتحرك فيها بالعقل، لا من خلال الجانب العاطفي، ولا من خلال الجانب الغريزي، بل أن نعرف أننا نبني خلية للمجتمع كله، وربما تنعكس سلباً على المجتمع، أو إيجاباً عليه، وربما تنعكس سلباً علينا على مستوى الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

الفساد التخريري للحياة (٢) دور الإنسان في صناعة الفساد

الإنسان هو الذي يصنع
الفساد، وهو الذي يصنع
الصالح، في إدارته للواقع
العام في الأرض

- ♦ صنع الفساد
- ♦ الانسان صانع التغيير
- ♦ آثار الفساد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١)، وهذه الآية الشريفة تعالج سنة من سنن الله في الكون والإنسان، في الخلل الذي يصيب الواقع في الأرض، سواء كان هذا الخلل خللاً ثقافياً أو دينياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو أمنياً.

صنع الفساد:

من أين ينشأ هذا الخلل الذي يصيب التوازن في كل هذه الأمور؟

ومن الذي يصنع ذلك؟

إن هذه الآية الكريمة تؤكد أن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الكون في عهدة الإنسان، وأراد له أن يمارس مسؤوليته في إصلاحه، وفي إيجاد قاعدة التوازن في كل أوضاعه، حيث إنّه سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفته في الأرض، وأعطاه العقل الذي يدرك به حقائق الأشياء ويخطّط به حركتها بحسب العناصر الموجودة في داخلها.

وعلى ضوء هذا، فإنّ الإنسان هو الذي يصنع الفساد، وهو الذي يصنع الإصلاح، في إدارته للواقع العام في الأرض. وأكّد الله سبحانه وتعالى للناس كافة أن انحرافهم عن الخط المستقيم وإخلالهم بالتوازن في إدارة الحياة، من شأنه أن يؤدّي إلى نتائج سلبية، سواء من خلال الآلام التي ينتجها هذا الفساد أو المشاكل

التي يحدثها، أو الانهيارات التي تحدث من خلال ذلك. فإذا واجهنا المسألة العلمية الثقافية، فإنّ الإنسان مسؤول عن أن يصنع للحياة ما تفتح به على كلّ مواقع العلم؛ لأن العلم هو الذي يعطي الحياة حيويّتها وفاعليّتها وقوّتها وسعة أوضاعها، وهو مسؤول عن أن يعطي للعقل في كلّ مواقعه قوّته وامتداده وحركيته، ليستطيع إدراك حُسن الأشياء وقبحها، وليخطط للإنسان ما يرتفع به؛ فإذا أخلّ الناس بهذا الأفق، فلم يعطوا للعقل دوره في إنتاج الأفكار السليمة، وجعلوا الخرافة هي التي تحكم التفكير، ولم يأخذوا بأسباب العلم التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتشف أسرار نفسه في ما أودعه الله تعالى في كيانه، وأسرار الكون في ما أودعه الله سبحانه وتعالى فيه، والتي تمكّنه إذا اطلّع عليها من أن يتعامل مع الكون في تفجير كل طاقاته، وفي الانفتاح على كل أوضاعه. كما إذا لم يفتح الإنسان فيه على خطوط الخبرة، فإن من الطبيعي جداً أن يحصل الفساد في الأرض؛ لأن العقل لا يفتح، ولأنّ العلم لا يبدع ولا يمتد، ولأن التجربة تبقى عمياء...

وإذا انطلقنا إلى الجانب السياسي، فإنّ الله سبحانه يريد من الإنسان أن يخطّط لحياته في مسألة الحكم، وفي مسألة الحاكم، وفي مسألة القانون والنظام، وفي مسألة الإدارة، مما يتّصل بالنظام العام، وفي ما يركّز أمر معاش الناس، وفي ما يطرّأ أوضاعهم، وفي ما يؤكد الخط المستقيم في علاقاتهم ومعاملاتهم، وما إلى ذلك، لأنّ الناس عندما يفتحون على الحاكم العادل، وعلى النظام العادل، وعلى القانون العادل، وعلى العلاقات العادلة، فإنه من الطبيعي جداً أن الحياة سوف تكون أفضل، لأنّ العدل هو الذي يحكمها حينئذٍ، وهو الذي يسيّر أمورها، وهو الذي يجعل الناس منفتحين على ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. ونحن نعرف أن العدل هو الذي تقوم الحياة على قاعدته وتفتح على آفاقه.. لذلك فإن الناس عندما لا يأخذون بأسباب العدل في الحكم والحاكم والقانون والنظام والعلاقات العامة، فإن الفساد سوف يمتدّ

في حياتهم على أساس أن الظلم هو الذي يحكمها بدلاً من العدل، وبذلك تتحرك المشاكل وتحدث الآلام، ويختل النظام العام للإنسان في الحياة، فيعاني الناس من خلال ذلك كله.

وهكذا، عندما يختل نظام الأمن عند الناس، أو يختل نظام الاقتصاد عندهم، وما إلى ذلك، مما يدخل في النسيج الاجتماعي، وفي مفاصل الواقع الذي يحكم المجتمع في علاقاته، فإن ذلك يؤسس للفساد الذي ينتج الآلام التي يذوقها الناس.

وخلاصة الفكرة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، هي أن الإنسان هو صانع التغيير، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أوكل إليه أمر إدارة الحياة، في نطاق مسؤوليته، لا على أساس أن يعزل الله سبحانه وتعالى ذاته المقدسة عن حركة الواقع، ولكن الله عز وجل جعل للكون نظاماً وقانوناً على أساس السببية، التي قد تتصل بالجانب التكويني في حركة الوجود، وقد تتصل بالجانب الاختياري، مما يقوم به الإنسان في ما يختاره من صناعة الخير والشر، ومن صناعة الصلاح والفساد.. فالإنسان هو صانع التغيير، باعتبار أنه يملك الأسباب الاختيارية في حركة الواقع السلبية منها والإيجابية.

الإنسان صانع التغيير:

وعلى ضوء هذا، فإن الله سبحانه وتعالى يقول للإنسان: إنك تذوق ما تصنع، فأنت عندما ترفع صراخك من خلال الآلام القاسية التي تفترس كل ذاتك، في جسدك وفي روحك وفي حركتك في الحياة، فإنك أنت الذي صنعت ذلك، كما يقال: (كما تزرع تحصد). إنك زرعت الفساد، فلا بد لك أن تذوق نتائج السلبية، وكما يقول المثل: (من يزرع الرياح يحصد العاصفة).

وهناك آيات كريمة أخرى، تتحدث في هذا الاتجاه لتؤكد الفكرة، وهي أن الإنسان هو صانع التغيير.

نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢). إن الله سبحانه وتعالى يحدثنا في هذه الآية عن القرية التي كان أهلها يأخذون بأسباب الأمن، وكانوا . أيضاً . يأخذون بأسباب الطمأنينة والسكينة في علاقاتهم التي لا حقد فيها ولا عداوة ولا بغضاء، بل كانت مرتكزة على أساس المحبة والرحمة والتعاون والتواصل والتكافل في ما بينهم، فكان الإنسان في هذه القرية يعيش الأمن والطمأنينة والسكينة، لأنه لا يجد هناك أي سبب يفترس سكينته وطمأنينته، وكان هؤلاء الناس يملكون الخبرة والإدارة في الأخذ بأسباب الرخاء، في دراستهم لكل مصادر الرزق ولكل مواقع الثروة، فكانوا يفتحون على ما حولهم من البلاد، في ما يستوردونه منها، أو في ما يصدرونه إليها، في الحركة التجارية المرتكزة على قاعدة تنتج الربح، ولا تنتج الخسارة. والكفر بأنعم الله تعالى . الوارد في الآية الكريمة . بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يحافظ على هذا المناخ الذي يوحى بالأمن وبالطمأنينة، ولكنهم استبدلوا المحبة بالبغض، والأخوة بالعداوة، والتواصل بالتقاطع، والتفاهم بالتنازع، فأدى ذلك إلى المزيد من النزاع، وأدى النزاع إلى المزيد من الحركة العدوانية على أساس العصبية التي يخلقها النزاع، عندما يتفرق الناس في آرائهم، وفي انتماءاتهم، وفي أوضاعهم العامة والخاصة، فأصبح المجتمع مجتمع قلق وتمزقٍ وحيرة، ففقدوا الأمن والطمأنينة... وهكذا أساءوا إدارة حركة علاقاتهم المالية، فبدأوا يأخذون بالخطوط التجارية التي تجعلهم يستوردون ما يضرهم ولا ينفعهم، أو يحركون علاقاتهم بالآخرين على أساس الكذب أو الخيانة أو الغش، مما يفقدهم الثقة من قبل الآخرين، فيؤدي ذلك إلى اختلال الواقع التجاري.

وهكذا كانوا في إدارتهم لهذه النعم ينطلقون في الأوضاع الاحتكارية،

ويعيثون في الأرض فساداً، في تطفيف المكيال والميزان، ويعملون على أن لا يعطوا لصاحب الحق حقه، ما جعل الثروة تبقى في يد أشخاص معينين، ففقد الفقراء مصادر عيشهم... وهكذا تتحرك الأوضاع السلبية في المسألة الاقتصادية والاجتماعية التي يؤدي إليها هذا الكفر بنعم الله تعالى، وأخذ المال من حلاله، وصرفه في الحلال بما ينفع الناس...

والله سبحانه عندما يقول: «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ»، فلا يعني ذلك أن الله تعالى ينزل عليهم الجوع أو الخوف من السماء بشكل مباشر، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل أسباباً في ممارسات الناس، بحيث يصنعون جوعهم وجوع الآخرين، وجعل للخوف أسباباً من خلال فقدان الوعي والإدارة لما يجلب للناس الأمن والطمأنينة.

آثار الفساد:

ونقرأ أيضاً هذا القانون بطريقة (القاعدة)، في قوله سبحانه وتعالى: «كَذَّابٍ آلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^(٢)، وهذا التعليل يعطينا أن هذا العقاب الدنيوي كان ناشئاً مما يختزنونه من الأفكار التي تنتج ما حصل لهم، «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^(٣). إن الله سبحانه وتعالى يؤكد - في هذه الآية - أن أي تغيير يحدث لأية جماعة من الناس من حالة الإيجاب إلى السلب، إنما ينطلق من الواقع الداخلي الذي يحمله الناس في أنفسهم. فهؤلاء كانوا في نعمة، وكانت (مصر) تتمثل بكل هذه النعم الرائعة، بأنهارها وبساتينها وثرواتها، ولكن الله سبحانه وتعالى أبطل كل ذلك، وحرّمهم من كل تلك النعم؛ لأنهم غيروا ما بأنفسهم من الحق إلى الباطل، ومن الخير إلى الشر، فأصابهم بذنوبهم؛ لأن القاعدة الإنسانية التي جعلها الله تعالى،

(٣) الأنفال: ٥٢.

(٤) الآية: ٥٣.

وهي أساس التغيير بالنسبة للواقع الإنساني، هي أنك إذا غيرت ما في نفسك، من الخير إلى الشر، فستفقد كل نعمة يمنحها الخير لك؛ لأن الخير عندما يغيب عن فكرك وإحساسك وشعورك، فإنه من الطبيعي أن لا يكون عملك في هذا الاتجاه، فيتحول الأمر من النعمة إلى النقمة.

وهناك آية كريمة تشابه هذه الآية، ولكنها تشمل جانب الخير وجانب الشر. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٥)، يعني أن إرادة الله عز وجل في النظام الكوني الإنساني جعلت الإنسان هو صانع التغيير، فالفكر الذي يحمله هذا الإنسان هو الذي ينعكس على الواقع، يعني كأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن الواقع هو صورة الفكر، بمعنى أن كل ما نصنعه في كل أوضاعنا الحياتية، وفي أي جانب من الجوانب، هو نتيجة ما نفكر به، لأن الخارج هو صورة للداخل.

وعلى ضوء هذا، فإن علينا أن نعرف كيف نركّز الداخل، في ما نحركه في عقولنا، وفي ما تنتجه من علومنا، وفي ما ننتج عليه من مشاعرنا وانطباعاتنا وأحاسيسنا. إن الداخل هو الذي ينتج الخارج، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول:

إن مشكلتكم أنكم تصنعون تاريخكم من خلال ما تصنعونه في أنفسكم، من أفكار وأحاسيس ومشاعر، إنكم تصنعون الواقع على صورة ما في الداخل. غير نفسك، تُغير الواقع. غير نفسك، تُغير التاريخ.

أيها الأحبة، إن المسألة هنا تتحرك على أساس التوجيه، وهو أننا إذا أردنا أن نعالج أية مشكلة إنسانية، سواء كانت هذه المشكلة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أمنية، فإن علينا أن ندرس المشكلة في جذورها في داخل الأنفس الإنسانية. فإذا عالجتنا الجذور، أمكننا أن نعالج ما ينتج عنها من الفروع. وهذه مسألة تدخل في الجانب التربوي في تربيته لأجيالنا، وتدخل في الجانب

الإصلاحي في إصلاح الواقع، من خلال النتائج السلبية التي تتحرك فيه، وهكذا في كل المجالات، وذلك بأن لا نعالج الأمور في السطح، بل نعالجها في العمق، لأن العمق هو الذي يترك تأثيره على السطح، في ما يبرز في السطح من كل المفردات السلبية أو الإيجابية.

والحمد لله رب العالمين.

باب المسائل

الفصل الأول

المسائل القرآنية

الصلاة على النبي ﷺ:

□ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١)، ما معنى الصلاة في هذه الآية؟

○ إن الصلاة من الله سبحانه وتعالى هي الرحمة واللفظ والمغفرة والرضوان، ومن الملائكة الدعاء بذلك، والله سبحانه وتعالى يتحدث عن الصابرين ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون^(٢)، يعني أن الله يصلي على الصابرين ويغفر لهم ويرضى عنهم، وفي آية أخرى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾^(٣)، وقد أراد الله سبحانه للمسلمين والمؤمنين أن يجعلوا الصلاة على النبي ﷺ سيرة يسيرون عليها، فيبقى هذا الارتباط بالنبي ﷺ في ما يمثله من قرب لله سبحانه وتعالى، بحيث إن الله يأمرنا بالصلاة على النبي ليبين قرب النبي من الله، فيعظم النبي في نفوسنا، وتبقى هذه العظيمة لنستفيد منها في التزامنا برسالته وبه.

القلب عضلة فكيف يعمى؟

□ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤)، كيف يعمى القلب وأنا أعرف في ما درست من خلال اختصاصي كطبيب، أن القلب هو عضلة لدفع الدم فقط وليس فيها شيء من الإدراك؟

○ ما تقوله صحيح إذا ما أردنا من القلب هو هذه العضلة التي تضخ الدم،

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) البقرة: ١٥٧-١٥٨.

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٤) الحج: ٤٦.

والتي تشارك في فعلية حياة الإنسان، ولكن المراد بالقلب في القرآن هو العقل، والله سبحانه وتعالى يقول في آية أخرى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٥)، فالمقصود بالقلب منطقة الوعي الداخلي للإنسان، مع امتداد العقل في الشعور وفي الإحساس، حيث لا يوجد هناك فاصل بين الجانب العاطفي والجانب العقلي، بل هما ممتزجان، لأن الإنسان واحد، فليس هناك إنسان عاطفي وإنسان عقلائي. نعم، الإنسان قد يجمد جانباً من عقله كما يجمد عضلة من عضلاته، وفي ضوء هذا، يمكن للعقل أن يكون مبصراً كما هي طبيعته التكوينية إذا انفتح على إدراك الحقائق وتحريك الفكرة واستيعاء التجربة، ويمكن أن يكون أعمى إذا أغلق عينيه في حس البصيرة عن حركة الحياة وإنتاج الواقع وإدراك الحقائق.

حدود اجتناب الظن:

□ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(٦)، يستدل منه على أن هناك من الظن ما ليس إثماً، فما هي حدود هذا الظن، وإلى أي مستوى يصل بالإنسان المؤمن؟

(٥) الآية ليست في مقام بيان وتحديد الظن الذي هو إثم والظن الذي ليس إثماً، إنما تشير إلى أن الإنسان لا يجب أن يحكم اعتماداً على ظنونه إذا عرف أن بعض الظن إثم. والظن هو حالة التوهم أو حالة التخمين التي لا تركز على أساس الحجة، فالله سبحانه وتعالى يقول إن الإنسان ربما يظن ظناً صحيحاً، لكن عندما يعرف أنه لا يستطيع أن يميز بين الظن الصحيح والظن غير الصحيح، فعليه أن يجتنب ذلك، فلا لحكم على أساسه، بل يحاول أن يدرس الأسس التي ارتكز عليها الظن، هل هي صحيحة أم لا، ليتصرف من خلال ذلك على أساس اليقين.

(٥) الأعراف: ١٧٩.

(٦) الحجرات: ١٢.

حول فهم معاصر للقرآن:

□ برزت في الأونة الأخيرة ظاهرة من يرى أن القرآن الذي نزل في زمن الرسول ﷺ كانت قراءته مناسبة لذلك الزمن، أما اليوم، فيجب أن يقرأ القرآن قراءةً تتناسب مع العصر الراهن، ومن خلال ذلك، قد نجد أن القراءة المعاصرة قد تبيح بعض المحرمات، فما تعقليلكم على ذلك؟

(١) نحن نتساءل: هل إن هذا القول يخرج عن النص القرآني؟ نعم، نحن نقول، كما يقول العلماء جميعاً من السُّنَّة والشيعة إنَّ القرآن قطعي السند، لأنه يقين، والقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٧)، فلا تحريف فيه ولا زيادة ولا نقصان، لكن قد يختلف الفهم في مضمون القرآن في خصوص هذه الآيات التي وردت في تحديد ما هو معناها، وهو مضمون ظني قابل للاجتهاد الذي قد يختلف بين شخص وآخر، هنا يمكن أن يكون للشخص اجتهاد، والاجتهاد ليس اجتهاداً مزاجياً. نحن لا نجتهد لكي نجدد، ولكن الاجتهاد قد يلتقي بالجديد الذي لا يلتقي مع الفهم القديم، بل نحن نعتبر أن القرآن هو الذي يجدد ولا يتجدد. القرآن هو كتاب الله، وعلينا أن نلتزم بكلام الله بالحث على القيام بالحجة والدليل على ما نفهمه من كتاب الله.

بين القتال والجبر:

□ يقول تعالى: ﴿لَبَّرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(٨)، فكيف نُفسِّر الآية ونؤوِّلها حسب القضاء والقدر الإلهيين ونحملها على الاختيار للبشر الذي هو خلاف جبرهم، أليس يدل ذلك على أن المقاتلين مجبرون على البروز إلى أماكن قتلهم؟

(١) ليس معنى ذلك أنهم مجبرون، فمعنى (كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ) أي بأسباب

(٧) الحجر: ٩.

(٨) آل عمران: ١٥٤.

القتل، فالله تعالى كتب على الناس الموت، ولكن كتب أيضاً على كل إنسان أجله بالأسباب التي تقتضيها هذه السُنَّة، فلو فرضنا أنهم لم يشاركوا في المعركة هرباً من الموت، فإنَّ الموت سوف يلحقهم أينما كانوا ﴿يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^(٩). فالآية الكريمة تريد أن تبين أن الابتعاد عن المعركة لا يبعد الإنسان عن الموت، لأنَّ الله خلق للموت أسباباً، كما يقول بعض الشعراء:

ومن لم يمِت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد
فالآية لا تدلُّ على الجبرية في أسباب القتل مما يملك الإنسان فيه القدرة على الاختيار، أما ما يتصل بالأسباب الكونية الخارجة عن قدرته، فإنها قد تلتقي بمعنى من معانيه.

تمييز المرأة في القرآن:

□ قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾^(١٠)، يوحى ظاهر هذه الآية الكريمة بالفرق بين الجنسين، فما هو المعنى الحقيقي؟
(٩) المفسرون يقولون إنَّ امرأة عمران طلبت ذكراً ليكون محرراً ليخدم في البيت المقدس ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾^(١١) وكانت الخدمة في بيت المقدس مختصة بالذكور ولا يسمح للأنثى بالخدمة فيه، ويقولون قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾^(١٢) يعني ليس الذكر الذي طلبته امرأة عمران كالأنثى التي ولدتها، فلم يتحقق ما أرادته، وليست الفقرة في مقام تفضيل الذكر على الأنثى من حيث القيمة، والله العالم.

الحج والإببات في القرآن الكريم:

□ ورد أن صلة الرحم مثلاً تطيل العمر، وهي مصداق للآية الكريمة :

(٩) النساء: ٧٨.

(١٠) آل عمران: ٣٦.

(١١) آل عمران: ٣٥.

(١٢) آل عمران: ٣٦.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١٣)، ولكن كيف نجعلها مع الآية الكريمة: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١٤)؟

(٥) نحن بيّنّا في أكثر من مرة، عندما يُقال إن الدعاء يطيل العمر، وقد يستجيب الله سبحانه وتعالى بذلك ربطاً بقضية صلة الرحم وما إلى ذلك، فإن هذا ليس معناه أن الله سبحانه وتعالى يبدّل وضع الإنسان، بحيث إنه إذا كان مقدراً له أن يعيش ٥٠ سنة يجعلها ٧٠ سنة. ليس هذا هو المقصود، بل إن الله سبحانه أطلع على مستقبلهم عندما أراد أن يقدر لهم آجالهم وأرزاقهم، فعلم أن هذا سوف يصل رحمه، فقدّر له من خلال ما يعلم أنه سوف يصل رحمه في زيادة العمر الطبيعي، وهكذا بالنسبة إلى الرزق، وليس معناه أن الله سبحانه وتعالى قدّر للإنسان بأنه يموت هذه السنة وعندما يصل رحمه، فإن الله يمحو ذلك الشيء ويطيل عمره. إنما المقصود هو أن الله سبحانه وتعالى يقدر أمور المستقبل بحسب ما يعرفه في المستقبل، والله العالم.

منع الإضلال:

□ قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(١٥)، فلماذا التعبير بهذه الصورة؟

(٥) يعني أن لا تضلّوا.

يوم الأحزاب:

□ ما المقصود بيوم الأحزاب في الآية التالية: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾^(١٦)، وهل لها علاقة بالأحزاب الوضعية في يومنا هذا؟

(١٣) الرعد: ٣٩.

(١٤) الأعراف: ٣٤.

(١٥) النساء: ١٧٦.

(١٦) غافر: ٣٠.

○ المقصود من (يوم الأحزاب) اليوم الذي تتحرك به هذه الجماعات الكافرة، كما هو يوم (عاد) و(ثمود) وهؤلاء الذين وقفوا ضد الأنبياء ﷺ وحاربوهم، فأخذهم الله بالعذاب، كما جاء في الآية التالية: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ﴾^(١٧)، فكان مؤمن آل فرعون يقول لهم إنكم في مواجهةكم لموسى ﷺ الذي يدعوكم إلى الله، قد ينزل الله بكم العذاب كما أنزل بأولئك الذين تمردوا على الرسل واضطهدوهم وما إلى ذلك. ومن الطبيعي أن هذا يشمل كل حزب يختلف ويضاد البرنامج والخط الذي يرتبط بالله سبحانه وتعالى، ولكن الله سبحانه وتعالى كان ينزل العذاب على الأقوام السابقين بشكل مباشر، ولم يشأ استمراره بعد ذلك بهذا الشكل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١٨).

قوة الظالمين، من أين؟

□ قال الله تعالى: ﴿تَوَتَّى الْمُلُكُ مَنْ تَشَاءُ﴾^(١٩)، فهل انتصار الظالمين بالقوة ونزولهم على الملك هو بأمر الله تعالى؟

○ ليس الأمر كذلك، فإن الله سبحانه يؤتي الملك بأسبابه، لأنه سبحانه وتعالى عندما خلق الكون وخلق الإنسان، فإنه وضع للملك أسباباً، ووضع للأشياء أسباباً أخرى، ﴿وَتَنَزَّعُ الْمُلُكُ مِنْ تَشَاءٍ وَتُعْزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ﴾ يعني أن الله جعل أسباباً طبيعية، كما هي الصحة التي تنطلق من سبب طبيعي والمرض وكذلك الخسارة والريح والنصر والهزيمة. بمعنى أن الله لا يريد للحياة أن تتحرك من خلال الغيب المطلق بشكل مباشر، بل إن الله وضع للحياة في عالم الملك وعدمه، وعالم النصر والهزيمة، قوانين إذا أخذ الناس بها انطلقت، ولكن

(١٧) غافر: ٣١.

(١٨) الأنفال: ٣٣.

(١٩) آل عمران: ٢٦.

تبقى قدرة الله عز وجلّ في أن يضيق على هذا ويفرج عن ذلك، لأنّ معنى القوانين لا تلغي إرادة الله للأشياء.

عدو إبراهيم ﷺ:

□ ورد في القرآن الكريم على لسان الخليل ﷺ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٠)، فهل تعني هذه العداوة التي يصرح بها إبراهيم ﷺ كل ما يبعد عن الله تعالى؟

○ كأنه يقول: فإنهم وكل من يتبعهم عدو لي إلا رب العالمين، فهو الذي ألجأ إليه وأرتبط به، لأنه هو الذي خلقتني فهو يهديني ويضلّيني وهو يطعمني ويسقيني. وإذا مرضت فهو يشفيني. والذي يميّتي ثم يحييني^(٢١)، أي إنني مع الله ومع كل الذين يسرون مع الله، أي إن الله سبحانه هو المقياس لقضية العداوة والصداقة بالنسبة للآخرين.

تمني سليمان ﷺ الملك:

□ ما معنى قوله تعالى على لسان سليمان ﷺ: ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾^(٢٢) والسؤال: لماذا هذا الطلب منه؟

○ لم يتمن ذلك من ناحية ذاتية، لأننا نقرأ عن سليمان أنه كان خاشعاً لله، وكان داعياً له، وأن الله سبحانه وتعالى جعل الحكم في هذا المقام ليكون الأقوى، ويستطيع أن يكون الأقوى في خطّ الدعوة، وفي خط تنفيذ حكم الله سبحانه في الأرض.

(٢٠) الشعراء: ٧٧.

(٢١) الشعراء: ٨١، ٧٨.

(٢٢) ص: ٣٥.

نسيان الله:

□ في الآية الكريمة: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢٣)، وفي الحديث

المأثور: ((من عرف نفسه عرف ربه)). أيهما عليّ أن أعرف لأعرف به الثاني؟

○ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني ذلك

كما ورد في الآية الكريمة، أن الإنسان عندما ينسى الله، فينسى ما صنع به،

وينسى أسرار الله في نفسه، وينسى مسؤوليته في ما كلفه الله به من مسؤولية،

فمن الطبيعي جداً أن يتحرك الإنسان حركة المتخبط، لأن أي إنسان لا يعيش

المنهج الذي أراد الله له أن يسير عليه، ولا يعرف الأسرار التي أودعها الله في

نفسه وفي ما حوله من الحياة مما يعرف به ربه، فمن الطبيعي جداً أن تكون

نفسه خواءً فارغاً، ولذلك فإنه إن نسي ربه نسي نفسه، فهو يهمل نفسه، ويعيش

مع نفسه في دائرة الإلهاء والإهمال لا في دائرة الوعي، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ

أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني أغفلوا الله فأغفلهم، كما ورد في بعض الآيات: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ

تُنْسَى﴾^(٢٤)، أي أهملت آيات الله وتعاملت بها كما يتعامل الإنسان بالمهملات،

فأهملك الله في يوم القيامة كما لو كنت كمية مهمة لا يعبأ بها أحد. أما قوله:

((من عرف نفسه فقد عرف ربه))، فلأن معرفة الإنسان للأجهزة التي أودعها الله

سبحانه وتعالى في النفس وفي المنهج والسنن، تجعله يعرف ربه من خلال عظمة

تلك الأسرار التي أودعها الله فيه وفي الكون ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي

أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢٥)، بحيث إن وعي الإنسان لنفسه ولكل جهاز من أجهزته، توحى كلها

بالعظمة الإلهية، ولعل الإنسان، وخصوصاً الطلاب في الثانويات والجامعات،

(٢٣) الحشر: ١٩.

(٢٤) طه: ١٢٥-١٢٦.

(٢٥) فصلت: ٥٣.

عندما يدرسون علم الإنسان وعلم الحيوان وعلم الجسد، فإنهم يعرفون كم في هذا الكيان الإنساني من عوالم وكم فيه من أسرار، ولعل البيت الذي يُنسب إلى الإمام علي عليه السلام مخاطباً الإنسان، يعبر عن ذلك:

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ومن بين الأشياء التي تحدث عنها المختصون الآن - مثلاً - إذا أردت أن تعمل أرسيفاً عن أي شخصية من الشخصيات أو غيرها، فإن ذلك قد يحتاج إلى غرفة أو غرفتين، وستبسط أمامك كل المعلومات، فكيف يستوعب هذا الدماغ كل هذه العمليات المعقدة. والإنسان عندما يعرف نفسه، سواء في الجوانب الحسية لنفسه، أو في منطقة العقل والوعي الداخلي، يعرف الله سبحانه وتعالى، لأن الله يُعرف بخلقه.

الجهاد الابتدائي في القرآن:

□ هل يمكن الاستدلال على مشروعية الجهاد الابتدائي ضد الكفار غير الحريين من أجل نشر الدعوة الإسلامية مما في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٢٧)؟

○ هناك فرقٌ بينه وبين مفروض السؤال، لأنّ مسألة بسط السلطة من قبل سليمان عليه السلام كانت تفرضها الظروف التي عاشها، وهي تفرض أن يخضع الناس للسلطة الإلهية من خلال ممارسة القوة للدخول معهم في حوار عقلائي موضوعي حول عبادة الشمس التي هي من مخلوقات الله، وعبادة الله الذي هو الخالق للكون كلّ، بكل ما فيه من الموجودات الحيّة والجامدة، لتعريفهم حقائق العقيدة وأسرار الخلق والحياة، ولذلك دعاهم ﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، يعني أراد لهم أن يأتوا ومع ذلك حاورهم، فقدّم لهم المعجزة ولم يفرض عليهم الإسلام بالقوة، وقد قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشًا قَبْلَ

أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ❖ قَالَ عِزِّيَتْ مِنْ الْجِنِّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ❖ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ^(٢٨). وقد يبدو أنه تحدّث مع ملكة سبأ حتى أسلمت مع سليمان لرب العالمين. فسليمان ﷺ لم يمارس القوة الفعلية لإخضاع الناس للإسلام، بل كان يريد الضغط عليهم حتى يأتوا خاضعين لسلطته التي تتميز بالعدل وتتميز بكل المعاني التي يجد فيها الإنسان إنسانيته وكل عناصر الخير. أما مسألة الجهاد الابتدائي، فهي محلُّ جدل، خصوصاً هذه الأيام، فهو لا يمثل ضغطاً على الإنسان وإجباراً له على الالتزام بالإسلام بالقوة، بل لأن الإسلام يريد من الآخرين أن يعطوه الحرية لنشر دعوته، ولا يحاربهم لمجرد إدخالهم الإسلام، ويريد أن يأخذ حريته على أساس الحوار وأساس الجدال بالتّي هي أحسن وما إلى ذلك .. فإذا وقفوا ضدَّ حريته، أو حاولوا الاعتداء عليه، فمن حقّه أن يدافع عن نفسه.

الرغبة إلى الله:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ❖ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾^(٢٩)؟

○ النصب هو التعب بالدعاء وبالابتهال إلى الله سبحانه وتعالى، لتأخذ من

هذا التعب الراحة والدعة والاطمئنان بالقرب من الله تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ هذا بيان للإنسان لما ينبغي أن يقوم به عندما ينتهي من صلاته، بحيث يرغب إلى الله سبحانه وتعالى في حاجاته وفي رغباته وفي كلّ أموره، سواء كان ذلك الأمر أمر الدعوة أو أمر الحياة أو الذات؛ لأن الله هو المهيمن على الأمر كلّ، وهو الذي يُرغب إليه ولا يُرغب عنه.

(٢٨) النمل: ٤٠، ٣٨.

(٢٩) الشرح: ٧، ٨.

معنى (عين حمئة):

□ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾^(٣٠). ما المقصود بالعين الحمئة؟

() هي منطقة في الصين كانت تغرب فيها الشمس، وكانت منطقة مستنقعات يختلط فيها السواد وما إلى ذلك، ولعلها كناية عن مصب أحد الأنهار، حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج وهو الحمأ، وتوجد البرك كأنها عيون الماء.

إنشاء المساجد:

□ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ﴾^(٣١)، هل كان لله مسجد قبل فرض الصلاة على المسلمين؟

○ طبعاً كان هناك مسجد، إلا أنه ليس بمصطلح المسجد اليوم وبأحكامه، فكان هناك بيت الله الذي يعبد فيه، ولذلك نجد أن امرأة عمران قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾^(٣٢)، وقد نذرته ليكون خادماً في بيت المقدس، الذي هو ملتقى الأنبياء ﷺ وملتقى الناس في عبادتهم.

تسبيح الأحياء:

□ يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣٣). هل هذا يعني أن الكافر أيضاً يسبح بحمده، فكيف يكون إذا تسبيحه؟

() لم يقل كل من في السموات والأرض يسبح، بل يبين الله أن الكون يسبح بطريقة وبأخرى، سواء باللسان لمن ينطق، أو بغيره بإظهار عظمته في أسرار

(٣٠) الكهف: ٨٦.

(٣١) الإسراء: ١.

(٣٢) آل عمران: ٣٥.

(٣٣) الجمعة: ١.

وجوده، ولكنَّ الإنسان الذي لا يؤمن بالله ولا يعبدُه لا يقوم بالتسبيح، وربَّما يُراد به التسبيح التكويني، بمعنى الشهادة له سبحانه بالربوبية.

الرزق الحسن:

□ إنَّ الله سبحانه وتعالى وعد الذين يهاجرون في سبيله بالرزق الحسن، فما هو الرزق الحسن، ولماذا وصف بالحسن؟

(٢٤) قد يفسَّر الرزق الحسن بالجَنَّة، وقد يفسَّر بما يعطيه الله سبحانه من الطافه وفيوضه، وإنما وصف الرزق بالحسن، لأنَّ فيه رزقاً جيداً ورزقاً غير جيد.

بكاء السماء والأرض:

□ قوله تعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)^(٢٤). ما المقصود بذلك؟ ومن هم الذين بكَّت عليهم السماوات والأرض؟

(٢٥) الآية واردة على سبيل الكناية، بمعنى أنَّ الله يدخلهم جهنم ويعذبهم، ولا يعنى بهم أحد، مثلاً يقول أحد لآخر إنه مهما حدث بالنسبة إليه فلا يعتني به أحد، فإن عقابهم وعذابهم لا يحرك شيئاً، فلا يبكي عليهم أحد، لأنَّ بكاء شخص على شخص ما يأتي من قبل الاهتمام به، والله العالم.

معنى اللمم في القرآن:

□ ما معنى الآية الكريمة: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ)^(٢٥)، فما معنى اللمم؟

(٢٦) معناها المعاصي الصغيرة، مثل النظرة المحرَّمة وغيرها، فالله سبحانه وتعالى يغفرها، وكما ورد عن الإمام علي عليه السلام: ((الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم يغفر، وظلم مطلوب لا يُترك، أما الظلم الذي يغفر فهو ظلم العبد نفسه عند بعض الهنات)) يعني الأشياء الصغيرة.

(٢٤) الدخان: ٢٩.

(٢٥) النجم: ٣٢.

اختلاط الرجال بالنساء في القرآن:

□ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٣٦). إن سماحتكم تشرعون اختلاط النساء مع الرجال من خلال عمل المرأة خارج المنزل، حتى اعتبرتم الخلوة مباحة ما لم يكن هناك مجال لعمل غير أخلاقي، ونحن نرى أن الآية تدعو الرجال لطلب حاجاتهم من النساء من وراء حجاب، وأن لا يستأنسوا بالحديث مع نساء النبي ﷺ. نرجو توضيح ذلك؟

(١) أولاً: يجب أن يُعلم أن اختلاط النساء بالرجال كان موجوداً في المسجد، حتى كانت المرأة تأتي إلى النبي ﷺ وكانت تحضر صلاة الجماعة خلف الرجال بالمسجد، وكان النبي ﷺ يخرج النساء معه في الحرب ليسقين العطاشى ويداوين الجرحى. أما هذه الآية، فهي واردة في تعامل الأصحاب مع نساء النبي ﷺ، فقد كانوا - مثلاً - عندما يأتون النبي يطيلون المكث عنده، وكان النبي ﷺ ينزعج من ذلك، كذلك كانوا يدخلون بيت النبي ﷺ ويطلبون بعض الأشياء من هذه الزوجة أو تلك الزوجة، ولذلك بيّن الله لهم حكم نساء النبي، وأنه يختلف عن النساء الأخريات، كما أشار تعالى في قوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٣٧). فمسألة نساء النبي ﷺ هي مسألة استثنائية تخضع لعنوان ثانوي في هذا المجال، وهذا الذي نقوله في مسألة الاختلاط، ليس رأينا فقط، بل هو رأي الكثير من العلماء.

التسوية بين الناس:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فُضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾^(٣٨) ؟

(١) يعني لولا احتمال اجتماع الناس على الكفر طلباً للامتيازات التي قد

(٣٦) الأحزاب: ٥٣.

(٣٧) الأحزاب: ٣٢.

(٣٨) الزخرف: ٣٣.

يحصلون عليها في الدنيا جرّاءه، لأن الإنسان يرتبط بالأمور الحسّية أكثر مما يرتبط بالأمور الروحية المعنوية، لجعلنا للكافرين درجات مادية عليا ليواجهوا الآخرين من موقع هذا الامتياز الواقعي الذي يظهرون به على غيره، لكن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقبض، حتى يتنوّع الناس في أوضاعهم وفي ظروفهم وما إلى ذلك.. مع العلم بأنّ ذلك من متاع الحياة الدنيا الذي لا يمثل قيمة خالدة، بل يفنى ويزول، ولكن الآخرة هي القيمة في النعيم الخالد الذي أعدّه الله للمتّقين.

شمول وصف المؤمنين للأنبياء والأئمة:

□ هل يمكن القول إن الآيات البائدة بـ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)) تشمل

الرسول ﷺ والأئمة ؟

○ من الطبيعي أنّها تشملهم، فهم قادة الإيمان، ولذلك ورد على لسان النبي ﷺ كما ذكر عنه في القرآن: «وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ»^(٣٩)، «وَأَنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ»^(٤٠)، فالنبي ﷺ والأئمة ﷺ كلهم مسلمون ومؤمنون، ولكنهم يتميزون بميزات معيّنة.

حجية الخبر الواحد في القرآن:

□ هل تعتبر هناك حجية خبر الواحد في قوله تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»^(٤١) ؟

○ لا علاقة لذلك بحجية الخبر، ولكنها تبين للناس أن عليهم أن يتعلموا وأن يتفقّوها لينذروا قومهم، بمعنى أن الهدف إنما هو التعلم والتفقّه، فقد يتعلم الإنسان ويتفقّه، ولكنه قد لا يكون تقياً أو لا يكون مؤمناً. فهذه واردة في مجال

(٣٩) الزمر: ١٢.

(٤٠) الأحقاف: ١٥.

(٤١) التوبة: ١٢٢.

الحديث عن وجوب التفقه في الدين من أجل سدّ الثغرات الموجودة في العلم أو قضايا الجهل، ونحن نعتقد أن حجية خبر الواحد الثقة هو أمر لا يحتاج إلى كل ما كتب عنه في كتب الأصول؛ لأنّه ممّا جرى عليه العقلاء من أول التاريخ إلى الآن، حيث نجد أن الناس تعمل بالخبر الواحد الموثوق، والنبي ﷺ كان يعمل بخبر الثقة أو الخبر الموثوق به باعتباره من العقلاء، وليس تشريعاً خاصاً في هذا المقام يحتاج إلى تعبد شرعي، والله العالم.

نعم الله المادية:

□ في أي موضع نزلت الآية الكريمة: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾^(٤٢) ؟
○ وردت في شأن قوم (سبأ)، حيث أنعم الله عليهم وجعل سيرهم بين القرى آمناً وبشكل طبيعي، لأنّ الأوضاع التي كانت تسود خط السير في كلّ القرى المتتابعة كانت طبيعية آمنة بعيدة عن أجواء النزاع والخلاف، ما يجعل السائر فيها يشعر بالأمن والطمأنينة والاستقرار النفسي.

يوم الله وسني البشر:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٤٣) ؟
○ لم يحدّد لنا الله سبحانه وتعالى ذلك بما يتّصل بتقدير اليوم، فإن قصة اليوم تحدد بحسب طبيعة الظروف والنظام الكوني، فالآن - مثلاً - يتحدد بشروق الشمس وغروبها، وهذا هو المألوف من حياتنا اليومية، وأما في الآخرة، فإن العالم ربما يكون مختلفاً. فهناك بعض الآيات الأخرى تتحدث عن يوم (كان مقداره خمسين ألف سنة)، فهذه أمور في يوم القيامة تتعلق بحالة ما بعد الموت، أو حالة الآخرة، وقد لا يكون الزمن مثل حال الدنيا التي يكون فيها النظام الطبيعي الكوني حسب القوانين المعينة، وقد تكون هناك قوانين أخرى في الآخرة.

(٤٢) سبأ: ١٨.

(٤٣) الحج: ٤٧.

فالقضية نسبية في هذا المجال، فمثلاً في القطب يكون النهار ٦ أشهر والليل ٦ أشهر، فيكون اليوم مساوياً للسنة في القطب، لأن الطبيعة في القطب تختلف عن الطبيعة في الأماكن الأخرى. لذلك فإن مسألة تعداد الأيام تخضع للنظام الكوني، وعالم الآخرة يختلف عن عالم الدنيا. فمثلاً عندما نقرأ عن نعيم الجنة، بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال أحد، فإن ذلك مما يقربها لنا بالصورة الحسية، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤٤).

منع الإضلال:

□ قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(٤٥)، فلماذا التعبير بهذه الصورة؟
() يعني أن لا تضلوا.

الشكر بعد الموت:

□ ما تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤٦)؟
() وردت الآية في خصوص ما طلبه قوم موسى عليه السلام من رؤية الله جهرَةً، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٤٧)، أي عياناً، مع أن الله لا تدركه الأبصار، وكان ذلك من أساليب التعتُّ والتعجيز لموسى عليه السلام ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ التي أرسلها الله عليهم في برقها ورعدها وزلزالها ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ مذهولين بالمستوى الذي صرعههم فيه، فأصبحوا بدون حراك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ ليعرفوا قدرة الله على تحريك الحياة وإرادته، وإنزال الموت بقوته، وإعادة الحياة بقدرته. ولا بد من الانتباه إلى أن هذا الطلب لم يكن للمعرفة بل للتحدي، لأن مسألة معرفة الله لا تتوقف على رؤيته عياناً.

(٤٤) السجدة: ١٧.

(٤٥) النساء: ١٧٦.

(٤٦) البقرة: ٥٦.

(٤٧) البقرة: ٥٥.

أوصاف الهمز في القرآن:

□ وُصف الهمز في سورة (الهمزة) بأوصاف كثيرة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٤٨)، بحيث لم يوصف الكافر بمثل هذه الشدة في الأوصاف، فلماذا شدد القرآن على ذلك؟

○ الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير حق، العائب له بما ليس بعيب، واللمز العيب، وهما بمعنى واحد. وقيل هناك فرق بينهما، إذ الهمزة الذي يعيب الآخرين بالغيب، واللمزة الذي يعيب غيره بحضوره، وقيل بفوارق أخرى، وعلى كل حال، فالآيات تتحدث عن الذين يطفون بأموالهم ويستكبرون على الناس، فيذلّونهم ويستكبرون على الله ويقفون أمام الرسالات، ولذلك شنع عليهم القرآن الكريم بهذا الشكل.

الاستقامة في القرآن:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٤٩) علماً بأن المخاطب ذو خُلُقٍ عظيم؟

○ إن الله سبحانه وتعالى يؤكد لنبيه المنهج، حيث إنه يريد أن يؤكد هذا المنهج للناس كافة من خلال النبي ﷺ، لأن القرآن الكريم، كما ورد في حديث أئمة أهل البيت ع، نزل على أساس (إياك أعني واسمعي يا جارة)، يعني أن الله سبحانه وتعالى يخاطب الناس من خلال نبيه، حتى يفهم الناس أن النبي إذا كان يُخاطَب هكذا، فمعنى ذلك أن هذا المنهج الذي أَرادَه الله سبحانه للناس، والذي كان نبيّه سائراً فيه، هو الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، فعلى الناس أن ينطلقوا في ضوئه، ولذلك، تحدث الله سبحانه وتعالى عن الاستقامة في نتائجها في مصير الناس، حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۖ نَحْنُ

(٤٨) الهمزة: ١.

(٤٩) الشورى: ١٥.

أُولِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ❖ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٥٠﴾ وقد لاحظنا في القرآن الكريم، أن الله سبحانه وتعالى قد يتكلم مع نبيه بعنف، وهو النفس المعصومة المنطبعة بمحبة الله سبحانه وبطاعته: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ❖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ❖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ❖ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ﴿٥١﴾ وهكذا نقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ والنبي ﷺ والأنبياء ﷺ من قبله أيضاً جاءوا بالتوحيد، لكن كما قلنا، يريد الله سبحانه أن يبين للناس أنه لو أشرك الأنبياء ﷺ لأحبط عملهم، وإن كانوا لا يشركون لأنهم دعاة توحيد، فكيف بكم أنتم؟

رفع الطور:

□ قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ ﴿٥٣﴾ هل الرفع حقيقي أم مجازي، لاسيما لجبل مثل الطور؟
○ أي حيث انتصب فوقكم حتى خيّل إليكم أنه سوف يقع فوق رؤوسكم تخويفاً وإرهاباً.

صلاة الليل في القرآن:

□ قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ ﴿٥٤﴾ هل في ذلك إشارة إلى فضل صلاة الليل؟

(٥٠) فصلت: ٣٠-٣٢.

(٥١) الحاقة: ٤٤-٤٧.

(٥٢) الزمر: ٦٥.

(٥٣) البقرة: ٦٣.

(٥٤) المزمل: ٦.

○ هكذا فُسِّرَت الآية، لأن المراد من ناشئة الليل هي القيام في الليل.

تلقي النبي ﷺ القرآن:

□ قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٥٥)، ما معنى قوله ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾؟

○ الظاهر، والله العالم، أن النبي ﷺ كان عندما يلقي عليه جبريل عليه السلام القرآن - يعني الآيات التي ينزلها عليه - كان يستعجل به في حفظه، فאלله سبحانه وتعالى أراد أن يقول له: إننا سنحفظ عليك القرآن، فلا تستعجل به، استمع إليه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٥٦).

الزكاة في القرآن:

□ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^(٥٧)، لو تكررتم بتوضيح موارد الزكاة ومصاريفها في القرآن؟

○ لم يتحدث القرآن بشيء من التفصيل عن ذلك، وتفصيله في الروايات، حيث ثبتت الزكاة في ما ورد من الغلات وفي الأنعام وفي النقدين الذهب والفضة المسكوكين، ويختلف الفقهاء في وجوبها في العملات الورقية، ونحن ممن يرى أن الأحوط وجوباً إخراج الزكاة في العملة الورقية.

المسخ في القرآن الكريم:

□ في قصة أصحاب السبت، قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٥٨)، ما هي حقيقة المسخ؟ وهل هناك روايات صحيحة تؤكد عدم بقائهم فترة طويلة؟

(٥٥) القيامة: ١٦.

(٥٦) القيامة: ١٧-١٩.

(٥٧) المؤمنون: ٤.

(٥٨) البقرة: ٦٥.

(٥٩) هناك روايات تدل على أنهم مسخوا، لكن هل بقوا؟ هل أنهم ماتوا؟ فهذا ما لم تبينه الآية. والبعض يؤول المسخ، فيرى أن المراد هو المنزلة، أي أن المسخ يعني بمنزلة القردة، وهذا أمر لم يفسره القرآن بشكل تفصيلي، وإن جاء الحديث عن المسخ بشكل مفصل في الروايات.

العبرة من التكليف الخاصة:

□ قلتُم في المحاضرة: إن الآيات التي تتضمن قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٥٩) كانت بخصوص نساء النبي ﷺ، فما العبرة من وجود مثل هذه الآيات في القرآن الكريم بعد موت زوجات النبي ﷺ؟

(٦٠) إن الله سبحانه وتعالى ذكر لنا سيرة النبي ﷺ في الخطوط العامة للسيرة، وعندما حدثنا عن سيرته ﷺ كداعية إلى الله سبحانه وتعالى، وما يتمتع به من الصفات العظيمة، لا سيما صفة الخلق العظيم، وحدثنا عن سلوكه مع أهل بيته من زوجاته ومن بناته وما إلى ذلك مما يحيط به في بيته، لكي نتعرف النبي ﷺ في نطاق إنسانيته في حياته العائلية، وفي قيمة أفراد العائلة كما في آية التطهير. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٦١)، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يوجه نساء النبي ﷺ لأن يكن في المستوى الذي يتناسب مع هذه العلاقة بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٦٢). ونستوحي من ذلك أن نساء الشخصيات الروحية أو الشخصيات القيادية لابد أن يتحملن المسؤوليات من خلال هذه الصفة: لأن انحرافهن ينعكس على موقع ومكانة أزواجهن من حيث القدوة، وما إلى ذلك، والله العالم.

(٥٩) الأحزاب: ٣٢.

(٦٠) الأحزاب: ٣٣.

(٦١) الأحزاب: ٣٢.

تفسير السلطان في القرآن:

□ ما المقصود من قوله تعالى: ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٦٢)؟
 ○ قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، وقد فسرها البعض في نطاق الجدل عند الصعود إلى القمر، فقال: يعني سلطان العلم، تدليلاً على أن القرآن أشار إلى هذا الحدث بهذه الآية.. ولكن ربما كانت الآية واردة في مقام التحدي بعدم الاستطاعة مطلقاً، وقد قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾^(٦٣)، ثم قال تعالى: ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وليس من أقطار الأرض، أي ليس لأحد الخروج عن قدرة الله وملكه، ومنهم الجن في إمكانية استراق السمع.

جمع الوحوش يوم القيامة:

□ قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(٦٤)، ماذا تعني الآية الشريفة من حشر الوحوش؟

○ إن الله يحشر الخلائق كلها، ولكن الله لا يحاسب الوحوش، وإنما يحاسب الناس، لأن الوحوش لا تملك العقل الذي تتحمل فيه المسؤولية أمام الله عز وجل في أعمالها وفي ما يصدر منها، لأنها لا تتحرك عقلاً في هذا المجال، أما ما هي الوحوش التي تحشر؟ وما هي الحكمة في ذلك؟ فهذا ما لم يبيّنه الله سبحانه وتعالى لنا، فيردّ علمها إليه تعالى.

هل يحزن المؤمنون؟

□ ورد في سورة الأنعام (الآية/٣٣) قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي

(٦٢) الرحمن: ٣٣.

(٦٣) الرحمن: ٣٥.

(٦٤) التكوين: ٥.

يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ»، وورد في نفس السورة الآية ٤٨، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الآية/٤٨). هل هناك أي تناقض بين هاتين الآيتين؟ وهل يعني ذلك أن المؤمن لا يحزن في الحياة؟

() ليس هناك تناقض بين الآيتين. أما الآية الأولى، فهي تخاطب النبي ﷺ الذي كان يعيش الهمَّ الكبير للأمة، ويبين له الله سبحانه وتعالى من خلالها، أنَّ عليه أن لا يحزن، لأن القضية ليست مسألة تكذيبهم له، وليس مسؤولاً عنهم في هدايتهم للحق، ولكن المسألة هي أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الرسالة، وهو الذي أوحى بها، وهو الذي بعثه رسولاً، فهؤلاء يجحدون بآيات الله، والله سبحانه وتعالى سوف يعاقبهم على ذلك من خلال ما أسلفوه.

وربما كانت الآية تريد أن تضع النبي ﷺ في دائرة الواقع، وأن قضية الهداية ليست بيدك في عناصرها كلها دائماً، أنت تملك الدعوة، وتملك أن تبذلهم آيات الله، ولكن هناك خلفيات أخرى لتمردهم على خط الهداية، فالقضية أنه يرجع أمرهم إليه سبحانه وتعالى. أما الآية الثانية فتقول: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كناية عن دخول الجنة، وأن الله سبحانه وتعالى يدخل الذين يؤمنون ويعملون الصالحات الجنة، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وليس المراد أنهم لا يحزنون في الدنيا.

تفسير العرش:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٦٥) وهل يمكن لنا

مخالفة مثل هذا الظهور القرآني لنصرفه إلى التأويل؟

() ليس المراد بكلمة العرش في الآية (المكان) وإنما المراد بها (السلطان) كما هو الظاهر، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٦٦)، فعندنا

مسألة (العرش) هي كناية عن السلطة، وهذا ليس تأويلاً، لأنه لم يكن هناك إلا الماء، ولذلك كانت سلطته على الماء. أما كيف ذلك؟ فهذا مما لم يبيّن لنا علمه، وهو من قبيل المجاز، والمجاز هو عندما تقوم القرينة على صرف اللفظ خلاف الظاهر، فالكلام قد يكون ظاهراً ولكن بطريقة مجازية، وقد يكون ظاهراً بطريق الحقيقة.

الافتداء دليل العصمة:

□ قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٦٧)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٦٨)، هناك من يرى في هاتين الآيتين دليلاً على عصمة الأنبياء ﷺ، فما رأيكم في ذلك؟

() يعني أن الله سبحانه وتعالى بيّن أنهم يملكون الهدى الذي يريد للنبي ﷺ أن يقتدي به، فهذا يمكن أن يدل على الأنبياء ﷺ في موقع العصمة. أما الآية الثانية، فلا علاقة لها بالعصمة. وذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن أنه أرسل الأنبياء بالبينات وأنزل عليهم الكتاب والميزان حتى ينشروا العدالة بين الناس، أما ما هي صفاتهم؟ هل هم معصومون أو لا؟ فقد بيّن الوسائل التي يتوسّلون بها إلى هداية الناس، ولكن لم يتحدث عما يختزنونه كأنباء من العصمة أو ما إلى ذلك.

خيانة امرأة نوح وامرأة لوط:

□ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾^(٦٩). ما هو المراد من الخيانة في هذه الآية؟

(٦٧) الأنعام: ٩٠.

(٦٨) الحديد: ٢٥.

(٦٩) التحريم: ١٠.

○ المراد خيانة الرسالة وليس المراد من الخيانة خيانة العرض (بكسر العين).

التمييز بين الأولاد:

□ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٧٠)، هل ميز النبي يعقوب ﷺ بين أبنائه؟ وهل معناه أنه يجوز التمييز بين الأبناء بالمحبة والعاطفة؟

○ إن النبي يعقوب ﷺ معصوم كبقية الأنبياء ﷺ، ولكنه ربما كان يعطي هذه العاطفة لولديه، لصغر سنّهما؛ لأنّ الصغير يحتاج إلى نوع من العاطفة أكثر مما يحتاجه الكبير، أو لأنّ النبي يعقوب ﷺ كان يرى في يوسف وأخيه بعض الصفات التي تميّزهما عن أخوتهما، فمن حق الإنسان أن يحبّ أحد أولاده أكثر من خلال ما يتميّز به من صفات عقلية أو علمية أو روحية، من دون أن ينعكس ذلك سلباً على علاقته بأولاده الآخرين. نعم، ربّما كان هؤلاء يعيشون الحسد. ونحن نلاحظ النبي يوسف ﷺ في تعامله مع أخوته، بعد أن اكتسب السلطة، وسيطر على اقتصاد مصر، فعندما جاؤوا إليه عاملهم معاملة طيبة، حيث قال: كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٧١)، وقد تحدّث إليهم بالحديث الودّي المحبّ، وسامحهم بالرغم ممّا فعلوه به، من كلّ هذا السلوك الذي تعسفوا فيه، حتى أدخلوه في خطر الموت عندما ألقوه في البئر.

وباختصار، فإن محبة النبي يعقوب ﷺ هي محبة ذاتية من خلال طبيعة تفضيل أولاده الصغار على أولاده الكبار، وربما كانت المسألة من ناحية ما يحتاجه الصبي الصغير من العاطفة، وربما كانت المحبة من خلال الميزة التي تميّز بها، وهذا ما عبّر عنه النبي يوسف ﷺ في الرؤيا الصادقة التي رآها في مستقبل أمره، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي

(٧٠) يوسف: ٨.

(٧١) يوسف: ٩٢.

حَقًّا^(٧٢). ويقال إن امرأة سُئِلَتْ: (أي أبنائك أحب إليك؟ قالت: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يشفى، وغائبهم حتى يعود)، لأن هذه النماذج الثلاثة من الأولاد هي التي تجتذب العاطفة أكثر، لأن المسألة ليست هي أن الإنسان يحب بعض أولاده أكثر، ولكن أن لا يغمط أولاده الآخرين من حق الأبوة

هل للخمر والقمار منافع:

□ ما تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٧٣)، فما هي منافعهما؟

○ في الفقرة الأولى من الآية. «فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ» الإثم - هنا - كما يقول ابن منظور في (لسان العرب) وغيره: المبطئ عن الخير، بحيث يمنع الخير ويمنع كل ما يفيد الإنسان وينفعه، وقوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي النشوة التي يحس بها الإنسان بالخمير، والغيبوبة عن الواقع، بحيث يُخَيَّلُ لنفسه أنه يعيش في عالم سحري أو ما إلى ذلك مما يتحدث به الذين يشربون الخمر. وعلى كل حال، فإن الآية تؤكد قاعدة فقهية: إن كل ما كان ضرره أكثر من نفعه فهو حرام، وحيث إن ضرر الخمر والميسر أكثر من نفعهما فهما حرام.

أما قوله تعالى: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ فالعفو بمعنى الفضل، وقال بعضهم إن المراد به ما يسهل إنفاقه، فلا يبلغ الجهد - وهو التوسط في الإنفاق -، وقيل المراد به ما فضل عن الأهل والعيال، أو الفضل عن الغنى، وقيل ما فضل عن قوت السنة، وقد تلتقي هذه المعاني حول معنى واحد، وهو أن لا يترك الإنفاق تأثيره على الحاجات الأساسية مما يتصل بمسؤوليات الإنسان عن نفسه وعياله على النحو المتعارف، والآية لم تحدّد نوعيّة ما يُنْفَق؛ لأنّ تعيين ذلك لا يمثل شيئاً في حساب القيمة الأخروية عند الله ما دامت القضية تركز على حلّ مشكلة

(٧٢) يوسف: ١٠٠.

(٧٣) البقرة: ٢١٩.

الفقير من جهة، وعلى تربية المؤمن على روح العطاء من جهة أخرى.

الاستدلال على الجمع بين الصلوات:

□ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٧٤)، هل في ذلك إشارة إلى جواز الجمع في الصلوات الخمس إلى ثلاثة أوقات؟

○ لا علاقة لهذه الآية بمسألة الجمع بين الصلوات، وإنما يريد أن يقول: إن على الذين لم يبلغوا الحلم، ما كان سابقاً من ملك اليمين، أن لا يدخلوا عليكم في الوقت الذي يتخفف فيه الإنسان عادةً من ملابسه ومما يستتره، مثلاً قبل صلاة الفجر، ويكون الإنسان عادةً في محلّ النوم، فيتخفّف، وكذلك بعد الظهر، إذا كان الإنسان ينام ظهراً بما هو معروف بنوم القيلولة، أو بعد صلاة العشاء عندما يستعدُّ للنوم وغيره.

الحاسبة على الحقد النفسي:

□ قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٧٥)، هل معناه أن من يكون في نفسه شيء من الحقد لا يحاسب عليه؟ وما المقصود من الآية الكريمة؟

○ في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا﴾... يعني لم نجعل في قلوبهم غلاً، يعني أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن أنه ليس في مقام العقاب والثواب، بل في مقام بيان أن الذين يدخلون الجنة هم الذين لا يحملون في صدورهم غلاً للذين آمنوا، ولا

يتصرفون من خلال هذه العقدة معهم بطريقة سلبية، ولذا فإن الله جلّ وعلا حدّثنا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٧٦)، فالمؤمن لا يحقد، والمؤمن لا يغلّ قلبه على أحد. ومع ذلك، فإنّ الإنسان يعاقب على ما يصدر منه، أما على النوايا، فغاية ما تدل عليه هو أنّه إنسان غير قريب من الله سبحانه وتعالى.

حدود تفضيل الرجال على النساء:

□ قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٧٧)، وكما يتضح، فإن الله سبحانه وتعالى مطلق، فكيف صرفتموه إلى القيمومة داخل الأسرة والعائلة حصراً؟

○ باعتبار قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يعني الجهتين، ولا توجد هناك حالة ينفق فيها الرجل بصفته رجلاً على المرأة بصفتها امرأة إلا حالة الزوجية. فمثلاً، الأب وليّ الأولاد من الذكور والإناث، والفقيه . لو قلنا بولاية الفقيه . أيضاً، فإنه وليّ على الناس كافّة، فالأب عندما ينفق يجب عليه الإنفاق على الذكور والإناث، فالحالة الوحيدة التي يجب عليه الإنفاق فيها بصفته رجلاً على المرأة وبصفتها امرأة هي حالة الزوجية.. لذا قلنا: إنّنا نختلف مع العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسيره عندما يرى أنّ هذه الآية مطلقة، ويشهد لذلك سياق الآية، كما في قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ﴾، فجوّ الآيات هو الحديث عن حالة الأسرة.

(٧٦) الحشر: ١٠.

(٧٧) النساء: ٣٤.

مسؤولية العائلة:

□ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٧٧). ما هي مسؤوليات الأب والأم من خلال هذه الآية الكريمة في وقتنا الحاضر واغراءاته الكثيرة؟

(٥) ليسوا مكلفين بأكثر مما يكلف به النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٧٨)، وهكذا في كثير من الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧٩)، ﴿فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ۖ سَيَذَكَرُ مَنْ يَخْشَى﴾^(٨٠).. عليهم أن يبذلوا جهدهم في تربيتهم على أساس الإيمان وعلى أساس خط الاستقامة في طاعة الله، فإذا لم يؤثر ذلك نتيجة الضغوط الخارجية أو نتيجة بعض العوامل النفسية، فقد أدوا ما عندهم، وقد ورد في بعض روايات أهل البيت ﷺ أو عن النبي ﷺ، وهم يتحدثون عن النساء: ((قالوا: كيف نقيهن...)) فاحتجوا باعتبار أننا كُلفنا بأنفسنا، فكيف نكلف بأهلنا؟ ((قال: تأمروهن وتنهوهن، قالوا: إنا نأمرهن وننهاهن فلا يطعننا، قال: إذا أمرتموهن ونهيتموهن فقد قضيتن ما عليكم)). ومن الواضح أن المقصود من الأمر والنهي - هنا - كل الوسائل المقنعة، وكل الوسائل المؤثرة.

الاهتمام بالنفس:

□ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٨١). كيف يتماشى

(٧٧) التحريم: ٦.

(٧٨) الغاشية: ٢١-٢٢.

(٧٩) الذاريات: ٥٥.

(٨٠) الأعلى: ١٠٩.

(٨١) المائدة: ١٠٥.

مضمون هذه الآية المباركة مع حث القرآن الكريم في غير مورد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

(لا منافاة بين هذه الآية وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول للإنسان: إنه إذا كنت أنت مهتدياً وكان قريبك ضالاً، فلا ينتقل ضلاله إليك، ولا يضرك ضلاله، إذ عليك أن تصلي وتصوم وما إلى ذلك.. وهذا هو خط الهدى والإيمان، وتوابعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا هو أشبه ما يكون بمقام قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، فهو قريب من جو هذه الآية، وليس وارداً في مقام أن على الإنسان أن يستقل بنفسه ولا ينظر إلى الآخرين.

فالآية الكريمة لا تدل على هذا لا من قريب ولا من بعيد.

العرفان في التفسير:

□ سمعتم أكثر من مرة تقولون: إن بعض المفسرين أدخلوا العرفان في تفسيرهم للقرآن الكريم، سؤالي: ما هو الضير في ذلك؟

(العرفان على نوعين: فهناك العرفان القرآني، والعرفان النبوي وعرفان أهل البيت عليهم السلام، بحسب ما هو الظاهر في مقام التفاهم. وهناك العرفان الفلسفي، الذي يستمدُّ قواعده الفلسفية من حضارات أخرى ومن أفكار أخرى، وهذا هو الذي نناقش فيه. فإنَّ بعض الناس أخضعوا الآيات القرآنية لبعض النظريات الفلسفية مما لا ظهور للقرآن الكريم فيه، ونحن لا نقول إنَّ القرآن الكريم ليس فيه عمق، ولكن القرآن نزل على أساس التفاهم، سواء ما يتصل بالعاطفة أو ما يتصل بالعقل. ونحن نقول: علينا أن نبعد القرآن الكريم عن بعض النظريات الفلسفية أو العرفانية وما إلى ذلك، لأننا عندما فتحنا الباب واسعاً، جعل كل فريق من الناس يدخل أفكاره وآراءه، فضللوا الناس باسم القرآن.

الاستعاذة بالرحمن:

□ وردت آيات في القرآن الكريم تبين الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وما شابه ذلك، ولكن السيدة مريم العذراء عليها السلام قالت: «قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً»^(٨٢). ولم تقل: 'إن كنت شقياً' أو ما شابه ذلك؟ فلماذا الاستعاذة بالرحمن؟

○ يقول بعضهم إن (تقياً) كان رجلاً شقياً وخافت منه وهذا غير ظاهر، ولكن الظاهر من قوله تعالى: «قالت إني أعوذ بالرحمن منك»، كأنها تريد أن تقول إن كنت تقياً فإني أعوذ منك بالرحمن - الذي تعرفه أنت وأعرفه حق المعرفة - بمعنى أن لا يسيطر عليك الشيطان فيوسوس لك فعل المنكر.

حكم خروج المرأة من المنزل:

□ في قوله تعالى: «وقرن في بيوتكن»^(٨٣) تمنع الآية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من الخروج من المدينة، ولكن مع ذلك نجد أن قبور بعض أزواج النبي موجودة في دمشق، فكيف نفسر ذلك؟

○ ليس المقصود بـ «وقرن في بيوتكن» أنه لا يجوز لهن أن يخرجن من بيوتهن، بل يراد من ذلك لهن أن لا يخرجن كما تخرج بعض نساء الناس في حالة تبرج ^(٨٤) ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ^(٨٥). وكان هذا توجيهاً لهن بلحاظ بعض الظروف الموجودة آنذاك. وقد ورد في السورة ذاتها: «ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين»^(٨٤). وكانت نساء النبي يخرجن معه للقتال وكن أيضاً لحاجاتهن.

وجوب الاستماع إلى القرآن:

□ هل الآية: «فاستمعوا له وأنصتوا»^(٨٥) تدل على الوجوب؟

(٨٢) مريم: ١٨.

(٨٣) الأحزاب: ٣٣.

(٨٤) الأحزاب: ٥٩.

(٨٥) الأعراف: ٢٠٤.

(٥) تدلّ على ما يقرب من الوجوب، فهي كناية عن أن على الإنسان أن يفتح عقله وقلبه للقرآن، ولكن مع الأسف، نرى أن القرآن تجمّد لدى المسلمين، فأصبح لا يمثل شيئاً بالنسبة لهم، لذلك علينا أن نستمع إلى القرآن، وأن ننصت له، وعلينا أن لا نطيل قراءة القرآن في المجالس العامة بنحو نثقل به على الناس، بحيث لا يتمكنون من الاستمرار في الإنصات.

درس فتية أهل الكهف:

□ في قضية أصحاب الكهف، ما هي العبرة أو الدرس الذي استفاداه أهل ذلك الزمان من هذه الواقعة، مع العلم أنهم خرجوا من قريتهم هرباً ولم يعرف الناس عنهم شيئاً، حتى تغير الحال وجاءهم قوم موحدون، وعندها أحياهم الله سبحانه وسرعان ما أماتهم، مع العلم أنه لا بد لكل واقعة من هدف وحكمة؟

(٦) إنهم خرجوا تحت تأثير الضغط الذي كانوا لا يملكون أمامه أية فرصة للتماسك، فعندما خرجوا وغابوا عن الناس، فمن الطبيعي أن يكون هؤلاء قد افتقدوهم وبحثوا عنهم، ولكن لم يجدوهم، وبقيت الأجيال اللاحقة تتحدث عنهم، ولذلك عندما كشف الله أمرهم، كانوا ماثلين في وعي الناس ووجدانهم، بالرغم من مرور ذلك التاريخ كله الذي يُعدُّ بالقرون.

ولهذا عندما جاء الناس إليهم، كانوا يتبركون بهم، حتى أماتهم الله، وذلك قوله تعالى: ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾^(٨٦). لذلك فموقف الفتية أصحاب الكهف يمثل الصلابة في الحق، بمعنى أنهم لم يخضعوا للطاغوت، بل تركوا أهلهم وبلادهم، لأنهم لو بقوا هناك لأضلهم المستكبرون، وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾^(٨٧)، وهذا هو المثل الذي يمكن أن نأخذه ونعتبر به.

(٨٦) الكهف: ٢١.

(٨٧) النساء: ٩٧.

القرآن المهجور:

□ قال تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٨٩)، فكيف حكم الله أن القوم هجروا القرآن، علماً أن الآية لم تكن آخر آية في القرآن؟

(٨) هجروا القرآن الذي نزل عليهم، فالقرآن يطلق على بعض القرآن وعلى القرآن كله، فالآية تعتبر أن كل ما نزل من الله من وحيه سبحانه وتعالى على النبي ﷺ هو قرآن.

جزئية البسملة:

□ إذا كانت الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ جزءاً من سورة الفاتحة، فلماذا يجب ذكرها في بداية كل سورة عدا سورة (التوبة)، هل هناك نص في ذلك؟

(٩) إن البسملة جزء من كل سورة حسب الدراسة القرآنية. أمّا مسألة حذف البسملة من سورة التوبة، فقد نقل عن بعض العلماء أنه أجاب عن ذلك على مستوى النكته والطرافة، حيث سئل أنه لماذا سورة (التوبة) من دون بسملة، فقال: سرقها النملة (سورة النملة) حيث قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٩٠). والجواب: أن البسملة هي فقرة رحمة وسورة البراءة سورة عذاب، فافرض أن أحداً ما قال لك: بسم الله الرحمن الرحيم إنني بريء منك، ولا ألتقي معك! فإنه لا يوجد تناسب بين صدر الكلام وذيله بالبسملة التي توحى بالرحمة مرتين، في (الرحمن الرحيم)، وربطها بقضية البراءة والمقاطعة وما إلى ذلك... ولذلك فإن سورة براءة هي سورة عذاب وسورة قطع للعلاقات مع

(٨٩) الفرقان: ٣٠.

(٩٠) النمل: ٢٩-٣١.

المشركين، وهي لا تتناسب مع البسملة، وهذا ما ورد في النصوص في هذا المجال.

أعمال المؤمنين:

□ قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٩١)،

فمن هم المؤمنون الذين ذكروا في هذه الآية الكريمة؟

○ ظاهر الآية . وإن كانت هي مفسرة بالأئمة عليهم السلام . أنكم أيها المؤمنون عندما تعملون أعمال الخير، فهذه الأعمال سوف يراها الله سبحانه وتعالى، ويراهها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ويراهها المؤمنون أيضاً، الذين يميزون بين عمل الخير وعمل الشر، فإن الظاهر من الآية الدعوة إلى العمل تحت رقابة الله والرسول والمؤمنين، في ما يمثله ذلك من تعميق الإحساس بالمسؤولية في حركة العمل في نفس الإنسان، من خلال وعيه للرقابة الشاملة من جميع الجوانب، وربما يكون التفسير بالأئمة عليهم السلام تفسيراً بالمصداق الأبرز والأظهر.

الرأي الآخر:

□ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ

مُخْتَلِفِينَ﴾^(٩٢)، هل يصح هذا الأصل كأساس عقائدي للدعوة لقبول الاختلاف

وقبول الرأي الآخر؟

○ ليس ذلك من خلال هذه الآية؛ لأن الإسلام اعترف بالآخر عندما قال

تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٩٣)، أو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٩٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

(٩١) التوبة: ١٠٥.

(٩٢) هود: ١١٨.

(٩٣) النحل: ١٢٥.

(٩٤) آل عمران: ٦٤.

أَحْسَنُ^(٩٥)، ومعنى ذلك أن تشعر أنك لست وحدك في هذا العالم، ولست أنت الذي تملك الحقيقة المطلقة، فأنت تملك الحقيقة من وجهة نظرك، ولعل الآخر يملك الحقيقة من وجهة نظره. وربما توحى هذه الآية بواقعية الاختلاف كقانون متحرك في عالم الإنسانيّة، ما يفرض الانفتاح على الرأي المختلف في عملية الحوار الذي قد يؤدي إلى وحدة الموقف الفكري.

نزول القرآن:

□ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٩٦)، هل تشير هذه الآية الكريمة إلى أن القرآن نزل كاملاً على النبي ﷺ في تلك الليلة، أم تشير إلى بداية النزول فقط؟

○ بعضهم يقول: إن للقرآن الكريم نزولين: نزول على قلب النبي ﷺ بكامله، وربما يستشهد بعضهم بقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٩٧)، وكان جبريل ﷺ كان يتدرّج في إنزال القرآن الكريم عليه، وكان النبي ﷺ يستعجل النطق به، لأنه كان يحفظه.

وهناك وجهة نظر أخرى، وقد صرّح بها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^(٩٨)، والحكمة من نزول القرآن بشكل تدريجي هي أن القرآن الكريم - حسب تعابيرنا هذه الأيام - هو كتاب الحركة الإسلامية، وكتاب الدعوة الإسلامية، فقد كان القرآن الكريم حسب حكمة الله سبحانه وتعالى يلاحق كل تجربة الدعوة، وكل تجربة المسلمين في حربهم وفي سلمهم، في ما يحدث في داخل المجتمع الإسلامي، من حركة النفاق، أو من خلال ما يختلف فيه المسلمون، أو من

(٩٥) العنكبوت: ٤٦.

(٩٦) القدر: ١.

(٩٧) القيامة: ١٦.

(٩٨) الفرقان: ٣٢.

خلال ما يسألون عنه، لذلك كان القرآن الكريم ينزل تدريجياً من خلال ذلك، ليثبت به فؤاد النبي ﷺ.

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٩٩). فعلى سبيل المثال، نجد أنّ الله سبحانه وتعالى عندما تحدّث عن معركة (بدر)، نقد المسلمين قبل المعركة، ومدحهم بعدها. بينما نقد حركتهم في معركة (أحُد) عندما أدّت بعض تصرفاتهم إلى الهزيمة. فكانت المسألة هي أن المسلمين عندما كانوا يعيشون المشكلة، كان القرآن الكريم ينزل ليعالج هذه المشكلة، ولينقد الواقع الذي يعيشونه. وهكذا نلاحظ أن النبي ﷺ كان عندما يعيش بعض المشاكل التي تخلق إرباكاً في حياة المسلمين ويأتون إليه ﷺ ويطلبون منه الحل، فيقول: أنتظر أمر ربي، ولعلّ أشدّ الأمور التي واجهها النبي ﷺ، هو ما أثير في حياته من التهمة الشنيعة التي وُجّهت إلى بعض زوجاته، وهي قضية (الإفك)، حيث ظل النبي ﷺ ثلاثة أيام والمسلمون ينتظرون ردّ النبي ﷺ وهو يقول: أنتظر أمر ربي، حتى إذا نزلت آيات الإفك جاء إلى زوجته، حسب الرواية، وقال: إن الله تعالى أنزل فيك قرآناً في تبرئتك. وهذا يدلّنا على أن النبي ﷺ نزل عليه القرآن تدريجياً، ثم إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، لا يمكن أن يكون المراد منه (أنزلناه) كاملاً، لأنّ هذه الآية نفسها هي من القرآن الكريم، فكيف يصحّ هذا المعنى؟ لذلك الأقرب هو ما ذكرناه في تفسيرنا (من وحي القرآن)، من أن (أنزلناه) يعني ابتدأنا إنزاله، أي كانت بداية إنزال القرآن الكريم.

قد يقول قائل: إنّ هذا يعني أنّ نزول القرآن بدأ في ليلة القدر، وهي في شهر رمضان، في الوقت الذي اشتهر فيه أنه أنزل في يوم المبعث، وهو السابع والعشرون من شهر رجب، وأنّ أول ما أنزل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾.. ولكننا ناقشنا هذه الرواية منذ أكثر من ٤٢ سنة في مجلة (الأضواء)، وقد سجّلناه في تفسيرنا (من وحي القرآن)؛ لأنّ الرواية التي جاءت بقضية نزول سورة (اقرأ) رواية غير

صحيحة، حتى إن صاحب (مجمع البيان) انتقدها، لأنها لا تتناسب مع طبيعة تجربة الوحي، ولا تتناسب مع عقلانية النبي ﷺ، حيث تنقل أنه يأتي مرعوباً فزعاً إلى خديجة (رض)، وكأنها تعرف مسائل الأنبياء أكثر منه، ثم تأتي به إلى (ورقة بن نوفل) حتى يطمئن النبي ﷺ، فكيف يرسل الله تعالى - كما يقول صاحب (مجمع البيان) - نبياً دون أن يعي طبيعة الرسالة؟ لذلك نحن نرجح - والله العالم - أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ بداية نزوله.

كيفية تكليم الله موسى ﷺ:

□ ما هو تفسير الآية في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١٠٠)؟
○ التفسير واضح جداً، فكلمة (تكليماً) مفعول مطلق أتى به في الآية لأجل التأكيد، وهو يعني أن الله سبحانه وتعالى كلمه تكليماً، أي أن هذا الكلام حقيقي وواقع، ولكن الله تعالى كلمه لا كما نكلّم نحن بعضنا بعضاً؛ لأنه في عقيدتنا أن الله سبحانه وتعالى ليس جسداً، بل إنه تعالى خلق الكلام، والله العالم.

منزلة هارون ﷺ:

□ نرجو توضيح هل كان هارون نبياً ووزيراً لموسى ﷺ أم كان رسولاً؟ يعني هل كان نبياً ورسولاً؟

○ كان هارون ﷺ نبياً ووزيراً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي. اشدّد به أزرِي. وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي^(١٠١)، وقال تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾^(١٠٢)، فالله سبحانه وتعالى جعله نبياً وشريكاً له، ولكن هارون ﷺ لم يكن حسب القرآن الكريم صاحب رسالة، وإنما كان وزيراً للنبي موسى ﷺ وشريكاً له ومقوياً لموقفه.

(١٠٠) النساء: ١٦٤.

(١٠١) طه: ٣٢، ٢٩.

(١٠٢) مريم: ٥٣.

كتاب يحيى ؑ:

□ قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^(١٠٣)، فهل كان للنبي يحيى ؑ كتاب؟
 () لم يُنقل أن للنبي يحيى ؑ كتاب، ولكنه ربما كان يتحدث عن التوراة، التي هي كتاب الله سبحانه وتعالى، والذي كان الأنبياء من بعد النبي موسى ؑ يعلمونه للناس، لأنّ الناس كانوا مكلفين بالتوراة في تلك المرحلة، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾^(١٠٤).

تعدي المعجزة:

□ يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً الحواريين بعد طلبهم لنزول المائدة: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١٠٥)، فهل يكون المنكر لهذه المائدة أشدّ عذاباً من يزيد بن معاوية مثلاً؟ أم أن هناك بعداً خاصاً في هذه الآية؟

() إن الله سبحانه وتعالى إذا أقام الحجة على الناس بشكل مباشر، وكفروا بما أقامه الله جلّ وعلا عليهم من حجة في هذا المجال، فإن الله يُنزل عليهم العذاب، وخصوصاً الذي يطلب من الله سبحانه وتعالى شيئاً مباشراً مثل مائدة من السماء، قالوا، كما جاء في القرآن تعالى: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١٠٦)، فإنّ الإنكار سيكون كفراً بعد ذلك، وتمرداً على الله فوق العادة، فالله سبحانه وتعالى يعذبه

(١٠٣) مريم: ١٢.

(١٠٤) المائدة: ٤٤.

(١٠٥) المائدة: ١١٥.

(١٠٦) المائدة: ١١٤.

يعذبه بما لا يعذبه أحد من العالمين. أما أن نتدخل في مقاييس الجزاء عن الله سبحانه لعباده، وأنه يعذب هذا أكثر من ذاك، فإنه ليس من شغلنا، ولا من تكليفنا، بل هو أمر بيد الله سبحانه وتعالى.

ومشكلتنا - أيها الأحبة - أننا لا نفكر بالتكاليف التي كلفنا الله سبحانه وتعالى بها أو نسأل عنها، وإنما نشغل أنفسنا في المسائل التي ليست بيدنا، بل هي بيد الله سبحانه وتعالى، فالجنة والنار ورحمة الله سبحانه وعذاب الله سبحانه، كلها ليست بيدنا، فلنتركها لله عز وجل، وعندما نصل نعرف القضية في ذلك الوقت، فلنشغل أنفسنا بما كُلفنا به، وبما يتصل بمصيرنا، ولكننا نهرب من مسؤولياتنا إلى مسؤوليات ليس لنا فيها شيء، فننسى مسؤولياتنا ولا نملك أيضاً معرفة بتلك الأمور، لأنها قد تكون في بعضها غيباً من غيب الله سبحانه وتعالى.

تبليغ الأمم والشعوب:

□ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١٠٧)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١٠٨)، والسؤال: إن بعض المشككين بالرسالات السماوية يقولون لو أن الأنبياء من عند الله مرسلون، فلماذا لا نجد في الهند أو الصين أو الكثير من البلدان ما يدل على آثار الرسول أو الأنبياء؟

○ أولاً: إن كلمة (الرسول) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ كناية عن الحجة التي يقيمها الله سبحانه وتعالى على الناس، والحجة قد تكون هي العقل، وقد تكون هي الرسول (النبي). وقد ورد عندنا: ((إن الرسول عقل من خارج، والعقل رسول من داخل، وإن الحجة بين الله وبين عباده هي العقل)).

ثانياً: أما قضية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فالمقصود أن الله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء ومندرين يندرون الناس بالنتائج السلبية

والإيجابية لأعمالهم، ولكنه لم يتحدث لنا عن أسمائهم، وقد قال عز وجل في القرآن الكريم: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾^(١٠٩). وقد يكون هؤلاء المنذرون من بعض الناس الذين تتقل عنهم الحكمة، وينقل عنهم الفكر الرسالي والتوحيد وما إلى ذلك.. فهؤلاء المشككون لا يستطيعون أن ينفوا وجود الرسل خارج نطاق ما تحدث عنه القرآن الكريم؛ لأنهم لا يملكون حجة على النفي، ولا سيما أن القرآن الكريم تحدث عن رسل آخرين غير هؤلاء الرسل.

نسبة النسيان إلى الشيطان:

□ قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾^(١١٠)، لماذا عبر عن حالة النسيان هذه بأنها من الشيطان؟

○ كلمة (الشيطان) في القرآن الكريم لا تأتي دائماً بمعنى الشيطان، هذا المخلوق الحي الذي يتمثل فيه إبليس، بل الشيطان هو كل قوة خفية سلبية، ولذا عبر مثلاً على لسان النبي أيوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ نُنَصِبُ وَعَذَابُ﴾^(١١١)، وليس معناه أن الشيطان جاء وأوقع فيه المرض، إن هذا الشيء الخفي الذي قد يكون (ميكروباً) أو (جرثوماً)، وقد يكون حالة الغفلة التي يعيشها الإنسان وما إلى ذلك، لأن (إبليس) إنما سُمي شيطاناً، لأنه يمثل قوة خفية سلبية بالنسبة إلى الإنسان.

حدود الإيمان بالله:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

(١٠٩) النساء: ١٦٤.

(١١٠) الكهف: ٦٣.

(١١١) ص: ٤١.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١١٢)، وقال تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»^(١١٣)، «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ»^(١١٤)، ما هو تفسير هذا التناقض؟

○ ليس هناك تناقض، وإنما ذكرهم بأسمائهم، لأنهم أعلام على فريق من فرق الديانات، لأن المسلمين كانوا يسمون (الذين آمنوا) مثلاً، وهناك اليهود والنصارى والصابئة، إلى أن قال تعالى: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» من آمن منهم، أي إن هؤلاء إذا آمنوا بالله وآمنوا باليوم الآخر وعملوا الصالحات فإن لهم الأجر عند ربهم، فأما الذي لا يؤمن بالله، ويكفر بالله سبحانه وتعالى، فإنه لا يدخل في هذه الآية، فليس مجرد اليهودي له أجره كيهودي، بل له أجره إذا آمن بالله وعمل صالحاً، والنصراني إذا آمن بالله وعمل صالحاً، والصابئي كذلك، وطبعاً كله بشروط الإيمان وامتداد الإيمان، ومنه الإيمان بالرسالات كلها، وما إلى ذلك من فروع الإيمان وأصوله.

أسلوب القرآن في طرح العقيدة:

□ يقدم القرآن المجيد العقيدة من خلال الظواهر الحياتية المعاشة، كالزعر والانجاب، إلا أننا نجد في الكتب العقيدية المتداولة في الأوساط العلمية، ومنها الحوزة، أنها تنحو منحى تجريبياً، فماذا تقولون في ذلك؟

() أعتقد أن علينا أن نأخذ عقيدتنا من القرآن، وأن ننهج القرآن والأسلوب القرآني في التعريف بعقائدنا، لأن هذا هو الذي يفتح بالعقيدة على الفطرة. أما الفلسفة، فنحتاجها لردّ الشبهات وليس لبناء الإيمان، فالإيمان لا يأتي عن طريق الفلسفة.

(١١٢) البقرة: ٦٢.

(١١٣) المائدة: ٧٢.

(١١٤) المائدة: ٧٣.

تطهير من الرجس:

- هل معنى الرجس في آية التطهير النجاسة المعنوية أم المادية؟
 ○ المراد النجاسة المعنوية، لأن النجاسة المادية هي أمر جسدي يعرض لكل إنسان.

إياك نستعين:

- قال تعالى في فاتحة الكتاب: «إياك نعبد وإياك نستعين»^(١١٤)، ولم يقل (بك نستعين)، فما هو الفرق؟
 ○ لأن كلمة «إياك نستعين» تعني أننا نستعين بك ولا نستعين بغيرك، ففيها حصر، وتقديم إياك على نستعين تدلّ على الحصر الذي يعني أننا نستعين بك - يا رب - ولا نستعين بغيرك. وهكذا الأمر في «إياك نعبد»^(١١٥)، أي نعبدك - يا رب - ولا نعبد غيرك. أما لو قال نستعين بك، فالدلالة تكون على معنى الاستعانة بالله ولا تنفي الاستعانة بغيره، إذ لا دلالة في (بك نستعين) على ذلك.

إطاعة السماء والأرض:

- يقول تعالى: «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»^(١١٦). فما معنى الإتيان طوعاً؟
 ○ هذا وارد مورد الكناية، وليس معناها أن للسماء أو الأرض عقلاً ووعياً حتى يخاطبهما الله بهما، فكأنه أراد أن يبيّن أن السماء والأرض مزودتان بنظم وبقوانين تتحركان على ضوئها تماماً كما لو كان لهما عقل فتطيعان الله في ذلك، فهي إطاعة تكوينية وليست إطاعة اختيارية، وهي واردة على نحو الكناية أو التصوير، كما في قوله تعالى: «إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض

(١١٤) الفاتحة: ٥.

(١١٥) الفاتحة: ٥.

(١١٦) فصلت: ١١.

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان»^(١١٧). فليس معنى ذلك أنه تحدّث مع الجبال والسموات والأرض، إنما أراد أن يبين أنه فيما لو عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال لتتحمل مسؤولية أنفسها وتحاسب أمام الله لأبت، أما الإنسان فقال إني لها ولم يكن لها «إنه كان ظلوماً جهولاً».

التكرار في القارعة:

□ ما معنى «القارعة» ❖ ما القارعة ❖ وما أدراك ما القارعة»^(١١٨) ؟
○ هذا التكرار - والله العالم - لتهويل الأمر، ويعني أتعرفون القارعة وهولها وعظمتها؟ إنكم لا تدركون ذلك مهما فكرتم، وهذا التعظيم ليوم القيامة من أجل أن يخشع الإنسان أمام عظمة يوم القيامة فيستعد له.

معنى (الفتنة):

□ علّق أحد المفسرين للقرآن الكريم على الآية: «والفتنة أشد من القتل»^(١١٩). بأن المراد بالفتنة هو فتنة الناس عن دينهم وإبعادهم عنه، بينما يقول أحد الخطباء إن المراد بالفتنة هو ما يقع بين جماعتين من الناس من المشاكل والحالات التي قد تؤدي إلى إراقة الدماء، فمن هو المصيب في تفسيره للفتنة؟

○ الظاهر من السياق القرآني أن المراد من الفتنة فتنة الناس عن دينهم، لأن هذا ما كانت قریش تفعله عندما تضغط على المسلمين بكل الوسائل من أجل أن يتركوا الالتزام بالإسلام. ولعل الشاهد على ذلك قوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»^(١٢٠)، أي قاتلوهم حتى تضعفهم وتكسروا شوكتهم، حتى لا يتمكنوا من فتنة الناس عن دينهم، ولينطلق الإسلام في حريته

(١١٧) الأحزاب: ٧٢.

(١١٨) القارعة: ١-٣.

(١١٩) البقرة: ١٩١.

(١٢٠) الأنفال: ٣٩.

ولكننا نقول إن الفتنة عن الدين هي مفتاح كل الفتن، لأنك عندما تبعد الإنسان عن القيم الدينية التي تمثل حركته في الجوانب الروحية والأخلاقية، فإنك بذلك تفتح آفاقه على معاني الفتنة في الواقع كله، لأن الإنسان الذي لا يخاف الله، والذي لا يعيش مسؤوليته كمؤمن وكإنسان، سوف يتحرك في عقده من أجل أن يفتن الناس عن دينهم وعن سياستهم وعن قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية وعن علاقاتهم.

أجر الحسنة:

□ ورد في القرآن الكريم في باب الأجر أن الحسنة بعشر أمثالها، وفي بعضها بأكثر من ذلك، والسؤال: ما هو مقدار الاستحقاق من ذلك ومقدار التفضل؟ فهناك رأي يقول إن الأمر كله تفضل من الله تعالى، وهناك رأي يقول إن ما زاد من الأجر عن الواحد فهو تفضل والواحد استحقاق، فما هو رأيكم؟

○ لا يستحق الإنسان على ربه شيئاً أبداً، لأن الإنسان في كل ما يفعله لربه متقرباً إليه سبحانه لم يقدم شيئاً من ذاته. فالعامل مثلاً يستحق أجراً معيناً على صاحب العمل، لماذا؟ لأنه قدم جهده الذي يملكه، ولكن هل نملك جهدنا إزاء الله؟ كلا، فنحن نسبح الله باللسان الذي خلقه سبحانه وتعالى، ونصلي بالجسم الذي خلقه، ونجاهد بالقوة التي آتانا، ونعطي الصدقة من المال الذي آتانا... وهكذا في سائر الأشياء، والله تعالى يقول: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(١٢١).

ولذلك فإن للإمام علي عليه السلام كلمة في هذا الصدد يقول فيها: ((أقل ما يلزمكم لله ألا تستعينوا بنعمه على معاصيه)). فإذا أردت أن تعصي الله فافعل، ولكن بشرط أن تعصيه بشيء لم ينعمه عليك، فهل يمكنك ذلك؟! والخلاصة هي أننا لا نستحق على الله شيئاً، فإذا كان أجر الحسنة واحداً مقابل واحد، فهو تفضل من الله، أو عشرة بواحد فهو تفضل، من الله، ومن يقرض الله قرضاً حسناً

فيضاعفه له: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾^(١٢٢). كل ذلك تفضل سواء الواحد أو العشرة أو السبعمئة أو ما زاد أو قل.

العلوم في القرآن:

□ القرآن الكريم كتابٌ جامعٌ لكل العلوم، وكل اكتشاف يخرج به علماء الغرب ندعي بأن القرآن أشار إليه، فلماذا لم يكتشف علماء المسلمين شيئاً من ذلك في عصرنا الحديث، مع أن الكتاب كتابهم وبين أيديهم؟

○ من قال إن العلوم هي من القرآن، فالقرآن فيه تبيان لكل شيء، مما يحتاجه الإنسان ومما يريد الله له أن يفعله وفي ما يريد له أن يتركه أو أن يعتقه أو أن يمنهجه. نعم، هناك بعض الإشارات الدالة على ذلك، لاسيما في الآيات التي تتحدث عن مظاهر خلقه وعظمته وبعض الأسرار الموجودة في الكون، وإلا فالله سبحانه وتعالى أراد منا أن نكتشف الأسرار والعلوم بأنفسنا: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(١٢٣). فهو سبحانه يدعونا إلى النظر والبحث والتأمل والدراسة والاستكشاف لنرى ماذا في السموات وماذا في الأرض، وقد أعطانا المنهج التأملي، فقال سبحانه: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(١٢٤)، ودعانا إلى أن ننطلق من خلال التجربة.

أما من يفسر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(١٢٥) بأن هذه الآية تدل على علم الذرة، فهو تحميل للآية بما لا تتحمّله. فالمقصود بالذرة هنا المقدار القليل جداً وليس علم الذرة، وإذا كان الأمر كما يقولون، فلماذا لم يكتشفوها. نعم، القرآن يؤكد بعض المسائل العلمية، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ

(١٢٢) البقرة: ٢٦١.

(١٢٣) آل عمران: ١٩١.

(١٢٤) الحشر: ٢.

(١٢٥) الزلزلة: ٧.

الإنسان أن لن نجمع عظامه ❖ بلى قادرين على أن نسوي بنانه^(١٢٦). والبنان هو بصمات الأصابع التي تتباين بين أفراد البشر، فنحن نقول إن هناك إشارات، ولكن أن يقال إن في القرآن العلوم كلها، فهذا غير صحيح، ولا يعني ذلك نقصاً في القرآن الكريم أبداً.

العصمة من الناس:

□ قال الله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾^(١٢٧). فما المراد بالناس هنا؛ هل هم الصحابة، فالآية الكريمة تشير إلى أن النبي ﷺ كان يخاف الناس لأمر ما، فمم كان خوف النبي ﷺ ؟

() كان الله يريد أن يبين واقع هذه المسألة لأنها من أصعب المسائل التي طرحت يومذاك، فالنبي ﷺ كان يتحدث مع المسلمين في تعيين صهره وابن عمه لولاية الأمر، ومن الطبيعي أن يتكلم الناس عن أن النبي ﷺ اعتمد على قرابته وابن عمه في هذا المجال، وربما يعتبرون القضية قضية شخصية. أوليس الناس يتكلمون الآن ضد مرجع ما إذا ما اعتمد على ابنه أو صهره حتى لو كانا كفوءين؟ فالله أراد أن يبين للنبي ﷺ أنك عندما تعين علياً، فعلي ﷺ من الناس في مستوى الكفاءة التي لا يمتلكها أحد، لذلك فسوف لن يتكلم الناس عنك في ذلك، لما يعرفونه من أنك لا تنطق عن الهوى، ولما يعرفونه من أن علياً ﷺ يتميز عن غيره، وكما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل أنه إمام الكل)).

الذين عند ربك:

□ قال تعالى: ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾^(١٢٨). فمن هم هؤلاء الذين عند ربك؛ هل هم الملائكة؟

(١٢٦) القيامة: ٤٣.

(١٢٧) المائدة: ٦٧.

(١٢٨) الأعراف: ٢٠٦.

(الظاهر أن المقصود في الآية الكريمة هم الملائكة؛ والله العالم.

الشفاعة في القرآن الكريم:

□ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(١٣٠)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١٣١)، ما هي حقيقة مفهوم الشفاعة حسب رؤيتكم؟

○ أما الآية الأولى، فإنها تتحدث عن هؤلاء الناس الذين كانوا يقصدسون أشخاصاً في الحياة ممن لا خلاق لهم، ولا علاقة لهم بالله سبحانه وتعالى، ويعتبرونهم شركاء لله سبحانه وتعالى في خلقه، بحيث ينتسبون إليهم ويرون أنهم هم الذين يشاركون في حياتهم ورزقهم.. وهذا ما درج عليه عباد الأوثان الذين كانوا يقولون، كما قال القرآن على لسانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١٣٢)، لأنهم يرون أن هذه الأوثان تشفع لهم عند الله عزّ وعلا، ولعلّ هذا موجود عند كل الذين يتحركون في خط العبادة الوثنية، سواء كانوا يعبدون النار أو كانوا ينطلقون في الغلو في بعض الأشخاص، فالله سبحانه وتعالى يقول إن هؤلاء الذين اعتبروهم شفعاء فيهم، فإنهم عندما جاءوا إلى ساحة القيامة لم يروهم، لأنه لا قيمة لهم، وليس لهم أي موقع أو موقف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، يعني عندما كانوا في الدنيا، كانت تربطهم بهم علاقات، ولكن تقطعت العلاقات في الآخرة، لأن كل واحد يعيش فرديته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ

(١٣٠) الأنعام: ٩٤.

(١٣١) البقرة: ٢٥٤.

(١٣٢) الزمر: ٣.

عَنْ نَفْسِهَا»^(١٣٣).

أما الآية الثانية، فإنها تتحدّث عن أن هذا اليوم . يوم القيامة . ليس كأيام الدنيا التي تعيشون فيها مسألة الشفاعة لبعض الناس، بعضٌ يشفع للبعض الآخر، إشارة إلى ما كان في الدنيا من شفاعة بعض الناس الذين يملكون الوجهة، ويملكون بعض المواقع المتقدّمة، لأنّ الناس ربما يشفعون لشخص إذا اخطأ، أو خالف القانون، أو ما أشبه ذلك، بلحاظ العلاقات الخاصّة. أما يوم القيامة، فإن كل واحد من الناس يعيش فرديته. فالآية تتحدّث عن عالم القيامة، وأنه ليس كعالم الدنيا، فيما كنتم تتعاملون فيه في الدنيا، بحيث إنه ليس فيه بيع، وليس فيه أصدقاء، ولا شفعاء، مما كنتم تعرفونهم في الدنيا. ولكن هاتين الآيتين لا تنفيان الشفاعة التي يأذن بها الله سبحانه وتعالى، وهي للمذنبين فقط، وهذه الشفاعة منحها الله عز وجل لأنبيائه ﷺ وأوليائه ﷺ. وقد ورد ((إن المؤمن يشفع في مثل ربيعة ومضر))، والمقصود بالشفاعة . هنا . في هذا المجال، هو أن الله سبحانه وتعالى وضع برنامجاً للشفعاء، وهي في يوم القيامة ليست كما هي عليه في الدنيا، بحيث يشفع الإنسان لشخص من خلال صداقة أو من خلال قرابة، أو من خلال طمع، أو ما أشبه ذلك.. فالشفاعة، هناك حسب المنهج الإلهي، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^(١٣٥)، فالشفاعة، هي كرامة يكرم بها الله تعالى بعض أنبيائه ﷺ أو أوليائه ﷺ أو كل أنبيائه وأوليائه المقربين إليه، وحتى أنه يكرم بها المؤمنين.

(١٣٣) النحل: ١١١.

(١٣٤) الأنبياء: ٢٨.

(١٣٥) سبأ: ٢٣.

حب الأولاد والفتنة:

□ قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١٣٦). قلتم إن من حق الإنسان أن يحب أحد أولاده أكثر من خلال ما يتميز به ولده من صفات عقلية أو علمية أو روحية، ألا يعتبر عمل الوالد بتمييزه ولداً من أولاده عن الآخرين وقوعاً في الفتنة التي أشار إليها النص القرآني؟ وما رأيكم في الحديث النبوي الشريف: ((لعن الله والداً حمل ابنه على العقوق))؟

○ هذا الحديث لا علاقة له بموضوع الآية الشريفة، والفتنة بمعنى أنه يفتن بها، فقلوه تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، يعني أنها بلاء تختبرون به، فهل تحسنون التصرف مع أولادكم؟ وهل تربونهم تربية تتقدهم من النار؟ حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١٣٧)، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(١٣٨)، أم أنكم لا تحسنون ذلك؟ يعني هل تتحملون المسؤولية في ما يحملكم الله تعالى إياه من مسؤولية أولادكم؟ والفتنة هنا بهذا المعنى.

أما الإنسان الذي يقدر ولده، لدينه ولعلمه، ولروحيته، ولجهاده، فهذا أمر يحبه الله، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى يقدر ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٣٩)، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١٤٠)، ثم إن ذلك يشجع الولد الثاني على أن يكون مثل أخيه، أو أنه يمنع الولد الثاني عن السلوك السيئ.

(١٣٦) الأنفال: ٢٨.

(١٣٧) التحريم: ٦.

(١٣٨) طه: ١٣٢.

(١٣٩) الزمر: ٩.

(١٤٠) الحجرات: ١٣.

أما الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ، فالمقصود به الشخص الذي يتعسف مع ولده، ويجعل ولده يبغضه نتيجة سلوكه السيئ معه، حيث الكثير من الآباء يعقدون أولادهم ضدهم من خلال التربية أو المعاملة السيئة.

جعل الحواجز أمام الكافرين:

□ ما تفسيركم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾^(١٤١)؟

() هذا الكلام عن الناس الذين يغلقون عقولهم وأسماعهم عن آيات الله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، والأكِنَّة هي الأغطية التي تحجب القلب عن وضوح الرؤية، وتحجب السمع أيضاً، فقال تعالى: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، والوقر هو الصوت الذي يمنع الإنسان من وضوح السماع. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى وضع قوانين للإنسان، فإذا أراد أن يغلق قلبه، فإنه يغلق، وإذا منع سمعه من الانفتاح على ما يسمع، فإن من الطبيعي أن يكون سمعه بعد ذلك معطلاً في هذا المجال. فالله سبحانه وتعالى ينسب الأشياء إلى نفسه، مع كونها صادرةً من الإنسان، باعتبار أن الله تعالى وضع القوانين، لكنه وضع الرابط بين هذا القانون وذاك، والرابط بينهما هو عمل الإنسان في هذا المقام.

الرسول والنبي:

□ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١٤٢)، لماذا قال تعالى (أيها الرسول) ولم يقل (يا أيها النبي)، هل هناك فرق؟

(١٤١) الكهف: ٥٧.

(١٤٢) المائدة: ٦٧.

○ هو رسول ونبي، باعتبار أن الرسالة فيها الجانب الفعلي، أما النبوة فهي لا تمثل بحسب طبيعتها اللغوية فعلية الرسالة، لكن كلمة الرسالة تمثل فعلية النبوة، باعتبار أنه هو الذي يبلغ، ولذا عندما تقول: (يا أيها النبي بلِّغ)، فإنها لا تعطي هذا المعنى، على خلاف (يا أيها الرسول بلِّغ)، لأن على الرسول أن يبلغ هذه الرسالة من الله سبحانه وتعالى، والرسول من شأنه أن يبلغ الرسالة، ولذا فإن كلمة (الرسول) هي الأقرب في المعنى من كلمة (النبي) من حيث مناسبة الكلمة للسياق، والله العالم.

الولاية على الأيتام

□ ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾^(١٤٣)؟

○ الحديث عن حرمة أكل مال اليتيم، والوعيد للمعتدين على أموالهم، وهي تخاطب ضميرهم، حيث إنهم عندما يموتون، فإنهم ربما يتركون خلفهم ذرية ضعافاً، فهل يقبلون أن يتعدى الغير عليهم ويأكل أموالهم؟ ولذلك لابد لهم أن يكونوا أمناء في ولايتهم على الأيتام الذين وكلوا برعايتهم وترتيب شؤونهم.

التخلف عن الجهاد

□ ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾^(١٤٤)؟

○ هذه الآية واردة في سياق الحديث عن موقف المنافقين، حيث يأتي المنافقون من أجل يستأذنوا النبي ﷺ على القعود عن الجهاد، ومعناها أن المؤمنين لا يستأذنونك في الجهاد، لأنهم يعرفون أن الجهاد فريضة، وأنت عندما تدعو إلى الجهاد، فإنهم يبادرون بأنفسهم بشكل طبيعي، والله العالم.

نزول سورة (الفاتحة):

□ هل إن سورة (الفاتحة) أنزلت مرتين، وإذا كانت كذلك، فهل يقتضي ذكرها مرتين في المصحف الشريف؟

○ لم تنزل سورة (الفاتحة) مرتين، بل مرة واحدة، وكل ما في القرآن الكريم من آيات أو سور نزل مرة واحدة، ولا توجد هناك ضرورة لذلك بعد أن نزلت وتليت وبلغها رسول الله ﷺ، وهذا الذي يذكره السؤال غير ثابت.

الحروف المقطعة:

□ هل للحروف المتفرقة في أوائل بعض السور معنى فيما إذا جمعت، وإن لم يكن لها معنى، فما هي الحكمة منها؟

○ اختلف المفسرون في تفسير هذه الحروف، كما في قوله تعالى: ﴿الْم﴾، وقوله تعالى: ﴿المر﴾، وما إلى ذلك.. بين من يقول إنها أسماء للسور، وبين من يقول إنها رموز، وإنها من الأسرار، ولعل أقرب تفسير هو ما ذكر في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو: أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يتحدّى الناس بهذا القرآن الكريم، بمعنى أن هذا القرآن الذي أعجزكم مؤلف من ألف، ولام، وراء، وميم، وكاف، وهاء، وهكذا.. فاصنعوا مثله، وإذا كنا نريد أن نقرب المسألة بمثال فنقول: لو أن أحداً ما أتى إلى بناية على أحدث الطرق الهندسية، وأخذ يقول: كل الناس تستطيع أن تبني مثلاً، وليس للمهندس الفضل، ومع أن الناس معجبة بها وبالمهندس الذي خططها، فتقول له: أنت تقول هذا، حسناً خذ مواد البناء وتفضل واصنع مثلاً في مقام التحدي، ولعل هذا أكثر التفاسير قرباً، والله العالم.

نفخ الروح:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(١٤٥)، ما معنى النفخ في

الروح؟

○ المقصود بالنفخ إيجاد الحياة، وهو هنا كلام مستعار، لأن الله سبحانه وتعالى ليس جسداً ليصدر منه النفخ، فإنه إشارة إلى عملية الخلق بطريقة الإعجاز، والنفخ يكون في الشيء، بحيث ينطلق النفخ من فمه فيدخل الهواء - مثلاً - في قلب ذلك الشيء، فاستُعير هذا في مقام الحديث عن مريم ؑ حيث ولادتها عيسى ؑ خلال هذا الفعل المعجز، وكأن شيئاً دخل إلى جسدها من روح الله سبحانه وتعالى، والمراد بها القدرة الإلهية، لأن روح الله لا تتجزأ، فقد يعبر عن القدرة بالروح في قضية آدم ؑ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١٤٦)، يعني من قدرتي.

صيانة القرآن الكريم:

□ ما هو رأيكم في القول بتحريف القرآن الكريم بزيادة أو بنقصان؟

○ القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولقد أجمع علماؤنا على أن القرآن لم يحرف وليس فيه زيادة ولا نقصان، وقد أكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١٤٧).

عداوة الأقربين:

□ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١٤٨) كيف يمكن أن يكون الأولاد أعداء؟ وكيف يتم الحذر منهم؟ ومتى يتم العفو والصفح؟

(١٤٥) التحريم: ١٢.

(١٤٦) الحجر: ٢٩.

(١٤٧) الحجر: ٩.

(١٤٨) التغابن: ١٤.

(٢) قد تعني الآية أنَّ على الإنسان أن لا يستسلم لأولاده فيطيعهم في كل شيء، أو يستسلم لزوجته . وكلمة الزوج تطلق على الزوج والزوجة . بمعنى أن لا يسير معه في الخط الذي يعرضه لغضب الله سبحانه وتعالى، فعلى الإنسان أن يكون حذراً وأن تكون عيناه مفتوحتين لما يريد منه ولده أو زوجه، فلعلهما يخططان أن يبتعدا به عن الحق، وعن العدل والخير، وعن الله سبحانه وتعالى، لأنه إذا ما انساق لهما فيصبح تحركه معهما تحرك العدو مع الآخر .
أما العفو والصلح في المعالجة، فيعني: حاولوا أن تعالجوا الأمور بطريقة العفو وعدم مواجهة المسألة بالعنف وبالشدة، وربما نستوحي من ذلك مواجهة الأمر بالرفق واللين، بما يمكن أن يوجّه هؤلاء إلى الخير، والله العالم .

خلق الشر:

□ ما تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(١٤٩)، وهل تدل على أن الله

سبحانه خلق الشر؟

(٢) كلاً، فالشرّ قد يطلق على الأشياء المؤذية، والشر ليس معناه شيئاً شاخصاً موجوداً . أما المقصود الذي خلقه الله تعالى، فباعتبار أن الله سبحانه وتعالى خلق هذه الموجودات وخلق هذه الظواهر الكونية، بسلبيات وإيجابيات، فيها أضرار وفيها منافع للإنسان، كالحوانات، مثل السباع والذئاب والحشرات والميكروبات، كلها تمثل شراً بالنسبة للإنسان، وقد ورد في الدعاء: ((وقنا شراً قضيت)) أي عن كل ما يمكن أن يسبب الضرر للناس، فالآية لا تدل على أن الله خلق الشر . نعم، خلق الأشياء التي تنتج الشر، لأن فيها أشياء تنتج الخير، بشكل يتصل بالنظام الكوني الحياتي للإنسان .

اختلاف الناس:

□ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ

مُخْتَلِفِينَ^(١٥٠)، فهل الأصل هو الاختلاف، على أنه من طبيعة التكوين؟
 ○ ليس معناه أنه في التكوين لابد للإنسان أن يولد مختلفاً، لكن
 الاختلاف إنما يكون من جهة هذا التنوع الفكري، والتنوع في انعكاسات الفكر
 على الواقع، هذا التنوع والإثنية يفرض الاختلاف في هذا المجال، وليس
 معناه أنه يولد الاختلاف معه كما تخلق عيناه أو ما إلى ذلك.

تكليم الله:

□ قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١٥١)، ما هو المقصود بكلام الله
 سبحانه وتعالى لموسى ﷺ؟ وما هي الطرق التي يستخدمها الله سبحانه للكلام
 مع مخلوقاته؟

○ الله سبحانه وتعالى يخلق الكلام كما يخلق الناس، فالكلام مخلوق لله
 جلّ وعلا، يعني نحن عندما نقرأ القرآن الكريم، نعلم أنه ليس لله سبحانه
 وتعالى أعضاء كأعضائنا، ليس كمثله شيء، ولكن الله عندما كلم موسى ﷺ
 فإنه يكلمه بالطريقة الغيبية، بحيث من الممكن أن يخلق الله سبحانه وتعالى
 هذا الكلام كما لو كان ينطلق منه، والله العالم.

الإصرار على الكفر:

□ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٥٢). هل تتوقف حركة الدعوة إلى الله عند مواجهة البعض؟

○ هؤلاء الذين أغلقوا عقولهم عن الاستماع ولم يكونوا على استعداد
 للسمع ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾^(١٥٣)
 فتقول له فكّر واسمع، ويقول لك: لست مستعداً لأن أفكر أو أسمع، لأنه يعتبر

(١٥٠) هود: ١١٨.

(١٥١) النساء: ١٦٤.

(١٥٢) البقرة: ٦.

(١٥٣) البقرة: ٧.

عقله فوق عقول الناس! فإن هذا لا يفيد معه الكلام، باعتبار أن هذا الوضع يمنع القلب من أن يفكر، والأذن من أن تسمع، والبصر من أن يرى، كما لو كانت مختومة بما يغلّقها عن الوعي، لأن الكلام إنما يكون مع الإنسان الذي يفتح عقله ليفكر معك أو ليستمع إليك.

ترتيب الآيات:

□ هل الآيات القرآنية رتبت على وضعها الحالي في المصحف الشريف في عهد النبي ﷺ، أم أنها بدلت بعد وفاته ﷺ؟

() فيما لدينا من بعض الروايات يفيد أن النبي ﷺ هو الذي رتب القرآن الكريم، لأن الآيات لم تنزل بهذا الشكل التي عليه الآن، كما هو الحال في سورة (البقرة) مثلاً، أو أي سورة أخرى، لأن القرآن الكريم كان ينزل آيات بحسب حكمة الله سبحانه وتعالى، مما يحتاجه المسلمون في معالجة الكثير من القضايا التي تواجههم، سواء في مواجهة التحديات التي كان يطلقها المشركون والملحدون والمنافقون ليربكوا الجو الإسلامي، أو في الحرب أو السلم، وما إلى ذلك، أو في مسألة ما يُراد للمسلمين أن يلتزموه من أحكام شرعية هنا وهناك، فكانت الآيات تنزل بشكل متفرق، وهذا ما كان المشركون ينتقدون به النبي ﷺ، وكأنهم يسجلون عليه نقاطاً سوداء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(١٥٤)، أي لماذا لم ينزل كتاباً واحداً يجمع كل الآيات؟ والجواب: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، لأن الله تعالى أراد للنبي ﷺ، أن يعيش هذه المسيرة المليئة بالصراعات والتحديات والمشاكل الداخلية والخارجية، ما يخلق حالة اهتزاز في الواقع الإسلامي، أمّا النبي ﷺ فأراد أن يبين أن القرآن الكريم جاء ليثبت به بعصمته ولطفه أيضاً، مما يوحي به إليه ويفتح به عقله وقلبه على الخطوط التي يريد له أن يسير عليها في

مسيرته الإسلامية في الدعوة أو الشريعة والحركة، «وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا»، وفي آية أخرى، قال تعالى: «لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى لِّلْمُسْلِمِينَ»^(١٥٥)، فالقرآن الكريم يرافق المسيرة الإسلامية في كل مشاكلها وقضاياها وحاجاتها، وكان النبي ﷺ عندما تنزل الآية، وعنده كتاب للوحي، يقول لهم: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها آل عمران، وضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها البقرة، وما إلى ذلك .. ولهذا كان ترتيب القرآن الكريم - حسب الروايات - بإشراف النبي ﷺ. ولذلك نحن نرد على الذين يقولون عن آية التطهير كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(١٥٦)، أنها وردت في سياق الحديث عن نساء النبي ﷺ، ولذا كان بعضهم يقول إن المراد بأهل البيت هو نساء النبي ﷺ، ولكننا نقول إن هذه الفقرة - أساساً - من الآية لم تنزل مع تلك الآيات، وإنما نزلت وحدها، والروايات التي يرويها السنة والشيعية تبين أنها نزلت في بيت (أم سلمة)، عندما كان النبي ﷺ يضم علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ بالكساء، حتى إن أم سلمة قالت: يا رسول الله أنا منهم؟ قال ﷺ: لا ولكنك على خير. وقد ضمت هذه الفقرة إلى بقية الآيات، لأن المناسب لها أجواء بيت النبي ﷺ، ونساؤه من أهل بيته أيضاً، ولكن لسن مشمولات بالمصطلح الذي يراد في آية التطهير، وما يؤكد هذا الشيء، أن النبي ﷺ عندما يأتي إلى بيت السيدة فاطمة ﷺ كان يقول لها: السلام عليكم يا أهل البيت، وذلك عندما يذهب إلى الصلاة، حتى يركز هذه الكلمة (أهل البيت)، والمقصود بها هم هؤلاء الخمسة: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ.

مدة الخلق:

□ قال الله عز وجل: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(١٥٧)، فلماذا استغرق في خلق الكون ستة أيام، كما في قوله تعالى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»؟

○ لأنه أراد خلقهما في ستة أيام، قال تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»، فتارةً يريد الشيء بالحال، وتارةً يريد الشيء في ستة أيام، وتارةً يريد في يومين، قال تعالى: «خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ»^(١٥٨)، وهذا لا ينافي هذه الآية، فهو بحسب إرادته، وأراد بحسب الحكمة وبحسب طبيعة الأشياء. فالسائل وكثير من الناس يظنون أن إرادة الله تعالى تعني نفس اللحظة، وليس الأمر كذلك، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول إن مراده لا يتخلف عن إرادته، ولكن كيف هي إرادته؟ فإن إرادته قد تختلف، فمثلاً أراد الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان كله، ولكن الإنسان لم يوجد كله في اللحظة نفسها، فبالنسبة إلى قصة النبي آدم ﷺ قال تعالى: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ»^(١٥٩)، ومعناه أنه لم يوجد في لحظة واحدة، وقد تم ذلك على مراحل، حيث صارت هناك تسوية في صنع الجسد، ثم صارت بعد ذلك المراحل الأخرى التي تلتها، لأن إرادة الله تعالى تتحرك حيث حكمته سبحانه وتعالى.

الحديث بالنعيم:

□ ما معنى الحديث الشريف: ((استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان))، وهل يتنافى معنى الحديث مع الآية في قوله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ

(١٥٧) يس: ٨٢.

(١٥٨) فصلت: ٩.

(١٥٩) ص: ٧١.

رَبِّكَ فَحَدَّثْتُ^(١٦٠)

○ لا علاقة بينهما، فالحديث يقول: إذا كانت عندك حاجة من الحوائج وأردت أن تقضيها، وأن تنتجها، فربما إذا أعلنتها للناس فقد يدخل عليها من يخربها، ومن يخلق بعض الظروف المنافية لها، ولذلك إذا أردت قضاء حاجتك، اكتمها حتى تُقضى. أما الآية الشريفة: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»، فتعني أن الذي أعطاك نعمة، وهو الله سبحانه وتعالى، ووسع عليك في مالك، وأعطاك من نعمه الصحة والأمان، فإنه يريد لك أن تعيشها، وأن تقول (الحمد لله)، وأن تحدث بنعمة ربك وهي موجودة في حياتك. فهذا شيء، وذاك شيء آخر..

تأثير الجن في البشر:

□ قال تعالى: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»^(١٦١)، البعض يستدل بهذه الآية على أن الشيطان وجنده من الجن يتلبسون البشر، ويضرونهم ويؤذونهم، وعلاجهم يتم بواسطة القرآن الكريم، فما هو رأي سماحتكم بالعلاج بالقرآن الكريم والرقى والإحراز؟

○ أي علاقة بين الآية الكريمة وبين المطلوب كما هو في الاستدلال؟ هذه الآية الكريمة يريد الله بها أن يعطي الفكرة في أن الذين يأكلون الربا يعيشون الحالة الروحية التي تجعلهم يسقطون تحت صرعة هذا الخلق السيئ وهذا السلوك السيئ في استغلال حاجة الفقراء إليهم ليزيدوا عليهم، فهؤلاء مثلهم مثل الإنسان المصروع «الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ». وكلمة (الشَّيْطَان) في القرآن الكريم لا تعني (إبليس) دائماً، بل تعني المرض في بعض الحالات، وتعني الكثير من الحالات النفسية، وهذا نظير ما ورد بالنسبة إلى النبي أيوب عليه السلام في قوله تعالى: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ»^(١٦٢)،

(١٦٠) الضحى: ١١.

(١٦١) البقرة: ٢٧٥.

(١٦٢) ص: ٤١.

فهل إنَّ الشيطانَ أَمْرَضَ النَّبِيَّ أَيُوبَ ﷺ؟ كلا، الشيطان - هنا - كناية عن الأشياء الخفية، باعتبار أن الشيطان يأتي في القرآن الكريم بمعان مختلفة، فأبليس هو الشيطان، ولذا تحدث الله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(١٦٣)، وهو الذي ينفذ بالخفاء، كالمرض أو الميكروب وما إلى ذلك، لهذا فالذي يأكل الربا يشبهه القرآن بحالة الإنسان المصروع، الذي يعيش الاهتزاز ولا يعيش الاستقرار والطمأنينة، وما إلى ذلك. باعتبار أن المرابين يعيشون حالة الاهتزاز النفسي، ولا يعيشون الطمأنينة، لأنَّ ما يفعلونه لا يمنحهم الإحساس بالطمأنينة الروحية والنفسية، والله العالم.

أما قضية العلاج بالقرآن الكريم، والرقى والأحراز، فالله تعالى جعل لكل داء دواءً والعلاج يكون بذلك. نعم، يمكن أن يتبرك الإنسان بالقرآن الكريم، وما ورد في قوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(١٦٤)، يعني الشفاء الروحي، أي أن الإنسان عندما يقرأ القرآن الكريم، وعندما يفتح على ما في القرآن الكريم من روحية، فالله سبحانه وتعالى يشفي ما في الصدور، فيشفى للإنسان عقله، ويشفي للإنسان روحه، ويشفي للإنسان عاطفته. نعم، الإنسان يتبرك بالقرآن الكريم، وليس القرآن الكريم دواءً أو يمكن العلاج به، كما يدعي بعض الناس ويقول لك: لا تذهب إلى المستشفى أو إلى الطبيب! بل إنَّ الأئمة ﷺ كانوا يستعملون الأدوية، ولذلك فقضية أن بعض الناس يقول لك، أنا أعالج بالقرآن الكريم هو كلام غير دقيق. نعم، إن أحداً ما يدعو الله في بعض الحالات، والدعاء يُستجاب ببركة القرآن الكريم، كما كان الرسول ﷺ يعوذُ الحسنين ﷺ بالمعوذتين. فالتبرك بالقرآن شيء، وجعله يمثل الدواء من الأمراض شيء آخر، فلا يجوز للإنسان إذا كان مريضاً أن يترك المداواة، خصوصاً إذا

(١٦٣) الناس: ٦٠٤.

(١٦٤) يونس: ٥٧.

كان هذا المرض يؤدي إلى التهلكة، أو ما يقرب منها.

كرسي الرحمن:

□ سمعت من بعض المفسرين يقول إن كرسى الرحمن هو موضع قدميه،

فهل هذا صحيح؟

○ الله سبحانه وتعالى ليس له جسد ليكون له قدمان وليكون هناك موضع لقدميه!! قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١٦٥)، وكلمة (الكرسي) يُكْتَبُ بها عن السلطة، وكرسيه يعني سلطانه، كما تقول جلس فلان على كرسي المملكة، أو على كرسي الرئاسة، فهل يعني أن الرئاسة لها كرسي معين؟ كلا، بل يعني جلس فلان على كرسي المسؤولية، يعني جلس حيث يمارس سلطته، فالسلطة هي المقصودة في هذا المقام.

تأثير الصلاة:

□ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١٦٦)، إذا لم تنه

الصلاة عن الفحشاء والمنكر، فما هي الفائدة منها؟

○ الفائدة للذين ينهون أنفسهم عن الفحشاء والمنكر، فمثلاً أنت في المدرسة تتعلم، فإذا دخلت المدرسة، ولم تدرس، ولم تتعلم، فهل تقول ما هي فائدة المدرسة؟ والصلاة فيها من العناصر التي إذا وعيتها، فإنها تنهاك عن الفحشاء والمنكر، ولذا ورد عندنا في الحديث الشريف: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعداً))، وحتى ورد أيضاً: ((ربّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وربّ قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر، حبذا نوم الأكياس وفطرتهم))^(١٦٧)، يعني العقلاء الذين يدركون الأشياء ويعونها، فإن فطر هؤلاء أفضل من صوم غيرهم، طبعاً في غير حالات وجوب

(١٦٥) البقرة: ٢٥٥.

(١٦٦) العنكبوت: ٤٥.

(١٦٧) البحار، ج ٥، ص ٣٣، ٥٥.

الصوم، وكذلك نومهم فهو أعظم من سهرهم وصلاتهم، لأن صلاتهم تكون بلا معنى..

هداية السبيل:

□ ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١٦٨)؟

() هذا حديث عن النبي موسى ﷺ، عندما خرج خائفاً يترقب، لما جاءه شخص وقال له: إن القوم يأتمرون بك ليقتلوك، فخرج، فخرج منها خائفاً يترقب، فتوجه، نحو (مدین) عسى الله أن يهديه الطريق التي يشعر فيها بالأمان والطمأنينة، والنجاة من الأعداء.

ريح يوسف:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾^(١٦٩)، والسؤال: هل هو شم كنائي، أم بحاسة أخرى مثلاً، أم الشم الطبيعي؟ أم هو بصيرة الأنبياء؟

() الظاهر أنه كنائي في هذا المقام، وربما يكون الله سبحانه قد حمل إليه عطر النبي يوسف ﷺ بطريقة غيبية، ولا مشكلة في ذلك.

التعامل مع اليتيم:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(١٧٠)، هل يجوز ضرب الطفل اليتيم من باب تأديبه أم لا؟

() بالنسبة إلى اليتيم، فإن معنى 'فلا تقهر' أي لا تستغل ضعفه ويتمه لتفجر غيظك فيه أو لتعنف عليه وتؤذيه، أو ما إلى ذلك. أمّا مسألة التأديب،

(١٦٨) القصص: ٢٢.

(١٦٩) يوسف: ٩٤.

(١٧٠) الضحى: ٩.

فبحسب قواعد التأديب التي وضعها الشرع في هذا المجال، فهذا ليس قهراً لليتيم، بل هو رعاية له في هذا المجال.

القرآن والحديث القدسي:

□ ما هو الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم؟ من حيث البلاغة والغاية؟ ولما لا يعدّ الحديث القدسي من القرآن الكريم، ما دام كلاهما حديث الله عز وجل؟

○ الحديث القدسي هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي ربما يكون مما أوحى به إلى أنبيائه السابقين، ولم ينزله الله تعالى ليكون معجزة تعجز البلغاء، وقد أراد به الله تعالى وعظ الناس وتوعيتهم وتعريفهم. أما القرآن الكريم، فله شأن آخر، لأن القرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى للحياة كلّها وللناس كلّهم، هو كلامه الذي أنزله على النبي ﷺ، وتحدى الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ الناس أن يأتوا بسورة من مثله، كما أن المضامين القرآنية هي مضامين تشتمل على الجانب الفكري والتشريعي والأخلاقي وما إلى ذلك.. فهناك فرق بين هذا وذاك.. ولذا فالحديث القدسي ليس قرآناً، كما أن الإنجيل ليس قرآناً، وكما أن التوراة ليست قرآناً، لكل كتاب أنزله الله جلّ وعلا، ولكل حديث أوحى به الله عز وجل، خصوصياته، ولكن يجمعها أنها من كلام الله سبحانه وتعالى..

التعبير بالجمع والمفرد:

□ ما المغزى من ورود كلمة (الرياح) في القرآن الكريم بصيغة الجمع في الآيات الدالة على البشري، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(١٧٤)، وغيرها من الآيات الكريمة، بينما وردت كلمة (الريح) بالمفرد في الآيات الكريمة الدالة على العذاب، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صُرْصُرٍ

عَاتِيَّةٌ^(١٧٢)، وقوله تعالى: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾^(١٧٣)؟

○ الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين أن الرياح تمثل البشرية، باعتبار أن الرياح تمثل نزول المطر، وهي تتحرك في البلاد المتنوعة لتسقي البلاد والعباد، فناسب الإتيان بها بصيغة الجمع، وكما أنها قد تكون لإنزال العذاب في موقع آخر إذا أراد الله تعالى أن يعذب الناس بذلك. أما التعبير بالريح فلا يراد به ريحاً واحدة، أي المفرد، بل نوع الريح، كما في قول الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن الإنسان: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١٧٤)، فليس المقصود إنساناً واحداً، بل جنس الإنسان ونوعه، لأنه أتبعها بصفة هذا النوع المراد من الرياح، وهو كونها صرصراً عاتية. وليس المراد منها المفرد، بل المراد منها الجنس.

معنى التطفيف:

□ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۖ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(١٧٥)، فهل يشمل الكيل التسلُّط أم التلاعب في الموازين والمكيال؟

○ قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ لأن هناك أشياء تقدر بواسطة الكيل، وتوجد أشياء تقدر بواسطة الوزن.

الجبر والاختيار:

□ نرى في كثير من الآيات القرآنية الكريمة قوله عز وجل: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾^(١٧٦)، وهذا تصريح . على الأقل من النظرة الأولى - بأن الله عز وجل هو الذي يوجه الإنسان، إما في طريق الخير أو طريق الشر،

(١٧٢) الحاقة: ٦.

(١٧٣) يونس: ٢٢.

(١٧٤) النساء: ٢٨.

(١٧٥) المطففين: ١-٣.

(١٧٦) المدثر: ٣١.

وكانه جبر للإنسان، فلماذا إذاً يعاقب الله سبحانه وتعالى الإنسان الذي أضله هو، ويثيب الذي هداه هو؟

(١) ليس المراد من ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بأن يجعل الهداية في نفسه من خلال الجبر، أو يضلّ من يشاء بأن يجعل الضلال في نفسه كذلك، بل معنى أنّ الله سبحانه وتعالى يهدي الإنسان أي أنّه يهيئ له سبل الهداية، من خلال أنّه سبحانه وتعالى قد أعطاه العقل، وأرسل له الأنبياء، وهياً له الوسائل، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١٧٧)، وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١٧٨)، لذلك فإن الهداية ليس معناها أن الله تعالى يلقي الهداية في ذات الإنسان كما يلقي الإنسان الماء في فمه، وإنما يهيئ سبحانه وتعالى وسائل الهداية.

أما قضية الإضلال، فإن الله سبحانه وتعالى يضلّ من يشاء عندما يتركه لنفسه، يعني إذا أعطى الله الهداية للإنسان، ولم يأخذ بها، فمن الطبيعي أن يتركه الله سبحانه وتعالى لنفسه، وإذا ترك الله سبحانه وتعالى الإنسان لنفسه ومنع عنه لطفه ورعايته، فإنه يضلّه في هذا المجال.. مثل أي شخص تدله على الطريق ولا يستدل به، فليس الإضلال أن الله سبحانه وتعالى يوقع الضلال أو يغرس الضلال في ذات الإنسان.

التوفيق بين آيتين:

□ كيف نوفّق بين هاتين الآيتين الكريمتين: قال تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(١٧٩)، وقوله تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ﴾^(١٨٠)؟

(١٧٧) الإنسان: ٣.

(١٧٨) البلد: ١٠.

(١٧٩) القصص: ٧٨.

(١٨٠) الصافات: ٢٤.

(٥) الآية الأولى تتحدث عن المجرم الذي ظهرت جريمته بشكل لا شك فيه من قريب أو بعيد . فالآية في مقام بيان أن المجرمين معروفون، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(١٨١)، وكأنه يقول إن الناس الذين يجرمون ويذنبون، لا يحتاجون أن يُسألوا لأن جرائمهم واضحة وبينة . أما الآية الثانية فهي في مقام بيان المسؤولية، يعني أن الإنسان مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى، أي يتحمل مسؤولية عمله، ويتحمل مسؤولية ما يقوم به، فهذه تنظر إلى جانب وتلك تنظر إلى جانب آخر، والله العالم.

الزكاة في القرآن الكريم:

□ وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم . حوالي ٣٣ مرة . عن الزكاة، ولا نسمع من علمائنا شيئاً عن الزكاة، وفي الطرف المقابل، نجد أن إخواننا من أهل السنة يلتزمون بالزكاة، ونحن الشيعة نلتزم بالخمس، فما هو الحل؟

(٥) العلماء، وفي كل رسائلهم العملية، يتحدثون عن الزكاة، ولكن الزكاة بحسب الفتاوى المشهورة، محصورة في موارد معينة، وإن كان هناك بعض الفتاوى . كما هو رأينا ورأي بعض علمائنا . أنها تجري حتى في المال النقدي، وحتى في مال التجارة، وذلك بناءً على ما يقوله بعض المفسرين من أن المقصود من كلمة الزكاة في القرآن الكريم، هو كل ما يزكي المال، ومنه الخمس .

معنى الفتنة:

□ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(١٨٢)، وفي آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(١٨٣)، فما المراد من الفتنة هنا في هاتين الآيتين الكريمتين؟

(١٨١) الرحمن: ٣٩.

(١٨٢) البقرة: ١٩١.

(١٨٣) البقرة: ٢١٧.

○ الظاهر - والله أعلم - أن المراد منها الفتنة عن الدين، لأن اليهود والمشركون كانوا يستعملون الأساليب الضاغطة من أجل فتنة المسلمين وإبعادهم عن دينهم، بمعنى أنهم كانوا يحاولون ممارسة بعض الضغوط أو بعض وسائل الترغيب والترهيب، لإبعاد المسلمين عن دينهم، والله سبحانه وتعالى اعتبر الفتنة أشد وأكبر من القتل، لأنك عندما تخرج إنساناً من دينه، بوسائلك الترغيبية والترهيبية وما إلى ذلك، فإنك تقتل روحه، وتقتل مصيره، وتقتل علاقته بالله تعالى، وهي أشد من القتل، لأن القتل إنما ينهي حياتك، ولكن ذلك ينهي معنى روحك، ومعنى علاقتك بربك، ومصيرك عن ربك..

مرتبة القرب:

□ ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿١٨٤﴾؟

○ الضمير مفسر بجبرئيل ؑ، وقيل إن النبي أحب أن يرى جبرئيل ؑ على صورته الملائكية الحقيقية، حيث كان ينزل عليه بصورة بشر، فملاً الأفق بهيئته ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ بحيث قرب من رسول الله ﷺ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، كناية عن منتهى القرب.

منع الإضلال:

□ قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ (١٨٥)، فلماذا التعبير بهذه الصورة؟

○ يعني أن لا تضلّوا.

أثر التوبة:

□ هل التوبة عن ارتكاب المعاصي ترفع عذاب الآخرة عن الإنسان حتى ولو

كانت من الكبائر؟

○ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١٨٦)، ومعنى الإسراف هو تجاوز الحد، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وقد ورد أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾^(١٨٧) «إن الله يحب التوابين»^(١٨٨).

كثرة المفسدين:

□ ما الحكمة في جعل المفسدين أكثر من الصالحين، في حين أن الآية الكريمة تقول: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْبَثْ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١٨٩) هذا على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى أرسل أربعة مائة وعشرين ألف نبي وختمهم بالرسول النبي الكريم ﷺ والأئمة المعصومين ع

○ لعل التعبير بأن الله جعل المفسدين أكثر من المصلحين غير دقيق، لأن مسألة أن يكون الشخص مفسداً أو يكون مصلحاً لا ينطلق من القدرة التكوينية لله، بأن يجعل الله هذا مفسداً ويجعل هذا مصلحاً من الناحية الوجودية التكوينية، ولكن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الخلق كله، أراد له أن يمارس دوره في الحياة، على أساس الإرادة الحرة والاختيار الحر، فلم يجبر الله سبحانه وتعالى الإنسان على أن يكون مهتدياً أو أن يكون ضالاً، أن يكون مفسداً أو أن يكون مصلحاً، بل إن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان العقل والإرادة والغريزة، وهي الوسائل التي يمكن أن تضلّه ويمكن أن تهديه، وذلك بحسب اختياره لأيّ من هذه العناصر، وأيضاً أرسل إليه الأنبياء الذين يهدونه

(١٨٦) الزمر: ٥٣.

(١٨٧) الشورى: ٢٥.

(١٨٨) البقرة: ٢٢٢.

(١٨٩) الرعد: ١٧.

إلى الصراط المستقيم، ويعرفونه النتائج السلبية للفساد، والنتائج الإيجابية للإصلاح. لذلك فإن الله سبحانه وتعالى ترك الإنسان حراً في هذا المجال، وقال له تحمّل مسؤولية هذه الحرية: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»^(١٩٠)، «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ»^(١٩١)، يعني الطريقين، طريق الخير وطريق الشر، «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» . بإرادته واختياره . «خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» .، بإرادته واختياره، . «شَرًّا يَرَهُ»^(١٩٢) . فقضية أن يكون الإنسان مفسداً أو مصلحاً هي قضية أن يفتح على ما يريده عقله، وما يأتي به الأنبياء، أي أن يتبع ما يأتي به الأنبياء، أو أن لا يأخذ بعقله، ولا يتبع الأنبياء، بل يتبع شهواته وغرائزه. فهو عندما يفسد يفسد باختياره، وعندما يصلح يصلح باختياره، ولكن الله سبحانه وتعالى إذا عرف أن الإنسان سائر ومنفتح على الخير، فإن الله يهيئ له بلطفه ورحمته السبيل إلى الخير، وإذا رأى أنه سائر باتجاه الشر، فإن الله تعالى يتركه لنفسه ليضلّ الطريق بعد أن هداه الله، ولكن يبقى الفساد في السطح ولا يستقرّ في العمق، بينما ينفذ الإصلاح إلى العمق ويتجذر في نهاية المطاف:

ميزان الأعمال:

□ قال عز وجل: «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ»^(١٩٣)، وتدل الكثير من الروايات أن الله سبحانه وتعالى يضع أعمال العبد في كفتي الميزان ليرى أيهما ترجح، فهل الأعمال والأفعال مادة حتى نزنها بالميزان؟

○ قد لا يراد من الميزان الميزان المادي، بمعنى أن الأعمال تتحول إلى وجود مادي كما هي الموجودات التي تخضعها للكيل أو للوزن، بل المراد به

(١٩٠) الإنسان: ٣.

(١٩١) البلد: ١٠.

(١٩٢) الزلزلة: ٧-٨.

(١٩٣) الرحمن: ٧.

ميزان الخير والشر، وميزان الطاعة والمعصية في البعد المعنوي للوزن، وهذا ما حدثنا الله تعالى عنه في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١٩٤)، الميزان الذي يبين للناس حقوقهم في ما يأخذون به وما يدعون به، كما يبين لهم مواقع رضا الله تعالى ومواقع سخطه.

يأجوج ومأجوج:

□ هل يأجوج ومأجوج من البشر أم من الجن؟
○ الظاهر أنهم بشر، ولذلك يتحدثون كما يتحدث البشر، وإن كانت لغتهم لغة فيها شيء من الغرابة.

وجه الله:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(١٩٥)؟
○ هذا كناية عن أن الله موجود في كل مكان بالمعنى الحضوري في امتداد وجوده وقدرته في الكون كله، يعني أن الله لا يغيب عن ملكه شيء «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله»^(١٩٦)، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٩٧)، فالآية - مورد السؤال - واردة على نحو الكناية بأن التوجه إلى الله تعالى في أي مكان وفي أي أفق، وليس معنى وجود الله بالمعنى المادي، لأنه ليس جسداً.

حوار الله تعالى مع الملائكة:

□ هل حوار الله مع الملائكة كان مباشراً من خلال الوحي والإلقاء في

(١٩٤) الحديد: ٢٥.

(١٩٥) البقرة: ١١٥.

(١٩٦) الزخرف: ٨٤.

(١٩٧) الأنعام: ٧٩.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١٩٨).

○ كيف هو حوار الملائكة مع الله؟ وهل كان بشكل مباشر كما حدثنا الله عن حوارهِ مع موسى ﷺ؟ أو أنه كان بواسطة وحي أو إلهام منه؟ أو ما إلى ذلك، هذا أمر من غيب الله سبحانه وتعالى لم يعرفنا الله إياه، ولكن من الممكن جداً أن يكون بشكل مباشر، لكن كيف ذلك؟ الله أعلم بذلك، لأن الله تعالى لم يبين لنا الوسائل التي كان يستخدمها في حوارهِ مع الملائكة، فلنقف على ما عرفنا الله إياه مما يدخل في عالم الغيب، ولنترك ما لا نملك الطريق إلى معرفته مما لم يعرفنا الله إياه.

صدق أولاد يعقوب ﷺ:

□ عندما أخبر يعقوب أولاده: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١٩٩)، وعندما قالوا له خبر ولده بنيامين وما جرى له مع يوسف وكانوا صادقين، لم يصدقهم، ألا يعد هذا ظلماً لهم؟

○ هم كانوا صادقين في قصة (بنيامين) فيما كان يظهر لهم، لكنه ربما كان يريد أن يذكّرهم بتاريخ المسألة منذ البداية، فمن الذي جعل بنيامين ينتقل إلى مصر ويحبسه عزيزها مصر، القصة بدأت عندما ألقوا يوسف في البئر، وتطورت المسائل حتى وصلت إلى حبس بنيامين، وهكذا، ولذا أراد أن يذكّرهم بتاريخهم في هذا المجال، وبطريقتهم التي أوصلت الأمور إلى هذا الحدّ السلبي، ولم يرد أن يكذبهم.

علم النبي ﷺ الغيب:

□ أرجو بيان شرح هذه الآية: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ

الْخَيْرِ﴾^(٢٠٠)

(١٩٨) البقرة: ٣٠.

(١٩٩) يوسف: ١٨.

(٢٠٠) الأعراف: ١٨٨.

○ الظاهر من هذه الآية أن الله يتحدث عن لسان النبي ﷺ في ما يريد أن يبين للناس فيه صفة النبي ﷺ: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ»^(٢٠١)، وكذلك: «وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ»^(٢٠٢)، مما قد يحدث لي من مرض أو بلاء أو نحو ذلك، فالله سبحانه يريد للنبي أن يبين أن الله سبحانه وتعالى لم يعطه علم الغيب ولكنه أعطاه الوحي: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ»^(٢٠٣)، وقد يعطي الله سبحانه وتعالى بعض أنبيائه علم الغيب، في ما يحتاجون إليه في نبوتهم، ولكنه سبحانه وتعالى لم يجعل علم الغيب في عمق وجودهم. وعليه، فإن علم الغيب ليس من عناصر النبوة، وليس من لوازمها، ولكن يمكن أن يعطيهم الله تعالى بعضاً منه، إذا كانت نبوتهم تقتضي ذلك، كما هي الحالة في قدراتهم بالنسبة إلى المعجزة، فليس كل نبي يأتي بمعجزة، بل قد ينزل الله تعالى المعجزة على رسوله إذا كان النبي بحاجة إليها في مقام ردّ التحدي، كما في مسألة موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وما إلى ذلك. إن القرآن يؤكد اختصاص الله بعلم الغيب ذاتياً وفعلياً، وذلك هو قوله تعالى «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»^(٢٠٤).

المذاهب النقدية الحديثة:

□ ما رأيكم في تطبيق المذاهب النقدية الأدبية والفكرية الحديثة والمعاصرة على النص القرآني مثل البنيوية والتفكيكية؟ وهل تراها تفيد في إضاءة النص القرآني؟

(٢٠١) الأحقاف: ٩.

(٢٠٢) الأعراف: ١٨٨.

(٢٠٣) الأنعام: ٥٠.

(٢٠٤) الأنعام: ٥٩.

○ لا بدّ لنا أولاً أن ندرّسَ هذه المذاهب النقدية أو الفكرية في مسألة فهم النص من حيث يذهب البعض إلى التأويل مثلاً أو ما أشبه ذلك، وهل هي مذاهب تثبت أمام النقد أو لا؟ ولا يكفي أن يبتدع الآخرون مذاهب في مسألة فهم النص، إذ ربما تكون خاضعةً للبيئة، أو للأجواء، أو للمناخات، أو للثقافات التي ابتدعها فيها أصحابها، فإذا تمت لنا الدراسة وتبين أن هذه المذاهب تركز على أسس علمية، فيمكن لنا أن نستفيد منها في فهم القرآن الكريم، أو في فهم أي نص أدبي أو فكري.

إعجاز في اللفظ أو المعنى:

□ أين يكمن إعجاز القرآن: في اللفظ أم في المعنى؟

○ القرآن الكريم فيه عدة جوانب، والجانب الذي تحدى به الله سبحانه وتعالى الناس، هو الجانب البلاغي: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٢٠٥)، ولكن القرآن الكريم يشتمل على الكثير من الإشارات واللمعات، وحتى بعض الغيبيات التي تدل على أنه منزل من الله سبحانه وتعالى، وتدل على صدق النبي ﷺ في نسبته إلى الله تعالى، لأن النبي لم يكن يملك الثقافة التي يستطيع من خلالها إيجاد مثل هذا القرآن، ولذا فإن الله تعالى أنزل عليه قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢٠٦)، أي لم تكن عندك ثقافة الكتاب وثقافة الإيمان، يعني الثقافة التفصيلية، ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٢٠٧). ولذلك عندما نقارن بين شخصية النبي ﷺ في تاريخه الثقافي، وبين القرآن الذي جاء به، نتعرف صدق النبي ﷺ في دعوى النبوة، وأن هذا القرآن هو منزل من الله تعالى وليس من بشر، وليس من صنعه هو.

(٢٠٥) البقرة: ٢٣.

(٢٠٦) الشورى: ٥٢.

(٢٠٧) العنكبوت: ٤٨.

نسبة التطير إلى الله:

□ ما معنى قوله تعالى على لسان نبيه صالح ﷺ: «قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ» (٢٠٧)؟

○ (طَائِرُكُمْ) يعني ما يصيبكم من الشر، لأن الله سوف ينزل العذاب عليكم، لأن المراد من الطائر ما يتشاءم به الإنسان من خلال ما ينتظره من الشر، مما ربط برؤية الغراب، مثلاً، في هذه السفرة أو هذا الطريق، أو هذا اليوم، ونسب التطير إلى الله، لأنَّ الله هو الذي ينزل العذاب عليهم. فالمراد من التشاؤم هو ما ينتظرونه من العذاب الذي هو شرٌّ بالنسبة إليهم.

حسناً وإحساناً:

□ قال تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا» (٢٠٨)، هل هناك فرق بين (حُسْنًا) و (إِحْسَانًا)؟

○ لا فرق بينهما، فالتعبير بـ(حُسْن) في مقام بيان طبيعة السلوك، أي إنه السلوك الحسن في ذاته، يعني النظرة إلى طبيعة العمل، إلى طبيعة السلوك، والتعبير (إِحْسَانًا) الملحوظ فيه صدور الفعل الحسن من الإنسان، بأن يحسن إليهما، فالمعنى واحد، ولكن الاعتبار، من خلال نسبة الحسن إلى الإنسان أو التحدث عن الحسن في نفسه.

التفضيل بالعلم:

□ قال تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (٢٠٩)، فهل هذا العلم المقصود به هو العلم الذي يتمثل في نهج أهل البيت ﷺ، أم العلم بكل أنواعه؟

(٢٠٧) النمل: ٤٧.

(٢٠٨) العنكبوت: ٨.

(٢٠٩) الزمر: ٩.

○ كلاً، المقصود به من يملك الوعي في مقابل الذي لا يملكه، وهو ذلك العلم الذي يجعله يفتح على الحياة وعلى الآخر من موقع معرفته بكل شؤونها، وبكل أوضاعها، سواء كان العلم الديني، أو كانت العلوم الأخرى، باعتبار أن الإنسان كلما ازداد علماً في أي جانب ازداد وعياً، وازداد معرفةً بالخط الذي لابد له أن يحكم حياته.

تفسير (أهاكم التكاثر):

□ ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ..﴾ (٢١٠)؟

○ الظاهر من هذه الآية، أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يوحى للناس بأن عليكم أن لا تعتبروا الكثرة العددية هي القيمة التي تميز جماعة عن أخرى، لأن الكثرة العددية التي لا تنطلق من القيم الروحية والفكرية والأخلاقية والعملية، ولا تمثل أي معنى في عالم القيمة الإنسانية، وإنما القيمة هي في النوعية، يعني في الأشخاص الذين يملكون العلم كأعلى ما يكون، ويملكون الخلق كأفضل ما يكون، ويملكون الحركية الاجتماعية والخدماتية والإحسانية والإنسانية، كأعلى ما يكون.

وقيل إن هذه السورة نزلت عندما كان فريق من المشركين يحاول بعضهم أن يعتبر نفسه أعلى من الآخر، وأقوى من الآخر، بحيث أصبحوا يعدّون نفوس العشيرة التي عندهم، ثم بعد ذلك، ذهبوا إلى المقابر، فأخذوا يقولون: قبورنا أكثر من قبوركم، وهكذا.. وهذا ما نلاحظ بعضه لدى الكثيرين من الناس الذين يستعرضون عصبياتهم وأوضاعهم من خلال الكثرة العددية، سواء على مستوى الانتخابات أو غير الانتخابات، بحيث يعتبرون أن القيمة في الأرقام العددية، وليس في القيم الإنسانية.

تفسير (مقعد صدق)

□ قال تعالى في بيان عاقبة المتقين وثوابهم: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، ألا تشير كلمة (عند) إلى المكانية، فيصبح المقعد، وبملاحظة ما بعدها . كما يقول البعض . في المكان الذي يوجد فيه المليك المقتدر؟ ما رذكهم على صاحب هذا الكلام، الذي جعل لله عز وجل مكاناً مادياً واستدل بذلك من القرآن الكريم؟

○ هذا لا ينم عن فهم صح للغة العربية، باعتبار أن الكلمة قد تطلق على القرب المعنوي، وقد تطلق على القرب المادي، فهي واردة هنا على سبيل الكناية، فيقول تعالى: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ يعني في رعاية الله سبحانه وتعالى ومحبته، وفي رحمته وثوابه. فليس معناه أنهم قريبون من الله تعالى في المكان، وأن لله تعالى مكاناً خاصاً به.

المغضوب عليهم والضالون:

□ قيل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ صفتان للمنعَم عليهم، فما رأيكم بذلك؟

○ نعم، لأن (المغضوب عليهم)، هم الذين عرفوا الحق وجحدوه، فغضب الله تعالى عليهم. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(٢١١). و(الضالون) هم الضائعون التائهون الذين لا يعرفون الحق ولا يؤمنون به، ولا إشكال في أن من لم يكن من هؤلاء ومن أولئك، فالله سبحانه وتعالى أنعم عليهم بنعمة الهداية، ونعمة السير في الخط المستقيم، وهي نعمة عظيمة، ولذا نقول: ((الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)).

قَتَلَ الْإِنْسَانَ:

□ هناك آية كريمة في الكتاب المجيد تقول: «قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ»^{٢١٣}، كيف يمكننا فهم هذا الكلمة (قَتَلَ) والمتكلم هو الخالق؟ وهل من الممكن تطبيق هذه الآية على العناصر التفسيرية المتخلفة؟

○ تُقال هذه الكلمة (قَتَلَ) في مقام إظهار السخط وعدم الرضا. أما المقصود بـ(مَا أَكْفَرَهُ) فإن الكفر عندنا على قسمين: كفر نعمة، وكفر عقيدة، وربما يراد منها كفر النعمة، في ما أنعم الله تعالى عليه من وجوده، وغير ذلك، ما يفرض عليه أن يشكر ربه بالشكر العملي، بالإيمان به، وبطاعته، وبالسير في خطّ رضاه.

السؤال عن النعيم:

□ قال تعالى: «ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»^{٢١٤} ما هي النعمة التي سنسأل عنها يوم القيامة؟

○ الظاهر أن المقصود من النعيم هو ما أنعم الله سبحانه وتعالى به على الإنسان، في ما يريد الله سبحانه وتعالى له أن يشكره بمختلف وسائل الشكر، سواء بالشكر اللساني أو بالشكر الفكري أو العملي. فقد ورد في بعض الأحاديث 'عن النعيم'، أن المقصود بها 'عن الحق'، الذي أوحى الله تعالى به إليه ...

ظلم آدم وحواء:

□ قال تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»^{٢١٥}، الخطاب يتوجه إلى النبي آدم ﷺ وحواء، فما تفسيركم للظلم، وقد ترتب على

(٢١٣) عيس: ١٧.

(٢١٤) التكاثر: ٨.

(٢١٥) البقرة: ٣٥.

هذا الحكم الجزاء، بأن أنزلا إلى الأرض ليعيشا حياة الكبد؟

○ المقصود من الظلم ظلم النفس، لأن الله سبحانه وتعالى قال لهما: إن أنتما لم تأكلوا من الشجرة، فستبقيا في الجنة، لا تجوعان، ولا تعريان، وتأكلان كل شيء، وأما إذا أكلتما من الشجرة، فإنكما ستخسران ذلك كله، وهذا ظلم للنفس.

الكشف عن الساق:

□ يقول الله تعالى: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ»^(٢١٦)، ما تفسير هذه الآية؟

○ تقال: (يكشف عن الساق)، إشارة إلى حالة الرعب، وحالة الهلع، فهو وارد مورد المثل عن اشتداد الأمر اشتداداً بالغاً، لأنهم كانوا يشمرون عن ساقهم إذا اشتد الأمر للعمل أو الفرار.

حدود التبرج:

□ ماذا تقولون في امرأة محجبة، لكنها تضع المكياج عندما تخرج إلى المجتمع؟ ونرجو منك تعقيباً بسيطاً على الآية الكريمة: «وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^(٢١٧)؟

○ على المرأة أن لا تخرج بزینتها الفاقعة المثيرة، ومنها حالة الخروج بالمكياج الذي يجلب الإثارة، وما إلى ذلك. نعم، في المجتمع النسائي، يمكن للمرأة أن تتبرج، أما في المجتمع المختلط الذي يعيش فيه الرجال، فلا يجوز. وكذلك قوله تعالى: «وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»، فإن المقصود بها هو إنما هو ظهور المرأة بكامل زينتها بطريقة المكياج، أو بالطريقة التي تكشف فيها عن مفاتها كما يحدث الآن، مما يخلق حالة إثارة لدى الآخرين.

أوقات الصلاة في القرآن:

□ هل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢١٨)، دليل على جواز الجمع في الصلوات الخمس على ثلاثة أوقات؟

○ هناك من يستدل بهذه الآية على أن الله سبحانه وتعالى تحدث عن أوقات ثلاثة، ولم يتحدث عن خمسة أوقات، وليس هذا وحده الدليل على جواز الجمع بين الصلاتين. ففي موطأ مالك وصحيح مسلم وغيرهما عن عبد الله بن عباس أن ((رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في جماعة من غير خوف ولا علة))^(٢١٩)، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((صلّى رسول الله ﷺ بالناس المغرب والعشاء الآخرة قبل الشفق من غير علة في جماعة، وإنما فعل ذلك ليتسع الوقت على أمته))، وعن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام: ((إذا زالت الشمس دخل الوقتان الظهر والعصر، فإذا غابت دخل الوقتان المغرب والعشاء الآخرة))، وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: ((في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ قال: إن الله افترض أربع صلوات، أول وقتها زوال الشمس إلى انتصاف الليل، منها: صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس إلى غروب الشمس إلا أن هذه قبل هذه، ومنها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا أن هذه قبل هذه))^(٢٢٠).

ومن الطبيعي أن الصلاة في الأوقات الخمسة أفضل، ولكن الجمع أيسر، وهو أمر جائز.

روح الله:

□ ما المقصود ب(روح الله)؟

(٢١٨) الإسراء: ٧٨.

(٢١٩) البحار. ج ٩. ص ٥٥. ح ٣.

(٢٢٠) البحار. ج ٩. ص ٦٩. ح ٣.

(١) المقصود منه كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٢٢١) أو كما في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾^(٢٢٢)، هو قدرة الله تعالى، يعني ما يطلقه الله سبحانه وتعالى من قدرة خفية، أي في ما يجعله في الجسد، سواء كان كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، أو بالنسبة للسيدة مريم عليها السلام: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾، فالمقصود القدرة، لأن الروح هي التي تمثل - في معناها الكنائي - القدرة، يعني القدرة بالروح، أما عندما ترد في مقام آخر، فربما المقصود منها (جبريل) أو غير ذلك.

(٢٢١) الحجر: ٢٩.

(٢٢٢) الأنبياء: ٩١.

الفصل الثاني

المسائل العقيدية

معنى عصمة الأنبياء والأئمة

□ نرجو بيان معنى عصمة الأنبياء والأئمة ولو بنحو الإجمال؟

(١) إن النبي ليس ساعي بريد، يحمل الوحي ويبليّ الرسالة، إنما دوره يتمثل في تغيير العالم وتغيير الإنسان من الداخل، أي يجعله يعيش النور في عقله وفي قلبه وفي حياته، لأن دور النبي كما تقول الآية الكريمة: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١)، أن يخرج الإنسان من ظلمات الجهل والتخلف والانحراف وهكذا، وإذا كان دور النبي هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فلا بد أن يكون النور كله، نوراً في عقله، ونوراً في قلبه، ولا بد أن يكون نوراً في عمله، والله سبحانه وتعالى حدثنا أن المؤمنين يوم القيامة يتحول إيمانهم إلى نور ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فمعنى الإيمان يتجلى في نور الحق، ونور العدل، ونور الاستقامة، فلا بد أن يكون النبي نوراً كله، لذلك نحن نقول إن الكون بحاجة إلى النور المتجدد الذي لا ينتهي دائماً، فالله سبحانه وتعالى خلق الشمس كلها نور، وكذلك نحن بحاجة إلى شمس إنسانية في هذا المجال متمثلة بالنبي المعصوم. أما قضية الإمامة، فأولاً هناك آية التطهير التي ركّزنا عليها كدليل على العصمة، والإمامة في عقيدتنا هي امتداد لحركة النبوة، ولكنها ليست نبوة، يقول النبي ﷺ: ((يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) فالإمامة ليست نبوة، إنما هي امتداد حركي للنبوة، حتى يكمل الإمام ﷺ إيصال الدعوة ومفاهيمها والمحافظة عليها، ولذلك فإن نفس الاستدلال على عصمة النبي يشمل الإمام، لأن حركية حماية الإسلام والمسيرة واحدة.

(١) الحديد: ٩.

(٢) التحريم: ٨.

الافتراق ستة طبيعية:

□ يقول الدكتور علي الوردي في كتابه (خوارق اللاشعور) إن تاريخ الإنسان بصورة عامة عندما يقتصر على النبي أو المصلح تكون وحدة الدين والمبدأ، ولكن ما إن يموت المصلح أو النبي حتى تبدأ الفرق والمذاهب، وكل هذه الفرق تنطلق من خلال المصالح، وكل فرقة تدعي بأنها الفرقة الناجية، وهذا تاريخ كل الأديان. إلا يجعل هذا من الدين مسألة وقتية تموت بموت المصلح أو النبي؟ والغريب أن هذا الوضع ممتد على الصعيد الديني، وخصوصاً الصعيد الشيعي، فكل مقلد لمرجع معين يدعي بأنه هو الفرقة الناجية، وأن المقلدين لبقية المراجع هالكون، فما تعليقاتكم على هذا الموضوع؟

○ عندنا نقطة يجب أن نفكر بها، وهي أن الله سبحانه وتعالى عندما أنزل الأديان، لم ينزلها على أساس الوسائل الغيبية، وإنما على حساب الوسائل الطبيعية في ما يأخذ به الإنسان وفي ما لا يأخذ به ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٣)، وقضية أن كل نبي وكل مصلح تفترق الأمة بعده على نحو ما ذكر في السؤال، فهذا واقع صحيح، وليس واقعاً مختصاً بالأديان، بل هو واقع موجود في الخطوط العلمانية، يعني في الاشتراكية مثلاً، فكم اشتراكية موجودة بعد المؤسسين الأوائل، وكذلك الديمقراطية الموجودة في العالم، فإن الله سبحانه وتعالى علل المسألة ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾^(٤)، يعني عندما جاء هؤلاء الناس بعد الأنبياء، فإنهم لم يكونوا معصومين، وإنما خضعوا لذاتياتهم ولمصالحهم وما إلى ذلك. ومع ذلك، فإن المذهبية تتحرف بالدين في بعض مواقعها، ولكنها لا تلغي الدين.

الأديان موجودة من حيث المبدأ لدى أتباع كل المذاهب في كل دين، وهذا صحيح، فهناك سنّي وشيعي، وهناك بروتستانت وكاثوليكي، وما إلى ذلك.

(٣) هود: ١١٨.

(٤) الشورى: ١٤.

وكذلك فإنَّ الشيعة مع بعضهم البعض مختلفون، والسُّنة يختلفون مع بعضهم البعض، لكن تبقى هناك أمور أساسية تحفظ الدين. وقضية التفرق إنما تكون في التفاصيل وليس في أصل المبادئ، وهذا مبدأ إنساني عام، كما قلنا، إذ إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد يستطيع أن يدخل الدين في رؤوسنا كما يخلق لنا عيوناً وأذاناً، لكن الله أراد للإنسان أن يتدين من خلال إرادته وفكره وعقله، بحيث أقام عليه الحجة وأراد له أن يأخذ بها ﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾^(٥). وهكذا فإنَّ المسألة ليست خصوصية الدين، ولكن خصوصية الإنسان الذي يلتزم خطأ معيناً، دينياً أو فكرياً أو سياسياً، ثم تأتي العوامل الداخلية والخارجية لتعمل على أساس إيجاد بعض الحالات التحريفية وما إلى ذلك.

عقل الحيوان:

□ قرأت في بعض الكتب أن الإنسان يختلف عن الحيوان بالعقل، إذ لا يوجد في الحيوانات عقل، فكيف نجد - مثلاً - النمل يدخر لنفسه القوت لفصل الشتاء وهو يفكر بالمستقبل؟

(١) المقصود بالعقل هو الطاقة التي تتحرك بالإنسان، بحيث إنها تنفتح به على آفاق جديدة وتجارب جديدة، بحيث يغير الإنسان من خلال حركة عقله طريقته في الحياة ويغير فكره وتقاليده وعاداته ومستقبله.. العقل يجعل الإنسان في حالة حركية تغيرية دائمة. أما الحيوان، فحركته حركة الغريزة التي تجعله قادراً على أن يحفظ حياته ونظامه وما إلى ذلك، ولكنها لا تملك الوسائل التغييرية، ولا تملك أن تبدع وسائل جديدة أو أفكاراً جديدة وما إلى ذلك، ولعلَّ هذا هو الفرق في هذا المجال.

النساء وأهل النار:

□ هل صحيح أن أكثر أهل النار من النساء؟

(٦) لقد ورد الحديث المروي عن النبي ﷺ في ذلك، فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: ((قال النبي ﷺ: أُرِيتِ النارَ فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط))^(٦). ولكن هذا الحديث غير نقي السند عندنا، كما أن مضمونه محل تأمل، ما يبعد صدوره عن النبي محمد ﷺ، وذلك لأن مثل هذا الحكم المطلق على النساء من إنكارهن الإحسان وكفرانهن العشير ليس واقعياً من حيث الشمولية، ولكنه . لو صح . فإنه يعالج هاتين الخصلتين، ولا يؤكد أن طبيعة المرأة كذلك، وإلا كانت المسألة أشبه بالجبرية التي لا تلتقي مع الاختيار، وبالتالي مع المسؤولية، وقد يكون أكثر أهل النار من الرجال. إن الطواغيت من الرجال مثل فرعون ونمرود وكلهم ليسوا من النساء. ثم إن الرجال هم الذين يضلون النساء. وإذا كان بعض الناس يقولون إن النساء عندهن إغراء، ولذلك فهن اللواتي يستغلن وسائلهن من أجل الاستفادة من حالة الإغراء، فهذا لا يعفي الرجل من الإغراء أيضاً. ثم إن قصة الجنة والنار ليست بأيدينا، بل هي بيد الله سبحانه وتعالى. إذاً نحن لا نستطيع أن نرتب حالتنا بين هذه المحلة وتلك المحلة، ونجلس الآن ونقسم الجنة والنار، والله تعالى يقول: ﴿مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٧) والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾^(٨). أي أن الإنسان لو كان يملك مقادير الأمور، إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر فإنه لا يسمح لأحد أن يدخل الجنة.

(٦) البحار. ج ٥٩. ص ٢٢٢. ح ١٠.

(٧) النساء: ١١٦.

(٨) الإسراء: ١٠٠.

أثر التوبة:

□ هل التوبة عن ارتكاب المعاصي ترفع عذاب الآخرة عن الإنسان حتى ولو

كانت من الكبائر؟

(٩) قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، ومعنى الإسراف هو تجاوز الحد، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٩). وقد ورد أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون^(١٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَيْحِبِ التَّوَابِينَ﴾^(١١).

توبة المجرم:

□ إذا تاب القاتل للنفس والهاتك للعرض وفاعل كل الكبائر التي توعد بها

الله سبحانه النار، فهل من توبة لمثل هذا أم لا؟

(١٠) يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١٢)، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١٣)، فإذا تاب وأصلح أمره، فإن الله سبحانه وتعالى يتقبله بكل غفرانه، ولكن لا بد للتوبة من شروط. ومن شروطها أنه إذا كان قاتلاً للنفس المحترمة، فإن لولي الميت عليه القصاص إذا كان متعمداً، وإنّ عليه الدية إذا لم يكن عامداً، وهكذا بالنسبة لهتك الأعراض، لأنّ الله سبحانه يتوب عليه في حقوقه، وأما بالنسبة لحقوق الناس، فلا بد أن يؤدي لهم حقوقهم.

(٩) الزمر: ٥٣.

(١٠) الشورى: ٢٥.

(١١) البقرة: ٢٢٢.

(١٢) الشورى: ٢٥.

(١٣) الزمر: ٥٣.

لماذا يخلد الكفار في النار؟

□ المعروف أن العقوبة يجب أن تكون على قدر الجرم، فلماذا يخلد البعض

في النار؟ وما تبرير ذلك؟

○ إنَّ من الخطأ أن يُقال إن مسألة العقوبة يجب أن تكون بقدر الفعل، فمثلاً عندما يطلق شخص على آخر الرصاص ويرديه قتيلاً، فإن إطلاق الرصاص لا يتجاوز لحظة، فهل يكفي بعقوبته لمدة لحظة واحدة؟ وهذا ليس صحيحاً، فإن العقوبة بحجم الجريمة ليس من الناحية الزمنية، بل من حيث تأثيرها على الحياة وعلى المجتمع وعلى الإنسان الآخر. وهذا معمول به في القوانين الوضعية، فإذا أجرم شخص جريمة، فإنه يعدم أو يُسجن مؤبداً، وإلا فلو كانت المسألة تقاس بالزمن، فعلى أي أساس يعدم مثلاً أو يُسجن مؤبداً؟ فإنَّ الجريمة بحسب زمنها لا تقتضي ذلك، لكن لما يترتب على هذه الجريمة من آثار تنعكس على سلامة الأمة والمجتمع والإنسان وسلامة الحياة، لذلك يقدر بحسب تأثيرها في اختلال النظم العامة للإنسان.

وعلى هذا الأساس كانت مسألة الخلود في النار، فكما نتصور ونقبل بالسجن المؤبد للقاتل - مثلاً - في ضوء القوانين الوضعية، فكذلك نتصور الخلود في النار في الآخرة. ثم هناك نقطة يجب أن تُعرف، وهي أن كل ما ورد من الجرائم من عقوبات فإنه يدخل في عالم الاستحقاق، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى سجّل عليه هذه العقوبة، ولكن في عالم الفعلية قد يرحمه الله سبحانه وتعالى لترفع عنه العقوبة كلها، لذا ورد: ((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)). وهناك فرق بين عالم الاستحقاق الذي يراد منه الردع عادةً، ليعرف الإنسان أن هذا العمل سوف يؤدي به إلى الخلود في النار، فإن ذلك قد يردعه. فالمسألة وقائية، ولكن الله سبحانه وتعالى في عالم التنفيذ قد ينطلق من خلال رحمته وغفرانه.

عصمة الأنبياء:

□ كيف يمكن التوفيق بين القول بالعصمة المطلقة للأنبياء ﷺ، وبين ما في القرآن الكريم من قصص يفهم من ظاهرها ارتكاب بعض الأنبياء للمعاصي؟ وهل صار التأويل في مثل تلك الآيات هو القاعدة بدلاً من كونه الاستثناء؟

(١) هناك نقطتان في هذا المجال: النقطة الأولى: من الناحية العقلية، وهي أنه إذا ثبتت لنا العصمة من الناحية العقلية، وكانت هناك آيات ظاهرها عدم العصمة، فنقول إن كل ظاهر في الكتاب والسنة يخالف العقل فلا بد من تأويله، بلحاظ القرينة الفعلية التي توحى باستحالة إرادة الظاهر عقلاً، تماماً كما هي القرينة اللفظية أو المقامية التي تصرف اللفظ عن ظاهره، والتأويل موجود في اللغة العربية، وذلك لأن هناك حقيقةً ومجازاً واستعارة وكناية وما إلى ذلك. ولذلك نحن أولنا الآيات التي تتحدث عن الله سبحانه كجسد مثلاً: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١٤)، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١٥) ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١٦)، وذلك لما ثبت عندنا في علم الكلام أن الله ليس جسداً، فقلنا بأن اليد كناية عن القدرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كناية عن الكرم وعن العطاء مثلاً، والوجه باعتبار أنه هو مظهر الشخصية، والمراد من الوجه هو الذات.

النقطة الثانية: وهي من الناحية التفسيرية، فإننا نقول إن ما صدر من الأنبياء ﷺ هو من باب بيان نقاط الضعف البشري في حياة الأنبياء ﷺ، لأن الأنبياء بشر، ولذا فهم يتألمون ويحزنون ويخافون، كما حدثنا القرآن الكريم عن

(١٤) المائدة: ٦٤.

(١٥) الفتح: ١٠.

(١٦) القصص: ٨٨.

خوف موسى ﷺ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(١٧)، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾^(١٨)، فخاف موسى ﷺ وهرب، فخاطبه الله سبحانه: يا موسى لا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ.. وكذلك في حياة إبراهيم ﷺ عندما جاءه الملائكة ورأى أنهم لا يأكلون، وهذه الأمور لا تمثل المعاصي، بل تمثل نقاط الضعف البشري، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيِّن أن النبي، من خلال أنه النموذج الأكمل الذي كلّفه الله برسالته، وهو يعيش بشريته في نقاط ضعفه، يمرض ويشفى ويتألم ويحزن وما أشبه ذلك.. والنبي ﷺ عندما فقد ابنه إبراهيم قال: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما لا يرضي الله))، ولذلك فإننا قلنا في وقت سابق، إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يدخل آدم ﷺ في دورة تدريبية، أو كما يقول الشهيد الصدر رحمه الله إنه كان يعيش في الحضانة، إذ إنَّ الله هو الذي جعل له دور الحضانة، كما هو الإنسان الطبيعي عندما يحضن الطفل ويحاول أن يدرّبه، كذلك بالنسبة لآدم ﷺ، فإنها كانت حضانة روحية عاشها آدم في تلك الرحلة، لأنَّ الله يريد أن ينزله للأرض ليعيش مع إبليس، ولم يكن له أيّ خبرة وليس لديه أي تجربة ومعرفة بأن هناك أناساً يغشون ويحلفون كذباً، ولذا عبر الله عن هذه المسألة بالنسبة لآدم ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتْنَيْهِ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(١٩).

غيبه الإمام المهدي ﷺ:

□ كثيراً ما تذكرون في أحاديثكم أن مسألة غيبه الإمام المهدي ﷺ هي غيب من غيب الله سبحانه وتعالى، ماذا تقصدون بذلك؟ وهل أننا لا يمكن لنا أن نؤمن بها بأدلة قطعية مقنعة؟

() لا نغني بقولنا إنَّ غيبه الإمام المهدي ﷺ من غيب الله بأنه لا يمكن لنا

(١٧) طه: ٦٧.

(١٨) النمل: ١٠.

(١٩) طه: ١١٥.

أن نؤمن بها بأدلة قطعية، ولا أدري من أين استنتج السائل ذلك، بل أعني أن أمر غيبته بيد الله سبحانه وتعالى والأمر في ظهوره إليه، ولذلك لا يمكن أن نتكلف تفسير كثير من الأمور التي لم يتضح لنا وجهها بدليل لماذا غاب هذه المدة كلها؟ وكيف يعيش؟ وغير ذلك.

معنى اللطف في العصمة:

□ هل العصمة لطف إلهي؟ وإذا كانت لطفاً إلهياً، فهناك أشياء عديدة نسميها لطفاً مثل المطر، فكيف ذلك؟

() إن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، ولكن قد تختلف مظاهر ألطافه. فالله سبحانه وتعالى قد يلطف بالإنسان، فيعطيه بعض الطاقات، وقد يلطف بأنبيائه وأوليائه، فيمنحهم العصمة التي لا تفقدهم الاختيار، ولكنها تمنعهم من السقوط في الخطأ، وذلك بطريقة إلهية خفية، وهذا لطف إلهي، وإنزال المطر لطف من ألطاف الله تعالى، والحياة كلها لطف من ألطاف الله تعالى، غاية الأمر أن هذا اللطف كما في العصمة مختص بالأنبياء والأولياء، وذاك يعم الناس كلهم.

تساؤلات الطفولة العقائدية:

□ حفيدي عمره خمس سنوات، يسأل عن شكل الله وأين وجوده، ويسأل إذا كان الشيطان مؤذياً، فلماذا خلقه الله؟

() بطبيعة الحال، لا بد أن تدرس ذهنية الطفل، يعني ربما تقرب إليه الفكرة على أساس أن الله سبحانه وتعالى موجود كما هو العقل موجود، أو أن تأتي له ببعض الأشياء التي يحس هو بوجودها لكن ليس لها شكل في هذا المقام، وذلك عندما يتألم، مثلاً، فالألم موجود ولكن لا يراه وهكذا، بحيث نقرب له بوسائل الإيضاح بعض الأشياء، ونقدمها له ليشعر بأنها موجودة ولكن ليس لها شكل، ثم نقول له إن الله سبحانه وتعالى موجود ولكن لا شكل له،

وغير ذلك، ثم نخبره أن الله سبحانه وتعالى أعظم من كل هذه الأمور، حتى لا يربط بينهما في هذا المجال. كذلك بالنسبة للشيطان، فالله سبحانه وتعالى لم يسلطه على الإنسان، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٢٠)، حتى الشيطان نفسه يوم القيامة، عندما يندفع الناس إليه ويحملونه المسؤولية يقول كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ﴾^(٢١)، فنقرب له الصورة بحسب إحساسه الطفولي بوسائل الإيضاح في هذا المجال.

ويقال - من باب الطرافة بعد هذا الحديث الفكري - إنه كان هناك في زمن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عالم اسمه (البهلول)، ولكن هذا لمصلحة ما أو لحكمة ما كان يركب على العصا ويلحقه الأطفال، فكان يصور نفسه بصورة من لا عقل له، فمرّ على خطيب وكان هذا الخطيب يتكلم ضد الإمام الصادق عليه السلام، بأن الإمام عليه السلام يقول إن الله لا يرى، ويعلق هذا الخطيب: كيف يمكن أن يكون الله موجوداً ولا يرى، فأمسك البهلول بحجر وضربه على رأسه، فاجتمعت الناس عليه وصار يصرخ من الألم، فأتى الناس إلى بهلول، وسألوه: بأي حق فعلت ذلك؟ فقال لهم: أريد لهذا أن يكشف لي ويجعلني أرى هذا الألم، لأنه يقول إنه متألم، وأنا أقول إن هذا الكلام غير صحيح، لأنه إذا كان الألم موجوداً، فيجب أن نراه، لأنك تقول إن كل موجود لا بد أن يرى، وإن لم يكن كذلك، فكيف تتقد الإمام جعفر الصادق عليه السلام؟ على هذا الأساس و الآن في عالم التربية الحديثة تقدم الكثير من وسائل الإيضاح، بالطريقة المادية حتى تقرب لهم المسألة المعنوية.

(٢٠) الإسراء: ٦٥.

(٢١) إبراهيم: ٢٢.

العترة والكتاب:

□ تشير الروايات إلى اختصاص قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢٢)، بالخمسة أصحاب الكساء، فما هو الدليل على إمامة الأئمة عليهم السلام من ذرية الإمام الحسين عليه السلام؟

(٢٠) روي في بعض الأحاديث، وعن العامة، أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ يقول: ((إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))^(٢٣)، فالكلام أنه ما دام هناك كتاب موجود، فالعترة موجودة، وليس هناك إلا الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، كما ورد في بعض الأحاديث، ثم إن كل إمام كان ينص على الإمام الذي بعده، وكان لكل إمام كرامة تدل على إمامته.

مصحف فاطمة عليها السلام:

□ يتحدث بعض الحاقدين على المذهب عن قرآن فاطمة عليها السلام، فماذا يعنون بذلك؟ وكيف يتم الرد عليهم؟

(٢١) لا يوجد عندنا قرآن فاطمة، عندنا في الأحاديث مصحف فاطمة عليها السلام، لأن المصحف لا يراد منه القرآن، وكلمة (مصحف) مأخوذة من مجمع الصحف، هذا الكتاب الذي كانت تكتبه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في ما تسمعه من الملك الذي كان يؤانسها، وليس وحياً أو ما أشبه، فيخبرها بمقام أبيها، أو بما يحدث في ذريتها. كما في بعض الروايات.

وبعض الروايات يقول إن فيه وصية فاطمة. وبعضها الآخر يقول إن فيه بعض الأحكام الشرعية كما كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام. كما في (الكافي). - أنه قال لعبد الله بن الحسن عليه السلام، عن بعض الأحكام قال: ((هذا موجود في كتاب جدتك فاطمة))، فمن المؤكد ليس هناك إلا قرآن واحد، لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه، وهو القرآن الذي بين أيدينا، لا زيادة فيه ولا نقصان، وقد تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢٤)، وقد ردَّ علماء الشيعة على هذه الشبهة، ولكن هؤلاء لا يزالون يؤكدون ذلك في كتاباتهم، لأنَّ المطلوب لهؤلاء ليس معرفة الحقيقة، ولكنه تسجيل نقطة سلبية على الشيعة، على طريقة الكذب الكذب حتى يصدقك الناس، واكذب اكذب حتى تصدق نفسك.

الشخصية النبوية:

□ يرى الشيخ المفيد رحمته في كتابه (أوائل المقالات) جواز وقوع الذنوب الصغيرة من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة إلا أنه اشترط أنه لا يستخف فاعلها، وأن يكون ذلك عن غير عمد، ما هو رأيكم؟

(٢) نحن بحسب الدليل الذي استدليناه به على العصمة، وهو ما استفدناه من القرآن الكريم، من أن دور النبي هو أنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلا بد أن تكون شخصيته في تكوينها نوراً كلها، نوراً في عقله، ونوراً في حركته، ونوراً في قلبه، وهو يقتضي العصمة المطلقة، ولكن كما يقول بعض علمائنا: إنَّ الدليل العقلي غاية ما يقتضي عصمتهم بالتبليغ، أما عصمتهم في غير ذلك فلا بد من الرجوع فيها إلى الأحاديث. هذا في حال النبوة، أما قبلها، فقد يرى بعض العلماء أنها ليست ضرورية للنبي عليه السلام. شرط أن لا يؤدي ذلك إلى الاستخفاف به في مستقبله مما لا يتناسب مع النبوة.

وكان علمائنا السابقون كذلك - كما يذكر الشيخ المفيد - أنه كانت بعض آرائهم كذلك، ولكنهم متفقون على أنهم معصومون بعد النبوة.

صدور الغضب والرضا من الله:

□ ألا يتعارض قولنا بأن الله عز وجل يغضب ويرضى مع قولنا بأن الله سبحانه ليس محلاً للحوادث؟

○ يعني عندما نقول: الله يغضب ويرضى، فليس معنى غضبه تعالى هو كالانفعالات التي نعيشها، فنحن - كبشر - ننفع، فتارةً يكون انفعالاً إيجابياً، وأخرى سلبياً. أما بالنسبة إلى الله تعالى، فغضبه يمثل عذابه، وترتيب الآثار على الإنسان، ورضاه يمثل ثوابه. يقول الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٢٥)، فليس المراد من الغضب أن الله سبحانه وتعالى تأتيه حالة انفعالية قد تنفتح على الرضا، وقد تنفتح على الغضب، فالله سبحانه ليس محلاً للحوادث، والله لا يتغير ولا يخضع للحوادث، ولذلك فالمقصود من الغضب أثر الغضب، ومن الرضا أثر الرضا، والله العالم.

الجريمة والعقاب:

□ كيف يعذبنا الله تعالى، وهو الرحمن الرحيم على ذنب محدود في الزمن بعذاب ليس محدداً في الآخرة، حين يقول: اخَالِدِينَ فِيهَا؟ ومن نحن وماذا نساوي بالنسبة لعظمته حتى يعذبنا بمثل هذا العذاب؟

○ أولاً: وصف العذاب في حجمه لا يخضع للزمن، وإلا فإذا قتل شخص ما شخصاً آخر، فالقتل حدث في لحظة، فالفرق بين وقت انطلاق الرصاصة مثلاً وحدوث الوفاة لحظة، فهل نقول إن هذا يقتضي أن نحبس القاتل لحظة واحدة. قضية القتل وقضية الذنب تقدّر بحسب طبيعة خطورتها على الواقع الإنساني العام، وخلفياته بالنسبة إلى موقف الإنسان من الله سبحانه وتعالى، وما إلى ذلك.. لهذا نحن الآن عندنا في الدنيا - ولا نريد أن نقيس الأمر، بل نريد تقريب الصورة - نجد أن أوروبا - مثلاً - قد ألغت قوانين الإعدام، ولكنها استبدلتها بالسجن المؤبد، والسجن المؤبد في تأثيره على السجين كأنه في كل يوم يُعدم إعداماً، فليس له أمل في الحياة، مع أن القتل زمانه لحظة! ثم ما هي حاجة الله سبحانه وتعالى لتعذيبنا؟ إن الله ليس له حاجة في ذلك، فهو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۖ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ^(٢٦)، واللّه لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه، ولكنه سبحانه وتعالى بحكمته أراد أن ينظّم هذه العقوبات في الدنيا، وأراد أن يعد الناس عليها في الآخرة، حتى يعيشوا هذا الإحساس بالخوف من العقاب لينضبطوا في الدنيا، هذا في جانب.

ومن جانب آخر، فإنّ الله سبحانه وتعالى يعني بالوعيد العذاب الذي قد لا يتحقق في مرحلة التنفيذ، لأنّ مسألة أن يستحقّ الشخص العذاب شيء، وأن يُنفذ الحكم في حقّه شيء آخر، فهناك حالة الاستحقاق وهناك حالة الفعلية، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢٧)، فللشرك خصوصية معينة، لأنّ فيها جانب تمرد على الله تعالى، وفيها جانب إساءة للإنسان إلى نفسه، وإساءة إلى حياة من حوله، في الوقت الذي قد يغفر ما دون ذلك. ولذلك نحن من خلال هذا الجانب، لا نستطيع أن نوزع الجنة والنار على الناس، فهناك الكثير من الناس، وخصوصاً الشيعة من جهة والسنة من جهة أخرى، والشيعة مع بعضهم بعضاً، والسنة مع بعضهم بعضاً، يوزعون الناس على الجنة والنار، وهذا غير مقبول، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا مُسَكَّتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾^(٢٨)، فلا أحد يرحم الآخر في هذا المجال. ولذا لا نستطيع أن نحكم على كل الناس بدخول النار، لأن الاستحقاق عند الله سبحانه شيء، والفعلية شيء آخر، ولذا فلنرح أنفسنا من مثل هذه الأعمال.

(٢٦) فاطر: ١٥-١٧.

(٢٧) النساء: ١١٦.

(٢٨) الإسراء: ١٠٠.

التعرف على مذهب أهل البيت عليه السلام:

□ نريد التعرف على مذهب أهل البيت عليه السلام، والسير على خطاهم، فما هو

خط البداية؟ وما هي الخطوات التي يجب اتباعها؟

(١) اقرأوا القرآن الكريم، تعرفوا مذهب أهل البيت عليه السلام، لأن أهل البيت عليه السلام ليس لديهم شيء غير القرآن الكريم، بشرط أن نفهمه في هذا المجال.. وينقل عن المرحوم السيد محسن الأمين عليه السلام، وقد كان ساكناً في الشام، في الحي الذي سُمي باسمه اليوم، أن جاءه شخص من أهل السنة، وقال له أريد أن أكون شيعياً، قال له: لا يوجد فرق بين السنة والشيعية، فلما أصر هذا الشخص، فقال له: اجلس بين يدي، فجلس، قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال له: قل أشهد أن محمداً رسول الله، فنطق بها، قال: صرت شيعياً، لأن الشيعة ليس لديهم إلا التوحيد والرسالة، لأننا عندما نتحدث نحن عن الولاية، فذلك لأن النبي عليه السلام قال فيه تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢٩)، فنحن نلتزم الإمام علياً عليه السلام، لأن رسول الله عليه السلام رباه، ولأنه تلميذ القرآن الكريم، ولأنه وصيه وخليفته، فلا يوجد شيء غير القرآن الكريم، ولذلك فإن الأئمة عليهم السلام عندما كثرت الكذابة عليهم، رويت عنهم أحاديث مضمونها: ((لا تقبلوا علينا إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه))، ((ما خالف كتاب الله فهو زخرف))، ((ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار))، ((ما خالف قول ربنا لم نقله))^(٣٠).

وهذه الأحاديث مروية عن الأئمة عليهم السلام لترجع الناس إلى القرآن كمرجع ومصدر وأساس. وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: ((قل: من كان مطيعاً لله فهو لنا ولي، ومن كان عاصياً لله فهو لنا عدو))، وقد قال عليه السلام: ((أفيكفي من ينتحل التشيع أن يقول أحب علياً وأتولاه، ثم لا يكون فعالاً، فلو قال أحب

(٢٩) الحشر: ٧.

(٣٠) الكافي: ج ١، ص ٦٩، ح ١. والتهذيب: ج ٥، ص ٢٨، ح ١٢. والفقيه: ج ٣، ص ٤٩٧، ح ٤٧٥١.

رسول الله فرسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله. ليس بين الله وبين أحد قرابة، وأحب العباد إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، والله ما يُتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة)). هذا هو خط التشيع.. ((والله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكن والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير))^(٣١). فإذا أردت أن تكون شيعياً فعليك أن تكون مسلماً، لأن التشيع هو أن تنطلق من قلب الإسلام.

التقية والنفاق:

□ ما هي الحدود الفاصلة بين التقية والنفاق، حيث هناك من يستخدم التقية لتبرير مواقف قد يصبح تصنيفها تحت اسم النفاق؟

○ التقية هي أن تتكلم بكلام لا تؤمن به انطلاقاً من وجود خطر يتهددك في حياتك، أو خطر يتهدد أمتك، أو يتهدد دينك، أما النفاق، فهو أنك تظهر بغير ما أنت تؤمن به لطمع تطمع به، أو لشهوة تريد تحقيقها، فهذا هو النفاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^{٣٢}.

تأثير البيئة في الإيمان:

□ عندما نرى الظروف التي يعيشها كل إنسان بشكل منفرد، نرى أن البعض قد يولد في بيئة فاسدة، وظروف فاسدة، ومجتمع فاسد، يحرفه عن

(٣١) الكافي. ج ٢. ص ٧٤. ح ٣.

(٣٢) البقرة: ١٤.

الحق، ويغمسه في الشهوات، والبعض الآخر يولد في بيت ملتزم، مؤمن، ويكبر في هذا الجو ويعيش فيه، فلماذا يحاسب الله تعالى كلتا الحالتين بميزان واحد مع أن المعطيات مختلفة؟

○ من قال إنه يحاسبهم بميزان واحد؟ فكما نلاحظ الظروف، فإن الله سبحانه وتعالى يلاحظ الظروف، لكن هناك نقطة أحب للسائل أن يلتفت إليها، وقد ذكرناها في حديث سابق عندما سأل بعضهم عن الظروف وتأثيرها في حياة الإنسان، فقلت: إن البيئة لا تشل الإنسان. نعم، قد تضعفه وقد تخلق له مناخاً سلبياً، ولذلك نرى المشركين الذين دخلوا الإسلام، كانوا في بيئة كافرة، فكيف دخلوا في الإسلام، والآن كثير من الناس نراهم يعيشون في بيئة فاسدة، فيصبحون من أفضل الناس، ويوجد من الناس من يعيش في بيت ملتزم، فيكون من أشقى الناس، وأي بيئة هي أفضل من بيئة الأنبياء ﷺ؟ فكيف نقول بالنسبة إلى ولد النبي نوح ﷺ وكيف نقول بالنسبة إلى امرأة النبي لوط ﷺ؟ وكيف نقول بالجانب الآخر، عن امرأة فرعون؟ عن ملكة سبأ؟ ولذلك فالبيئة لا تشل الإنسان ما دام أنه يملك عقلاً يحاسبه الله تعالى به يوم القيامة. وبطبيعة الحال، فالله تعالى يعاقب الإنسان ويثيبه على حسب الظروف التي يعيش فيها، ولذلك ورد عندنا أن الله يثيب الإنسان على قدر عقله ويعاقبه على قدر عقله.

تأثير السحر:

□ ما مدى تأثير السحر في التفريق بين الزوجين بحيث يصل الأمر إلى

الطلاق؟

○ قال تعالى: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾^(٣٣)، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^(٣٤)، يعني هذه الوسائل لا تحمل في داخلها عناصر الضرر إلا أن يأذن الله، والله تعالى لا يأذن بالتفريق بين المرء وزوجه بطريقة غيبية، أو ما أشبه ذلك.

الإيمان والرجعة:

□ يقول المظفر^(٣٥) في كتابه (العقائد الإمامية) بعقيدة الرجعة، واستدل لها قرآنياً، لكن هذا الدليل غير واضح وغامض نوعاً ما، فما هي الرجعة؟
○ الرجعة تعني أن هناك أناساً ربما يرجعون في آخر الزمان، وهم الأئمة^(عليهم السلام) كما في بعض الأحاديث، لكن بعض الأحاديث التي وردت في الرجعة هي أحاديث مضطربة ومرتبكة، ولذلك فإن بعضهم يقول إن الرجعة ليست رجعة الأشخاص، إنما هي رجعة الحكم في تلك المرحلة، خصوصاً بالنسبة للإمام^(عليه السلام)، لذا فإن قضية الإيمان بها يكون على نحو الإجمال، وإلا فبالنسبة للتفاصيل فإن التفاصيل كثيرة ومضطربة ومرتبكة.

المعصوم في زمن الطفولة:

□ ما معنى أن يكون الإمام معصوماً في صغره، ونلاحظ أن الإمام يتحرك في صغره بما يعبر عن طفولته، كأبي طفل من الأطفال، فهل هذا يتنافى مع عصمته؟ مثل ركوب الإمام الحسين^(عليه السلام) على ظهر النبي^(صلى الله عليه وآله وسلم) في صلاته؟
○ المهم أن يكون عند المعصوم هذه الروح، وهذه الشعلة القدسية الموجودة، بحيث لا يتصرف تصرفاً ينافي الأخلاق، أما قضية أن يلعب الطفل مثل الإمامين الحسن والحسين^(عليهم السلام) عندما كانا يركبان على ظهر النبي^(صلى الله عليه وآله وسلم)، فالنبي^(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحب ذلك، والطفل آنذاك غير مكأف، وهو لا يعتبر خطأً بحسب طبيعة الحالة النبوية والأبوية التي كانا يعيشانها.

الأمر المولوي والإرشادي:

□ ما هي الضابطة للتمييز بين الأمر المولوي والأمر الإرشادي، وكيف نعرف ذلك، خصوصاً الأوامر الإلهية لبعض الأنبياء ﷺ، مثل النبي آدم ﷺ في مسألة الشجرة وعدم الاقتراب منها؟

(٣٥) يُعرف ذلك من خلال القرائن؛ فالأمر المولوي هو الأمر الذي يصدره الله سبحانه وتعالى بصفة كونه المولى الذي يجب أن يطاع، بحيث إن الإنسان لو عصاه فإنه يستحق العقاب. أما الأمر الإرشادي الذي يكون من قبيل النصيحة، فالله سبحانه وتعالى ينصح فيه الإنسان، ولكنه لا يلزمه، وهذا ما حصل بالنسبة إلى قصة النبي آدم ﷺ وحواء، فإن الله تعالى أراد أن يحذر النبي آدم ﷺ وحواء من إبليس، فقال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٣٥)، فالله سبحانه وتعالى نصحهما أنه إذا أردتما أن تبقيا في الجنة، فلا تقربا هذه الشجرة، وأنكما إذا أكلتما منها وخضعتما لوسوسة الشيطان وما يعتبره نصيحة، إذا كان الأمر كذلك، فعليكم أن تخرجوا من الجنة، ولذلك يقول العلماء إن ما عمله آدم ﷺ كان مخالفاً للنصيحة، وليس تمرداً على الله سبحانه وتعالى، وخصوصاً أن هناك وجهة نظر كنا نراها في تفسيرنا (من وحي القرآن)، وكان أيضاً يراها السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم للأرض، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣٦)، وقد كان آدم ﷺ بلا تجربة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْماً﴾^(٣٧)، يعني أن الله سبحانه وتعالى خلقه كما يقال (على فطرته)، ليس لديه أي تجربة أو أي ثقافة، فأراد الله له . كما يقول الشهيد الصدر . أن يعيش فترة حضانة معينة، كما تحضن الطفل وتعوده على الأشياء، وتنمي بعض أفكاره وبعض أوضاعه، ونحن قلنا إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يدخله في دورة تدريبية، لأن

(٣٥) طه: ١١٧.

(٣٦) البقرة: ٣٠.

(٣٧) طه: ١١٥.

الله تعالى خلقه للأرض، وهذا ما يظهر في الحوار بين الله تعالى وإبليس، قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٣٨)، وذلك في الأرض أيضاً، فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يفهم النبي آدم ﷺ ما عند إبليس من وسائل وأساليب، وما إلى ذلك حتى أنه يحذر منها، لكي يتعلم، لأنه لم يكن في فكر آدم ﷺ أنه يمكن لأحد أن يحلف يمينا كاذبة، قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنُ النَّاصِحِينَ﴾^(٣٩)، أو أن أحداً يمكن أن يحلف يمينا ويخلف، أو أنه يعد بشيء ولا يفي، أو يكذب، فهو لم يعيش في مجتمع معقد، فالحق سبحانه أراد أن يجعله في دورة تدريبية، بحيث يعرفه هذا النوع من المخلوقات الذي يعد ويخلف، والذي يكذب ويخدع ويقسم ولا يفي هذا هو المعنى، ولذلك فإن المسألة لم تكن تكليفاً شرعياً، وخصوصاً أن ذلك كان في الجنة وليس فيها تكليف، ولذلك كان ذلك أمراً إرشادياً، وهو إرشاد من أجل تدريبه على أن يواجه ما يقوم به إبليس، والله العالم.

علم الله والاكتشافات الحديثة:

□ هناك آية في القرآن الكريم تبين أن الله جل وعلا عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، فما هو الرد على شبهة أن بعض تلك الأمور كإنزال المطر، أو ما في الأرحام من ذكر وأنثى معلومة، نتيجة تقدم العلم؟

○ ما يذكر في السؤال صحيح، ولكن الله سبحانه وتعالى يعلم ذاتياً وبدون وسائل، لأن الله سبحانه هو الذي علم الإنسان ما لم يعلم، فإن هؤلاء علموا أن الولد ذكراً أو أنثى، من خلال ما علمهم الله سبحانه وتعالى، بشكل غير مباشر مما كشفه الله تعالى أمامهم. أما الله سبحانه وتعالى، فهو خالق ذلك، ولذلك هو يعلم ما في الأرحام، باعتبار أنه خلق ما فيها. أما أولئك فيعملون ذلك من خلال الوسائل التي هيأها الله تعالى لهم.

(٣٨) الأعراف: ١٤.

(٣٩) الأعراف: ٢١.

أما قضية إنزال المطر، فهم لا ينزلون المطر، والله سبحانه وتعالى ينزل المطر، ولكنهم يعلمون بنزول المطر من خلال الوسائل. قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٤٠).

غيبة الإمام المهدي ﷺ:

□ إذا كان الله تعالى قد أرسل الأنبياء ﷺ والأئمة ﷺ ليكونوا حكماء ومندرين وقادة، فيكيف يكون ذلك وهم مستترون عن الأنظار كالإمام المهدي ﷺ، ألا ينبغي أن يكون حاضراً معنا ليووجه خطانا ويسددنا؟

(٥) مسألة الإمام محمد بن الحسن ﷺ تختلف عن كل مسائل الأنبياء والأئمة ﷺ، فهو حجة الله تعالى، وهو الإمام الثاني عشر الذي لا إشكال في إمامته، ولكن الله سبحانه وتعالى أعدّه من أجل أن يهيئ العالم للعدل الكلّي، وهيئة للحالة التي يختم الله بها مسيرة البشرية، ويحقّق هدف كل الأنبياء والرسالات، ولذلك لم يجعله الله سبحانه وتعالى إماماً في التفاصيل، كما هم الأنبياء ﷺ في الرسالة وتفصيلها في تعليم الكتاب والحكمة والتزكية التربويّة للناس.. فهم أئمة في التفاصيل، حيث جاءوا بالرسالة وعلموها، وكذلك الأئمة ﷺ من آبائهم، فقد أكملوا التفاصيل باعتبارهم خلفاء النبي ﷺ وأوصيائه حسب عقيدتنا، ولذلك عندما سئل في حال فترة غيبته - ماذا نفعل؟ قال - كما روي عنه -: 'وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتني عليكم، لأنني من خلال آبائي، ومن خلال ما أعطيتهم، يملكون الإجابة عن التفاصيل، سواء على مستوى الجزئيات أو على مستوى الكليات، ((فإنهم حجتني عليكم وأنا حجة الله))'. فليست هناك حاجة في التفاصيل، والعلماء الذين رووا ودرسوا كل ما جاء عن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وعن الأئمة ﷺ، قادرون على أن يعطوا لكل جيل من الأجيال القادمة الإجابة عن علامات الاستفهام التي

تطراً في ذهنه، أو الحاجات التي يحتاج فيها إلى التشريع، لذلك لا حاجة للإمام في التفاصيل بعد إتمام البيان، ودور الإمام هو الدور الذي يغيّر فيه العالم، ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

أما لماذا غاب كل هذه الغيبة الطويلة؟ ما هو السرّ؟ فإن غيبته غيب من غيب الله سبحانه وتعالى، وظهوره غيب من غيب الله سبحانه، وما يذكر من علامات لا يعطينا الوضوح، بل قد يعطينا بعض الإشارات، وقد استغرق الناس بهذه العلامات، حتى أصبحوا كلّما وقعت حرب عدّت من علامات الظهور، ولكن هذا غيب من غيب الله تعالى، وسرّ من أسرارهِ، ونحن لا نملك المفردات التي تعلمنا إياه، ودور الإمام ﷺ يختلف عن دور كل الأئمة ﷺ وواقعاً عن كل الأنبياء ﷺ، ولعل هذا السؤال يتكرر دائماً، أنه كيف يمكن أن يغيب؟ مع أنه الإمام الذي تقوم به الحجة؟ وفي حالة غيبته لا تقوم الحجة؟ هذا كله، لأن الثقافة التي عندنا هي أننا نعتبر أن دور الإمام ﷺ كدور أبيه، وكدور أجداده، والقضية ليست كذلك، من خلال الأحاديث التي وردت في هذا المجال.

عظمة الإنسان:

□ ينسب إلى الإمام علي ﷺ أنه يقول:

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

والسؤال: كيف ينطوي. عقلاً. العالم الكبير في الإنسان المحدود؟

○ لأن الإنسان هو الذي يقود هذا العالم، من خلال العقل الذي أعطاه الله إياه، فلاحظ تطور العلم، وتطور العقل الإنساني، وتطور البحث الإنساني، إذ في كل عصر يكتشف الإنسان أشياء جديدة في أسرار الكون، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفته، لأن الإنسان بما أعطاه الله سبحانه وتعالى من عقل، وبما أعطاه من أجهزة، مكنه من اكتشاف الكون كله، بما وضعه الله تعالى بين يديه من الوسائل، إنّ الإنسان وحده هو الذي انطوى فيه العالم الأكبر، وليس معنى ذلك أن تنطوي في داخله السماوات والأرض، بل يعني من خلال ما يمكنه

من عقل يفجر العلم وينفتح، من خلال علمه على كل العالم الأكبر، بحيث يستطيع أن يقوده، ويكتشف فيه العالم وأسراره.

حدود حرية العقل:

□ إذا كان الظن عملاً عقلياً وبعضه إثم، ألا يتناقض ذلك مع القول بأن الله سبحانه وتعالى لم يحرم شيئاً على العقل؟

(٤١) أولاً: إنَّ الظن هو نتيجة حركة العقل يجب أن يتحمل الإنسان مسؤوليته، يعني أنَّ العقل قد يخطئ في بعض الحالات، وذلك إذا أخطأت المقدمات، فمعنى «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»^(٤١) يعني قد يخطئ، لأنَّ العقل كما ذكر الإمام علي عليه السلام على قسمين: عقل طبع وعقل تجربة، فعقل الطبع هو الذي نسميه العقل الفطري، كما ورد: ((إنَّ كلَّ مولود يولد على الفطرة، إلاَّ أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)). إذا صحَّت الزيادة، وعقل التجربة هو عقل الثقافة التي تأخذها، سواء من تجاربك أو مما تتعلَّمه من تجارب الآخرين. ولذلك قلنا إنَّ الله سبحانه وتعالى أعطى للعقل حريته، شرط تحمُّل مسؤوليتك، لأنَّ بعض المقدمات التي يستعملها في سبيل الوصول إلى النتائج مقدمات قاصرة ومقدمات خطأ، ثمَّ إنَّ الإثم بلحاظ ترتيب الأثر والعمل طبقاً للظن الذي لم تثبت حجَّيته.

الاستعانة بالله على الشيطان:

□ في بعض الأحيان، يكون الإنسان مائلاً إلى أعمال وسوسة الشيطان في العقل، مع أنَّ الإنسان المؤمن يتمنَّى عدم تنفيذ أعمال وسوسة الشيطان، ويرجو من الله تعالى أن يخلصه من أعماله السيئة، لأنَّ الله تعالى يقول: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٤٢)، لكنه يبقى ويظلَّ على أعماله الخاطئة؟

(٤١) الحجرات: ١٢.

(٤٢) يس: ٨٢.

○ صحيح أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، ولكن ذلك في عالم التكوين، وقد أراد الله تعالى للإنسان أن يقوم بعمل الخير باختياره وإرادته، وأن لا يخضع للشيطان ووساوسه، وقد حذّره الله من ذلك وحماه منه. قال تعالى في خطابه للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٤٣)، فالشيطان لا يسيطر على الإنسان سيطرةً مطلقةً بنحو يشلُّ إرادته، ولكن يوسوس له، فيصنع له بعض الوسوس، وبعض الهواجس، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٤٤)، لذلك أراد الله تعالى للإنسان أن يكون مختاراً، وحملَه مسؤولية اختياره، ولكن الإنسان إذا أراد أن يكون خاملاً وكسولاً فإنه يريد من الله تعالى، بل يوجب عليه، أن يدخل الإيمان في داخل عقله، وهذا أمر غير صحيح، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤٥).

البحث العقائدي:

□ لماذا طلب إلينا أئمتنا ﷺ عدم المناقشة والتكلم في ذات الله أو في بعض الأمور كالقضاء والقدر؟ أليس في هذا تحجيم للعقل وتقييد له؟

○ أولاً: إن الأئمة ﷺ تكلموا في الله سبحانه وتعالى، فعندما تقرأون الجزء الأول من (الكافي)، فإنكم تجدون في باب (التوحيد) أحاديث مختلفة عن الأئمة ﷺ، لكن هذا في ما يمكن أن يبلغه العقل من صفات الله سبحانه وتعالى. أما في ذات الله عز وجل فلا يعرفه أحد، حتى الأنبياء ﷺ لا يعرفون ذلك، لأنه غيب الله سبحانه وتعالى، الذي لا يحيط به أحد، ولذلك ليس عندنا وسائل لمعرفة ذلك، فمتى تحجّم العقل وتقيده؟ ذلك عندما تمنعه من أن يفكر في أمر

(٤٣) الإسراء: ٦٥.

(٤٤) الأعراف: ٢٠١.

(٤٥) الأنعام: ١٥٣.

من الأمور، وذلك عندما تكون للعقل وسائل يستطيع من خلالها أن يدرك هذا الأمر. أما نحن الآن - مثلاً - فنستطيع أن نثبت أن الله عادل وقادر وعالم وحكيم، لأننا نستطيع بالوسائل الموجودة عندنا أن ندرك ذلك، أما كيف هو الله سبحانه كيف هو؟ فمن الذي يعرف؟ فليس لدينا أية وسيلة، وهذا غيبٌ لا يطلع عليه أحد، حتى الأنبياء ﷺ، والله سبحانه هو المطلق في كل ذاته، وهو المطلق في كل صفاته. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤٦)، فالأئمة ؑ يقولون عندما تدخلون في الحديث عن ذات الله، فإنكم تدخلون في متاهات ولا تستطيعون أن تبلغوا نهاياتها، ففكروا في الله من خلال التفكير في خلقه، ((ولا تفكروا في الله، ولكن فكروا في خلق الله))^(٤٧)؛ لأن تفكيركم في خلق الله تعالى هو الذي يعطيكم الفكر عن الله سبحانه وتعالى في ما يمكن للإنسان أن يعرفه من ذلك.

ذات الله:

□ هل يجوز لنا أن نقول إن الله ذات ولكن ليس كمثله شيء؟

○ نعم، يمكن قول ذلك.

المس بالذات الإلهية:

□ يمس بعض الناس الذات الإلهية، فهل هو في حكم الكافر أم يجب

تجنبه، وما الحكم؟

○ تارةً ينطلق المس من قبيل سبق اللسان، كمن يكفر أثناء الغضب ثم

يستغفر الله، فهو نظير الأيمان العفوية الطارئة: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي

أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٤٨)، وتارةً يستقر هذا

المعنى في نفسه فعندئذ يكون كافراً.

(٤٦) الشورى: ١١.

(٤٧) البحار. ج ٥. ص ٦٦. ح ٩.

(٤٨) البقرة: ٢٢٥.

مرتكب الكبيرة:

□ ما رأي الشيعة في مرتكب الكبيرة، هل هو مغلّد في النار أم لا؟ وما هو البديل للخلود إذا كان الجواب لا؟

(٤٩) بعض الآيات الكريمة تقول إنه مغلّد في النار بالنسبة إلى بعض الكبائر: «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها»^(٤٩). ولكن ربما تأتيه المغفرة من الله سبحانه وتعالى بعد ذلك. والله تعالى يقول في سورة النبأ: «لابئين فيها أحقاباً»^(٥٠). أي أن هناك مدة معينة علمها عند الله، ولكن المهم هنا هو أن لا نرتكب الكبيرة حتى لا ندخل النار.

الوحدة الإسلامية، هل تتحقق؟

□ قد دعوتكم كثيراً إلى عقلنة القول ودراسة الواقع ونبذ الانفعال، ولكن أين قيمة الوحدة الإسلامية التي دعوتكم إليها ولا تزال هناك فئة تقتل، بل تجرح الأمة بالصميم، كما يجري هذه الأيام، أوليس الدعوة إلى الوحدة أمراً غير مجد، ولا سيما أن كل واحد يتمسك بالذي عنده والأمة تزداد تفرقاً؟

(٥٠) الدعوة إلى الوحدة هي التي تتقذنا من هذه الأعمال، وذلك عندما يلتقي المسلمون ويعتصمون بحبل الله جميعاً، ويردّون ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، وينفتحون على الكتاب والسنة، ونحن إذ نرى أن هناك من قام بهذه المجازر، فإنهم إن كانوا من فئة المسلمين، فإنهم لا يمثلون هذه الفئة، بل هم مجرمون يمثلون أنفسهم في خلفياتهم الإجرامية التي يتجسّد فيها الكفر العملي، ثم هناك خلفيات استكبارية تستغلّ هذه الظروف. وهذا قد يحدث في الفئة الواحدة عندما يقوم بعض الشيعة بقتل بعضهم بعضاً، ألم يحدث عندنا خلافات بين الشيعة بقتل بعضهم البعض، كما في لبنان وفي أماكن أخرى، فهل نقول نحن

(٤٩) النساء: ٩٣.

(٥٠) النبأ: ٢٣.

لا نريد وحدة شيعية! ولذلك يجب علينا أمام كل هذا الجهل، وكل هذا التعصب الأعمى، وكل هذه العقليات، أن نعمل للخلاص منها، حتى تذهب من النفوس فلا يحدث مثل هذا. فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(٥١) لماذا يدعوننا الله سبحانه وتعالى إلى هذا؟ فاليهود عملوا كذا وكذا، والنصارى عملوا كذا وكذا. ومع ذلك فلا بد أن نبحث عن القاعدة المشتركة بيننا وبينهم وهي الكلمة السواء. نحن ندعو إلى الوحدة من أجل إصلاح الواقع الذي نعيش ومن أجل الخلاص منه، وأنا أرجو من كل أخواني إذا كان لهم بالإسلام شغل، وإذا كان لهم بالتشيع شغل، أن يعضّوا على الجراح، وأن يفكّروا بخلفيات الأمور لا بظواهرها، وإذا كنا نتحدث عن الإمام علي عليه السلام، فنحن نعرف أن علياً عليه السلام يقول: ((لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة))، لكنني أظن أن بعض الناس يعيشون هذا الانفعال، وربما لو كان الإمام علي عليه السلام لقالوا له: اقعد جانباً ودعنا نعالج الأمور كما نشاء.

مواجهة ظاهرة التطرف:

□ ما هي أهم النصائح الأبوية لمواجهة ظاهرة التطرف الديني أياً كان

منشؤه؟

(١) نصيحتي هي أن نأخذ بأسباب التوازن في التفكير الإسلامي والاعتدال في التفكير الديني، وأن ندرس الإسلام دراسة ثقافية واعية، فنتحرك حيث نعرف أن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نتحرك، ونقف حيث يريدنا أن نقف، ولذا نقرأ في الدعاء: ((اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه، والباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه، ولا تجعله علينا متشابهاً، فنضلّ طريق الحق بغير علم)).

مواجهة التطرف بالتطرف:

□ سمعنا بعض الأخوة يقول إن أمثال هذه التفجيرات وما سبقها لن

تتوقف إلا إذا جوبهت بالمثل حتى يرتدع من يقوم بها، ما هي نصيحتكم لهؤلاء الأخوة الذين يروجون مثل هذه الأفكار؟

○ إذا فرضنا أننا جابهنّا بالمثل، فنجا به من سنة العراق؟ قد لا يكون لهم دخل في هذا الموضوع، فهناك أناس قد يأتون من الخارج أو من الداخل ممن يمثلون أنفسهم أو الخلفيات الاستكبارية .. وإذا صارت الفتنة - لا سمح الله - فإنه يُقتل الطفل وتقتل المرأة ويقتل الشيخ، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، لماذا لا نقرأ القرآن الكريم؟، فبعض العراقيين أخطأوا كونهم - في فترة ما - ساروا مع الطاغية صدام، فهل يجوز لنا أن نقول إن كل العراقيين ظالمون وصدّاميون؟ والله يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٥٢). والإمام علي عليه السلام مع أنه في أعلى مستوى من العظمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه لما ضربه (ابن ملجم) جمع الأقربين وقال: ((يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا مت من ضربتي هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))^(٥٣). لو كان معنا أحد بمثل الإمام علي عليه السلام وبحجمه، إذا قتله أحد ألا يقتل مقابله كل عشيرة القاتل؟ إن علينا أن لا نتخلّق بأخلاق الجاهلية، بل بأخلاق الإسلام ونقف عند حدود الله.

برامج للإفساد:

□ من الملاحظ في الآونة الأخيرة زيادة البرامج المقلّدة لبرامج تلفزيونية أجنبية، والتي هي عبارة عن مجموعة من الأشخاص نساءً ورجالاً مجتمعين في مكان واحد يقومون بأعمال ويتعلمون بعض الأشياء كالتمثيل والرقص والرياضة والغناء، وذلك تمهيداً لإخراج مغنٍ يتم ترشيحه على حسب توصية الجمهور له.

(٥٢) الإسراء: ٣٣.

(٥٣) البحار. ج. ٩. ص ٣٠. ٧٠.

ومما لا يخفى عليكم، أن هذا البرنامج يشمل الاختلاط المحرم، حيث لم يقتصر على هذا فحسب، بل هناك القبلات والتعانق بين الرجال والنساء وما إلى ذلك، فما هو رأي فضيلتكم في هذا البرنامج؟ وما هو حكم المصوت؟

○ يحرم ولا تجوز مشاهدة ما يكون حراماً بذاته، كالفناء المحرم والرقص الخليع ونحو ذلك مما يؤدي إلى الدعم له أو الاقتداء به؛ ودعم ذلك ولو من خلال المشاركة بالتصويت غير جائز. ولا بد لجيلنا من أن يوجه اهتمامه للقضايا الكبيرة التي تتعلق بمستقبل هذه الأمة ومعرفة مصيرها، وذلك لأنَّ الالتقاء بذلك يفوت علينا الالتفات إلى الكثير من القضايا التي يراد تمريرها هنا أو هناك، وكذلك لا بد لهذا الجيل من الاهتمام بتعلم أحكام دينه ومفاهيمه والتثقف من خلال التعرف على قضايا الدين؛ لأن الانشغال عن ذلك قد يوقع الكثيرين بالحرام، أو بما يكون موجباً لنصرة قضايا الباطل؛ والله ولي التوفيق.

التعاشي مع الناس:

□ ماذا يقصد الإمام عليؑ بقوله: ((مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم))؟

○ أي إن على الإنسان أن يفهم أخلاق الناس، فإذا فهم أخلاقهم وقارب أوضاعهم، واستطاع أن يتعرف بهم، فإنه يستطيع أن يأمن شرورهم.

أنواع العذاب بعد الحياة:

□ هل هناك عذاب في القبر؟ وما هو؟ ولماذا يوجد عذابان؛ عذاب القبر ثم عذاب الآخرة؟

○ قد يكون هناك عذاب من نوع آخر، وهناك حساب في القبر، وقد وردت الروايات في ذلك، ولكن لماذا نحن مستعجلون الآن؟ عندما نصل إلى هناك إن شاء الله لا نتعذب في ذلك الوقت، ولذلك فإنَّ عليكم أن تسألوا عن الأشياء التي تتصل بمسؤولياتكم، أما كيف يكون عذاب القبر؟ وكيف نتعذب؟ وهل منكر ونكير

طويلان أم قصيران؟ ووجه كل منهما أبيض أم أسود؟ كل هذه الأمور ليست من شأننا، فوظيفتنا أن نطيع الله سبحانه وتعالى لنحصل على رضاه، ولیدخلنا في نعيمه، وأن نبتعد عن معصية الله سبحانه وتعالى حتى لا ندخل ناره، ولا نعرض أنفسنا لغضبه. لا بدّ للإنسان من أن يسأل عن الأشياء التي تتصل بمسؤوليته، أما أين تقع الجنة؟ وكم مساحتها؟ فهذا ليس من شغلنا.

سعة عصمة النبي ﷺ:

□ دائماً تستدلّون على عصمة النبي ﷺ بأنه نور كله، فكأنما هذا الدليل لا يشمل إلا مرحلة التبليغ في حياة النبي ﷺ، ولا يشمل ما قبلها، وإذا كان النبي ﷺ معصوماً في طفولته، فما هي الضرورة لذلك؟

○ نحن نقول إن الشخصية لا تتجزأ. فالله سبحانه وتعالى عندما خلقه أودع فيه النور، وأراد أن يستزيد من هذا النور، بإرادته واختياره ووعيه وتأديب الله سبحانه وتعالى له.

الكفر والشرك:

□ ما هو الفرق بين الكفر والشرك؟

○ الكفر هو إنكار وجود الله سبحانه وتعالى وإنكار وحدانيته، وإنكار وجود رسالة النبي ﷺ والأنبياء والرسل ﷺ، وإنكار اليوم الآخر، وكل إنكار لهذه الأمور يعتبر كفراً.. أما بالنسبة إلى الشرك، فهو الشرك بعبادة الله تعالى، ويطلق على هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، وهم الذين أشركوا بعبادة الله غيره، ثم هناك أشخاص يشركون بالله تعالى، يعني يجعلون لله شريكاً في العبادة.

مسؤولية النبي في التشريع:

□ ما معنى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي

مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٥٤)، وكيف نجتمعها مع قوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^(٥٥)؟

(٥٤) أين التناهي بينهما؟ ربما يفهم البعض من قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» أن المقصود منها لِمَ تفتي بالحرمة على نفسك حرمة تشريعية، والمفروض أن الله أحل لك ذلك، وكيف تحرّم على نفسك ما ليس حراماً؟ فقد يفهم بعض الناس أن النبي حرّم على نفسه حكماً بالتحريم الشرعي وتمرد على حلال الله. ولكن هذا الفهم خاطئ، لأن المقصود بالآية الكريمة: لماذا تمنع نفسك مما أحلّ الله لك انطلاقاً من إنسانيتك، بحيث إنك لا تريد أن تغضب عيالكَ، لأنك تريد إدخال السرور عليهم، فتحرّم نفسك ممّا تحبّه لأنّ أزواجك لا يحببن ذلك، مع أنّك تعرف أن ذلك حلال.

لأجل ذلك نقرب الفكرة بأن تحريم النبي ﷺ ذلك كما يقول أحدنا أنا حرّمت على نفسي أن أكل من هذا النوع من الأكل، أي أنه ليس حراماً، وإنما منعت نفسي عن ذلك. فالنبي ﷺ حسب الآية، وحسب أسباب النزول، كان يمنع نفسه من بعض ما أحلّ له إرضاءً لأزواجه حتى لا يسيء إليهن، وقد ورد عندنا في بعض الأحاديث: ((إن المؤمن يأكل بشهوة أهله والمنافق يأكل أهله بشهوته))، أي أن الإنسان قد يحب نوعاً من الأكل مع أن زوجته وأطفاله لا يحبون ذلك، فيفرض رأيهم بأن يأكلوا الشيء الذي يحبه، فإن هذه أنانية، بينما شعار المؤمن مع أهله أن ما يشتهونه فهو يأكله حتى لو كان هذا الأكل لا يعجبه. إذًا، لا يوجد تناف بين هذا وبين قوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ»، فإن المقصود من ذلك أن لا يشرّع ما لم يشرّعه الله، كما في قوله تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»^(٥٦). ولذلك فإن عتاب

(٥٤) التحريم: ١.

(٥٥) النجم: ٣-٤.

(٥٦) الحاقة: ٤٤-٤٦.

الله تعالى هو إبرازُ للمستوى الأخلاقي الذي يعيشه النبي ﷺ وليس توبيخاً ليكون منافياً لقوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ» لأنه لم يحرم على نفسه تحريم التشريع.

الثواب والعقل:

□ ورد في الحديث أن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على قدر عقولهم، فهل معنى ذلك أن العاقل مثاب أكثر من الجاهل، وإن كثر عمل الجاهل، أم ماذا؟

○ معناه أن الله سبحانه وتعالى يثيب الإنسان بقدر وعيه لعمله. فالعاقل عندما ينطلق بعلمه من خلال وعي العمل في كل أبعاده، كما فصلنا في بداية الحديث، من خلال الجهد الفكري والروحي الذي يعيشه في الداخل وجهده في الخارج، وهو جهد العمل من الناحية الحسية، فإنه بذلك يتزاج لديه الجهد الداخلي مع الجهد الخارجي، بينما يقوم الجاهل بالعمل بالطريقة الآلية، وربما لا يعطي شيئاً من عقله ووعيه وإنسانيته. وهناك فرقٌ بين إنسان يعيش العمل بإنسانيته، وإنسان يعيش العمل بجسده كما تتحرك الآلة.

نسبية العقل:

□ هل العقل نسبي، حين ترى كثيراً من العقلاء ملاحدة وكثيراً من الجهلة مؤمنين؟

○ هناك كلمة لأحد الأئمة ؑ تقول: ((العقل ما عبد به الرحمن وعصي به الشيطان، قال السائل: ماذا تقول في معاوية؟)) رجل يملك عقلاً سياسياً من الدرجة الأولى، ((قال: تلك شيطنة منه))، وهي تفترق عن العقل. العقل هو الذي يميز بين الحسن والقبيح، ويدفع الإنسان إلى أن يحصل على سلامة المصير في نهاية المطاف في ما يرفع مستواه، أما الفكرة التي يتحرك الإنسان فيها من خلال حالة طارئة أو ربح طارئ وينتهي به المطاف إلى الهلاك، فهي ليست عقلاً.

سيدة النساء في عمر قصير؟

□ كانت الزهراء ؑ قصيرة العمر، فكيف أصبحت سيّدة نساء العالمين، وهل

تستطيع شاباتنا المؤمنات الاقتداء بها، وما هي عناصر القدوة؟

() ورد في بعض الأدعية: ((اللهم اجعل حياتي قصيرة عريضة ولا تجعلها

طويلة ضيقة))، فليست القضية هي أن تعيش مائة سنة، لأنّ بعض الناس قد

يعيشون مائة سنة وعمرهم يتحرّك في دهليز الأجواء الثقافية أو الروحية، بينما

هناك أناس يعيشون عشرين سنة، ولكنك تشعر أنّ حياتهم كانت عريضة ممتدة،

تؤتي أكلها كل حين. وهناك بعض الناس ترى أنّ سنّتهم تساوي عشر سنوات،

وهناك من ترى أن عمرهم يساوي يوماً أو بعض يوم ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

يَوْمٍ فَاسْأَلُ الْعَادِّينَ﴾^(٥٧). وكمثال نسأل: كم هو عمر السيد محمد باقر الصدرؑ؟

ولكنه ترك لنا من التراث ومن الحركية والروحية ما يمكننا أن نتجاوز به مئات

السنين ونغتني به، وكم من الذين عاصروه ممن عاشوا عشرات السنين، ولكنهم

ماتوا، وبقي حياً. والزهراء ؑ عاشت مع رسول الله ﷺ، فأخذت منه في طفولتها

وشبابها كلّ ما استطاعت أن تأخذه، فكان نهارها وليلها معه، وكانت تسمع كلّ آية

تنزل عليه، كما كانت تسمع كلّ كلمة يقولها للناس في الخارج، وكان يحدثها

ويحدّث عليها في الداخل، وكانت زوجة علي ؑ في شبابها، وكما كان علي ؑ مع

رسول الله ﷺ أعظم التلاميذ، كانت هي أيضاً أعظم التلميذات، وهي مع رسول

الله ﷺ في ما أخذته من علم وروحانية وحركية وانفتاح وإنسانية، حتى إنها كانت

تخرج معه في حربه، ولذلك فإنها استطاعت في هذا العمر أن تختصر الكثير من

السنين. وبهذا - مضافاً إلى لطف الله بها - كانت سيّدة نساء العالمين والمؤمنين.

وعندما نطرحها كقدوة، فإننا لا نتحدّث عن اقتداء النساء فقط بها، بل هي قدوة

للرجال والنساء معاً، لأنّ عناصرها كانت عناصر الإسلام، وعناصر الإنسان

المسلم، لا المرأة وحدها، وإن كان للمرأة في حياتها دور كبير، فالمرأة المسلمة تستطيع أن تأخذ الكثير من الزهراء عليهن السلام، عندما تعرف كيف تملأ وقتها، وكيف تنفتح في طاقاتها على العلم والروحانية والحركة بحسب طاقاتها وإمكاناتها، فهي النموذج الأمثل الكامل في عناصرها الإنسانية، التي أعطت بشريتها معنى السمو والصفاء والانفتاح على آفاق الروح في رحاب الله، وهذا ما ينبغي للمؤمنين وللمؤمنات أن يستوحوه منها، بالنفاذ إلى سيرتها كلها، وعدم الاقتصار على جانب المأساة أو عنصر الغيب الخارج عن حركة القدوة في الواقع.

الفصل الثالث

المسائل الفكرية

ما المعنى الشرعي لـ (العقل حجة):

□ ما هو المراد من العقل الذي هو حجة شرعاً، وهل يستطيع الإنسان بعقله أن يستفيد في التحليل والاستنباط وإقامة الدليل على التساؤلات الفقهية والسياسية والاجتماعية والفكرية، وهل هذه الاستفادات من العقل حجة عليه؟

(١) المقصود من العقل الذي هو حجة هو العقل القطعي، أما العقل الظني، والذي نسميه العقل الثقافي، فيعني العقل الذي يستمدّه الإنسان من خلال قراءته ومن خلال ثقافته.

فقيمته من قيمة ثقافته وقراءته، لأنه لم ينبع من فطرته، وإنما نبع من حركته الفكرية في ما تعلّمه وقراه وجربه في هذا المجال. فقيمة العقل هي قيمة هذه المواقع التي دخلت إلى العقل. هنا يمكن أن تحصل الاستنباطات الفقهية. فالاجتهاد هو حركة عقل، أي كيف يستفيد الشخص من هذا الدليل أو ذاك، وماذا يفهم من قراءة الآية، وهو الاجتهاد الذي يكون حجة إذا اقتنع به المجتهد على أساس الحجة العقلية في هذا المقام أو الحجة الشرعية التي يقول العقل إنها حجة عليه، وعند ذلك تكون حجة، ومن خلال ذلك، فإن التساؤلات المتنوعة يمكن للعقل الانفتاح عليها بالفكر الذي قد يصل إلى مستوى اليقين فيكون حجة، وقد لا يصل إليه فلا يكون حجة، مع ملاحظة مهمة، وهي أن من الممكن للعقل أن يعالج ملاكات الأحكام ليفكر فيها بطريقته الخاصة التي قد تنفتح به على أسرارها.

دين الله لا يصاب بالعقول:

□ ما معنى قوله ﷺ: ((إن دين الله لا يصيبه العقول))؟

(١) الظاهر، والله أعلم، أن المقصود من هذا هو ما يقابل ما درج عليه بعض علماء المسلمين في زمن الأئمة من القياس والاستحسان وما إلى ذلك من

الوسائل الظنيّة التي لم تصل إلى حدّ القطع، ولهذا كثر النقاش بالنسبة القياس، حيث يقولون إن الحكم إذا كان موجوداً في هذا الفرع كان الفرع الثاني مشابهاً لذلك الفرع، فننقل هذا الحكم من هذا الفرع إلى ذاك الفرع الذي لم يصلنا حكمه. والخطأ الذي ينكر القياس يقول هذا صحيح لو فرضنا بأننا قطعنا بأن هذا الحكم خاضع للمصلحة بشكل قطعي، فننقل الحكم إلى الفرع الآخر بناءً على هذه المصلحة، وهذا ما نسميه بالعلة المنصوصة أو العلة القطعية، وأما إذا لم نقطع بالمصلحة التي هي علة الحكم، فلا نستطيع أن نعطي حكماً شرعياً ثابتاً لفرع إلى فرع آخر ما لم يثبت عندنا الأساس الذي ارتكز عليه هذا الفرع.

وصية إلى أبنائنا في العراق:

□ بمناسبة الحديث عن العقل، بم توصون أبناءكم في العراق؟

(١) نوصي أبنائنا في العراق وفي فلسطين وغيرهما، بأن نمتنع عن الانفعال، وأن نعتمد العقل، ومعنى العقل هو أن ندرس طبيعة الواقع الذي كنا فيه، وندرس ما هي خلفياته وأسبابه والقوة التي دعمته، وندرس هذا الشيء في الماضي ونأخذ منه الدرس، فالطاغوت الذي كان وحشاً لم يوجد في التاريخ وحش مثله قط، ولكن ما هي الظروف والأسباب، وما هي القوى الإقليمية والدولية التي ساهمت بأن يأخذ هذه القوة، ثم التجارب التي أجهضت المعارضة وأفشلتها. فلا يكفي أن يسقط الظلم، بل لابد أن ندرس من الذي صنع الظلم؟ ثم أصبح العراق الآن ساحة لكل الدول، كل دولة تستطيع أن تستغل العراق، فمخابرات العالم تعمل في العراق، سواء كانت مخابرات المنطقة أو المخابرات الدولية. وقد صرّحت أمريكا وبريطانيا بأن لديهم سياسة معينة تجعل العراق جسراً لتغيير المنطقة، وأيضاً يراد من ذلك الاستيلاء على ثروات العراق. ولكن الشعارات التي طرحتها أمريكا في مسألة العراق هي نفس الشعارات التي طرحتها بريطانيا سابقاً، حيث يقولون جئنا محررين.. فدور العقل هنا هو أن ندرس الأمور بعقل هادئ، حتى لا ندخل في متاهات جديدة، لأننا تعودنا أن

نتحرك في السطح، ونستغرق في الحالة التي نحن فيها، فنحن لا نستطيع أن نفهم الحاضر إلا إذا تطلّعنا إلى الماضي، وعرفنا ما نحن عليه في الحاضر، ومن الذي يصنع المستقبل. ودائماً أقول لا تستعجلوا الربح، ولكن خططوا له، ولا ترتبطوا ببدايات الأمور بل انظروا إلى نهاياتها. كما أن المفترض بنا الآن أن نجمد كل العصبية الحزبية والمذهبية والطائفية، وكذلك العشائرية، وأن يكون همنا هو الشخصية العراقية الإسلامية، وكيف نستطيع أن نوصلها ونبنينا.

الأوروبيون بين الداخل الإنساني والخارج الاستعماري:

□ هناك من يصف الإنسان الأوروبي بأنه يعيش الإنسانية في الداخل، ولكن إنسانيته تتحول إلى إنسانية استعمارية في الخارج، فما رأيكم في ذلك؟ هل المبادئ الإنسانية قابلة لهذه التجزئة؟

د: في هذه المسألة، لا نستطيع أن نعطي الأوروبيين هذا النوع من الحكم الإيجابي المطلق أو السلبي المطلق. الأوروبيون شعب كبقية الشعوب، فيه الخير وفيه الشرير. نعم، في طبيعة النظام وطبيعة المؤسسات التي دخلت الغرب في العصر الحديث، وأصبحت هذه المؤسسات هي التي تحكم وليس الأشخاص، وأصبح لدى الناس نوع من القيم الاجتماعية والأخلاقية وما إلى ذلك، ولكن هذه القيم ليست شاملة، فنحن في الوقت الذي نجد فيه أن الإنسان يحترم الحرية الفردية وما أشبه ذلك، نجد أن الجرائم الموجودة في الغرب كثيرة، ونجد أن الشركات الاحتكارية، سواء كانت شركات السلاح أو البترول وغيرها، تعمل على أساس تدمير ما هو في الداخل من جرّاء الصراعات التي تجتاحه، وتدمير الخارج في الاستعمار، وليس هذا موجوداً في الغرب فقط، فكل الشعوب التي تعتدي على شعوب أخرى نتيجة اختلال موازين القوة والضعف هي شعوب استعمارية. نعم، الغرب أصبح هو الأقوى من ناحية السلاح والاقتصاد والسياسة، وأصبحت عنده مصالح حيوية لاستثمار ثرواتها والاستفادة من مواقعنا الاستراتيجية في صراعاته مع بعضنا بعضاً، ونحن أيضاً في بعض المناطق من

العالم الثالث نمارس القضية بهذا الشكل.

الإعلام الديني الهادف:

□ في كل شهر رمضان نسأل أنفسنا أمام غزارة المسلسلات والأفلام الدينية، متى يكون للفكر الشيعي إعلام هادفٌ يدخل كل بيت من بيوت المسلمين ويعطي الصورة المشرقة لأنوار أهل البيت عليه السلام والدروس والعبر الواعية من فكرهم الوقاد؟
(: هناك تجارب صغيرة نرجو أن تتحوّل إلى تجارب كبيرة ومثمرة.

اهتمام الإسلام بالحب:

□ الحب كلمة قليلة الحروف كثيرة المعاني، فهل اهتم الإسلام بالحب، ولماذا كثيراً ما نسمع أن الإسلام لا حب فيه، والدليل على ذلك أن الكثيرين معقّدون من الموضوع لدرجة أنك تكاد لا تسمع أحداً منهم يفتح على هذه الكلمة؟
(: يقول النبي صلى الله عليه وآله): ((لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(١)، سواء كان أخوه ذكراً أو أنثى، وهناك حديث للإمام الصادق عليه السلام يقول: ((وهل الدين إلا الحب))^(٢).

أما حب الشباب، فالإسلام لا يحرم الحب من حيث الأصل، لكنّه لا يريد أن ينطلق هذا الحب في الاتجاه الغريزي الذي يقود الإنسان إلى المعصية، في حين ترى أن أغلب حب الشباب هو حب المراهقة، والمراهقة حالة وليست عمراً أو سناً معيّنة. نعم، هي تغلب في سن البلوغ وما بعده، ولكن بعض الناس قد يصبح مراهقاً في الأربعين أو الخمسين. فالإسلام يعتبر الحب قضية إنسانية تتصل بالعاطفة، ولا يريد الله تعالى للإنسان أن يكون قاسي القلب، بل يريد الإنسان الرفيق القلب الذي يحب الناس. وعلينا أن نفرّق بين الحب الذي هو غريزة في الجسد، والحب الذي هو طاقة طهر وعاطفة نبيلة في القلب، فالحب السريع

(١) الكافي. ج٢. ص ١٧٢. ح ٩.

(٢) نفسه. ج٨. ص ٧٩. ح ٣٥.

الاشتعال سريع الانطفاء، ولا يمثل عاطفة صادقة، بل يمثل أحلاماً وأمنيات. لذلك نقول للشبان يجب أن يكون الزواج ٧٥٪ عقلاً و ٢٥٪ عاطفة، أما عندما يكون الزواج ٧٥٪ عاطفة و ٢٥٪ عقلاً، فمن الصعب أن ينجح هذا الزواج.

القياس والعقل والدين:

□ كيف يكون القياس محكمة للدين ولا يكون العقل محكمة للدين، علماً أن العقل حجة عند الشيعة، والقياس معتمد على العقل وليس أمراً مزاجياً، ثم إن الكتاب والسنة لم يستوعبا الأمور الحياتية كلها في عصرنا الحاضر، حيث وضعوا الخطوط العريضة للحياة من دون التفاصيل. ثم إننا الآن سنة وشيعة نتعاطى القياس شئنا أم أبينا بأسلوب أو بآخر، وهناك أمثلة كبيرة على ذلك؟

○ أولاً: إن القياس يعتمد على الظن «وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً»^(٣). أما القياس القطعي فأمره مختلف؛ فإذا علمنا أن هذه هي العلة، فإن القياس المعلل صحيح ونأخذ به، لأننا نأخذ بالقطع والقطع حجة.

أما العقل عند الشيعة، فالحجة منه هو العقل القطعي، أما العقل الظني فليس بحجة. أما أننا جميعاً نأخذ بالقياس، فذلك في الواقع وليس في التشريع. وليست هناك مشكلة في إلحاق بعض أمور الواقع بأمثالها، إذا كانت هناك قاعدة في الداخل والخارج تسمح بذلك أو تفرضه، وليس لدينا دليل شرعي على رفض ذلك، كما هو الحال في القياس في الأحكام الشرعية. ولقد قيل: ((إن دين الله لا يُصاب العقول)). فمن أين يا ترى نعرف هذه الخصوصية الموجودة في الموضوع الذي ثبت الحكم له أنها نفسها العلة في الحكم إذا لم يحصل عندنا قطع بذلك، ولكن لا مانع من اعتباره مع حصول القطع. ولذا نقول بالقياس المنصوص العلة، أما القياس في الأمور الخارجية، فممكّن من باب أنها قضايا حياتية، مما يمكن التعرف على الأساس الذي انطلقت منه وارتكزت عليه، ولكن لا يجوز القياس في

الأمور الشرعية وفي استنتاج الحكم الشرعي من باب الظن بالمصلحة أو المفسدة المشتركة.

عودة الإسلام:

□ هناك الكثير من المتشائمين يرون أن الإسلام لن يعود كما كان في عصر الرسول ﷺ، إلا إذا كان الحكام مسلمين ويعيشون دورهم في تطبيق الإسلام على أنفسهم أولاً. فما هو رأيكم بذلك؟

○ أولاً: لنعرف أنه في زمن النبي ﷺ لم يكن الناس كلهم مسلمين، فمنهم مشركون ومنهم منافقون، وكان النبي ﷺ يعاهد المشركين، وبعد ذلك أمر بأن يخرجوا من المسجد الحرام من مكة، وكان هناك أيضاً اليهود والنصارى. وكان المجتمع يعيش ببركة وجود النبي ﷺ وتلقيه الوحي، وهذا لا إشكال فيه، لكن لم يكن عصر النبي ﷺ نموذجياً بالنسبة لانتشار الإسلام، بل إن النبي ﷺ - بحسب الظروف التي عاشها - لم يستطع أن ينشر الرسالة إلى كافة أنحاء العالم لجهة الحروب التي أثارها قريش والمشركون بشكل خاص، ولذلك جعل الله الأئمة ﷺ أوصياء على الدين يقومون بنشر الرسالة، لم يتمكنوا أيضاً في ظروفهم من ذلك. وثانياً: لمجرد أن يكون الحكام مسلمين، فهذا لا يقتضي أن يطبق الناس الإسلام، فأى حكم بعد النبي أعظم من حكم الإمام علي ﷺ، ومع ذلك رأينا كيف كان الناس. لذلك فقد جعل الله قضية الإيمان والكفر خاضعة للأمور الطبيعية، بحيث يتحرك الناس فيها بشكل طبيعي، وليس بشكل غيبي، وليس فيها حتمية جبرية، فعلى الناس الحجة أمام الله بما

بينه في كتابه وبما دعا إليه رسوله ﷺ، وقد أقام الله سبحانه وتعالى الحجة بالعقل على الناس فضلاً عن إرسال الرسل، فالبعض يؤمن والبعض يكفر «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»^(٤). فإذا طبقت أنت

الإسلام والثاني يطبقه فسيكون عندنا جو إسلامي، وقد لا يعود الإسلام كله إلى الناس، ولكن إذا أنت تركت تطبيق الإسلام والآخر ترك الإسلام بانتظار مجيء الحاكم الإسلامي، فقد لا يجيء الحاكم الإسلامي، قد ورد في الحديث: ((كما تكونوا يول عليكم)). إننا نلاحظ أن الإسلام قد انتشر على المستوى العالمي من الناحية الثقافية والسياسية، حتى لو كان ذلك من خلال حركة الصراع أو التحديات التي تواجهه، ما يجعل الوعي الإسلامي لدى المسلمين وغيرهم في نمو وتقدم وانتشار.

تأهيل المجتمع المسلم:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٥)، في أجواء غياب السلطة والفكر الإسلامي المستنير، وبعد تأثر الناس بالجو التسلطي لسنوات طويلة، كيف تكون الانتخابات مأمونة الجانب وتعبر عن إرادة الشعب الذي لا نراه مؤهلاً في مثل هذه الظروف لكي يعبر عن رأيه؟

(١) نظام الديمقراطية لدى مفكريها هو النظام الأنسب في مقابل الديكتاتورية، ولذلك يقولون إن الديمقراطية ليست أفضل الأنظمة، لكنها أقل الأنظمة سوءاً، ونتيجة الديمقراطية نقول لك إذا كان ٥١٪ صوّتوا لشخص واحد أو جهة فلهم الحق أكثر من الذين حصلوا على نسبة ٤٩٪، ثم إن الأكثرية لا تعني الحق، ولكنها - أي الديمقراطية - أفضل من الدكتاتورية. فالديمقراطية كانت نتيجة لرفض الدكتاتورية، فإن الديمقراطية بحسب نظامها لا تعني الحق والصواب دائماً.

تاريخ السيد المسيح ﷺ:

□ أنا أرمنية، وهناك تضارب في الآراء حول تاريخ ميلاد السيد المسيح ﷺ، فمنهم من يقول يوم ٢٥ كانون الأول، ومنهم من يقول ٦ أو ٧ كانون الثاني، فما

هي وجهة نظركم بذلك؟

(٦) ليست المسألة متى ولد السيد المسيح ﷺ في المسألة الزمانية، بل إذا أردنا أن نأخذ نص القرآن، فالظاهر أن السيد المسيح ﷺ ولد في الصيف أو آخره، لأن الوقت الذي تحمل فيه النخلة أو يبقى فيها الرطب، فلا يصل ذلك الوقت إلى كانون الأول ولا إلى كانون الثاني، لقوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾^(٦). وبعض الناس يقول إن هذه معجزة، ولكن لم يثبت أنها معجزة، فالقرآن يقول إنه كان هناك نخلة وفيها رطب ناضج وجيد من دون أن يشير إلى طبيعة الحصول عليه.

ومع ذلك، فليس المهم أن نعرف متى ولد السيد المسيح ﷺ، بل ما هي شخصية السيد المسيح، لأن المعروف عند بعض النصارى أنهم يقولون إن ربنا يسوع المسيح، أو مثلاً باسم الأب والابن وروح القدس، فالشيء الأساسي هو أن نعرف ما هي شخصية السيد المسيح وهل تجسّد الله فيه؟ مع أن الله يقول إن المسيح هو كلمته ألقاها إلى مريم ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٧)، ﴿مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨). وهذا هو ما يعتقده المسلمون. ولعل الآية الكريمة عن كلام السيد المسيح في المهد تعبّر عن ذلك: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ❖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ❖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾^(٩).

(٦) مريم: ٢٥.

(٧) غافر: ٦٨.

(٨) آل عمران: ٥٩.

(٩) مريم: ٣٠-٣٤.

رأي شيخ الأزهر في الموقف من الحجاب:

□ هل هناك دوافع معينة وراء تبرير شيخ الأزهر لمنع الحجاب في فرنسا، أم أنه رأي شخصي عابر كما يروق للبعض أن يدافع؟

(١) لقد تحدثنا عن شيخ الأزهر في عدة أحاديث، منها في (خطبة الجمعة)، وطلبنا منه أن يعتذر للإسلام والمسلمين، لأنه آساء إليهما، وقلنا كما قال بعض علماء الأزهر الذين اختلفوا معه، إن رأيه سياسي يجمال به حكومته ويجمال به وزير الداخلية الفرنسي، وإلا فإنه رأي لا معنى له، لأنه كما ذكرنا في (خطبة الجمعة) أن قوله إنّ للحكومات الحق في إصدار القرارات، ومنها منع الحجاب، إنما يعني الدعوة لهم لإدخال المسلمين في مرحلة الاضطرار ليتخلى المسلمون بعد ذلك عن التزامهم، وهذه تشكّل دعوة تشجيع لهذه الحكومات، ومنها الحكومات في الدول الإسلامية، أن يصدروا القوانين التي تتحدى الالتزام الإسلامي للمسلمين، لأننا سوف نفتي لهم بأن عليهم أن يخضعوا للقوانين ويتركوا صلاتهم وصومهم وحجابهم وما إلى ذلك... لذلك كان هذا الرأي خاطئاً ومسيئاً إلى الإسلام، وتشجيعاً للدول الكافرة أو غير الملتزمة من الدول الإسلامية على أن يقرروا أو يقتنوا الأمور التي تترك حرية الإسلام والمسلمين. وإذا كان وزير الداخلية الفرنسي قد صرّح بعد تصريح شيخ الأزهر بأن الحكومة الفرنسية لا تضطهد المسلمين في مثل هذا القرار، فهو تصريح غير مقبول، لأنه يكفي في الاضطهاد منع الفتيات من التعلم بسبب التزامهن بالحجاب.

الموقف من الدستور في العراق:

□ أنا طالب في كلية القانون في العراق، والآن قد تم توزيع منشورات لبيان آراء الطلاب في كلية القانون حول شكل الدستور الذي هو قيد الإنشاء، فما هي رغبتكم في أن يكون شكل هذا الدستور أن يكون إسلامياً أو علمانياً؟ ما هو رأيكم بوضوح؟

(١) نحن ندعو إلى دستور إسلامي من خلال دراسة قانونية منفتحة معاصرة، ونعتقد أن الإسلام يستطيع أن يقدم دستوراً إسلامياً حضارياً لا يبتعد عن حاجات المسلمين للتعامل مع الدول الأخرى ومع التطور العلمي والتقني وما إلى ذلك، لأن من الطبيعي جداً أن يعيش المسلمون في ظل نظام يؤمنون به، حتى لا تكون بين المسلمين والقانون فجوة، بحيث يضطر المسلمون ألا يعيشوا حياتهم القانونية بالمعنى الشرعي الخاص. وهذا يؤدي إلى الازدواجية في نوعية الحياة.

التشبه بالغرب:

□ ماذا تنصحون الشباب المسلم الذي يتشبه بالغرب من حيث الشكل وتسريحة الشعر؟

(٢) نقول له إن عليك أن تملك شخصيتك، ومن يملك شخصيته يحترم تقاليده الاجتماعية التي تمثل هوية المجتمع. نحن لا نقول إن ذلك حرام، لكن لماذا لا يتشبه الغربيون بنا؟ لأنهم يعتقدون أنفسهم هم الحضارة، أما نحن فماذا نعتقد؟ نعم، لا بأس بتفاعل الحضارات، وأن نستفيد من الغرب. فنأخذ من علمهم ومن فكرهم، ونتعلم من صناعاتهم ومن تجاربهم، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١٠) ليأخذ كل شعب من الآخر ما يفقده وما يحتاجه منه، ولكن علينا أن ندرس كل فعل نفعله، سواء كان ذلك مما يتعلق باللباس أو تسريحة الشعر أو السلوك العملي، علينا أن ندرس انسجام هذا مع هويتنا أو مع شخصيتنا ومع الأمة، وإذا كان بعض الشباب يخلعون من هويتهم، فمعنى ذلك أنه لا شخصية لهم.

القومية والإسلام:

□ يُقال إن القومية والإسلام لا يجتمعان معاً، فإما إنسان متدين بدون قومية، أو قومي بدون إسلام، مع العلم أن الإسلام هو اختيار الإنسان للتقرب إلى

الله، أما القومية فهي بغير اختياره؟

(١) نحن لا نعتقد أن هناك تنافياً بين القومية بما هي إطار إنساني وبين الإسلام، لأن القومية هي حالة انتماء البشرية إلى اللغة أو الأرض أو إلى العادات والتقاليد، والإسلام هو نظام يحكم الإنسان في حركته، أي أن القومية إطار والإطار يحتاج إلى صورة، والإسلام هو الصورة.. والدليل على ذلك من التاريخ، حيث إن العرب عندما جاءهم الإسلام، لم يجدوا مشكلة بين انتمائهم العربي وانتمائهم الإسلامي، ولكن المشكلة أصبحت بين القومية والإسلام عندما تحولت القومية إلى حالة من التعصب، وعندما أدخلنا الأيديولوجية في القومية، وذلك عندما ندخل الماركسية في القومية أو الوجودية في القومية، ولذلك نحن لا نحارب القومية، بل نحارب الماركسية ونحارب الوجودية. لذلك، فإن الخلط بين الأيديولوجية في داخل القومية وبين الإسلام هو الذي خلق هذا التضاد، وإلا فإنَّ العروبة هي حالة إنسانية وليست أيديولوجية مختلفة مع الإسلام، والله سبحانه وتعالى يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^(١١)، فهناك العربي والفارسي والأفريقي، وهذا التلوّن هو جزء من الحياة الإنسانية، ولا يوجد تناف. وأنا ذكرت لكم في أكثر من مرة على سبيل النكتة المعروفة: حيث يُقال إن شخصاً نذر أنه إذا شفاه الله أو قضى له حاجة سوف يبيع جملة الذي يساوي (١٠٠٠) درهم بـ (١٠) دراهم، واستجاب الله له ذلك، واحتار، فكيف يبيع ما ثمنه ١٠٠٠ درهم بعشرة دراهم، فذهب إلى شخص ذكي، واستشاره، فأمره ذلك الشخص أن يأتي بقطعة ويلصقها برقبة الجمل ويقول الجمل بعشرة والقطعة بألف ولا يبيعهما منفصلين، فذهب المثل: (ما أرخص الجمل لولا القلادة). وهنا نقول: ما أقرب العروبة من الإسلام لولا الأيديولوجية الماركسية أو الوجودية. ويقال إنه عندما قتل الصحابي الجليل عمّار بن ياسر، وكان قد قتله أهل الشام في معركة (صفين)، وقد كان الناس

يسمعون من قبل من الرسول ﷺ قوله: ((يا عمار تقتلك الفئة الباغية))^(١٢). فصار جماعة معاوية يقولون نحن الفئة الباغية، فطلب معاوية من عمرو بن العاص، وكان السياسي المحنك، أن يتدبر أمرها، فقال لهم: لم نقتل عماراً بل علي هو الذي قتله، لأن علياً لو لم يأت به إلى الحرب لما قتل. وكثير من ذلك يجري لخلط الأمور من حق بباطل.

حوار الفكر:

□ قال الله سبحانه وتعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»^(١٣)، وهذا أعظم مصداقية على الحرية التي منحها الله للعقل في أن يتخذ طريقه نحو الغي أو الرشاد، ولكن من يحمي المجتمع من حرية العقل الذي ينطلق نحو الغي دون المساس بالآية الكريمة؟

○ لقد طرح الإسلام الحوار بالتي هي أحسن، والدفع بالتي هي أحسن، لذلك قد يكون لدى بعض الناس عقول مصطنعة، وهي ليست منطلقة من الفطرة، بل منطلقة من ثقافات غير متوازنة .. ولكن لكل مشكلة حل، وحلها بالحوار مع من لا يلتقي بالحق، والله تعالى يقول: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(١٤).

مصلحة الدين والوطن:

□ إذا تزامنت مصلحة الدين مع مصلحة الوطن، فأيهما نقدم؟

○ لماذا نفرض التزاحم في هذا المجال؟ إذ ليس هناك تزاحم، بل علينا أن نعمل على أن يكون الدين في قلب الوطن وفي كيانه، والدين أيضاً يحمي الوطن من كل الذين يريدون إسقاطه ويريدون إهانته وإذلاله.

(١٢) البحار. ج ١٨. ص ١٤٢. ح ٤١.

(١٣) البقرة: ٢٥٦.

(١٤) النحل: ١٢٥.

علامات أهل الدين:

□ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((إن لأهل الدين علامات يعرفون بها))^(١٥)، وذكر منها: ((قلة مؤاتاة النساء))، ما المقصود بذلك؟
 () ربّما كان المقصود بها الحالة الشبقية التي تجعل الإنسان يتحرك بهذا الموضع بشكل غير طبيعي، وإلا فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((حبُّ إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرّة عيني الصلاة))^(١٦).

دور القرآن في المعالجة من الأمراض:

□ كثر الحديث في الفضائيات العربية مؤخراً عن تلبس إبليس والشياطين لبني البشر وعن طريقة إخراجها بواسطة القرآن الكريم، فما رأي سماحتكم بهذه الظاهرة؟ وهل لها أساس في الواقع؟
 () نحن في تحقيقاتنا لا نعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى سلّط الجن على الناس أو سلّطهم بمعنى التلبس، لأن المسألة أنهم يوسوسون للإنسان بطريقة وبأخرى، وهذا ما جاء به القرآن الكريم في أكثر من مناسبة في هذا المجال. والشيطان ليس مسألة مادية ولكنها معنوية.

معوقات دور العقل:

□ ما هي أبرز المعوقات في زماننا التي تقف أمام العقل؟ هل هي الشهوات أو التضليل الإعلامي أو الجهل؟..
 () سوف نتحدث عن الموانع والحواجز التي تحجب العقل في الأحاديث القادمة إن شاء الله.

(١٥) الكافي، ج ٢، ص ٢٣٩، ح ٣٠.

(١٦) البحار، ج ١٦، ص ٢٤٩، ح ٣٥.

هبوط آدم ﷺ إلى الأرض:

□ هل هبوط آدم ﷺ هبوط مقامي أم مكاني؟

(١) الظاهر أنه هبوط مكاني، قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾^(١٧)، يعني آدم وحواء وإبليس، لأن الله خلق آدم ﷺ للأرض ولم يخلقه للسماء، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى عندما خلق آدم قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١٨)، وعندما أراد الله سبحانه وتعالى لآدم أن يعيش هذه التجربة، وكما يعبر عنها السيد الشهيد محمد باقر الصدر^(١٩): (أنه كان في دار حضانة)، يعني أن الله سبحانه أراد أن يربيه هناك، لأن آدم خلق طاهراً بسيطاً لم يعيش أي تجربة سابقة، مثلما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(٢٠)، لأنه لشدة طهارته وطيبته، كان لا يتصور أن يكون هناك شخص ينصح نصيحةً ملغومة . كما نقول هذه الأيام . أو أنه يمكن أن يحلف بالله كذباً مثلاً، ولذلك فإن الله سبحانه أراد أن يعطيه التجربة من إبليس، ولذا نقول: لم تكن المسألة مسألة تكليف في عالم الجنة أو الآخرة، وإنما كانت عملية إرشاد وتربية وتعليم، والله العالم.

تحديات مرحلة علي ﷺ:

□ على مدى التاريخ الإسلامي، يرى المراقب أن الإسلام مرّ بمشاكل عديدة، كادت أن تعصف به لولا تدخل الإرادة الإلهية، ولولا دور الإمام علي ﷺ في أكبر خطب، والسؤال: لماذا غاب الدور العسكري المباشر للنبي ﷺ في تلك الأحداث؟ ولماذا ترك علي ﷺ المجال لتصديه لتلك المتغيرات الخطيرة؟

(٢) أولاً: نقول إن الله سبحانه وتعالى لم يتدخل بشكل مباشر، حتى في مرحلة النبي ﷺ إلا في واقعة (بدر): إذ أنه أرسل الملائكة، وإلا فإن المسلمين

(١٧) البقرة: ٣٨.

(١٨) البقرة: ٣٠.

(١٩) طه: ١١٥.

هُزِمُوا فِي (أحد) وكسرت رباعية النبي ﷺ فيها، وهزم المسلمون في (حنين) بالرغم من كثرتهم، وهكذا رأينا كيف أن المؤمنين أيضاً واجهوا الخوف والرعب والهلع في معركة (الأحزاب)، إذ يقول الله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى الوضع الذي كان المؤمنون عليه: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظَّنُّونَ﴾ * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا^(١٠)، ولكن الله سبحانه وتعالى أيضاً هزم المشركين بطريقة طبيعية، كما في حضر الخندق، وانتصار الإمام علي عليه السلام على عمرو بن عبد ود، الذي كان يمثل قوة معنوية لجيش المشركين، ثم جاءت الرياح، مع بعض الأمور التي أجراها الرسول ﷺ كوسائل (مخابراتية)، كما نقول في هذه الأيام، من أجل إيجاد حالة من الانهزام النفسي لدى المشركين مما تذكره تفاصيل معركة (الأحزاب).

فالله سبحانه وتعالى أجرى سيرة الأنبياء ﷺ كما تجري قضية الحياة، أي بشكل طبيعي. نعم، قد يأتي الغيب بين وقت وآخر، ولذلك فإن الإمام علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام كلهم انطلقوا بطريقة طبيعية، ولهذا استشهد الإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، وقضى الإمام الحسن عليه السلام بالسِّمِّ، وسجن الأئمة الآخرون عليه السلام، لأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجري الأمور على حسب السنن الكونية والسنن التاريخية في هذا المجال.

العقل والشرعية:

□ في حديثكم الدائم عن مسألة العقل، ألا ترون أن البعض في مقام التحدي يهربون من أي مسألة شرعية قد لا توافق التفكير العقلي، بحجة أن هذه المسألة هي مسألة تعبدية ولا دخل فيها للعقل، فما هي طبيعة العلاقة بين العقل

والشرع؟

○ قلنا في الحديث عن هذه المسألة، إن العقل إنما نستعمله في ما لنا وسيلة إلى معرفته، ولكن هناك بعض التكاليف، مثل كون صلاة المغرب ثلاث ركعات، وصلاة العشاء أربعاً، فهي أشياء أشبه بالجوانب القانونية التي لا تطلق من خلال المعطيات الخارجية التي بين أيدينا، فعلياً أن نسلّم بها، ونفكر في ما نملك الوسيلة للتفكير فيه.

صيانة الإيمان الإنساني:

□ إذا كان التأمّل في خلق الله سبحانه وتعالى وقراءة القرآن الكريم وغير ذلك يرفع من إيمان المؤمن، فما هي الأشياء التي تحافظ على تلك الدرجة من الإيمان التي وصل إليها؟

○ عليه المواصلة والمتابعة، فلو فرضنا أنّ الإنسان تأمّل واستطاع أن يحصل من خلال تأمله على هذه الروح الإيمانية: قرأ القرآن واستطاع من خلال ذلك أن يحصل على ثقافة ملأت نفسه بالإيمان. فإنّ عليه أن يتابع ذلك حتى لا تشغله الأشياء الأخرى، فتضع حاجزاً بينه وبين إيمانه.

انتشار الإسلام بالقوة:

□ يقول البعض إنّ الإسلام انتشر في أصقاع الأرض بحد السيف وليس بقوة الفكر، فبأي حق كان المسلمون يفرضون على الدول التي يريدون غزوها الجزية؟

○ إنّنا عندما ندرس مساحة وجود الإسلام في العالم، فإننا نجد أكثر الدول الإسلامية لم يدخلها الإسلام بالحرب، فقد فتح الإسلام أندونيسيا وماليزيا وكثيراً من الدول في أفريقيا من غير طريق الحرب.

أما مسألة الجزية، فنحن نعتبرها قانوناً حضارياً من أكثر القوانين حضاريةً، فلماذا هذه الجزية؟ عندما يعيش غير المسلمين في داخل الدولة

الإسلامية، فإنهم لا يدفعون الضرائب الإسلامية في التشريع الإسلامي، والدولة الإسلامية تلتزم بحمايتهم ولا تدخلهم في حرب مع الناس الذين يلتزمون بدينهم، فيعفون من كل الضرائب إلا ضريبة الحماية.

العلمانية الأصولية:

□ ما مدى اتفاقكم أو اختلافكم مع الرأي القائل بأن العلمانية في الغرب بدأت مسار التحول إلى ما يشبه المنظمة الفكرية الشمولية؟

() كنت أقول سابقاً قبل هذه المعركة الثقافية، إن العلمانية تحولت لدى بعض الأنظمة الغربية إلى أصولية أكثر قساوة من الأصولية الدينية، لأننا نلاحظ بروز حالة من العقدة الخفية تارة، والبارزة أخرى، ضد الإسلام إن من خلال تصريحات بعض الذين يسيطرون على الإدارات السياسية، أو من خلال التعقيدات التي تواجه المسلمين في بعض بلاد الغرب، وإن كان بعض الذين اتخذوا من العلمانية نهجاً، من العرب والأتراك، علمانيين أكثر من الذين أسسوا العلمانية، لأن العلمانية عندهم اختلطت بالعصبية الشرقية التي ورثوها من التاريخ.

لذلك نحن نقول: إن مثل هذه القرارات التي بدأت تصدر في الغرب، وبعض التعليقات التي تحدثت بها البعض عن بعض المفاهيم الإسلامية والواقع الإسلامي، تمثل أصولية مختنقة قد تنفتح على بعض نوافذ الحرية تارة، وقد تغلقها تارة أخرى، لذلك لا يبعد أن يتجه الغرب أمام الأوضاع الأمنية ومسألة الإرهاب، والتي يجدون مركزيتها في العالم العربي، إلى النظام الشمولي الذي قد يلغي بعض الحريات والحقوق المدنية، كما نراه في وزارة العدل الأمريكية التي بدأ المسلمون يواجهون منها الكثير من التعقيدات تجاههم.

العلمانيون العرب المتعصبون:

□ ما هي نظرتكم إلى موقف العلمانيين العرب الذين تحمّسوا إيجابياً

لقرار الرئيس شيراك في حظر الحجاب؟

(١) لقد تابعت بعض تصريحات هؤلاء العلمانيين، فرأيت الكثير منهم يعيش حالة الخوف والفرع من تأثير هذه الحوارات أو هذه المواجهة الفكرية الثقافية الإسلامية على علاقة الغرب الأوروبي بالعالم العربي والإسلامي، كأنهم يريدون أن يقولوا: أيها العرب، أيها المسلمون، لا تحركوا ساكناً، وكونوا منضبطين أمام كل القرارات الغربية، ولا تثيروا مسألة هامشية وجانبية، لا سيما أن بعض المفكرين العرب قد ينكرون الحجاب كفريضة إسلامية، أو أن بعض من يعيشون هذا الهاجس لديهم عقدة ضد الإسلام.

لقد استمعت إلى أحد الشعراء العرب، وهو أدونيس يقول: (أنا ضد الحجاب، لأن إنسانية الإنسان هي أن يمزق الحجاب)، فقلت لبعض من حولي: (ولماذا الآن هو أمام التلفزيون، محجب من عنقه إلى قدمه؟). فكلامهم هذا لا معنى له.

أما نحن فنقول: إن عليه أن يمزق حجاب الأنانية وحجاب الحقد، وإن على الإنسان أن يسعى وراء المعرفة وتمييز ما هو خير مما هو شر. إن المشكلة في كل هؤلاء أنهم يستعملون اللغة التي يستعملها المتعصبون الدينيون، كالتكفير والزندقة، والرجعية والظلامية. إن السباب الذي أدمنه المتدينون انطلق ليعبر عن نفسه بطريقة أخرى معاصرة عندهم.

إننا ندعوهم إلى أن يأخذوا بخط العلمانية، التي هي بحسب ما قرأناها نظام يؤكد على مسألة الحريات، كما ندعوهم لأن يتحمسوا لمصلحة العالم العربي والإسلامي، وليس لجاك شيراك، وإن كنا نفتح على الصداقة مع كل من يصادقنا.

اتساع دائرة الفقر في المجتمع الإسلامي:

□ الإسلام دين متكامل للبشرية عامة، وفيه حلول لكل المشاكل خاصة الاجتماعية، فلماذا تتسع دائرة الفقر عند المسلمين يوماً بعد يوم؟

(١) لقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((ما جاع فقير إلا بما متّع به غني)). وهناك حديث عن الأئمة عليهم السلام يقولون فيه: ((إن الله فرض في أموال الأغنياء للفقراء ما يكتفون به، ولو علم أنه لا يكفيهم لزادهم))^(٢١). فالقضية هي ليست قضية الإسلام، ولكنها قضية الالتزام بالإسلام في هذا المجال، لأن المسلمين لا يخرجون ما فرضه الله عليهم من حقوق من الخمس والزكاة والصدقات، ولهذا أصبحت المسافة بعيدة جداً بين واقع الأغنياء وبين واقع الفقراء.

هذا بالإضافة إلى نقطة أخرى، وهي أنه ليست هناك دول إسلامية تطبّق الإسلام بنحوٍ تقضي فيه على الأزمة الاقتصادية، وحتى لو فرضنا وجود دول إسلامية مثل إيران، وهي دولة إسلامية تتحرك في خط الإسلام بحسب ما ترتأيه أو بحسب ما تقتنع به، ولكن الحصار الاقتصادي العالمي والحرب التي دمرت بنيتها التحتية وما إلى ذلك، هو الذي عطّل برنامجها في حل الأزمة الاقتصادية. وبمعنى آخر، لو أنك امتلكت نظاماً اقتصادياً كأروع ما يكون، وليس لديك ثروة يمكن أن يتحرك بها هذا النظام لأجل توزيعها على حسب الإمكانيات، فماذا بوسعك أن تصنع؟ لأنه لا بد من مصانع وأسواق ومواد أولية وأجهزة تصنيع وما إلى ذلك، ولو أخذنا أسواق البترول وتسعيّره وتسويقها، لرأينا أن كل ذلك بيد الغرب، ولذلك فتحن نملك ثروة، ولكننا لا نملك تسويقها ولا تسعيّرها ولا تصنيعها في كثير من الحالات. وعليه، فالقضايا لا تعالج من جانب واحد، بل لا يكفي حلّ الأزمة الاقتصادية بأن يكون هناك نظام اقتصادي جيد، بل أن يكون هناك واقع اقتصادي يسمح بتطبيق هذا النظام على مستوى الواقع.

إساءة فهم الشفاعة ودورها في التربية:

□ الشفاعة من ضرورات الإسلام الثابتة بأدلة قطعية، والسؤال هو: لماذا

أساء المسلمون فهمها؟ وما هو دورها في التربية الإسلامية؟

١) لعلّ الذين أساءوا فهمها لم يفهموا معناها، فالشفاعة تسير في خطّ مغفرة الله، لأن الله تعالى قد يغفر للإنسان بشكل مباشر، وقد يغفر له بواسطة الشفعاء الذين أذن لهم بالشفاعة. وكما إن الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فالشفعاء قد يشفعون لمن يشاء الله لهم بأن يأخذوا ببرنامج الشفاعة، وقد لا يشفعون لمن قد يتصوّر أنه سينال شفاعتهم وهو لا يعمل بعملهم ولا يسير بسيرتهم، إذ من قال إن النبي ﷺ يشفع لك، وإن الأئمة ﷺ يشفعون لك لمجرد أنك تحبهم؟ هناك مبدأ للشفاعة لا يمكن أن يتخطى، أما أن تعتبر أن الشفاعة مضمونة سلفاً مهما عملت ومهما أسأت، فهذا سوء فهم للشفاعة كما يسيء البعض فهم المغفرة، فالله يقول ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾^(٢٢)، «يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء»^(٢٣) فقد يقول قائل لا بد أن يغفر الله لي وهو لم يستغفر ربه، في حين لا بد أن ينطلق المؤمن ولديه خوف من جهة ورجاء من جهة: ((خف الله خوفاً لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وأرج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك))^(٢٤). هذه هي المسألة. أما دور الشفاعة في التربية الإسلامية، فهي أنها تجعل الإنسان يثق بهؤلاء الذين أعطاهم الله تعالى الشفاعة، لأنهم أطاعوه واتقوه حق تقاته، ولأنهم جاهدوا في سبيله حتى أتاهاهم اليقين، ودعوا إلى دينه بالحكمة والموعظة في جنبه.

ثم إنَّ الشفاعة تعطى الإنسان الرجاء عندما يعرف أن هناك شفعاء أعطاهم الله الإذن في الشفاعة وجعل لهم برنامجاً في ذلك، فإنه سبحانه يغفر لك من أجل شفاعة الشافعين لك.

(٢٢) الأعراف: ١٥٦.

(٢٣) المائدة: ١٨.

(٢٤) الكافي، ج ٢، ص ٦٧، ح ١.

تعريف الإسراف:

□ ما هو التعريف الشرعي للإسراف؟ ومتى يكون الإنسان مسرفاً، وهل معايير الإسراف تختلف بين الغني والفقير؟ شاكرًا لسماحتكم ردكم الكريم؟

○ الظاهر أن الإسراف هو إنفاق المال في غير حقه وفي غير الحاجة المتعارفة الطبيعية في شؤون الإنسان الخاصة أو العامة، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((ليس في ما أصلح البدن إسراف، إنما الإسراف في ما أتلف المال وأضر بالبدن))^(٢٥). وقد وجه الإمام الناس إلى ضرورة الاقتصاد في المال والانتفاع بكل ما ينتفع به، واعتبر إهداره في غير ذلك إسرافاً، وذلك هو قوله سلام الله عليه: ((إن القصد أمر يحببه الله، وإن السرف أمر يبغضه الله، حتى طرحك النواة، فإنها تصلح لشيء، وحتى صبك فضل شراكك))^(٢٦)، وهذا مما يختلف فيه الناس حسب اختلاف حاجاتهم بحسب شؤونهم.

المنهج الصوفي إسلامياً:

□ هل المنهج الصوفي متعارض مع الجو الإسلامي الذي أراد الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم أن يتحرك فيه؟

○ الصوفية لا تمثل خطأ واحداً، بل تمثل مذاهب متعددة، حتى إنها تحولت إلى ما يشبه الحركات والألاعيب وما إلى ذلك.. لهذا نقول إن الصوفية إذا ما انسجمت في تصوراتها الروحية وفي سلوكها الأخلاقي والعبادي مع الخط الإسلامي فتكون موافقة للمنهج الإسلامي، وقد لا تتسجم مع الخط الإسلامي، فتكون بعيدة عنه.

دور الأنبياء في الإصلاح:

□ أرسل الله تعالى ١٢٤ ألف نبي من أجل إقامة العدل على الأرض، ولكن

(٢٥) الكافي. ج ٤. ص ٥٣. ح ١٠.

(٢٦) نفسه. ص ٥٢. ح ٢٦.

نرى أن الفساد يستشري في المجتمع الإنساني، إلام يعزى ذلك؟

(١) إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي، وهذا ما نقرأه في دعاء يوم (الثلاثاء) المنسوب للإمام زين العابدين عليه السلام: ((وأعوذ به من شر نفسي، إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي، وأعوذ به من شر الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي))^(٢٧). قاله سبحانه وتعالى وضع أمام الإنسان البرنامج الذي يرتفع بروحه وب عقله وب حياته، ويصعد به إلى درجات القرب من الله سبحانه وتعالى، ويدخله الجنة، ولكن الإنسان تغلبه شهواته ومطامعه، وما إلى ذلك.. هذا كل واحد منا يعيشه مع نفسه، ما يعني أن الأمر لا يحتاج إلى فلسفة، وهذا الأمر تراه في نفسك في دائرة الصراع بين العقل والشهوة، وبين المبادئ والمشاعر، بين الضغوط الداخلية والضغوط الخارجية، وهذا الذي يمر به كل الناس، فإذا أردت أن تفهم الواقع انظر إلى نفسك.

الطوارئ الثقافية:

□ تردّدون دائماً عبارة حالة طوارئ فكرية أو ثقافية، أين منها الشباب المسلم اليوم؟ وكيف ترسمون لهم الطريق للالتزام بها؟

(٢) يعني أن مرحلتنا هي مرحلة الدعوة إلى الخط المستقيم الذي رسمه الله سبحانه وتعالى، وهو أن نفكر، وأن نستعمل عقولنا وأفكارنا، ونحاول في الأساس أن نتحرّك في هذا الاتجاه، هذا الذي نسميه حالة طوارئ ثقافية، يعني أن يشعر الإنسان بالحاجة الدائمة إلى تصحيح فكره، إلى أن يفكر في كل شيء حوله، إلى أن يتعلم كل شيء يمثل الحاجة: الحاجة إلى النمو العقلي والفكري، ونمو الحياة من حوله، وتحمل مسؤولياته، وما إلى ذلك.

دورنا في ذكرى الحسين عليه السلام:

□ كيف يمكن أن نعبّر عن حزننا بمناسبة ذكرى عاشوراء؟ وما هو دورنا؟

(١) التعبير عن الحزن هو حالة إنسانية، فانظر إلى الناس في كل أنحاء العالم، كيف يعبرون عن حزنهم؟ بالبكاء، ومن الممكن في بعض الحالات أن يعبروا بالطم، ولكن ليس اللطم الفلكلوري، بل اللطم الذي يعبر عن الحزن. ولكن هناك عادات لم تنطلق أحياناً من مسألة التعبير عن الحزن، وإنما انطلقت من بعض حالات انفعالية معينة درج عليها الناس.. ولكن التعبير عن الحزن هو في الطريقة الإنسانية وبشكل إيجابي. فحزننا على الإمام الحسينؑ، ينبغي يكون بأن نقف ضدَّ كلِّ من يفعل المأساة لأهل الحق على الطريقة التي فعلها يزيد وجماعته، وهذا هو الحزن الإيجابي.. أن تتحرك ل تمنع تكرار مأساة كربلاء في أي مكان من الأمكنة. فدورنا هو أن ننتج في مرحلتنا جماهير للحسينؑ من قبيل زهير بن القين وعلي الأكبر الذي كان يقول لأبيه في يوم عاشوراء: ((ألسنا على الحق؟ قال له الحسينؑ: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: إذا لا نبالي أن نموتُ محقِّين))، والذي أنشد:

نحن وبيت الله أولى بالنبي والله لا يحكم فينا ابن الدعي

وأن يكون عندنا مثل العباسؑ الذي كان يقول:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبدأ عن ديني

ففي كل مرحلة ننتج فيها صوراً للشخصيات التي انطلقت في (كربلاء)،

لأن أهل كربلاء كلهم ممن كان مع الحسينؑ قد انتقلوا إلى رحاب الله، ومن

كان ضد الحسينؑ انتقل إلى عقاب الله، وقد قال تعالى: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ)^(٢٨). نعم، نأخذ العبرة من ذلك والذكرى.. لقد

ذهب يزيد! لكن كم من ألف يزيد موجود عندنا؟ وذهب عمر بن سعد، لكن كم

من عمر بن سعد عندنا؟ وفي الطرف الآخر: كم من حبيب بن مظاهر عندنا؟

كم من زهير بن القين عندنا؟ لا يكفي أن نتذكّرهم فقط، بل أن نقف على آثارهم

ونقتدي بسيرهم.

دعم عوائل العراق:

□ لقد مرّ العراق وأهله لأكثر من عشرين عاماً ولا زالوا يمرون بظروف مأساوية بالغة، لعل من أشدها تأثيراً على سلامة النسيج الاجتماعي افتقار كثير من العوائل للمعيل. إن مد يد العون لهذه العوائل هو أحد وسائل مواجهة هذه المشكلة، لذلك أقترح عليكم باعتباركم أحد أبرز فقهاء المسلمين المعاصرين المهتمين بأزمات المسلمين، دعوة المسلمين في جميع أنحاء الأرض إلى مد يد العون إلى هذه العوائل عبر إنشاء الصناديق الخيرية والمستشفيات الخيرية وإقامة دور للأيتام وغير ذلك من وسائل ترونها تحقق ذلك الهدف؟

○ نحن نتحدث مع الآخرين بذلك، ونحاول الآن السعي لإيجاد مبرة هناك، وقد بدأت مكاتبنا في تكفل الأيتام في بيوتهم من خلال مراكزنا الثقافية في العراق، وقد بلغ حتى الآن الأيتام الذين يتكفلهم مكتبنا أكثر من ألف يتيم، وتحدثنا مع كثير من إخواننا في سبيل دعم هذا المشروع، ونحن نساعد فعلياً في بعض المراكز الصحية بشراء بعض الأجهزة التي تحتاجها من الحقوق الشرعية، ونرجو أن نوفق لأكثر من ذلك، لأن مشكلة العراق أكبر من ذلك.

مواجهة مع الشيطان:

□ كلما ازدادت في العبادة يحاول الشيطان أن يوقعني في المعاصي، فينجح في بعض الأحيان فأنتبه وأعود إلى العبادة، وهكذا بين كرّ وفرّ، ماذا أفعل حتى أتخلص من كيد الشيطان؟

○ أن تتابع صراعاك معه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢٩)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ^(٣٠)، تابع صراعك مع الشيطان واستعد بالله دائماً، وقل: ((أعوذ به من شر الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي)).

تعدد الزوجات:

□ هل تنصحون بتعدد الزوجات مع عدم وجود المشاكل العائلية، وإنما - مثلاً - من باب التقليل والحد من العنوسة التي تواجهها مجتمعاتنا اليوم، واقتداءً بالأئمة عليهم السلام، ومن باب قول الرسول ﷺ: ((تناكحوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأمم))؟

() إذا أراد الإنسان أن يتزوج حتى يحارب العنوسة، فهذا جيد، ولكن الإنسان عندما يريد أن يحارب مشكلة، عليه أن لا يقع بعشرين مشكلة. الزواج المتعدد من المباحات، ولكن ليس من الضروري أن يكون من باب المستحبات، إلا إذا طرأ عليه عنوان يوجب استحبابه، وعلى الإنسان أن يتدبر أمره في ذلك، فيدرس المسألة، سواءً من خلال طبيعة تأثير ذلك على الأسرة، أو ما إذا كان يملك أن يعدل أو لا يملك، وهذه الأمور لا بد من دراستها جيداً.

تربية الأطفال:

□ نحن نعيش في دولة أوروبية، وكل شيء مباح أمام طفلنا، من صور دعائية في الشارع والباصات، فماذا نعمل له؟ وإذا ربيناه على التربية الإسلامية، يصبح الطفل شاذاً بالنسبة لبقية الأطفال في المدرسة، علماً بأن عمره ست سنوات ونحن في حيرة؟

() إذا لم يستطع الإنسان أن يحفظ أهله ونفسه وأولاده، فيحرم عليه البقاء في تلك البلاد، إلا في حال الضرورة، وهذا حكم شرعي، والكل يفتي به تحت عنوان التعرّب بعد الهجرة.

مؤهلات طالب الحوزة:

□ لماذا تقبلون طلاب حوزة لا يملكون حتى شهادة ثانوية عامة؟ فأبي مبلغ

هذا ينفع الإسلام؟

() أعتقد أنه بدأ هناك نظام يشترط مثل ذلك، ولكن حتى لو فرضنا أنه لم يكن معه شهادة ثانوية، فربما يكون عنده نوع من أنواع الثقافة التي يستطيع فيها أن يهيئ نفسه لذلك. والحوزات التابعة لنا في لبنان لا تقبل إلا الشخص الحائز على شهادة ثانوية، ومن الممكن أن تسمح ظروف الحوزة بغير ذلك.

المرجعية الرشيدة:

□ تتردد عبارة 'المرجعية الرشيدة'، فهل هي موجودة الآن على أرض الواقع؟

وهل هي متمثلة في مرجعيتكم؟

() (المرجعية الرشيدة) انطلقت من خلال المشروع الذي أطلقه السيد الشهيد محمد باقر الصدر *، عندما وضع برنامجاً لإدارة المرجعية في مسؤولياتها العلمية والتبليغية والحركية، وما إلى ذلك .. وهذا خطٌ لا بد للمرجعيات - مع كل احترامنا لهم - أن تدرسه جيداً، حتى تكون المرجعية قيادةً فاعلةً ولو على مستوى حاجات الحوزة إلى حركية الدعوة وحركية الاهتمام بثقافة الناس وشؤونهم، بارتفاع مستواها إلى أن تدخل ساحة الصراع أمام الأفكار المتنوعة التي تتحدى الإسلام في ثقافته.

ونحن أطلقنا - مع تقديرنا لما ذكره السيد الشهيد * - ما أسميناه 'المرجعية المؤسسة'، أي المرجعية الشاملة التي تتسع إلى أفق أوسع مما ذكره السيد الشهيد *، وهما يتكاملان في الخطوط التي يتحركان فيها.

عقل المرأة:

□ ما معنى الكلمات المشهورة التي تنسب إلى الإمام علي (عليه السلام): ((النساء

ناقصات الدين والعقول))، هل هي صحيحة؟

○ نحن ناقشنا هذه الرواية؛ لأنَّ الإمام علياً عليه السلام يقول في الرواية المروية عنه أيضاً: ((ناقصات الدين لأنهن يتركن الصلاة والصوم))، أي في أيام الدورة الشهرية، مع أن هذا ليس نقصان دين، بل هو من الدين لأن التي تترك الصلاة والصوم امتثالاً لنهي الله عز وجلّ لها عن الصلاة والصوم لا يعدُّ تركها نقصاناً، ولذلك يُستحبُّ للمرأة أيام الدورة الشهرية، أن تجلس في أوقات الصلاة في مصلاًها تسبِّح وتحمد الله وتقرأ القرآن، وما إلى ذلك. وإلا فنحن إذا سافرنا - حسب هذا المعنى - ينقص ديننا، لأنه إذا سافرنا لا نصوم، والصلاة الرباعية تصير ركعتين، فهل هو نقصان في الدين؟ لذلك نستبعد أن يتحدث الإمام عليه السلام بهذه الطريقة.

أما نقصان العقل، فلأنَّ التعليل هو أنَّ شهادة امرأتين في مقابل شهادة رجل واحد، ولا ندري ما علاقة الشهادة بالعقل؟ فإن الشهادة حسٌّ، ثم إن الله سبحانه وتعالى بيّن العلة: (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) (٣١)، فإن المرأة إذا كانت ناقصة عقل، فإن الناقص لا يكمل الناقص، ولذلك فالحديث المروي عن النسيان (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا) يعني أن تنسى إحداهما أو تضلّ، بمعنى أن المرأة قد تنحرف من الناحية العاطفية - مثلاً -، وهذا ليس له دخل بالعقل؛ لأن العقل شيء يرتبط بالفكر، والشهادة ترتبط بالحس في هذا المقام، نحن نعلم أنّه يُحتاج في البين إلى رجلين عادلين ولا يُكتفى برجل واحد، وفي الزنى - مثلاً - يحتاج الإثبات إلى أربعة شهود، فهل هذا دليل نقصان عقل الرجل؟

مرجعية الإسلام في الاختلاف:

□ كيف يمكن لنا أن نجعل من الكتاب والسنة مرجعية موحدة وثابتة،

لتأطير الخلاف والنزاع بين المذاهب الإسلامية؟

(٥) أما الكتاب فهو بين أيدينا وبين أيدي المسلمين واحد، ولكن المسلمين قد يختلفون في دلالاته، لأن الكتاب قطعي السند ظني الدلالة، يعني أن دلالاته إنما هي بظهوره في المعنى الذي يدل عليه، وقد يختلف المفسرون في ذلك، لهذا لا بد أن ندخل مع المسلمين الآخرين في حوار حول مفهوم هذه الآية أو تلك الآية، وهكذا. أما بالنسبة إلى السُّنَّة، فهي كلام الرسول ﷺ، لكن الشك فيمن يروي عن الرسول ﷺ وعن وثيقة من يروي عنه ﷺ، لذلك لا بد لنا من إدارة الحوار حول وثيقة هذا الراوي أو ذاك الراوي.

الدفاع عن المقدسات:

□ ما هو واجب رجل الدين أو المرجع في حال تعرض بلد ما إلى غزو؟ وما هو واجب المواطنين العاديين في حال عدم تحرك رجال الدين؟

(٦) هذه الأمور لا بد من دراستها من الناحية السياسية ومن الناحية الأمنية والميدانية، والظروف الموضوعية المحيطة بها، لأنها ليست من الأمور البسيطة. المبدأ هو أن يدافع المسلمون عن بلادهم، وخصوصاً بيضة الإسلام، وهي التي تمثل البلد الذي إذا سقط، سقط الإسلام في عزته وكرامته. كما بالنسبة إلى مكة المكرمة، وربما النجف الأشرف، أو بالنسبة إلى كربلاء. فالمبدأ هو الدفاع عنه، ولكن كيفية الدفاع، ذلك بحاجة إلى دراسة من أهل الخبرة، سواء كانت خبرة شرعية، أو خبرة أمنية، أو خبرة سياسية.

الافتداء بالنبي ﷺ:

□ أين نحن من النبي ﷺ، وأين نحن من الآية المباركة، قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)^(٣٢)، فهل تنطبق على المسلمين في هذه الأيام الصعبة ونحن في ذكرى ولادة النبي الأكرم ﷺ؟

(٥) ليس كل المسلمين منحرفين. هناك مسلمون أشداء على الكفار رحماء بينهم، وهم المجاهدون الذين يجاهدون في سبيل الله، كما في فلسطين أو في لبنان أو في أي مكان. في الأماكن التي يتحدى فيها أعداء الله تعالى ورسوله، هناك المسلمون الأشداء هناك الكثير، فعلينا أن لا نياس. نعم، كما في زمن الرسول ﷺ كان هناك أيضاً بعض الأشخاص وهم المنافقون. وكذلك اليوم. المهم عندنا إذا رأينا بعض المظاهر الإسلامية السلبية أن لا نحكم على كل المسلمين بذلك.

ظاهرة التكفير:

□ برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة (التكفير) في مجتمعاتنا الإسلامية، فكيف السبيل إلى أن نتخلص منها؟

(٥) إن مشكلة هؤلاء المكفرين، أنهم لا يملكون ثقافة الإيمان والكفر، يعني مثلاً نحن مسلمون، ما الذي يجعل الإنسان مسلماً أو كافراً؟ الذي يجعل الإنسان مسلماً ثلاثة أشياء بإجماع المسلمين: التوحيد، والنبوة، والمعاد. هذه الأشياء الأساسية التي إذا آمن بها الإنسان كان مسلماً. ما الذي يجعل الإنسان كافراً؟ إنكاره واحدة من هذه الأمور، يعني إذا أنكر الشخص وجود الله سبحانه وتعالى أو أنكر توحيدة، فهذا كافر، ولذلك نقول إن الملحدين كافرون، لأنهم ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى، والمشركون كفرة، لأنهم ينكرون توحيد الله تعالى والنبوة. كما نقول ذلك بالنسبة إلى أهل الكتاب، يعني أهل الكتاب يقولون لنا كيف تقولون نحن كفرة. نعم، الكفر نسبي، فقد يكون هناك مؤمن بالله سبحانه وتعالى ولكنه كافر بالرسول، هم يؤمنون بالله على طريقتهم، ولكن الله تعالى اعتبرهم موحدين، ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(٣٣)، وهكذا، قال تعالى: «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ»^(٣٤)، ولذا قال القرآن الكريم: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ»^(٣٥)، اعتبر أهل الكتاب من اليهود والنصارى كفرة، ولم يعتبرهم مشركين، على أساس أنهم كفروا بالرسول، كذلك الله سبحانه تعالى اعتبر أن الذي لا يؤمن باليوم الآخر أيضاً كافراً.

وتوجد هناك حالة من الحالات يقول فيها الفقهاء - سواء السنة أو الشيعة - إنه من أنكر ضرورياً من ضروريات الدين، يعني أنكر شيئاً ثبت من الدين بالبداهة، بأن هذا الشيء من الدين، يعني كأن يقول شخص: الصلاة غير واجبة، وهذا ينتهي إلى تكذيب الله تعالى ورسوله ﷺ، قاله يقول: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»، والنبى ﷺ يقول أيضاً بوجوب الصلاة، أو أن يقول هذا الإنسان مثلاً الصوم غير واجب، والحج غير واجب، والخمر ليست محرمة، مع أن هذه الأحكام معلومة لجميع المسلمين، فهذا إنكار للمبدأ وهو صدق الله وصدق رسوله بلحاظ الملازمة في إنكاره للضروري وتكذيب الرسول.

أما لو فرضنا أن أحداً ما أنكر شيئاً مما ثبت أنه من الدين ضرورة، ولكن هو لم يلتفت إلى الملازمة بين إنكار الضروري وتكذيب النبى ﷺ، فإنه لا يصير كافراً كما نص العلماء، ومنهم الأستاذ السيد الخوئي*، فبعض الناس لا يميزون، ولا يعتبرون ولا يعرفون ما هي أصول الإيمان التي يحكم فيها بكون الإنسان مؤمناً، مسلماً، وما هي أصول الكفر في هذا المجال. كما يحدث الآن بعض من السُنَّة وبعض الشيعة، فقد يروون حديثاً، ويقولون إن هذا حديث صحيح عندنا، فنتهم بأنك كافر، لأنك تكذب رسول ﷺ في نظرهم، ولكن قد

(٣٣) آل عمران: ٦٤.

(٣٤) العنكبوت: ٢٤.

(٣٥) البينة: ١.

يكون هذا الحديث الثابت عندكم غير ثابت عندي من حيث وثاقة الراوي أو دلالة الكلام، فكونك تعتبر هذا حديث رسول الله ﷺ وأنا أقول إنه غير صحيح، فهذا لا يعني تكذيب النبي ﷺ، لأن الرواة عندك في هذا الحديث غير موثقين، أو أنك تقول: إن هذا الحديث يدل على كذا، فأنا أقول: لا، لأنني أفهم منه غير ذلك، فلا يجوز أن تفرض عليّ فهمك أنت. فبعض الناس هكذا، يكفرون المسلمين، لأنّ عندهم بعض الأفكار التي يحتفظون فيها لأنفسهم، ويعتبرونها صحيحة.

وللأسف، فإن هؤلاء الذين يطلقون كلمة (الكفر) وكلمة (الضلال) كثيرون عند الشيعة والسنة، فهناك سلفية شيعية وسلفية سنية، ولكن علينا أن نناقشهم مناقشة موضوعية، إذا كانوا يقبلون النقاش، لأن بعض الناس لا يقبلون بذلك، قال تعالى: (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)^(٣٦)، فهذا الذي يكون مستعداً لإغلاق عقله وإغلاق سمعه، فهذا لا تستطيع أن تتحدث معه، لكن الشخص الذي يكون مستعداً لأن يناقش مناقشة علمية، فلا بد من أن ندخل معه في نقاش حتى نصحح له فهمه لمسألة الكفر والإيمان.

تعليم المرأة:

□ هناك رواية في الوسائل تتحدث عن المرأة قائلة: ((لا تعلموها القراءة والكتابة، وعلموها سورة النور))، وأخرى تقول: ((ذروها كالبهائم))، ما هو تفسيركم لأمثال هذه الروايات؟

○ نحن نرفض هذه الروايات، لأنها مخالفة للقرآن الكريم، قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)^(٣٧)، والمقصود بالذين (الذين) ليس فقط الرجال في هذا المعنى.. وعندنا أيضاً الحديث النبوي الشريف: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))، وفي رواية ((ومسلمة))، بل إن كلمة (مسلم)

(٣٦) يس: ١٠.

(٣٧) الزمر: ٩.

يراد بها الأعم من الرجل ليشمل المرأة، يعني الذي أسلم، سواء كان امرأة أو رجلاً، لأن الله سبحانه وتعالى أراد للمرأة وللرجل أن يأخذا بأسباب العلم. وإذا صح ما ورد في الحديث، فلماذا اهتم النبي ﷺ بتعليم النساء، وما إلى ذلك.. ونحن مثلنا الأعلى السيدة فاطمة الزهراء ؑ. لهذا فإن هذه الأحاديث الكثير منها ضعيف، وإذا صحت فإنها ربما تعالج بعض الأوضاع المحلية التي كانت في ذلك الوقت، أو يردُّ علمها إلى أهلها، لأنها تختلف عن المضمون القرآني في المفاهيم القرآنية التي تؤكد على العلم لكل إنسان.

التنمية الاقتصادية:

□ ألا ترون أننا بحاجة إلى توجيه الناس إلى الثروة وتوظيفها في بناء الحياة والمجتمع، ومنافسة القوى العالمية المالية، مع الحفاظ على الروحية العالية التي تبقى الإنسان متوازناً؟

(هذا صحيح، فإن علينا أن نكون أقوياء في المال، ولكن المسألة كما قال قوم (قارون) لقارون: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) ^(٣٨)، وينبغي أن نكون أقوياء في السياسة أيضاً وفي العلم، وفي كل مجالات الحياة. لأن ذلك هو الذي يجعل الأمة قادرة على الوقوف في وجه الآخرين في مواقع القوة، ولكن - كما قلنا - الثروة مسؤولية، مسؤولية لها جانب مادي في أن يحرك الإنسان ثروته في البناء المادي للحياة، وجانب روحي في أن يتحرك بها على أساس القيم الروحية والأخلاقية التي أراد الله سبحانه وتعالى للناس أن يلتزموها ويتصفوا بها.

الجنة والأمهات:

□ في الحديث الكريم: ((الجنة تحت أقدام الأمهات))، بعض الأمهات

خارجات عن طريق الإسلام، هل هذه الرحمة تشملهن، أرجو توضيح ذلك؟
 (٣) هذا الحديث يركّز على مسألة الجهد الذي تبذله المرأة في حملها وفي رضاعها وفي الآلام التي تتحملها، وفي الأخطار التي تواجهها، وما إلى ذلك، حتى إن الله سبحانه وتعالى لم يتحدث عن تفاصيل جهد الأب، بل تحدث عن تفاصيل جهد الأم، قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٣٩)، فهي تبين طبيعة المسألة، وهذا كلّ بشرطها وشروطها، يعني الجنة تحت أقدام الأمهات، إذا ملكن مفتاح الجنة، ومفتاح الجنة الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسوله وباليوم الآخر، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٤٠). فهي في مقام بيان طبيعة فضل الأمهات من ناحية طبيعة أن الأمومة تختلف عن الأبوة، إن الأمومة تؤثر وتثقل جسد المرأة، بينما الأبوة لا تثقل جسد الأب.

مفهوم الشّانية:

□ كان رسول الله ﷺ كأحدنا، فما بال رجال الدين يحدثونا عن الشّانية، وخصوصية مواقفهم، أليس لنا برسول الله أسوة حسنة؟
 (٤) ليس كل رجال الدين أو علماء الدين كذلك، ولكن علينا أن تكون لنا الأسوة برسول الله ﷺ؛ لأنه هو الذي كان خُلِقَ القرآن الكريم، وهو صاحب الخلق العظيم، ولكن تحت تأثير تطورات الحضارات وتعقيدات الظروف، أصبحت المسألة تعيش في نوع من أنواع ما يشبه الأبراج العاجية، وعلى كل حال، نحن نقول: إنَّ على علماء الدين أن يقتدوا برسول الله ﷺ وبالأئمة عليه السلام، بأن يعيشوا مع الناس، وأن يجيبوا عن كل أسئلتهم، وأن يحبّوهم ويحترمهم، وأن لا يجعلوا أنفسهم فوق الناس، وإلا فإننا مع هذه الحال نتحوّل إلى أباطرة، ونحن يجب أن نعيش إنسانيتنا مع الناس، وهذه هي القيمة التي يتميَّز بها الإنسان المؤمن.

شروط طلبية الحوزة:

□ ألا ترون أنه يجب أن تكون هناك شروط مشددة ودقيقة على من يريد الدخول إلى الحوزة؟ وذلك لخطورة المنزلة والمكانة التي سيؤول إليها المتخرج منها. بينما نرى أننا ندخل في حوزاتنا غثاً وسميناً، ونخرج منها غثاً وسميناً أيضاً، ولا نرى الصنف الجيد إلا ما قلّ وندر؟

() أنا مع هذه الفكرة ١٠٠٪، لأن الكثيرين ممن يدخلون الحوزة ويخرجون منها هؤلاء حجة على الإسلام، في الوقت الذي يطلق عليهم أنهم حجج الإسلام، وهم يشوهون صورة الإسلام، بجهلهم وبعدم استقامتهم، ولكن هناك في الحوزة علماء وطلاب جيّدون. نعم، الحوزات تحتاج إلى تنظيم ودراسة لكل من يدخلها، ولكننا لا نزال نعيش في فوضى من هذه الجهة.

العلمانية والإسلام:

□ هل الحركة العلمانية تتناسب ومبادئ الإسلام؟

() الحركة العلمانية تقوم على أساس أنه لا دور للإسلام في القانون، ولا دور له في السياسة أو في العلم، وإن كانت ليست كل علمانية ملحدة، فهناك علمانية تؤمن بالله تعالى، ولكنها - مع ذلك - تحبس الله تعالى في المساجد، أو في الكنائس، إذا كانوا ليسوا مسلمين، لذلك فهي تعتبر أنّ الإنسان هو الذي يقود الحياة وليس الله تعالى، والدين عندهم لا علاقة له بالحياة كلها، فكيف يمكن أن تتناسب مع مبادئ الإسلام؟ قد تكون بعض التشريعات الفرعية موجودة في العلمانية، وقد تتسجم مع بعض التشريعات في الإسلام، ولكن ليس معنى ذلك أنها تتفتح على الإسلام، أو يفتح الإسلام عليها، مثل بعض الناس كانوا يقولون: اشتراكية الإسلام أو ما يعرف اليوم بديمقراطية الإسلام، ونحن نقول: الإسلام إسلام وحسب، وهو يختلف عن كل هذه الأسماء، قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ

سَمِيتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ^(٤١)، فهذه كلها تختلف اختلافاً في الجذور عن الإسلام، فهل يمكن أن نقول فلان مسيحي شيعي، أو فلان مسلم كاثوليكي، أو أي شيء من هذا القبيل، كما نقول اشتراكي مسلم، أو ماركسية إسلامية، أو حتى ديمقراطية إسلامية بما للديمقراطية من جذور فكرية، لأن الإسلام له خصائص، وتلك التيارات التي ولدت لها خصائص، فيها أشياء جيدة، ولكننا نقول إن الإسلام إسلام فحسب، وقد يتفق معه الآخرون، ولكن ذلك لا يعني وحدة الفكر والمنهج بينه وبين الاتجاهات الأخرى، ولكننا باعتبار الضعف الذي نعيشه أمام المستكبرين، صرنا نحاول إرضاءهم بأية طريقة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى﴾^(٤٢)، وهذا هو الذي يجب أن نسير عليه.

التدبير المجتمعي:

□ إذا كان التدبير هو العقل، والتدبير السياسي منه، فلماذا ينقصنا المتكلم السياسي الصادق في زماننا، فتراهم يناقضون أنفسهم بأنفسهم، فهل هي أزمة فكر؟ أم أزمة وعي؟ أم أزمة عقلاء؟ أم ماذا؟

○ هي أزمة ذلك كله، هذا أولاً. وثانياً: هناك أزمة عدم العصمة. فقد يكون أحد ما مخلصاً، يفكر ويرى أن هذا التفكير صحيح، وأنه هو المصلحة، ولكنه يخطئ في بعض الظروف الموضوعية المحيطة بالمسألة، أو في بعض مفردات المسألة السياسية أو ما إلى ذلك.

مؤسساتنا الإسلامية:

□ نعاني من فساد في بعض المؤسسات الإسلامية الشيعية، فيكيف نواجه هذا الفساد، وهو على عدة أشكال: استبداد، وفساد مالي، وتدني مستوى ثقافي،

(٤١) النجم: ٢٣.

(٤٢) البقرة: ١٢٠.

وعدم تطور هذه المؤسسات والاستثمار بإدارتها؟

(٣٠) علينا أن ننهي عن المنكر ونأمر بالمعروف في ذلك، وأن ندرس ما هي الوسائل التي يمكن أن نصل بها إلى إصلاح هذه المؤسسات، ثم في الوقت نفسه، على الإنسان أن يتثبت من حكمه، لأن بعض الناس قد يحكمون على بعض المؤسسات بالسلبية، لأنهم لا يعرفون كل ظروفها، أو لأنهم لا يفكرون تفكيراً واقعياً، بل يفكرون تفكيراً فضائياً. إذا صح التعبير: لأن بعض الأخطاء قد تكون نتيجة طبيعة ضغوط الواقع التي قد تحكم على هذه المؤسسات أو تلك مما قد تُعذر فيه.

شكل العبادة ومضمونها:

□ نحن نعلم أهمية روح العبادة التي يركز الإسلام عليها، والتي تعني التذكر والخروج من حالة الغفلة، ومثلما يذكر القرآن الكريم: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٣١) ﴿وَإِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٣٢)، والسؤال: لماذا التركيز إذاً على شكل العبادة؟ فما هو الفرق في أن يكون جسد الإنسان طاهراً أم لا أثناء العبادة، فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الأجساد بل ينظر إلى القلوب؟ وما هو الفرق بين أن نصلي مثلاً على سجادة مغصوبة أم لا، لأن الصلاة، وهو الأمر الواقعي، سوف لن تتغير بفعل اغتصاب السجادة، وأيضاً في استقبال القبلة، والله سبحانه وتعالى يقول: أوله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إذاً لماذا نتوجه إلى القبلة؟ وهل هذا يؤثر بروح العبادة؟

(٣١) إن المضمون مرتبط عضوياً بالشكل من حيث دلالاته الروحية في علاقة الصلاة بالله في جانبها المعنوي التقوائي، كما هي الروح مرتبطة بالجسد في إنتاجه لعناصر الروح وفي التزاماته بإيجابيات الأعمال المرتبطة بها، فنحن عندما

(٣١) طه: ١٤.

(٣٢) العنكبوت: ٤٥.

ندرس الصلاة في أحكامها، نجد أن الطهارة فيها تمثّل رمزاً للطهارة الروحية في إيجائها، باعتبار أن الوضوء أو الغسل يختزنان معنى من العبادة، باعتبار الإتيان بهما بقصد القربة إلى الله، ما يوحي بأن هذه الطهارة تجعل الإنسان في موقع السموّ عن القذارات، لا سيّما أن الوجه واليدين والرأس والقدمين هي التي تتحرك في حركية الصلاة. وهكذا الحال في السجود على أرض مباحة؛ لأن الأرض المغصوبة تمثل الاعتداء على الإنسان الذي يملكها، ما يجعل منها تجسيدا للمنكر في معصية الله الذي يبعد الإنسان عن ربه، فكأنه عندما يسجد على أرض مغصوبة يعبر عن عدم سجود الذات لله؛ لأن السجود المادي يعبر في معناه الصلاتي عن السجود لله في خضوعه له.

أما استقبال القبلة، فيمثّل الاتجاه إلى بيت الله العالمي الذي أراد الله للمصلي أن يتّجه إليه، ولم يرخصه الله لجهة أخرى في مدلول الآية التي تتحدث عن التوجه إلى الله في كل مكان في الأمور الأخرى، فإذا اتجه الإنسان إلى غير القبلة، فإنه يكون متمرداً على الله في ذلك، ما ينافي الإحساس بالمعنى الروحي الذي يفتح على العبودية المطلقة لله في تنفيذ أوامره ونواهيه، وقد ورد أن الله يريد أن يطاع في ما يريد.

ومن هنا كانت العبادات توقيفية، يتمثّل فيها الإنسان طاعة الله في حركة الروح والجسد. وبكلمة حاسمة، إن قيمة الصلاة الإسلامية هي أنها في مفرداتها المادية والمعنوية تختصر التوحيد في العبادة والطاعة، وتسمو بالإنسان إلى معرفة التوحيد في العقيدة، وتفتح به على القاعدة الإسلامية للإيمان.

صفات الله:

□ نحن الشيعة نقول إن القبيح والحسن يحددهما العقل وليس الشرع، فلماذا نثبت لله صفات مذمومة عقلاً، كالقول إنه متكبر، حيث نظهره عزاً وعلا ككائن يحب أن يفخر بعظمته وجبروته؟ أليس هذا خلاف العقل؟

(٥) هناك متكبر يتكبر على الناس من دون أن يكون كبيراً، فالله سبحانه وتعالى (متكبر) ليس معناه أنه يستعرض نفسه ويظلم الناس بكبريائه، بل هو يملك الكبرياء، لأنه هو الكبير الذي لا كبير أكبر منه، فالمتكبر صفة حقيقية لله تعالى في هذا المقام. نعم، المتكبر إذا كان إنساناً فإنه يتجبر على الناس لأنه يقهرهم، أما الله سبحانه وتعالى فهو المتكبر العزيز الغفار الرحمن الرحيم العدل، فهنا فرق في هذا المقام، فالقبيح هو المتكبر الإنسان.

دراسة الشؤون المعاصرة:

□ هل من الواجب على العلماء أن يدرسوا ويطلعوا على شؤون الحياة المعاصرة، خصوصاً موارد الابتلاء التي هي في تغير وتطور مستمرين مع استمرار الحياة؟

(٥) نحن نقول إن على كل عالم أن يعيش عصره باعتبار أنه يتحرك في عصره، فتحن لا نعيش في عصر ما قبل مائة سنة، بل نعيش في هذا العصر، وللناس في هذا العصر تطلعات ولهم حاجات وأوضاع معينة ومشاكل معينة، فعلى من نتعلم ما نستطيع من خلاله أن نقدم لهم إسلاماً يحل مشاكل الإنسان المعاصر: ((إننا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم)). فلا بد أن نفهم كل الخطوط التي تحكم عقول الناس حتى نكلّمهم من خلال ذلك.

التعصب للرأي:

□ يرى البعض أن من حقّه أن يطرح أي رأي حتى بدون دراسة كافية، وإن انتقده العلماء احتجّ وتعصّب لرأيه بدلاً من أن يراجع دليله ورأيه ويعود عن خطئه، والاعتراف بالخطأ فضيلة؟

○ هذا إنسان متكلف كما عبّر الإمام علي عليه السلام عنه، لأن الإنسان الذي لا ينطلق في تقديم رأيه مدعماً بالحجة والبرهان، يظلم الحقيقة ويظلم الناس الذين يختلفون معه في الرأي على أساس الدليل.

محاصرة الفكر الآخر:

□ يرى البعض أن محاصرة الفكر تمنحه قوةً وحصانةً، وهنا نواجه إشكالين: أولاً: يجب على المؤمن مواجهة الفكر غير المسلم وبهذا يمنحه قوةً لأنه يحاصره، وثانياً: يرى البعض أنه ما دام فكراً جديداً ومحاصراً فهو صحيح وقوي، بدليل مواجهة الآخرين له، فكيف نحل هذين الإشكالين؟

○ لا إشكال في الإشكالين، فنحن عندما نصادم الفكر الآخر نصادمه على أساس مقابلة الحجّة بالحجّة والفكر بالفكر، لا بأن نحاصره فينظر الناس إليه كما ينظرون إلى الفكر المضطهد الذي يتحول إلى فكر شهيد. نحن ندعو إلى أن نقابل الفكر لا أن نحاصره، وأن نقابله يعني بأن نفرغه من كل عناصر القوة التي تجعل الناس تتجذب إليه، وذلك بشعار «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»^(٤٥). أما الذين يجدون فكرهم قوياً لأنه محاصر، فهذا أيضاً غير صحيح، فإن فكرك يكون قوياً بقدر ما يملك من عناصر القوة في القاعدة التي يرتكز عليها، إذ ليس دائماً يكون الفكر المحاصر فكراً قوياً.

إن قوة الفكر الحقّة هي أن تكون قوة الفكر في داخله، لا أن تكون قوته من خلال العناصر الخارجية التي قد تجمع الانتصار حوله فيعطونه قوة. فإذا أردت أن تكون قويّ الفكر، فابحث عن عناصر القوة في طبيعة الفكر وفي القاعدة التي يرتكز عليها.

دور المرأة تجاه عاشوراء:

□ هل لكم نظرة خاصة تؤدّون طرحها للنساء في عاشوراء؟

○ إنّ دور المرأة في عاشوراء، هو الاستفادة من هذه الحادثة الإسلامية المساوية التي يمتزج فيها العنصر الديني في مضمونه الحركي الإسلامي بالعنصر السياسي، منفتحاً على دور المرأة في رعاية هذين الأمرين في نشاطها

في الواقع المعاصر، بحيث تتحرك للقيام باستيحاء الذكرى، للانطلاق من خلالها إلى قضايا الإنسان الكبرى، فيؤدي ذلك إلى الاحتجاج على الذين يصنعون المأساة في الواقع الإسلامي، كما في القضية الفلسطينية وقضية العراق الجريح، حتى لا تكون المأساة التاريخية مجرد مسألة تمثل حالة استغراق في التاريخ من دون علاقة لها بالحاضر، لأنّ الشعارات المطروحة من قبل الإمام الحسين عليه السلام ليست شعارات محدودة بزمان معين، بل تمتد إلى الزمن كلّ، وإلى الإنسان كلّ، لأنها شعارات الإسلام في قضايا الحيوية..

هذا بالإضافة إلى دور السيدة زينب عليها السلام في القضية، كدور قيادي فاعل للمرأة المسلمة، في قوة الموقف وصلابة التحدي، ووعي الرسالة وشجاعة الكلمة، وثقافة الفكرة، وقيادة الحركة، ما جعلها في موقع النموذج النسائي الإنساني الأمثل، للانتقال من ذلك إلى إنتاج زينات داعيات واعيات مجاهدات حركيات مثقفات، يتحركن في الساحات الإسلامية العامة في خط الحركية السياسية والثقافية والاجتماعية، وفي مواجهة الاستكبار بكلّ مواقعه، والتكامل مع الرجل الرسالي في كل نشاطاته، في عملية توزيع الأدوار مع الاستقامة في خط القيم الإسلامية الأخلاقية الشرعية.. ولا بد لها - في هذا الجو - من توعية المرأة المسلمة في المجالس الحسينية، من تطوير الوسائل المتبعة في الاحتفال بالذكرى للابتعاد بها عن دائرة التخلف، والاقتراب بها من الأساليب الجديدة المتناسبة مع الذهنية العامة للإنسان المعاصر، من دون تقديم أية تنازلات من العناصر الأصيلة للذكرى.

وبكلمة واحدة، أن يكون للمرأة دورها في الاستفادة من الذكرى في اجتماعاتها العامة التي قد تعطي المرأة الداعية فرصة في التوعية والدعوة إلى الله في الخط الإسلامي الأصيل المتمثل بمنهج أهل البيت عليهم السلام في الحركية الإسلامية في عملية تجديد للوسائل والأساليب.

عمل المرأة في المنزل:

□ يُقال: إنَّ عمل المرأة في البيت تطوُّعي، ولكن في الواقع يبدو أنه عمل مجبرة عليه، بحيث يمكن أن تعاقب عليه؟

○ إنَّ عمل المرأة في البيت - في دور الزوجة أو الأم - ليس دوراً هامشياً يُنتقص من إنسانيته، بل هو دور تكاملي مع دور الرجل في الأسرة، في شخصيته كزوج يتحمَّل مسؤولية الأسرة، بشكل غالبي عام، أو كأب، في نفس المستوى من المسؤولية، وقد أراد الله سبحانه وتعالى للزوجين أن ينطلقا من قاعدة المودة والرحمة التي تؤكد السلوك الإنساني لكل منهما تجاه الآخر، بحيث لا تحكمهما المواد القانونية التي تخضع لحقوق كل واحد منهما تجاه الآخر في دائرة المطالبة الحقوقية، بل يحكمها العنصر الروحي الإنساني الذي يفتح فيه كلٌّ منهما قلبه للآخر، ويرحم ظروف الآخر في أوضاعه الخاصة، سواء كانت نفسية داخلية أو خارجية.

وفي ضوء هذا، لابدَّ للزوج الذي يمثِّل في العرف الاجتماعي العنصر الأقوى في الأسرة، أن يتعامل مع زوجته تعاملًا إنسانياً، بحيث تشعر معه أنَّ دورها في البيت ليس دوراً مفروضاً عليها من خلال سلطته القاهرة، بل من خلال إرادتها التطوعية الأخلاقية وروحيتها الإنسانية التي تفتح على مواقع رضا الله سبحانه وتعالى في الرغبة في رضوانه وثوابه، مما وعد الله به المرأة في جهادها الإنساني في البيت مع زوجها وأولادها، هذا بالإضافة إلى تسهيل دورها الاجتماعي العام في تفجير طاقاتها الفاعلة في القيام برسالتها الإسلامية في الأمة، تماماً كما هو دور الرجل في هذا الاتجاه، مع عدم الانتقاص من مسؤولية دور الزوج والزوجة والأب والأم لرعاية الخلية الأولى في الحالة الاجتماعية في نطاق الأسرة.

تقاسم أملاك الزوج:

□ عند الطلاق، تُعطى المرأة المهر - مثلاً - إذا كان هناك مؤخر، ولكن لماذا لا يتقاسم الزوجة والزوج أملاك الزوج من بيت وغيره لدور المرأة في ذلك المال؟

○ إن المسألة المطروحة في السؤال لا تتسجم مع القاعدة الشرعية في عدم استحقاق المرأة أكثر مما فرض لها في العقد الزوجي من المهر، إلا إذا اشترطت في ضمن العقد شرطاً خاصاً يمنحها الحق في تملك نصف ما يملكه الرجل في زمن الزوجية، على أساس أن لها دوراً في تيسير الظروف التي ساهمت في إنتاجه، من خلال دورها في رعاية الأسرة وخدمة الزواج. فالقاعدة الشرعية تلزم الزوج بالوفاء بهذا الشرط من خلال الحديث الشريف: ((المؤمنون عند شروطهم))، كما لها الحق أن تطلب من الزوج أجراً على عملها في البيت، باعتبار أنه عمل يستحق العامل فيه أجراً.. أما إذا لم تشترط ذلك، وقامت بعملها تطوعياً، فإنها لا تستحق أجراً عليه.. وفي ضوء ذلك، فإن الحديث عن الأمر المنطقي العادل، لا بد أن يخضع للأساس الذي يركز عليه الحق من الناحية القانونية.. نعم، قد يفرض الجانب الإنساني على الزوج من الزاوية الأخلاقية في إحساسه بتضحيات زوجته في مدى حياتها معه، وروحية المودة والرحمة في علاقتها الزوجية السابقة، أن يدفع لها تعويضاً مناسباً تستطيع بواسطته أن تؤمن بعض مستقبلها من خلاله.. تماماً كما هي القيمة الأخلاقية في ضمير الإنسان التي تدفعه إلى أن يتطوع في منحها ذلك كما تطوعت في خدمتها له.

الانتساب إلى الأب:

□ لماذا يكون نسب الولد إلى الأب لا للأم؟

○ إن جانب النسب هو أمر اعتباري، ينطلق من طبيعة العرف الاجتماعي، وليس له دخل بالنظام الذكوري أو الأبوي، وأما قوله تعالى: «ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ

أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ^(٤٦)، فهو وارد في رفض الانتساب بلحاظ حالة التبني، وربما نلاحظ بعض النسب التاريخية التي قد يغلب على الإنسان فيها الانتساب إلى أمه، كما في محمد ابن الحنفية، أما قضية تمني الأب أن يرزق ذكراً، فقد نلاحظ أن الأم قد تتمنى ذلك، لأن دور الولد الذكر في المجتمع أكثر فاعلية من دور الأنثى بفعل الأوضاع التاريخية الاجتماعية، وقد ذم الإسلام هذه الذهنية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۚ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٤٧)، فقد اعتبر ذلك من الحكم الاجتماعي السيء.

وخلاصة الفكرة، أن الانتساب إلى الأب لا يمثل قيمة سلبية ضد المرأة، لأن القضية القيمة هي في دور المرأة الإنساني الذي تتوزعه على سبيل المساواة مع الرجل.

(٤٦) الأحزاب: ٥.

(٤٧) النحل: ٥٨-٥٩.

الفصل الرابع

المسائل التربوية

غيرة النساء:

□ أنا متزوجة من رجل مؤمن، وعلاقتنا جيدة، ولكنني أغار عليه كثيراً، خاصة وأنه كانت له في ما سبق علاقات نسائية، ولكنه مع ذلك تركها، وهو يؤكد لي ذلك كثيراً، ولكنني لا أثق به وأخاف من ذلك، فما هي نصيحتكم، مع إنني لم أرزق منه بأولاد؟

() نصيحتي لك أن تجاهدي نفسك وتبتعدي عن الغيرة التي لا يحبها الله للمؤمنة، لأنها قد توقعك في إشكالات شرعية، فلا بد أن تتخلّصي منها بالتفكير الواقعي، لأنك تزوّجت هذا الرجل عن اقتناع ورضا، وقد كان صادقاً معك، عندما أخبرك عن علاقاته النسائية السابقة، وامتناعه عنها بعد الزواج بك، لأنه لا يشعر بالحاجة إلى ذلك، وقد شهدت له بأنه مؤمن ولا يحبُّ الكذب، ويؤكد لك دائماً ابتعاده عن تلك العلاقات. إنّ ذلك يفرض عليك من ناحية شرعية وإنسانية أن تصدّقيه، وأنّ تثقي به، ولا تزعجيه بالاتهام الدائم الذي ينطلق من حالة الشك التي لا أساس لها، لأنك لا تملكين أيّ برهان على ذلك، وكل ما أخشاه أن تكون خلفيات موقفك منه هو عدم وجود أولاد لك منه.. إن الحياة الزوجية في الإسلام تقوم على المودة والرحمة والثقة المتبادلة والاحترام المشترك، والتفاهم حول كل الأمور.. وختاماً، أسأل الله لك الخروج من هذه الحالة المضطربة. كما أسأله أن تعيشي الاستقرار العائلي النفسي.

ضغط الأزمات في الحياة:

□ أنا أرى نفسي أملك مقومات التوسّل والمناجاة والدعاء و(قراءة) القرآن، ومعرفة الله سبحانه، والتصديق بالأنبياء ﷺ، ولكنني ابتليت بمرض ألم بي في عام ١٩٩٨، وما زال إلى الآن، فهل هذا ابتلاء أم عقاب؟ وللأسف في بعض الأحيان، ومن شدة المرض، تراودني نفسي بالانتحار، فهل هذه المارودة تصل بي إلى إساءة

الظن بالله جلّ وعلا، لأنّي كل يوم أموت وأحيا؟ فبماذا توصيني؟

(١) إن ما يصيب الإنسان من أمراض وابتلاءات ليس عقاباً، وليس من الضروري أن يكون بأجمعه عقاباً، لأن هذه الأمور تحدث للإنسان وللحيوان، وللأرض من خلال الزلازل والبراكين وما إلى ذلك.. كلها تحدث من خلال القوانين التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١)، فالله سبحانه وتعالى لا يوقع هذه الأشياء بشكل مباشر، كما هو الخلق، فالله لم يخلقنا بشكل مباشر مثلما خلق آدم ﷺ، بل خلقنا من خلال القانون الذي وضعه للتناسل وللخلق، وهكذا رزقنا من خلال ما هيأ لنا من وسائل الرزق، وكذلك الأمراض تأتي من خلال أسباب المرض، وكذلك الصحة. نعم، قد يتدخل الله سبحانه وتعالى في بعض الحالات بطريقة غيبية، كما في قصة النبي أيوب ﷺ، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(٢). وغاية ما هناك، أن الإنسان إذا ما ابتلاه الله - ومعنى ابتلاه يعني حدث له ما يعتبر بلاءً - فهذا البلاء هو تجربة للإيمان، فإذا صبر الإنسان، فالله سبحانه يعطيه أجر الصابرين، وقد ورد: ((إن المرض ليس فيه ثواب، ولكنه يحث الذنوب حتاً))، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۖ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣)، وربما تشمل حالات الابتلاءات الأوقات الصعبة التي تمر بالإنسان. وعليك أن لا تفكر بهذه الطريقة السلبية، بل أن تسلم أمرك لله، وأن تتوسل بالله سبحانه وتعالى، وأن تثبت إيمانك، وأن تصبر، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٤)، لعل الله سبحانه وتعالى يفرّج عنك ذلك إن شاء الله.

(١) القمر: ٤٩.

(٢) ص: ٤٢.

(٣) البقرة: ١٥٦، ١٥٧.

(٤) لقمان: ١٧.

الزواج الثاني:

□ إننا نعرف أن تعدد الزوجات حلال، وهو حكم شرعي لا يمكن الاعتراض عليه، ولكن ما هو رأيكم بالزواج الثاني الذي يؤدي أحياناً إلى ضياع الأسرة، خاصة في الغربة؟

○ من الطبيعي جداً أن الله سبحانه وتعالى عندما أباح للإنسان ذلك، فإنه حمّله مسؤوليات تجاه عياله، فلا يجوز له أن يقوم بأي عمل يؤدي إلى ضياع عياله وضياع أسرته وتشريداهم وتضليلهم، وما إلى ذلك... فالزواج الثاني، بحسب العنوان الأولي جائز، ولكنه بحسب العنوان الثانوي ربما لا يجوز، لأنه قد تكون بعض الأشياء جائزة بحسب العنوان الأولي، ولكنها تكون محرمة بحسب العنوان الثانوي، فلذلك لابد من دراسة حالة هذا الإنسان، ودراسة كيف يؤدي الزواج الثاني إلى ضياع الأسرة، وما هو موقفه من ذلك... هذه الأمور لابد أن تتوضح بشكل تفصيلي، حتى يمكن أن يركز الحكم بالعنوان الثانوي من حيث الحلّة والحرمة.

تجاوز الطائفية:

□ ما هي أفضل الوسائل أو المبادئ المفيدة في محاربة الطائفية التي تواجه الأمة الإسلامية؟

○ أن نرجع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَمُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٧)، وإذا لزم الاختلاف، فلا بدّ من العمل على إدارته من خلال المنهج الذي علّمه الله سبحانه لنبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

(٥) الأنبياء: ٩٢.

(٦) آل عمران: ١٠٣.

(٧) النساء: ٥٩.

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ^(٨)، فقد يملك الإنسان وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر الآخر، فالله سبحانه وتعالى أمرنا أن نتحاور فيما بيننا بالتّي هي أحسن، وبالطريقة التي يمكن أن تقنع الآخر، وتصحح له مفاهيمه، وأن نرجع إلى الله ورسوله في هذا المجال، لأنّ الطائفة أصبحت خطراً على المسلمين جميعاً، باعتبار أن المستكبرين يستغلّونها من جهة إيجاد العصبية بين المسلمين، بحيث يكفر بعضهم بعضاً، ويضلّ بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، وكما قلنا فإنّ رائد الوحدة الإسلامية الإمام عليّاً بن أبي طالب كان قد جمّد المطالبة عن حقه، وقال: ((لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة))^(٩) وقال ﷺ: ((فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهت))^(١٠). نحن نختلف مع المسلمين الآخرين في حق الإمام عليّ ﷺ، وهو حقّه الشرعي، ولكن الإمام كان ينظر إلى مصلحة الإسلام، من خلال نظريته إلى الخلافة الإسلامية كما قال وهو يشير إلى النعل: ((إنها أعظم من إمرتكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)).

حبّ الأعداء:

□ أنا أرمنية، ويقول عيسى ﷺ: ((أحبوا أعداءكم وباركوا لآعينكم...)). فهل لي أن أحب أعدائي وأعداء المستضعفين وأعداء البشرية؟

○ يعني أحبوهم حتى يؤثر هذا الحب في نزع العداوة، وهذا هو المقصود، وإلا فإنّ علينا أن نواجه الأشخاص الذين يكونون ضد البشرية وضد المستضعفين

(٨) النحل: ١٢٥.

(٩) نهج البلاغة. ك ٧٣. ص ١٣٦.

(١٠) نفسه. ك ٦٢. ص ٧٤٠.

ويفرضون على المستضعفين سلطتهم وقوتهم، وعلينا أن نحاربهم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وفي كل المجالات.

حالة الإحباط:

□ شابٌ واعٍ كان يمارس دوره الرسالي على أحسن وجه، فدخل إحدى الحوزات، ففوجئ بأوضاعها. هل يجب عليه شرعاً البقاء لطلب العلم، أم المغادرة لساحات المجتمع الواعية والمثقفة لمواصلة دوره السابق؟

() إذا كان دخوله يوجب الضلالة وانحرافه، فمن الطبيعي أن يختار حوزة ليس فيها ما يذكره السؤال، أو يهرب بدينه عن كل التعقيدات التي قد تضلله هنا وهناك.

استفتاء النفس:

□ ورد في حديث: ((إن لم تجد من تستفتيه، استفت نفسك أو فؤادك))، ما هو معنى هذا الحديث؟

() ليس المراد من الإفتاء هنا هو الإفتاء بالحكم الشرعي، وإلا فإن الإنسان الذي لا يعرف الحكم الشرعي، كيف يمكن أن يستفتي فؤاده أو نفسه في ما لا يعلم، وفي ما لا خبرة له فيه؟ فكأن المقصود فيه . والله العالم . بأنك في القضايا التي لا تجد فيها شخصاً تسأله عن صلاحها وفسادها، عمّا فيها من خير أو شر، استفتت نفسك، لأن النفس عادةً تقبل على ما فيه صلاح الإنسان أو على ما فيه خير الإنسان.

تحصيل البركة:

□ يقوم بعض الناس في يوم عاشوراء بحمل الأطفال الرضع وتمريضهم تحت الحصان على اعتبار أنه حصان الحسين ﷺ تبركاً، فهل هذا العمل جائز؟ وإذا كان جائزاً، فهل هو مناسب؟ وهل تحصل البركة بغض النظر عن صحة الوسيلة أو عدم صحتها؟ وبالتالي ما هي المعايير والمقاييس التي من المفترض أن

تحدد صحة أو عدم صحة الشعائر هذه؟

○ إن كل ما استحدثه الناس في الاحتفال بعاشوراء من التطبير وضرب السلاسل والتبرك بحصان يسمى حصان الحسين وغيره ليس من الشعائر، ولذلك فلا تحصل البركة بذلك، لأنه لا بركة فيه، وإننا نعتقد أنه باتباع هذه الوسائل يتم تشويه صورة عاشوراء وإفقادها معناها ومضمونها الذي يتمثل في إحياء أمر أهل البيت عليه السلام. وهو الإسلام الحق. في بيان تعاليمهم وشرح أفكارهم وتأكيد قيمهم وتوضيح مواقفهم، بالإضافة إلى العاطفة المنفتحة على المأساة بإقامة المجالس الحسينية الواعية والمواكب والمسيرات الهادئة، كما نستوحي ذلك من أحاديث الأئمة عليهم السلام من تأسيس المجالس الحسينية، وعلى المؤمنين الواعين أن يعملوا بالأساليب الهادئة على للوقوف ضد الوسائل التي توحى بالتخلف الفكري والروحي.

فاعلية الحوزات العلمية:

□ ما نقل عنكم في صحيفة (القبس) الكويتية أنكم تعتقدون أن في الحوزات نوعاً من الجمود ولا بد من الخروج من ذلك، فما هو الأسلوب للخروج من هذه المشكلة ؟

○ السبل إلى ذلك كثيرة، وأهمها الآن هو الانفتاح على مشاكل العصر والأمة، من أجل المشاركة في إيجاد الحلول المناسبة لها، لأنه من الضروري أن تكون الحوزة قريبة جداً إلى الناس، وبالتالي فلا ينبغي لها الابتعاد عن كل المشاكل والابتلاءات التي تحدث هنا وهناك، وهذا ما يعطي للحوزة دوراً فاعلاً وإيجابياً، وبالتالي فإن الانفتاح على الآخرين والإطلال على اعتراضاتهم وإشكالاتهم، سواء كانت تتعلق بالناحية العقائدية والوجودية، أو بالناحية الشرعية والتاريخية ونحو ذلك من قضايا، يجعل التواصل والتفاهم ممتداً إلى الذين يختلف معهم، تماماً كما هو الأمر بالنسبة للأئمة عليهم السلام، حيث كانوا محط أنظار الجميع، من خلال توجه الكل إليهم للسؤال عما يدور في أذهانهم، حتى الذين

كانوا يقضون في الجهة المقابلة كانوا يطرحون أسئلتهم، إما عناداً واحتجاجاً فكانوا يقفون عاجزين عندئذ في قبال الأئمة ﷺ وما يملكون من إجابات شافية ونافعة لكل أسئلتهم، وإما استفساراً واستعلاماً، وكانوا يرون الأئمة ﷺ مناراً لهم من أجل السير بهم في خطِّ التكامل للسير نحو الله.. وهذا ما نريده للحوزة أن تكون عليه، ونسأل الله أن يلهم الجميع السير في هذا الاتجاه، والحمد لله، فقد نلمس بين الوقت والآخر من يتحسس مثل هذه الهموم ويحاول السير بالحوزة إلى الأمام.

الحوزة بعد سقوط (صدام):

□ ما هو شأن حوزات العلم في العراق العزيز، وخصوصاً بعد الإطاحة بنظام الطاغية صدام حسين؟

○ لعلَّ الوضع في العراق الآن متاح لكي تحقق الحوزة الكثير من مشاريعها وإصلاحاتها، وإن كان ذلك يتطلب بعض الوقت، سواء لجهة البرامج التي تساعد في ذلك، أو لجهة الشخصيات المنفتحة التي تملك الوعي والثقافة الإسلامية المنفتحة على الواقع كله.

مسلمو فرنسا وقرار منع الحجاب:

□ بماذا تنصح مسلمي فرنسا حول قانون الحجاب؟ وهل يجوز لهم التخلي عنه في صورة إقرار القانون؟

○ إنَّني أنصحهم، بما تحدثت به في أكثر من مداخلة أو جواب عن سؤال، بالاحتجاج بالوسائل السلمية، كالتظاهر والاعتصام واللجوء إلى وسائل الإعلام بحسب الظروف التي لا تسيء إلى مواطنيهم ولا تؤدي إلى أية سلبية قانونية، والاستمرار في إقناع المواطنين الفرنسيين من غير المسلمين، ومحاولة الاستفادة من معارضة بعض النصارى واليهود والهندوس لهذا القانون، وإدارة الحوار معهم حول مخالفة القانون للحريات وحقوق الإنسان وعدم منافاته للعلمانية، أما حكم

الفتيات المحجبات في المدارس، فهو محاولة البحث عن طريقة للحجاب لا تخالف القانون ولا تترك الحجاب.

مستقبل العراق:

□ يمر العراق في المرحلة الراهنة بلحظات حرجه من تاريخه، والدعوات هنا وهناك إلى إجراء الانتخابات المباشرة وإقامة حكم فدرالي وطريقة تحويل السلطة والدستور وغيره. أرجو التفضل بتوضيح مواقف مرجعنا الديني الموقر بتفصيل وافٍ يحفظنا من الانجراف أو التيه. لا سمح الله. فإننا في فتنة عمياء ظلماء.

(١) إن استفتاء الشعب العراقي في تقرير مصيره على أساس الثوابت الإسلامية أمر تفرضه حركة التحرر من احتلال الكفر والاستكبار، ووحدة العراق هو المصلحة الحيوية لقوته وسلامة شعبه، ونحن نتحفظ في مشروع الفيدرالية العرقية أو المذهبية، ولا بد أن يكون الدستور منسجماً مع الإسلام في عقيدته وشريعته، وعلى المؤمنين الوقوف ضدَّ كلِّ نوع من أنواع إثارة الفتنة بين المسلمين في الدائرة الإسلامية، أو بين العراقيين في الدائرة الوطنية، لأنها من حبائل الشيطان.

المجالس النافعة:

□ هل نفهم من أحاديثكم في إثارة الوعي، أن على المؤمنين أن يحولوا المجالس إلى مجالس نافعة وتربوية بدلاً من مجالس اللهو والغفلة، أم يكفي في المجالس أن تكون غير متضمنة للإساءة لفكر الإسلام؟

○ إن حديثنا عن الوعي وإثارته كان يتناول جانباً من المنهج التربوي الإسلامي، وهو أن نرفض المجالس التي ينتقص فيها الإسلام ورسوله وأوليائه الله أو الخط الحركي الإسلامي، ولكن هناك منهجاً تربوياً آخر في الإسلام، وهو أن تكون الداعية إلى الحق بمختلف أساليب الدعوة إلى الله، بأن تدعو إلى الله

بشكل فردي تارةً وبشكل جماعي تارةً أخرى، وذلك بالتعاون مع الدعاة إلى الله الأدلاء عليه، وأن تهيئ المناخ الفكري والروحي والحركي للناس من خلال المجالس والندوات والاجتماعات التي يذكر فيها الله تعالى ويدعى فيها إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر، وأن تحرّك الناس نحو الإسلام في مفاهيمه وشرائعه ومناهجه وأساليبه، لأن الإسلام لا يكتفي من الإنسان أن يرفض الباطل أو أن يضعفه، بل إنّه لا بد من أن يقوّي الحق وينصره. هذه هي المسألة، فلا حيادية في الموقف بين الحق والباطل. وهذا ما عبّر عنه الإمام زين العابدين عليه السلام في (دعاء الصباح والمساء)، حيث يقول: ((اللهم ووفقنا في يومنا هذا وليلتنا هذه باستعمال الخير وهجران الشر وشكر النعم واتباع السنن ومجانبة البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحيطة الإسلام وانتقاص الباطل وإدلاله ونصرة الحق وإعزازة))، أن تذللّ الباطل وتتقصه، وأن تنصر الحق وتعزّه، فهذا هو الموقف الإسلامي الصحيح.

لذلك لا بدّ أن تكون مجالسنا ذكر الحق والدعوة إليه، وتربية الناس على الإسلام، وإيجاد المناخات الإسلامية التي يتنفس فيها الناس جوّ الإسلام، وأن نبتعد عن أن تكون مجالسنا مجالس اللهو والغفلة والبطالة، لأنها مجالس يمتتها الله ولا يرضى عن أهلها.

ما ينسب إلى الإنسان زوراً:

□ هل يجب على الإنسان أن يبرّئ نفسه في بعض ما ينسب إليه زوراً إذا أدى ذلك إلى هتك حرمة بعض المؤمنين؟

○ إذا كان ما ينسب إليه زوراً، فعليه أن يرفع عن نفسه التهمة، وهذا حق إنساني وطبيعي وحضاري، بل هو حق ديني؛ أن يدافع الإنسان عن نفسه، وأن يحاول الانفتاح على الإيجابيات، ويكون لبقاً في حفظ حرمة المؤمنين، فلا يذكر سلبياتهم ليسقطهم، بل يسعى إلى النصح والنقد الإيجابي.

حلول لمشكلات الشباب:

□ ما هي الحلول لمشكلات الشباب في هذا العصر من حيث الانفتاح على الغرب وترك الإسلام؟ وما هو السبيل لمواجهة الغزو الفكري والأخلاقي لهذا الجيل من خلال الكثير من القنوات الفضائية وسائر وسائل الإعلام؟

○ إن هذه المشاكل تواجهنا دائماً، ولكل عصر مشكلته. ففي زمن النبي ﷺ، كانت هناك مشاكل تضل الناس، وتبعد عن الحق، وهي تتطور مع الزمن من خلال تطور وسائل الضلال، ووسائل الكفر، ووسائل الانحراف، ومن الطبيعي أن الله سبحانه وتعالى كلّف المسلمين والمؤمنين والدعاة إلى الله تعالى، بأن يفكروا في إيجاد طرق يواجهون فيها هذا النوع من الوسائل التي تضلّ الناس، فإذا كان للأخريين إذاعات ومحطات تلفزة وقنوات فضائية، فإنه يجب على المسلمين أن يقوموا بإيجاد محطات تلفزة وإذاعات وغيرها، وإذا كان عندهم صحف، فعلى المسلمين أن يقوموا بذلك، وكذلك أمر المدارس، فالمسلمون يجب أن يكون لديهم صحف أيضاً، ولذلك فإن التقصير إنما هو من خلال الدعاة إلى الله تعالى، الذين لم يأخذوا بأسباب العلم والثقافة، ولم يفتحوها على الدعوة، ولم يتحملوا المسؤولية في ذلك، كما أن أغنياء المسلمين ليس عندهم وعي، من أجل أن يحركوا أموالهم تجاه إيجاد المشاريع الخيرية، سواء كانت مشاريع إعلامية أو تربوية، أو ما إلى ذلك.

مستقبل الشباب في العراق:

□ ما هي واجبات الشباب المسلم في العراق، وفي هذه الظروف بالذات؟

○ العراق يعيش الآن نوعاً من الفوضى، والذي تتجمّع حوله كل (العفاريت) كما عبّرنا، ولذا فإنّ على العراقيين جميعاً أن يدرسوا خلفيات الأمور، وأن لا ينخدعوا بالكلام المعسول، وأن يعرفوا أن الماضي قد مضى وسقط، وأن لا يظنّوا مستغرقين فيه، بل يحاولوا أن يفتحوها على المستقبل، أن يفكروا كيف يصنعون

المستقبل في بلدهم حتى يكون بلدهم حراً مستقلاً إسلامياً، وما إلى ذلك... وهذا لا يستطيع أن يقوم به شخص واحد، بل لا بد أن تقوم به كلُّ الهيئات الإسلامية وكلُّ الجهات العراقية العاقلة، في مواجهة كل هذا الضغط الداخلي والخارجي، الذي يراد منه إبعاد العراق عن خط الاستقامة، وعن خط الحرية، ومع الأسف، فإن (بوش) عندما يتحدث عن الحرية والديمقراطية، فإن ذلك لا ينسجم مع الاحتلال؛ إذ لا يمكن تحقيق ذلك من طريق العبودية، وهذا من الكلام الذي ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب.

فهم (نهج البلاغة):

□ ما هي الطريقة الناجحة ميدانياً لفهم (نهج البلاغة)؟ والطريقة التي كان يفكر بها أمير المؤمنين (ع)؟

○ إن الإنسان عليه أن يدرس (نهج البلاغة) بما هو كتاب فيه الفكر، وفيه الموعظة، وفيه تجارب الحياة، وفيه الإدارة، وما إلى ذلك .. ولذلك فإنَّ الإنسان لابد أن يدرس (نهج البلاغة) في ضوء مضامينه المختلفة، أي بمعنى أن تكون له العناصر الثقافية التي يستطيع أن يدرس فيها النهج ويفهم ما فيه من أسرار وأفكار وما إلى ذلك.

الحج أو إعالة الفقراء:

□ أيُّهما أفضل، أن يعمل الإنسان في حالة إمكانيته المادية المحدودة على أن يحج بيت الله الحرام، أم أن يساعد المحتاجين والفقراء بمبلغ الحج؟ علماً بأنه توجد عوائل فقيرة جداً في العالم الإسلامي؟

○ هناك فرق بين أن يكون الحجُّ حجاً واجباً، أي فريضةً، فعلى المكلف أن يحج، وبين ما إذا كان حجاً مستحباً، مثل الناس الذين كرّروا الحج وليس عندهم مسؤوليات تبليغية مثلاً، أو عملية، أي أن هذا الإنسان يذهب إلى الحج من أجل الثواب، ولذلك، ففي مثل الحالة الثانية، فإنه لو يعطي المال للفقراء أفضل من أن

يذهب إلى الحج، وفي هذا حديث عن الإمام الباقر عليه السلام، وهو موجود في (الكافي)، يقول فيه: ((لأن أعول أهل بيت من المسلمين، أسد جوعتهم، وأكسو عورتهم، وأكف وجوههم عن الناس، أحب إلي من أن أحج حجة وحجة وحجة ومثلها حتى بلغ عشرة، ثم قال: وحجة وحجة حتى بلغ السبعين))^(١١)، بمعنى إذا أعطيت هذا المال لعائلة مستورة، فثواب ذلك أفضل من سبعين حجة.

ولكن مع ذلك، فهذا لا ينفي ما عليه الحج من أسرار، فإله سبحانه وتعالى يريد أن يجتمع المسلمون في كل سنة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١٢)، وفي آية أخرى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾^(١٣)، سواء ما يتعلق منها بالفرد أو بالجماعة، وعلى مختلف المستويات العبادية والثقافية والاقتصادية، وما إلى ذلك، ولذلك نقول خارج نطاق الواجبات العينية فمن الأفضل أن يقوم الإنسان بالتصدق وبإعالة المسلمين.

أين كتب الأئمة عليهم السلام ؟

□ وصلتنا مخطوطات لكتب تنتمي إلى عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام والإمام الحجة عليه السلام، لماذا لم يكتب الأئمة كتاباً في الفقه يرجع له المكلف، وبذلك لا نكون بحاجة إلى بذل جهود عظيمة في التحصيل وتخلصنا من كثير من المشاكل؟

○ لم يصلنا كتاب صحيح ١٠٠٪ بجملته غير القرآن الكريم، ولو كتب الأئمة كتباً، لكان أمرها أمر الروايات المروية عنهم من حيث السند، ولذلك ليس عندنا كتاب واحد نقدر أن نقول عنه إنه صحيح ١٠٠٪، حتى الكتب الأربعة التي يعتمد عليها الشيعة الإمامية وهي: (التهذيب) و(الاستبصار) و(من لا يحضره الفقيه) و(الكافي)، فليست هي كتب صحاح نؤمن بصحتها جميعاً، بل إن الشيعة يدرسون

(١١) الكافي. ج. ٢، ص ١٩٥، ح ١١.

(١٢) آل عمران: ٩٧.

(١٣) الحج: ٢٨.

كل حديث بنفسه، كما في صاحب (البحار) العلامة المجلسي الذي يقول إنه لم يصح له من (الكافي) إلا ما يقارب الـ ٥٠٠٠ حديث. نعم، إخواننا أهل السنة يتحدثون عن (صحيح البخاري) و(صحيح مسلم)، ولكن أيضاً بدأت المناقشات أنّ ذلك إنّما يعني أنّه صحيح عند البخاري وعند مسلم، أما أنه صحيح بالمطلق ففيه بحث.

الزواج المبكر:

□ في الحديث الشريف، قال الرسول ﷺ: ((من سعادة المرء أن لا تطمئنت ابنته في بيته))^(١٤). ما تعليق سماحتكم على هذا الحديث الشريف؟ وما هو رأيكم بالزواج المبكر؟

○ النبي ﷺ يريد أن يشجّع على عدم تعطيل البنت، وهذه حلول من حيث المبدأ، والإسلام يشجّع على الزواج المبكر، وربما يقول بعض الناس إن الفتاة صغيرة ولا تعرف شؤون الزواج، وهو صحيح، ولكن يمكن أن تربي في هذا الاتجاه، خصوصاً في مثل هذه الأيام، حيث يمكن أن تتعلم وتربي هي وزوجها، غاية الأمر أن التقاليد هي التي تفرض علينا مثل هذا التفكير، خصوصاً أن الشخص الآن لا يقدر أن يتزوج إلا إذا حصل على شقة وكذا وكذا، فهذا جعل من بناتنا عوانس وشباباً عزاباً إذا صَحَّ التعبير. ولذلك لا يتزوج الشخص إلا بعمر ٣٠ سنة أو ٤٠ سنة، لأننا نحن عطلنا الزواج من جهة التكاليف المادية للزواج، وعندنا حديث يقول: ((شؤم المرأة غلاء مهرها))^(١٥). ومع الأسف، فإنّ المسألة صارت بيعاً وشراءً بحسب الواقع الذي نعيش، وصار الأهل يقومون بالمزايدة بالمهور، فمثلاً بنت فلان أخذت كذا، فيلزم أن يكون مهر ابنتنا أكثر، لأن بنت فلان ليست أفضل من ابنتنا، وهكذا.. فأصبح الزواج بيعاً وشراءً. ولذا يجب تيسير الزواج، والزواج المبكر - من حيث المبدأ - يعصم الشباب والفتيات، لكن إذا حصلت

(١٤) البحار. ج ١٨. ص ٢٦. ح ٩.

(١٥) نفسه. ص ١٩٢. ح ٣.

هناك بعض الأمور التي تخلق منها مشكلة أو مأساة وما إلى ذلك، فهذا ما يخضع للعنوان الثانوي في هذا المجال.

نهاية الصداقة:

□ لي صديق، استمرت صداقتي معه خمس سنوات، واكتشفت الآن أنه منذ بداية علاقتي به كان يتناولني في المجالس، فيفتري عليّ ويتكلم عني بالسوء، أرجو أن ترشدونا إلى ما فيه صلاحنا وصلاحه؟

() أولاً: إن على الإنسان عندما يصادق شخصاً أن يعتبر هذه الصداقة التزاماً منه، بحيث يحفظ صديقه ويرعاه ويحميه، وأيضاً يحفظ أسرارته، لأن الإنسان عندما يصادق شخصاً، فمن الطبيعي أن الصداقة كلّما توثّقت أكثر، فإنها تدفع الصديق إلى أن يتحدث بأسراره لصديقه، وعليه أن يعرف أن سره أمانة عنده، لذلك فإن مثل هذا الصديق في حديثه السلبي عن صديقه، وربما في فضح أسرارته والتشهير به، يخون صديقه، وهذا أمر يعاقب الله عليه ويؤدي إلى نتائج سلبية على مستوى الآخرة، لأنه يشتمل على التشهير بالمؤمن وعلى غيبته وفضح سره، كما يؤدي إلى نتائج سلبية على مستوى الدنيا، لأن الناس عندما تجد هذا الشخص يتحدث بالسوء عن صديقه، فإنها لا تثق به، وتعتبره شخصاً لا يملك الوفاء، ونريد أن نقول لهذا الشخص ولأمثاله، إنّ عليهم أن يتقوا الله تعالى في كل ذلك، وأن يعتبروا الصداقة أمانةً وعهداً والتزاماً لأبد لهم أن يحفظوه بكل وسيلة، وقد جاء في بعض أبيات الشعر:

أحذر عدوك مرةً وأحذر صديقك ألف مرةً
فلربما انقلب الصديق فكان أدري بالمضرة

ليس معنى أحذر أن تعتبر صديقك عدوّاً، بل أحذره يعني أن لا تعطيه كل أسرارك وكل خفاياك وبعض سلبياتك ليحاربك بها بعد ذلك.

وقد ورد في كلمة للإمام علي عليه السلام: ((أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما))^(١٦). يعني إذا أردت أن تحب، فلا تحب حباً أعمى مائة بالمائة، يعني أحبه ستين بالمائة، حتى يبقى عندك أربعون بالمائة تقدر بها أن تهرب منه، وأيضاً عندما تبغض لا تبغض ١٠٠٪، حتى إذا تغيرت الظروف، أمكن لك أن تسلم في صداقتك. وفي كلمة أخرى للإمام علي عليه السلام، ونحن ندعو دائماً إلى ضرورة أن نعرف الإمام علي عليه السلام في كلماته الرائعة المشرقة التي تعلمنا الحياة على مستوى العلاقات، إذ يقول: ((لا تثقن بأخيك كل الثقة))، يعني أن تثق بأخيك ١٠٠٪ وتمشي خلفه من دون حذر، من دون أن تبصر مواقع أقدامك، ((فإن سرعة الاسترسال لا تستقال)) يعني إذا وقعت وأنت تمشي وراءه من دون حذر فإنك لا تستطيع أن تقوم من وقعتك. وأنا دائماً أمثل للعلاقات بالسيارات، فعندما يقود السائق الآخر سيارته بسرعة ١٠٠ كم وأنت تقود سيارتك بسرعة ١٠٠ كم أيضاً ويقع حادث ما، فأنه سيكون مميتاً ولا شك، ولكن إذا كان بينك وبينه مسافة مناسبة، فسيكون الحادث أقل ضرراً.

ولذا عليك أن لا تثق بالصديق ثقة عمياء، بل أن تفتح عينيك حتى تستطيع أن تحمي نفسك أولاً من خلال أن هذا الإنسان قد يتغير. وثانياً قد يخطئ، فإذا كنت معه على الخطأ والصواب، فالقضية سوف تكون مميتة في هذا المجال فعلى الإنسان أن يكون حذراً مع البقاء على الصداقة. لذلك يقولون عن الذئب:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

يعني أنه يفتح عيناً ويغمض أخرى، يرتاح بواحد، والأخرى تعمل، فإذا جاء عدو يستطيع أن يقوم بالدفاع عن نفسه، وصفات الذئب في هذا المجال جيدة.

عتاب المفتون:

□ ما هو تفسير قول الإمام علي (عليه السلام): ((ما كل مفتون يعاتب))؟^(١٧)

○ المفتون هو الشخص الذي ربما يعيش الفتنة التي تنحرف به عن الخط. يعني أن بعض الناس يمكن أن يؤثر فيه العتاب، أو البعض الآخر لا يؤثر فيه العتاب، كما في الذي يكون متمرداً وليس مستعداً لأن يسمع وأن يناقش، وما إلى ذلك، فلا ينفع معه العتاب. وهذه الكلمة قالها علي (عليه السلام) لسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر، لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل.

معرفة الله سبحانه وتعالى:

□ ما هو تفسير قول الإمام علي (عليه السلام): ((عرفت الله بفسخ العزائم وحل

العقود))؟^(١٨)

○ هذا يبين تغير الإنسان، يعني أن الإنسان قد يعزم على شيء، لكنه ينقضه بعد ذلك، وقد يعقد العزم على شيء، ويصمم رأيه عليه، ثم لا يلبث أن يُخطر الله بباله خاطراً صارفاً له عن ذلك الفعل ولم يكن في حسابه، أي لولا أن في الوجود ذاتاً مدبرة لهذا العالم، لما خطرت هذه الخواطر التي لم تكن محتسبة. ويذكر المتكلمون هذا في خاطر الذي يخطر عن غير موجب لخطوره، فإنه لا يجوز أن يكون الإنسان أخطره بباله، وإلا لكان ترجيحاً بلا مرجح لجانب الوجود على جانب عدم، فلا بد أن يكون المخطر شيئاً خارجاً عن ذات الإنسان، وذلك هو صانع العالم.

(١٧) نهج البلاغة. ك ١١. ص ٧٧١.

(١٨) نفسه. ك ٢٤١. ص ٨٣٠.

الفصل الخامس

المسائل الفقهية

أولاً: المرجعية والتقليد	ثانياً: النجاسات والطهارات
ثالثاً: الوضوء والصلاة	رابعاً: الصيام والكفارات
خامساً: الخمس والزكاة	سادساً: الحج والعمرة
سابعاً: الزواج والطلاق	ثامناً: أموال وينوك
تاسعاً: السلوك والمعاملات	

أولاً: المرجعية والتقليد:

قضاء المرأة:

□ هل يجوز للمرأة القضاء؟

○ المعروف أنه لا يجوز ذلك، ولكن بدأت بعض المناقشات الفقهية حول هذا الموضوع.

نصيحة للمقلدين العراقيين:

□ ما تنصحون مقلديكم في العراق في الوضع الراهن؟

○ نحن نعتقد أن العراق خرج من بلاء ليدخل في بلاء آخر، ولذلك ينبغي أولاً على أخوتنا في العراق أن يدرسوا الواقع وإلى أين يتجه، لأن سقوط النظام خير للشعب العراقي بكل تأكيد، لأنه أوقع العراق والمنطقة في شرور وانتكاسات ومشاكل وتعقيدات مكنت الاستكبار من السيطرة على المنطقة كلها، وليس على العراق فقط، ومن الطبيعي جداً أن أي حركة مما يسمّى بالمقاومة تعمل على أساس إعادة النظام، سواء كان ذلك من خلال إعادة الطاغية أو إعادة كل الذين كانوا معه، وهو أمر ينبغي على العراقيين جميعاً أن يتوحدوا ضده. كذلك ينبغي على الشعب العراقي الطيب أن يستنكر كل الاعتداءات على المدنيين الأبرياء، سواء كان ذلك من الجيش الأمريكي أو من خلال هؤلاء الذي يعتبرون أنفسهم في المقاومة. والمسألة الأساس هي كيف نستطيع أن نحافظ على الوحدة الوطنية، لأن هناك من يريد العمل على الاستفادة من الحساسيات بين السنة والشيعة، وهناك من يحاول أيضاً أن يثير المشاكل بين الأحزاب التي كثر في العراق في هذه المرحلة، وهي بحاجة إلى الوحدة والوعي ودراسة الأمور بشكل أساسي بحسب طبيعة النتائج التي يُراد للعراق أن يصل إليها في استقراره وفي انطلاقته الحضارية، لأن الشعب العراقي - كما كنا نقول لكل وسائل الإعلام - ليس قاصراً

حتى يحتاج إلى ولاية أمريكية، فالشعب العراقي قد بلغ سن الرشد، وهو يملك طاقات قد لا يملكها بلد عربي آخر، ولذلك على الشعب أن يمسك بأمنه وبكل مقدراته وعندها يستطيع أن يصنع الدولة الحضارية، ويعمل بالوسائل الممكنة على إخراج المحتل من أرضه.

العرف وأثره في الفقه الإسلامي:

□ كثير من الأحكام نأخذها من الارتكازات العرفية، فإذا كان العرف يعامل المرأة على أساس النقص في الدين والعقل والحظ، فلم لا تحكم به؟
○ من قال إن الارتكازات العرفية هي أساس الأحكام. الارتكازات العرفية قد تكون مفيدة في بعض الحالات في اكتشاف بعض الأشياء التي ربما تمثل سيرة المتشعبة أو السيرة العقلانية، ولكن إذا رأينا الارتكازات العرفية ناشئة من ذهنية خلقت من خلال الخطأ في فهم النصوص وفهم الأشياء، فلا قيمة لها، لأن النص على خلافه والقاعدة الشرعية على خلافه.

سن تكليف البنت:

□ سن التكليف عند البنت يبدأ في السنة التاسعة قمرياً، أليس في هذا إجحاف لحق البنت، حيث إنها لا تدرك ما تفعله من تكاليف، مع أن العقل والبلوغ هما من شروط كل عمل؟ وهل هناك فرق بين العقل والإدراك؟
○ قضية البلوغ تنطلق من خلال العناصر الجسدية، وبالتحديد من خلال النضج الجنسي والجسدي، كما هو في قوله تعالى: «وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ»^(١). وعليه، فإن حالة البلوغ تتصل بالجسد، ولكن المشهور بين العلماء أنهم يرون أن البنت تبلغ في التاسعة الهجرية، ولكن هناك رأياً يقول به بعض الفقهاء، مفاده أن البلوغ يتحقق بالنضج، وذلك بمجيء الدورة الشهرية بالنسبة للبنت، كما هو الاحتمال بالنسبة

إلى الذكر. ونحن نرجح هذا الرأي علمياً، ولكن بقيت بعض الشبهات التي يمكن أن تنتهي بعد ذلك من مناقشتها وحسمها.

أما الرشد، فإنها حالة تتصل بالإدراك والعقل. ولذا فإن البنت بمجرد البلوغ من دون رشد لا تكون لها استقلالية، بل تبقى الولاية للأب والجد. نعم، إذا رشد الولد ذكراً أو أنثى، أي تحقق لهم الرشد بمعنى إدارة أمورهم وحياتهم، عندئذٍ لا يوجد فرق بين الرجل والمرأة، أي الذكر والأنثى في مقام اليتامى، واليتامى ليس بمعنى فاقد الأبوين، بل المهم أن يكون دون البلوغ في هذا المجال. لذلك فإن هذه المسألة لا تبتعد عن مسألة العقل والإدراك وما إلى ذلك.. لأنه حتى الولد ورد فيه الحديث: ((رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم))، وهناك أولاد ذكور يبلغون في سن الثانية عشرة، حتى إن بعضهم في البلاد الحارة قد يبلغ في سنّ الحادية عشرة، لكن الإنسان يبدأ في ممارسة التكليف في تعلمه وثقافته حتى يصل إلى حدّ الرشد بعد ذلك. ولعلّ التكليف الشرعي في الوقت المبكر خاضع لعملية تدريبية تربية تتجه للذكر والأنثى للبدء بالسير في خطّ الانضباط والتوازن في الجانب العملي، وهو الذي ينقذ من الانحرافات التي قد تدمر الأساس الذي تركز عليه عناصر الشخصية الرشيدة في المستقبل، والله العالم.

ترك الرجوع إلى الفقيه:

□ إني أعلم بتطابق عملي في التكليف الملقى على عاتقي من صلاة وصيام مع المراجع، لذلك فإنني لا أقلد أي مرجع، وعمري ٤٠ سنة، فما حكم عباداتي ومعاملاتي؟

(١) هل أنت فقيه؟ وهل تملك ثقافة الفقه لتعرف ما يصح وما لا يصح. إن الرجوع إلى الفقيه وما يسمى بالتقليد هو من باب رجوع الجاهل إلى العالم، رجوع من لا خبرة له إلى من يملك الخبرة، فهل تستطيع أن تقول أنا أعرف وضعي الصحي، ولست بحاجة إلى طبيب مثلاً، أو تذهب للصيدلية وتقول أعطني هذا الدواء وهذا الدواء؟، فإنك لا تستطيع أن تضمن صحتك، ومن

الممكن أن يتطابق عملك مع فتوى فقيه، لكن لا حجة لك أمام الله سبحانه وتعالى، والله يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢). يعني إن كنتم لا تعلمون ولا تملكون الخبرة في هذا الأمر أو ذاك الأمر.

التبعض مع مراعاة العلمية:

□ أقلد مرجعاً يجوز التبعض في بعض الأمور مع مراعاة العلمية، فهل لي أن آتي بعمل جوزه عالم آخر، مع علمي بعدم قبوله من المرجع الذي أقلده؟
() مسألة التبعض إنما تكون في الحالات الملحة وليست المسألة مزاجية، أي أن يكون التبعض بشكل منتظم، حتى لا تتحول المسألة إلى فوضى.

الإفتاء على طبق رأي المقلد:

□ في المسائل الفقهية الخلافية، هل يجيب المسؤول على ضوء ما فهم من رأي المرجع، أم يبين الخلاف الفقهي للمسائل؟
() إذا كان سؤاله عن رأي مقلده فينبغي إفتاؤه على طبق رأيه.

بلوغ المرأة الاجتهاد:

□ هل يمكن للمرأة أن تصل إلى مرحلة الاجتهاد ويعدّها تصبح مرجعاً للتقليد؟ وذلك حسب رأيكم ورأي المراجع العظام؟
○ نعم، يمكن للمرأة أن تصل إلى الاجتهاد ويمكن أن تصل إلى العلمية إذا قلنا بها، والمرأة الآن تكتشف وتختبر وتصل إلى المواقع العلمية في القضايا العلمية الدقيقة والصعبة. فيمكن لها ذلك في الفقه، لأن الفقه كبقية العلوم، ولا مانع من أن تكون مرجعاً، ولكن الواقع الاجتماعي الإسلامي لا يسمح بذلك، أما الجانب الشرعي فلا إشكال فيه، حتى إنّ المرحوم السيد محسن الحكيم والشيخ محمد حسين الأصفهاني وكثيرين يقولون إنه على طبق القاعدة الفقهية لا يوجد

هناك مانع من ذلك، كما أن المرأة الآن لم تدخل الدراسات الفقهية بالمستوى الذي تستطيع أن تصل فيه إلى هذا المستوى، ثم هناك بعض القيود والظروف الاجتماعية التي قد لا تجعل هذه الفرضية فرضية واقعية.

حدود التقليد:

□ أقلد فقيهاً، وأصلي خلف آخر، وأقرأ لفقيه ثالث، فهل في ذلك مشكلة؟
○ إذا كنت تقلد فقيهاً، فعليك أن تعمل بفتاواه، ولا مانع من أن تصلي وراء فقيه آخر إذا كان عادلاً، وتقرأ لفقيه آخر كتبه في الجوانب الأخرى، أما في الجانب الفقهي، فعليك أن تأخذ بفتوى الفقيه الذي تقلده، إلا إذا رخصك في أن تقلد مع تقليده فقيهاً آخر.

حق الإفتاء بالجهاد:

□ من له الحق بالإفتاء بالجهاد؟ حبذا لو تعطينا فكرة عن الجهاد وأشكاله؟

○ هو الحاكم الشرعي الذي يملك الخبرة، ولا يكفي الحاكم الشرعي الذي ليس له خبرة في الجوانب العسكرية والجوانب السياسية وما إلى ذلك.. فلا بد أن يكون هناك حاكم شرعي يعرف أصول الواقع الجهادي ويملك الوسائل ويملك الأدوات التي تجعل من الجهاد أمراً منتجاً في هذا المجال، وليس الجهاد كلمة تقال عند بعض الناس، فقضية الجهاد من أكثر القضايا تعقيداً. لذلك لا بد للحاكم الشرعي أن يرجع إلى من يملك الخبرة في دراسة الأمور من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية وما إلى ذلك.

العمل بالقياس:

□ مذهب أهل البيت ﷺ يبطلون القياس، ولكنهم يستثنون قياسين، فلماذا هذا الاستثناء؟

(١) القياس الذي يبطلونه هو الذي يعتمد على الظن بعلة الحكم، والظن ليس حجة، أما منصوص العلة، يعني الشيء الذي جاء النص به، مثل (لا تشربوا الخمر لأنه مسكر)، فيمكن أن نقول إن كل مسكر حتى لو لم يسم بالخمير فهو محرّم، لماذا؟ لأن هذه العلة منصوصة، وقد دلّ الدليل على حجّيتها في هذا المقام.. ويوجد فرق بين القياس المظنون العلة وبين القياس الذي يقطع فيه بالملك، سواء كان منصوص العلة، أو مما يستفاد منه بما يسمى بتتقيح المناط، أو ما أشبه ذلك.

الظن في القياس والخبر:

□ قوة الظن في خبر الواحد الثقة أقلّ منه في القياس، فلماذا جعل الشارع المقدّس الحجية للخبر الواحد ولم يجعلها للقياس؟

○ لأنّ القياس يرتكز على أساس إدراك العلة التي من أجلها شرع الله تعالى هذا الحكم، وقضية العلة هذه قد لا يدركها الكثيرون من الناس، والقياس يرتبط بأساس الحكم، بمعنى أن الذي يقيس، يقول لك: إن هذا الحكم انطلق من هذه العلة، وهذه العلة موجودة في الموضع الثاني، وهذا ظني، ولم يرد هناك من الشارع ما يؤكد حجّية هذا الظن، أما الخبر الموثوق به أو خبر الثقة، فهذا مما جرى عليه العقلاء من أول ما خلق الله تعالى الإنسان وحتى الآن، وكان بمراى ومسمع من النبي ﷺ، والنبي ﷺ سار عليه، فإذا جاءت الحجية من قبل الشارع المقدّس في هذا الجانب، فأخذنا بهذا لأن الشارع اعتبره حجة، ولم نأخذ بالقياس، لأنه دليل على حجّيته، بل ورد الدليل على النهي عن العمل به..

ولاية الفقيه وولاية الأمة:

□ أين تلتقي وأين تتعارض (ولاية الفقيه) و (ولاية الأمة على نفسها)؟

○ ولاية الفقيه تعني أن الفقيه هو الذي يملك الأمر كله كما في الإمام، أي

ولاية الفقيه عندهم كولاية الإمام وكولاية النبي من الناحية التنفيذية، أما ولاية الأمة على نفسها، فتعني أنّ الأمة تنتخب من يتولّى أمورها، فإذا انتخبت الفقيه، فيكون الفقيه هو ولي بلحاظ انتخاب الأمة له، لا بلحاظ القاعدة الفقهية في هذا المجال.

حالات الاحتياط:

□ هل هناك في الفقه احتياط على النحو الوجوبي والاستحبابي، وما هي مصاديق هذا الاحتياط؟

○ الاحتياط إنما ينطلق من حالتين: فتارة هناك احتياط تفرضه القاعدة، فإذا فرضنا أنه علم إجمالاً بوجوب أحد الأمرين عليه، كما في وجوب صلاة الجمعة أو صلاة الظهر، ولم يستطع أن يحدّد أيّاً منهما الواجب، فهنا عليه احتياط الجمع بين الجمعة والظهر. أو لو علم الإنسان بنجاسة أحد الإنائين ولم يحدّد النجس منهما، فيجب عليه أن يهملهما معاً. وقد يكون الاحتياط من الشبهة قبل الفحص، كما لو فرضنا أن مجتهداً يواجه شيئاً لا يعلم هل هو حرام أم حلال، فقبل أن يفحص الأخبار، عليه أن يحتاط. وكذلك، إذا كان المكلف لا يعرف رأي المقلد أو المجتهد فإن عليه أن يحتاط.

وهناك احتياطات تنطلق من بعض الشبهات، كما لو استتبط المجتهد من هذا الرأي أو ذاك ولم يحصل عنده جزم بالرأي، فهنا يطلق الاحتياط للمكلفين، فيكون المكلف من قبيل من يواجه الشبهة قبل الفحص، وقد تكون الاحتياطات ناشئة من أن المجتهد يتورّع ولا يريد أن يخالف المشهور، وقد أكثر الفقهاء المتأخرون من الاحتياط، بحيث إنهم أربكوا الناس بذلك.

طابع الذكورة في الفقه:

□ ألا ترون أننا نكرّس مسألة الذكورة والأنوثة ونأخذها بالاعتبار حتى في فقهنا، فالمرأة عندها لا يصحّ أن تكون مرجعاً، وأيضاً لا ترث من الأرض إذا كانت

زوجة، بينما الزوج يرث من الأرض؟ أفي هذا عدل؟

○ أولاً: رأينا ورأي الكثير من العلماء أن المرأة إذا بلغت الدرجة العليا في الاجتهاد وتوفرت فيها شرائط المرجعية فلا فرق بينها وبين الرجل، وتستطيع أن تكون مرجعاً؛ لأن المرجعية في الفتوى أمر ثقافي، ولا دخل فيها للذكورة والأنوثة، وعلمائنا في أبحاثهم كالسيد محسن الحكيم رحمته الله في (مستمسك العروة الوثقى) وآخرون، يقولون إنه ليس لها دخل في الذكورة والأنوثة، وإن كان قد لا يوجد نساء بهذا المستوى في الواقع، ولكن لو صار الأمر كذلك فلا توجد مشكلة، ورأينا أن المرأة ترث من الأرض كما يرث الزوج من الإرث، ونتيجة الشهرة الفتوائية، قلنا بوجوب التصالح - احتياطاً وجوباً - بين المرأة وبين الورثة، ولا يصحُّ للورثة أن يتصرفوا في ذلك إلا برضا الزوجة على نحو الاحتياط الوجوبي.

ثانياً: النجاسات والطهارات:

تعقيدات الطهارة:

□ بالنسبة إلى الطهارة والتعقيدات الموجودة، وخاصة في الاستحاضة الكثيرة، فالمرأة تغتسل لكل صلاة حتى لو كانت درجة الحرارة تحت الصفر، وخاصة في القرى، إذا كيف كان الجيل الذي كان في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة يغتسل ولم يكن الماء موجوداً بكثرة؟

○ القضية ليست مغلقة، لأن المرأة إنما يجب عليها ذلك عندما تتمكن، أما إذا كان الجو قارصاً وتخاف الضرر، فالتيمم هو بدل الغسل.

تغسيل السقط:

□ أسقطت زوجتي حملها بعد شهر ونصف من الحمل، هل هذه القطع الساقطة تكفن وتدفن أم لا؟

○ طبعاً، لا بد من أن تدفن هذه القطع ولا يجب تغسيلها ولا الصلاة عليها.

غسل الميت:

□ رجل مات وغسل وكفن وصلّي عليه قبل أن يدفن، وعاد إلى الحياة بدقائق ومن ثم مات من جديد، والسؤال هل يغسل من جديد؟

○ يغسل غسلاً ثانياً، لأن ذلك الغسل الأول هو تغسيل للحَي، وبعد أن عادت له الحياة ومات فيجب تغسيله غسل الميت.

كتابة الآيات على الجسد:

□ شخص كتب على جسده آية (كهيعص)، هل يجوز له مسحها في حالة عدم

الوضوء أو إذا كان على جنابة مثلاً، علماً أنه لا يستطيع إزالتها؟

○ لا ليس له أن يمسه. وأحبُّ هنا أن أنبه إلى كل هذه التقاليد غير

السليمة كأن يرسم أحد على جسمه صورة الإمام علي عليه السلام، أو آخر ينقش آية قرآنية وما إلى ذلك.. إن الله خلق الجسد لا ليكون معرضاً أو لوحة إعلانات أو لوحة مسجد. اترك جسدي كما هو، ولتكن صورة علي عليه السلام في عقلك وجسدي، وضع سيف ذي الفقار بيدك واضرب به الأعداء.. كل هذا على خلاف الوعي. والقرآن يريد أن يعيش الوعي في عقولنا، وفي قلوبنا، وفي حركتنا، وفي الحياة.. وهكذا، أن يكون علي عليه السلام مثلاً ونموذجاً، فلنحاول أن نرتفع به في فكره وفي كل أسراره وروحانيته وذاته وجهاده، وأن يكون القرآن ثقافةً ومنهجاً وشريعةً وعبرةً وأسلوباً يغني العقل والروح والقلب والحياة..

استعمال الميتة في علف الحيوان:

□ هل يجوز استخدام عظام الذبائح المذبوحة على غير الطريقة الإسلامية في تركيب أعلاف الدجاج، حيث تُطحن هذه العظام وتضاف إلى العلف بنسب قليلة؟ وهل تحرم لحوم الدجاج المتغذي على علف يحوي تلك العظام؟

○ لا تحرم بذلك، ولكن ربما يُقال إن بعض الأمراض التي تصيب الحيوانات مثل (جنون البقر) قد تأتي من خلال بعض هذه الأشياء، فلا بد من سؤال أهل الخبرة حول الضرر الآتي من خلال ذلك.

دفن الجنين:

□ ما هو التكليف الشرعي لو ولد الجنين الذي يبلغ أربعة أشهر تماماً، ثم تسقطه أمه، هل يغسل ويكفن هذا الجنين؟

○ لا بد من دفنه، وذلك بأن يلف في خرقة ويدفن.

دخول المشرك إلى المسجد:

□ قد أفتيتم بطهارة المشرك، فهل يجوز له أن يدخل المسجد؟

○ أفتينا بطهارة المشرك، لأننا نرى طهارة كل إنسان، ولا دليل على نجاسة

الإنسان، أما قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ»^(٣)، فلا يراد بها نجاسة الجسد، وإنما المراد بها نجاسة العقيدة، ونجاسة الفكر. أما دخول المسجد فله حكم آخر، ورأينا أنه يجوز.

الشك في الدم:

□ لو شكَّت المرأة في الدم الذي تراه، هل هو دم استحاضة أو لا، فما هو

الحكم؟

○ إذا لم تستطع التمييز، فهنا لا يجب عليها أن تعمل عمل المستحاضة.

تطهير الحبل بالشمس:

□ هل تطهر الشمس الحبل النجس بسبب نشر ملابس نجسة عليه؟

○ الشمس تطهر الثوابت، ولا تطهر الأشياء المتحركة.

التيّم بالتراب النجس:

□ هل يجوز التيمم بتراب عليه نجاسة من ماء إنسان أو حيوان مع العلم

أنه جاف؟

○ لا بد أن يكون طاهراً، قال تعالى: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا

بِأَظْفَارِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً»^(٤). وقد يستفاد من هذا، أنه لا بد أن

يكون طاهراً.

خطأ في الوضوء:

□ من تعلّم خطأ كيفية الوضوء، بحيث يمسح مرة واحدة على ظهر يده،

وقد استمر فترة طويلة على هذه الطريقة قد تصل سنوات عديدة، فما حكم

صلاته خلال هذه السنوات، وهل يقضيها؟

(٣) التوبة: ٢٨.

(٤) النساء: ٤٣.

(١) لا أدري ما هو مقصوده بأن يمسح على يده مرة واحدة؟ فهل يعني يغسل مرة واحدة أو أنه مسح ولم يغسل، المهم إذا كان لا يغسل يديه بما هو الواجب، فوضؤه باطل، وإذا بطل الوضوء، بطلت الصلاة، لأنه (لا صلاة إلا بطهور).

احتياطات الفقهاء:

□ من المعروف أن المرأة تطهر عند إتمام حيضة واحدة، ولا تنجب إذا لم يلامسها الرجل، لماذا يحتاط العلماء بحيضتين، هل هو لوجود روايات أو لدليل آخر؟

(٢) ليس في المسألة احتياط، فعدة المرأة المتمتع بها حيضتان، وعدة المرأة المطلقة ثلاثة أطهار، وهذه الاختلافات ناشئة من نصوص شرعية، وليست من احتياطات الفقهاء.

الحرص في تحصيل الطهارة:

□ أحياناً أسافر بالطائرة أو الباص وأطهر في المساء مثلاً من الدورة الشهرية، لكن لا تسنح لي الفرصة للاغتسال إلا في اليوم الثاني أو حتى الثالث إذا كنا بالباس. طبعاً أنا أبدأ صلواتي في الأيام التي أحس أنني طهرت فيها، فهل علي شيء؟

○ يجب أداء الصلاة بوقتها، ومع عدم إمكان تحصيل الطهارة المائية ووجود الحرج الشديد في الاغتسال، فيجب التيمم والصلاة.

ملاقة عين النجاسة:

□ إذا كان على الثوب بقعة دم يابسة، ولا مست الإصبع المبللة بالماء بقعة الدم مباشرة، فهل تتنجس الإصبع مع فرض عدم انتقال أي أثر للدم على الإصبع؟ وعلى فرض تنجسها، فهل تكون الإصبع متنجساً أولاً أو ثانياً؟

(١) تتنجس الإصبع لملاقاتها عين النجاسة، وتكون متنجساً أولاً، لأنها

لامست النجاسة العينية.

النجاسة لا تزول بالجفاف:

- الثوب إذا أصابه بول وجف، هل تزول عين النجاسة بالجفاف أو تبقى؟
 () هذه قضية خارجية، فربما يبقى أثر البول، صحيح أن البول يجف، لكن إذا كانت آثاره موجودة، فالجفاف وحده لا يلغي نجاسته.

آثار النجاسة بعد إزالتها:

□ شخصٌ يجتهد في إزالة النجاسة من موضعها المعتاد، ثم تبين بعد الوضوء وجود آثار لها في ملابسه الداخلية، فماذا يفعل؟ وما حكمه، علماً أن الآثار المذكورة من جراء إجراء عملية جراحية؟

() في هذه الصورة، إذا فرضنا أنه كان قاطعاً بأنه أزال النجاسة مطلقاً ولم يبق هناك أثر، ثم اكتشف ذلك، فإن صلاته صحيحة، سواء كان الأثر ناتجاً من عملية جراحية أو لا، وإذا فرضنا أن هناك جراحات، فتصبح من الجروح والقروح المعفو عنها، بمعنى أنه تصح الصلاة مع عدم إزالتها وتطهيرها.

شعر القطة على لباس المصلي:

□ صليت الظهر، وبعد الصلاة، علمت بوجود شعر القطة على ملابسي، ثم نظفت ما استطعت تنظيفه، وصليت العصر، مع إمام الجماعة، مع علمي بأنه ما زال يوجد بعض الشعر على ملابسي، فما حكم صلاتي؟

() صلاة الظهر صحيحة، أما بالنسبة لصلاة العصر، فإذا كنت تعلم بوجود شعر القطة، فعليك أن تعيد صلاة العصر، علماً أن شعر القطة ليس نجساً، ولكن لا يجوز الصلاة في أجزاء ما يحرم أكله.

الشك في تحقق الحدث الأكبر:

□ إذا ما خرج من عضو الرجل بعد الملاعبة سائل بلون المني أو قريب من

لون المني، وكان ذلك السائل فاقداً لكل صفات المني، أي الصفات المصاحبة للمني عادة، وهي الدفق والشهوة والفتور، علماً أن الشخص سليم وليس مريضاً، وهذا السائل غالباً ما يخرج أثناء البول، فما هو حكم هذا السائل؟
 () الظاهر أن هذا السائل من قبيل المذي، وعلى كل، إذا شك في كونه منياً أو ليس بمنى، فلا يجب عليه الغسل.

اجتماع الحيض والحمل:

□ ما حكم الدم الذي تراه الحامل؟ هل يعد من الحيض أم من الاستحاضة؟
 () هناك فتوى لبعض العلماء أنه يعد من الحيض، ولكننا نتحفظ في ذلك ونرى أن الحيض لا يجتمع مع الحمل.

غسالة الميت:

□ هل غسالة الميت نجسة أم لا؟ وهل نغتسل غسل مس الميت جرأ هذه الغسالة؟
 () كلا، ليست نجسة، ولا تغتسل جرأ هذه العملية. نعم، من يمس الميت قبل تمامية الغسل لا بد له من غسل المسّ.

ثالثاً: الوضوء والصلاة:

الصلاة الوسطى:

□ ما هو الرأي الأنسب في المقصود من الصلاة الوسطى؟

() لا يبعد أنه أهملت قصة بيان الصلاة الوسطى حتى يأتي الإنسان بالصلوات كلها في أوقاتها، لكن ربما كان هناك رأي قائل إنّ المراد بها صلاة الجمعة، لأنّ القرآن اهتم بها بما لم يهتم بصلاة أخرى، وبعضهم يرى أنّها الظهر، وبعضهم يرى أنّها صلاة الصبح، والله العالم بحقائق آياته.

نسيان ما يصحُّ السجود عليه:

□ إذا نسي شخص وضع شيء مما يصح السجود عليه أمامه، ولم يتذكر

ذلك، فما هو تكليفه بعد دخول الصلاة؟

() عليه أن يقطع الصلاة ويسجد على ما يصحُّ السجود عليه.

نية الأداء والقضاء:

□ ما الحكمة أو الفرق بين أن يأتي المكلف بصلاة ما بنية الأداء أو بنية

القضاء، وهل للمسألة تلك الأهمية؟

() المطلوب أن يأتي الصلاة على ما هو مكلف به، فتارة هو مكلف بالأداء، فمن الطبيعي أن يأتي بالصلاة في وقته كما حدد الشارع، وأخرى تفوته الصلاة، فيأتي بها خارج الوقت. والنية هي عبارة عن القصد نحو العمل، وذلك أنك عندما تتجه إلى العمل، فإنك تقصده على ما هو عليه، ومن الطبيعي أن تنوي العبادة، وهو أن تأتي بالعمل قريباً إلى الله تعالى، كما لو كنت تنويه واجباً أو مستحباً، أداءً أو قضاءً، فإذا كنت واعياً للعمل، فلا بد أن تقصده على ما هو عليه. وإذا كان هناك تعقيد، فربما نشأ من بعض الذهنيات الفقهية المعقدة أو طريقة الناس في الفهم ووسوسة الشيطان.

صلاة الجمعة عبر المذيع:

□ أقوم بأداء صلاة الجمعة مع سماحتكم عبر إذاعة (البشائر) لكي لا تفوتني خطبة الجمعة لسماحتكم، ولأن عندي أطفال، وهذا أيسر لي من الذهاب إلى المصلى، فهل يجوز ذلك؟

○ إذا كان هناك عذرٌ من الذهاب إلى صلاة الجمعة حيث تقام بشروطها، فإنَّ الإنسان يمكنه أن يتخلف عن حضور الجمعة، وله أن يستمع إلى خطبة الجمعة، ولكن لا يصلي جماعةً، لأن صلاة الجمعة يشترط فيها ما يشترط في الجماعة. وإذا لم يستطع المكلف الذهاب إلى المصلى القريب منه، فيصلّي صلاة الظهر.

مؤهلات إمام الجمعة:

□ هل تصحُّ صلاة الجمعة من إمام لا يستطيع أن يوصل الفكرة أو الخطبة إلى المستمعين، بحيث ترى أكثر الحاضرين تأهين ولا يعلمون ماذا يقول الخطيب، فهو يقرأ من الورقة ولا يستطيع أن يعطي الأمثلة على كلماته؟

○ الخطبة هي عمق صلاة الجمعة بحسب جوهرها؟ لكن المسألة أنَّه إذا كان الخطيب يقرأ من الورقة، ولم يستطع إيضاح فكرته، فعلينا أن نفكر لنستوضح ما يقوله، فلا نستسلم للجوّ الثقافي الذي يحاول أن يفرضه الخطيب، وإنما نحاول أن نتفتح على ما كتب الخطيب من أشياء مادام ليس عندنا بديل، ولو كان عندنا بديل للخطيب يمكن أن يقدم الوعي للناس، فهذا أفضل.. وأما إذا لم يكن عندنا خيار غير ذلك، فلنحافظ على صلاة الجمعة ونحاول الاستفادة بقدر ما نستطيع.

الانتماء بالمرأة:

□ هل يجوز أن تكون المرأة إماماً للصلاة؟

○ يمكن أن تؤمَّ النساء في الصلاة.

كثرة السفر:

□ أنا أعيش في منطقة تبعد عن المشفى الرئيسي مسافة شرعية، ولدي مراجعات طبية عديدة في الشهر الواحد، وتارة تكون لدي مراجعة واحدة في الشهر، فما هو التكليف الشرعي في الصلاة؟

() إذا كان السفر لشهر واحد أو مرة واحدة في الشهر، فعليك أن تقصر في صلاتك.

اشتراط الطمأنينة في الذكر:

□ هل تشترط الطمأنينة عند المصلي عندما يرفع رأسه من الركوع إذا ذكر مثلاً (سمع الله لمن حمده) أو في غيرها من الحالات؟

() لا يشترط ذلك، ولكن هذا هو الأفضل.

الصلاة بملابس عليها صور:

□ ما حكم الصلاة بملابس عليها صورة إنسان أو حيوان؟ وما هو الحكم إذا كنت مضطراً للصلاة بها وذلك خوفاً من فوات فضيلة الصلاة أو أن تصبح الصلاة قضاء؟ وما الحكم إذا نسي وصلى بها؟ وما هو الحكم إذا صلى مقابل حائط عليه منظر إنسان أو حيوان؟

() قد يكون ذلك مكروهاً؛ ولا فرق في ذلك بين الملابس والحائط، وتشتد الكراهة لو كانت الرسوم على الحائط وكان ذلك مواجهاً للمصلي.

تداخل المستحبات:

□ هل يجوز للمكلف أن يصلي ركعتين مستحبتين ينوي على أنهما ركعتا تحية المسجد ونافلة الفجر، مثلاً (إن كان وقت الفجر قد تحقق) أو مثلاً ينوي ركعتين من نافلة الليل وهما أيضاً صلاة الاستغفار أو الشهر أو صلاة الولد لوالديه أو الحاجة.. كما هو الحال في تداخل الأسباب في الغسل؟ وأيها الأصل

عندكم؟ تداخل الأسباب أو عدم التداخل؟

○ الظاهر من النصوص أنه لا بد من الإتيان بكل صلاة بالعنوان الذي أخذ في استحبابها، فلا يشاركه فيها عنوان آخر، ويحتمل في تحية المسجد أن الأساس في ذلك هو أن يصلي عند دخول المسجد لئلا يخلو المسجد من الصلاة، وعلى ضوء ذلك، يجوز له أن يأتي بناقلة الفجر، فتكفي عن صلاة التحية، والله العالم. والأصل - عندنا - هو عدم التداخل إذا لم يكن هناك دليل على التداخل كما في أسباب الغسل.

الفجر الكاذب والفجر الصادق:

□ ما هي المدة الزمنية بين الفجر الصادق والفجر الكاذب؟ وهل يكون حكم الصلاة قضاء بعد الفجر الصادق؟

○ ليس لها نظام معين، لأنها قد تختلف بين بقعة وأخرى. أما بعد الفجر الصادق، فالإتيان بالصلاة لا يكون قضاءً، بل يكون قضاءً بعد طلوع الشمس.

القضاء عن الوالد:

□ والدي عمره ٥١ سنة، وقد توفي وكان لا يصلي، وأنا ابنه الأكبر، فما واجبي؟ وما هو عدد الصلوات التي يجب علي أن أقضيها؟ وهل هناك كفارة أو صدقة أدفعها بدلاً عن الصلاة؟

○ رأينا أنه لا يجب على الولد الأكبر القضاء عن أبيه ما فاتته من الصلاة، إذا كان أبوه متعمداً ترك الصلاة، إنما يجب عليه الصلاة التي تقوته من دون تعمد. أما الكفارة عوضاً عن الصلاة، فلا يوجد هناك كفارة.

العجز عن القضاء:

□ إذا لم يستطع الولد الأكبر قضاء الصلاة عن أبيه، ما هو الحل، علماً أنني لا أعلم كم سنة قضاء في ذمته؟

(١) إذا لم يستطع فله أن يستأجر غيره، وإذا دار الأمر بين الأكثر والأقل، فإنه يبني على الأقل.

جهل المصلي:

- شخص صلى على حصير نايلون جهلاً منه، فهل يعيد صلاته؟
- لا يجب عليه إعادة الصلاة.

مشكلة اللجوء إلى الغرب فقهيًا:

□ ألا تعتبر فتاوى المراجع الكرام بحرمة الذهاب إلى الغرب والعيش هناك، إذا ما خاف المهاجر على دينه، هروباً من المشكلة، ودليلاً على ضعف الإيمان والحق أمام الكفر والباطل؟

(١) المراجع يقولون: إن على الإنسان أن يكون قوياً، فإذا أراد أن يهاجر، فعليه أن يعمل مع المسلمين الآخرين في إنشاء المدارس التي تربي أولادهم على الإسلام، مع تربيتهم على الجانب العلمي، وأن يهيئوا المواقع الدينية والمساجد، وما إلى ذلك، وكل ما يقوّي إسلام الإنسان عندما يهاجر إلى بلاد الكفر، وذلك أن يعمل على أساس تحصين نفسه، وتقوية إيمانه، بل أكثر من هذا، يريدون له أن يكون داعيةً للإسلام، تماماً كما كان العمال المسلمون الذين كانوا يذهبون إلى بلاد الكفر، ويدعون الناس إلى الإسلام.

الصلاة في الحرب:

□ بالنسبة إلى الصلاة في المعركة، كان المسلمون قديماً يصلّون في صفوف، بحيث يقوم الجنود في الصفوف الأولى بالصلاة يحرسهم الجنود في الصفوف الثانية، ثم تصلي الصفوف الثانية يحرسهم من في الصفوف الأولى، ومع تطور المارك في يومنا هذا، هل يجوز الصلاة - مثلاً - داخل الدبابة، أو فوقها، في أي اتجاه بسبب حساسية الموقف؟

○ هذه صلاة الخوف التي كانت في تلك العهود تخضع في طريقتها لطبيعة حركة الحرب، بحيث يمكن أن يقف جماعة ليصلّوا وأولئك يحرسون هؤلاء المصلين. أما الآن، ومع تطور أساليب الحروب والمعدات، كالطائرات والدبابات وغيرهما، فيصلي الإنسان بحسب قدرته، ولو بالإيماء في بعض الحالات، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، فيمكن أن يصلّي الإنسان في الدبابة، بأن يوجّه نفسه اتجاه القبلة، بطريقة وأخرى، بحسب ما يستطيع.

تحديد الغروب:

□ أرجو أن توضحوا رأيكم في مسألة وقت حلول المغرب، فقد كان معي بعض الشباب يظفرون مع الغروب مباشرة، باعتبار تقليدهم لكم كما يقولون؟
○ رأيي، كما هو الرأي العلمي للسيد الخوئي رحمته الله وعلماء آخرين، أن الغروب يتحقّق بمجرد سقوط القرص، يعني بمجرد غياب قرص الشمس، ولا يجب انتظار الحمرة المشرقية، سواء في الصلاة أو في الإفطار. نعم، إذا أحب الإنسان أن يحتاط وينتظر إلى ذهاب الحمرة المشرقية فهو حسن.

تعليم الأبناء الصلاة:

□ ابنتي عمرها ١٤ عاماً، التزمت الحجاب والصيام، ولكنها لم تلتزم الصلاة، فكيف أعاملها؟ وما هي نصيحتكم لها؟
○ لا بد من دراسة النواحي النفسية التي يمكن النفاذ إليها من أجل إقناعها بالصلاة، بعد أن اقتنعت بالحجاب والصيام، بل إن التزامها بالحجاب والصيام هو من أفضل الوسائل لإقناعها بالصلاة، لأنّ معنى ذلك أنها ملتزمة بخط الإيمان وبمحبة الله سبحانه وتعالى وطاقته.

الصلاة بين القصر والتمام:

□ صليت صلاةً تماماً في مكان كان المفروض أن أصلي فيه قصراً، وكذلك قضيت صلاةً في الوقت نفسه، فهل يتوجّب علي إعادة الصلاة؟ أم ماذا يجب عليّ

أن أفعل لكلا الصلاتين (الواجبة والقضاء)؟

○ أما بالنسبة لصلاة القضاء، فليس عليك شيء، لأنه من فاتته فريضة فليقضها كما فاتته، أما الصلاة الواجبة أداءً، فإنك إذا كنت جاهلاً بوجوب القصر عليك، وصليت هذه الصلاة وانتهت بعد ذلك، فصلاتك صحيحة...

الصلاة في الوطن:

□ أنا من مدينة (النجف الأشرف) وسافرت إلى خارج البلد، ثم عدت وسكنت في مدينة (الحلة)، كنت أذهب لزيارة الأهل في النجف بين الحين والآخر، في البداية كنت أصلي قصراً، ثم قيل لي إنه يجب أن تتممي صلاتك، فصليت بعدها صلاة تمام. ما هو الحكم في حالتي؟ هل يجب علي إعادة الصلاة أم لا؟ وأيها أصح؟

○ إذا كنت قد عرضت عن السكن في مدينة (النجف الأشرف)، بحيث صارت علاقتك بها علاقة المرأة التي لها أقرباء في النجف، بحيث تذهب لزيارة الأقرباء، ولكن سكناها في الحلة، فمن الطبيعي في هذه الحال أن تصلي في النجف قصراً، لأن الإنسان إذا عرض عن وطنه، فيصير وطنه كبقية البلدان الأخرى التي يسافر إليها في الصلاة قصراً، وإذا كنت جاهلاً بالحكم، فالصلاة صحيحة، ولكن من الآن فصاعداً، لا بد لك أن تصلي قصراً في مدينة (النجف الأشرف).

إدخال اليدين في الملابس عند الصلاة:

□ هل تبطل الصلاة إذا كانت اليدين داخل ملابس الصلاة، دون أن تلمس الأرض أي داخل العباءة؟
○ لا تبطل الصلاة بذلك.

عدالة الإمام في صلاة الجمعة:

□ إذا قطعت بعدم عدالة الإمام في صلاة الجمعة، دون علم باقي المصلين،

والانفراد يؤثر على إقامة تلك الشعيرة في بعض المناطق، فأضطرر للملاحقة الإمام في الأقوال والأفعال، فما هو حكم تلك الصلاة دون النظر إلى إعادتها ظهراً؟

(١) تارةً تصلي بعنوان الجماعة، والجماعة غير مشروعة بحيث تترك القراءة، وطبعاً صلاتك باطلة، وتارة تصلي بعنوان المتابعة، بمعنى تصلي منفرداً لكن بصورة جماعة، وتأتي بكل ما يشترط في صلاة المنفرد، فصلاتك صحيحة، هذا في غير صلاة الجمعة. أما صلاة الجمعة، فحيث لا تُشرع إلا جماعة، ومن شروطها عدالة الإمام، فلا تجزئك المتابعة في مفروض السؤال أن تصلي صلاة الجمعة، لأنّ وظيفتك هي الظهر، فلا بدّ من أن تؤدّيها بعد ذلك.

السهو في الصلاة:

□ في الصلاة، وعند الوقوف للركعة الثالثة أو الرابعة، تم قراءة الفاتحة سهواً، وليس بنية قراءتها عوضاً عن التسبيحات، فهل يتوجب أي شيء؟ وهل الصلاة صحيحة؟

(١) الصلاة صحيحة، حتى لو قرأ الفاتحة سهواً؛ لأنه مخير واقعياً بين الفاتحة وبين التسبيحات.

قضاء البنت عن الأب:

□ ما هو السبب في عدم وجوب قضاء البنت البكر ما في ذمة والدها المتوفى من صلوات إذا كانت وريثة من الأساس له؟

(١) أن تقضي عن والدها بنحو الإلزام كما يقضي الابن البكر الأكبر فهذا تشريع الله ولم يشرعه للبنت، وشرعه للولد ولا علاقة له بالإرث.

قضاء الصلاة:

□ أعمل في بلد غير بلدي وأذهب إلى بلدي، وخلال فترة السفر البالغة ثلاثة أيام لم أصل خلالها أي صلاة، فعدت إلى بلد عملي، فهل أصلي الصلاة قصراً؟

(٢) تصلي ما اشتغلت به ذمتك، فإذا لم تكن كثير السفر فالصلاة قصر، وإلا فصلاتك تمام.

العزوف عن مكان الإقامة:

□ سكنت في منطقة لفترة طويلة من الزمن حتى غدا موطناً لي، فسافرت منه، ما حكم صلاتي إذا رجعت إلى ذلك الوطن؟ أو كانت سفرتي ليومين أو ثلاثة؟

(١) إذا أعرضت عن هذا الموطن، يعني أنك كنت قد جعلته موطناً وأعرضت عنه، ففكرت أن تأتي إليه، وتأتي إليه كما يأتي الإنسان إلى أي بلد آخر، فهنا تصلي قصرأً، أما إذا كنت قد استوطنته وأنت عازم على البقاء فيه فتصلي تماماً. وهذا يختلف بحسب اختلاف العزم والقصد الجدي للإنسان.

تغيير الإقامة:

□ أقمت في الأردن مدة ٤٥ يوماً وكنت أصلي تماماً لأنني جاهلة في الحكم، فهل علي إعادة صلاتي قصرأً؟

(٢) وإذا كانت هذه المرأة جاهلة، فصلاتها صحيحة.

صلاة الجنازة:

□ أرجو أن توضحوا لنا من لا تجوز عليه صلاة الجنازة بعد موته؟

(١) كل مسلم يجوز صلاة الجنازة عليه، بل تجب، أما غير المسلمين فلا تجوز صلاة الجنازة عليهم.

غسل الرجلين في الوضوء:

□ بعض أهل السنة يستندون في اعتمادهم على الغسل في الوضوء، بأن الغسل يشتمل على المسح، وليس العكس، فيكون بذلك قد عمل بالأحوط، ويؤيد ذلك المعنى كثرة الروايات القائلة بالغسل، وقد قال كبار أعلام النحو والعربية إن

العطف في الأرجل على الغسل ٩

○ أولاً: إن الغسل شيء والمسح شيء آخر، فإذا كان مقصدهم أن الغسل يشتمل على المسح، يعني قلة الماء وكثرة الماء، فالجواب: كلا، لأن المسح إنما هو مجرد أن يلامس الماء الجسد بشكل خفيف، بينما الغسل أن يغمر الماء الجسد، فمن حيث المفهوم اللغوي يوجد فرق كبير جداً في هذا المعنى، فمثلاً عندما تغسل رجلك، فهل تقول إنك مسحت رجلك أم غسلتها؟ طبعاً تقول غسلت رجلي، وليس مسحت رجلي.

أما علماء اللغة العربية، فإنهم مع ما يراه الشيعة، وذلك لأن استفادة وجوب غسل الرجلين من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٥)، مبني على أن (أَرْجُلَكُمْ) معطوفة على (أَيْدِيَكُمْ)، ولكن ذلك خلاف قواعد اللغة العربية؛ لأنه لا يجوز أن يكون بين المعطوف وبين المعطوف عليه فاصل كالذي في الآية، حيث إن هذا الفاصل قد أبطل حكم الفعل السابق وهو قوله (اغسلوا)، ولذلك لا بد أن يكون العامل في قوله (أَرْجُلَكُمْ) هو الفعل الجديد وهو (امسحوا)، وكمثال على ذلك قول الإنسان: أكلت تمرأً وعسلأً وشربت ماءً ولحمأً، فهل هذا صحيح على أساس (ولحمأً) معطوفة على (وعسلأً)؟ إذا العطف لا يصح بعد أن صار هناك فاصل. وعليه، فقوله (وَامْسَحُوا) تشمل الرؤوس والأرجل، فالله سبحانه وتعالى بيّن اغسلوا وجوهكم وأيديكم، أما الأرجل فلا تغسل.

أما سبب قراءة (وَأَرْجُلَكُمْ) بالفتح، مع أنه لو كانت معطوفة على الرؤوس لكان ينبغي قراءتها بالكسر؛ لأن المعطوف والمعطوف عليه يجب أن يكونا في حالة إعرابية واحدة، فالجواب أن قوله تعالى: (بِرُءُوسِكُمْ) الباء فيه زائدة، لأن المسح يتعدى إلى المفعول من دونها، وما عطف عليه (أَرْجُلَكُمْ) فهو محلّ (رؤوسكم)،

وهو النصب على المفعولية. كما أنّ بعض القراءات أنّ (وَأَرْجُلُكُمْ) بالكسر لا بالفتح. وأيضاً هناك خلاف عند السنة في أن الواجب بالنسبة للرجلين المسح أو الغسل، ولذلك لا حجة لهم في ذلك..

القضاء عن الميت:

□ لو مات رجل وعليه قضاء صلاة، وليس لديه أولاد ذكور، بل كلهم إناث، فما الحكم هنا؟

○ لا يجب على الإناث القضاء، ولكن يستحبُّ لهن ذلك.

قراءة السور الطوال في الصلاة:

□ ما هو رأيكم في قراءة بعض الآيات من السور الطوال في الصلاة، خصوصاً وأن في قراءة هذه الآيات شمولية معرفية بآيات القرآن الكريم عامة، بدلاً من الاقتصار على قصار السور؟

○ يجوز للإنسان أن يقرأ بعض السور المتوسطة، وأما سورة (البقرة) أو سورة (آل عمران) وغيرها من السور الطوال فلا؛ لأنه يخرج بها الإنسان عن صورة المصلي، فيقال إنه يقرأ القرآن لا إنّه يصلي، فتكون قراءة ذلك من الأمور الماحية لصورة الصلاة، وما كان كذلك فهو مبطل لها، لكن نحن بحسب فتوانا، فإنه لا يجب أن يقرأ الإنسان سورة كاملة، فيجوز له أن يقرأ آيات من السور في هذا المجال، وإن كان الأحوط استحباباً والأفضل أن يقرأ سورة كاملة مع (الفاحة) ..

اختلاف الفرض:

□ هل يجوز أن أصلي صلاة الظهر مفرداً، ثم عندما صلى الإمام صلاة الظهر جماعة، صليت معه على نية صلاة العصر، فهل صلاة الظهر والعصر صحيحة؟

(١) نعم، يجوز لك، إذا صليت الظهر منفرداً، وجاء الإمام وصلى الظهر، فيجوز لك أن تأتمّ به قاصداً العصر، لأنه لا يشترط أن تكون صلاة المأموم مثل صلاة الإمام.

التحميد بعد سورة (الحمد):

□ ما هو رأيكم بظاهرة نعتقدها جديدة في صلاة الجماعة، وهي قول البعض عبارة (الحمد لله رب العالمين) بعد سورة (الفاتحة)؟ وهل هي مقابلة لكلمة (آمين) عند إخواننا السنّة، والتي تعتبر من مبطلات الصلاة عندنا؟

(٢) ورد عندنا أن يقول الإنسان: (الحمد لله) بعد أن ينتهي الإمام، أو أن يقول ذلك بعد قراءة سورة (الفاتحة)، فهو مستحب، لورود الحديث باستحباب ذلك، وهو ليس مقابلاً لكلمة (آمين)، وكلمة (آمين) تارةً يأتي بها الإنسان بعنوان أنها مستحبة في ذاتها بخصوصيتها، فهذا تشريع محرّم، ولكن لو قصد الإنسان لكلمة (آمين) الدعاء، يعني أنه سمع قوله تعالى مثلاً: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)، فقال آمين، يعني اللهم استجب دعاءنا، فإنه لا تبطل الصلاة بها، ويجوز للإنسان أن يقولها بهذا المعنى، فإذا جاء بها باعتبار أنها من كلمات الدعاء، فقد ورد عندنا أنه يجوز للإنسان أن يدعو في صلاته بما شاء.

صلاة المربية:

□ تضطر بعض المربيات في بعض الأحيان إلى القيام ببعض الحركات، كالتنقل، مع الحفاظ على التوجه نحو القبلة أو كالتهبوط لا على نحو الركوع، وذلك كله لرفع الخطر على من تربيته، فهل هذا يبطل الصلاة؟

(٣) لابد أن تصلّي بالطريقة التي تتجه فيها إلى القبلة. نعم، في حالات الضرورة فوق العادة، إذا كان يوجد خطر، فعليها أن لا تستدبر القبلة، أو لا تتجه نحو اليمين أو نحو اليسار. أما إذا كان الانحراف بسيطاً لا يضر

بالاستقبال فلا توجد مشكلة... ولكن الأحوط - وربما كان من المتعين - أن تؤخر صلاتها مع سعة الوقت إلى الحالة التي لا تضطر فيها إلى الانحراف عن القبلة.

معنى التوقيفي:

□ يورد بعض الفقهاء مصطلح (الصلاة فعل توقيفي) في مسألة أداء الإقامة والأذان في بعض الأماكن المخصصة مثل عرفات والمزدلفة، ماذا يقصدون بتلك العبارة؟

○ يعني أن الله سبحانه وتعالى وضع للصلاة قوانين أراد للناس أن يلتزموا بها على نحو الأمر الحاسم، فلا يزيد الناس فيها شيئاً، ولا ينقصوا منها شيئاً، وقضية الصلاة في مسألة الأذان والإقامة، وما إلى ذلك.. ليس لنا أن نزيد فيها شيئاً أو أن ننقص منها شيئاً، معناه أن علينا أن نقف عند ما ذكره الشارع، على أساس قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٧).

حضور صلاة الجمعة:

□ ثمة أسباب تمنعني من حضور صلاة الجمعة في المسجد، وأفكر الآن بوقف غرفة كبيرة من بيتي مسجداً، فهل يجوز لي إقامة صلاة الجمعة في هذه الغرفة بشروطها من حيث العدد وغيره من الشروط؟

○ عليك أن تعيد النظر في مسألة عدم حضورك صلاة الجمعة، إذا كانت جامعةً لكل شروطها، لأن الإنسان عندما يعيش مع جماعة المسلمين، فإن ذلك يكسبه ثواباً وخيراً، أكثر مما إذا كان في جماعة صغيرة خاصة.

الصلاة على النبي ﷺ

□ أفتيتم بجواز الصلاة على النبي وعلى آله، والقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٨)، والآية تأمر بالصلاة على النبي ؟ أرجو الإيضاح ؟

○ صحيح، نحن نصلي على النبي، أما على آله، فنحن نتبع النبي في ذلك، لأن النبي ﷺ ورد عنه لدى السنة والشيعية: ((لا تصلوا علي الصلاة البتراء))، يعني الصلاة المقطوعة، يعني أن تصلي على النبي ولا تصلي على الآل. ثم هناك الصلاة الإبراهيمية التي يرددها كل المسلمين من السنة والشيعية: ((اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، وسلم على محمد وآل محمد كما سلمت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين)).. كذلك الصلاة على الآل أيضاً موجودة عند السنة والشيعية معاً، وفي القرآن الكريم الصلاة على النبي، ولكن في السنة ورد الصلاة على النبي وآله، وتفسيراً لما ورد في القرآن نحن نجمع بينهما، فنصلي على النبي ﷺ كما أمرنا القرآن الكريم، ونصلي على الآل مع الصلاة على النبي ﷺ كما أمرتنا السنة.

الصلاة على النبي في الصلاة:

□ هل ورد نص صريح بأن الصلاة على محمد وآل محمد مستحبة في الركوع والسجود، أم أنها تعتبر من مصاديق الذكر المطلق في الركوع والسجود ؟

○ هي مستحبة في أي وقت وكل دعاء، مثل: ((اللهم صل على محمد وآل محمد))، ((اللهم اغفر لنا))، ((اللهم ارحمنا))، في الصلاة جائز ومستحب، وكل ذكر أيضاً جائز.

صلاة المسافر جماعة:

- هل يجوز لمسافر أن يصلي جماعة إذا كانت صلاته قصراً، وهو واحد خلف الإمام، والبقية من ورائه نساء؟
- يمكن أن يصلي جماعة، بمعنى أنه يأتّم بالإمام، وعندما ينتهي من الركعة الثانية، يصلي صلاة أخرى أداءً للفرض الثاني أو قضاءً، ولا توجد مشكلة من هذه الناحية، ويحفظ على الآخرين الملتحقين به في صلاة الجماعة.

زيادة سجدة:

- بعد أن انتهى المصلي من الصلاة، تأكد أنه سجد ثلاث سجّادات في ركعة واحدة، فهل يعيد صلاته؟
- زيادة سجدة سهواً لا تبطل الصلاة، فيأتي بسجّدي السهو.

باطل الوضوء:

- زوجتي عمرها (اثنان وثلاثون) عاماً، اكتشفت بأن وضوءها باطل، حيث تغسل اليدين من المرفق إلى نهاية الساعد دون الكفين، وتعتبر غسل الكفين قبل الوضوء من الوضوء؟
- أعانها الله على إعادة الصلاة، لأن شرط الطهارة واقعي وليس علمياً، وعليها أن تقضي شيئاً فشيئاً.

الدعاء في القنوت:

- هل يجوز القنوت بأدعية من غير القرآن الكريم؟
- نعم، يمكن للإنسان أن يدعو بأيّ دعاء كان.

الصلاة في الحرمين الشريفين:

- هل خيار الصلاة في الحرمين يشمل كامل المدينة؟
- الأحوط وجوباً على رأينا الإتيان بالصلاة قصراً.

الخطأ في النية اللفظية:

□ أحياناً في النية اللفظية للصلاة أقول أصلي فرض الصبح مثلاً بدلاً من قول أصلي فرض الظهر، فهل يتوجب علي إعادة الصلاة ؟

○ إن كان خطأ في اللفظ مع القصد الصحيح فلا إشكال وتصحُّ الصلاة، مع ملاحظة، وهي أنه لا ضرورة للنطق بالنية، بل يكفي فيها القصد .

الصلاة من دون تكبيرة الإحرام:

□ سيدي، لقد بقيت ولمدة طويلة أصلي دون أن أكبر تكبيرة الإحرام، حيث كنت أدخل في الصلاة مباشرة بعد الأذان والإقامة، وقد كنت جاهلاً لذلك، حيث كنت أظن أن الصلاة تقام على ذلك النحو فقط.

○ تصحُّ صلاتك لعدم كون تكبيرة الإحرام شرطاً في حال الجهل والغفلة، إلا أن يكون جهلك عن تقصير فعليك الإعادة.

قصر الصلاة:

□ سافرت إلى بلدٍ غير بلدي للدراسة، وكنت أصلي فيه صلاتي تماماً، وقبل رجوعي إلى بلدي بأسبوع، سافرت إلى منطقة تبعد عن المدينة التي أدرس فيها مسافة شرعية، فبقيت فيها يومين، قصرت الصلاة فيها، ثم عدت إلى مدينة الدراسة، قضيت فيها أربعة أيام، ثم انطلقت إلى بلدي، فما هو حكم الصلوات في الأيام الأربعة الأخيرة من حيث التمام والقصر؟

○ إذا كنت قد اتخذتها وطناً مؤقتاً، باعتبار الدراسة أربع سنوات أو خمس سنوات مثلاً، مثل الطلبة المهاجرين في النجف الأشرف وقم المقدسة، فيجب عليك أن تصلي تماماً، سواء في السنين الماضية أو الأربعة أيام.

الإخفات في صلاة المرأة:

□ هل هناك من دليل على أنه يجب على المرأة أن تخفت في صلاتها حتى

ولو كانت تصلي الصلاة الجهرية؟

○ هي مخيرة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإخفات، وليس الإخفات عليها بواجب إلا في الصلاة الإخفائية كالرجل.

القراءة في الصلاة:

□ لماذا لا يجوز قراءة سورة (الضحى) مفردة في الصلاة، وكذلك (الفيل)؟

○ باعتبار بعض النصوص التي تلزم الإنسان بقراءة (الضحى) و(الفيل) (نشرح معاً، و(الفيل) و(إيلاف قريش) معاً، ولكن لم يثبت كونهما سورة واحدة، ولذا ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك حكم تكليفي بوجوب قراءتهما معاً، أما نحن، فلما كان رأينا جواز التبويض في قراءة السورة، فإنه يجوز قراءة كل سورة منفردة، وإن كان الأفضل أن لا تقرأ كل منهما بمفردها.

الصلاة الإبراهيمية:

□ هل الصلاة الإبراهيمية واجبة؟

○ الصلاة الإبراهيمية دعاء، وليست صلاة بمعنى الصلاة، وهي: ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين))، وعندنا أنه يكفي قول: ((اللهم صل على محمد وآل محمد)).

الصلاة بالحذاء:

□ هل يجوز الصلاة بالحذاء وقت العمل أو غيره، وذلك لضرورة أو لغيرها؟

نرجو توضيح ذلك؟

○ إذا فرضنا كان الحذاء مما يجوز الصلاة فيه ولا يمنع من وضع الإبهام على الأرض حسب شروط السجود، فلا مانع من ذلك، وإلا إذا لم يتحقق شرط السجود، أو كان مما لا يؤكل لحمه، أو ما إلى ذلك، أو معلوم عدم التذكية، فلا يجوز.

السفر مراراً:

□ أعمل في سوريا وأسافر كل أسبوع تقريباً لمدة يوم أو يوم ونصف لزيارة الأهل والأقارب، كيف أصلي خلال فترة الزيارة هذه؛ قصراً أم لا ؟

○ إذا كنت ذهبت إلى بلدك فالصلاة تمام، أما إذا كان غير بلدك، فرأينا أنه إذا زادت السفرات عن الأربعة في الشهر، فهذا يسمى كثير السفر، وتكون هذه الحالة دائمية بالنسبة إليه، أو أنها حالة غالبية، فيتم في صلاته.

الاستعانة في قراءة القنوت:

□ صلاة العيد ركعتان يصلّيهما الإمام، فهل يجوز أن يقرأ القنوت عن الإمام شخص آخر؟

○ لا مانع من أن يذكره، والإمام يجب أن يكون هو الذي يقنت، وليس شخص آخر، والقنوت - أساساً - ليس من التكبيرات في صلاة العيدين، وهو ليس جزءاً واجباً في هذه الصلاة.

رابعاً: الصيام والكفارات:

الصيام بعد شهر رمضان:

□ هل هناك صحة لما ورد باستحباب صيام السادس من شوال؟
 () ليس عندنا روايات صحيحة في هذا المجال، بل عندنا روايات صحيحة أنه يكره للإنسان أن يصوم ثلاثة أيام بعد العيد، لأنَّ الله يريد للإنسان أن يريح نفسه.

إكراه الزوجة على الإفطار:

□ ما هو حكم رجل صائم وقد أجبر زوجته على الجماع خلال شهر رمضان في النهار، وهو صائم وهي صائمة؟
 () إفطاره إفطار عمد، أما إفطار زوجته إذا كانت مجبرة على ذلك، فالأحوط عليها أن تقضي وهو يدفع كفارته وكفارتها العمد.

الإفطار عن عمد:

□ هل يعتبر الإفطار في يوم ما في شهر رمضان تحت ظروف نفسية أو تحت ضغط حالة عصبية أو شجار مع أحد ما إفطاراً عمداً أم لا؟
 () إذا كانت هذه الظروف أو الحالات الصعبة تؤدي إلى خروج الإنسان عن وعيه وفقدانه لإرادته، فليس عليه إلا القضاء، وإلا فيجب عليه القضاء والكفارة، لأنه من الإفطار العمدي.

عدم وفاء بالندر:

□ نذرت صيام ثلاثة أيام متتالية لأمر معين، فحصل هذا الأمر، وبدأت بصيام اليوم الأول، ولكنه لم ينته هذا اليوم حتى أصبت بصداع وإرهاق شديد، نتيجة الحر الشديد، كوني أماً لثلاثة أطفال ومرضعة، فهل يمكنني أن أفي بالندر

في شهر شعبان بدلاً من هذه الأيام الشديدة الحر؟
 ○ إذا لم تعيّنني صيام هذه الأيام في وقت معيّن، فيمكن أن تصوميها في الأيام التي يكون فيها الجو بارداً، والنهار قصيراً، فلا مشكلة في ذلك.

القضاء عن الميت:

□ توفيت والدتي، وبقي عليها صوم لبعض الوقت، تمّ تقديره من قبلنا مع جهلنا لأسباب عدم الصوم، لأننا كنا صغاراً، وأما البعض الآخر، فكان بسبب المرض، فهل ندفع عنها الفدية؟ أم نكلف شخصاً بالصوم عنها مقابل مبلغ معين؟
 ○ إذا كان عدم الصوم من جهة المرض المستمر من رمضان إلى رمضان، فليس عليها إلا الفدية. أما إذا كانت متمكنة من الصوم ولكنها أخرته فلا بد من القضاء.

تأخير قضاء الصوم:

□ كان في ذمتي ٢٥ يوماً صياماً عن شهر رمضان قبل الفاتت، ولكنني لم أتمكن من صيامها قبل رمضان الفاتت، فماذا يجب عليّ أن أفعل؟
 ○ إذا كنت غير قادرة على الصيام طيلة السنة، من رمضان إلى رمضان، بحيث كنت في حالة حمل - مثلاً - وتخافين على الجنين، أو حالة مرضية، فيكفي دفع الفدية.

ثبوت الهلال بالعدد:

□ ما مدى صحة المقولة: (إذا صحّ هلال رجب فعُدّ تسعة وخمسين يوماً وصم يوم الستين)؟
 ○ هذا ليس صحيحاً.

الثبوت الفلكي للهلال:

□ في (تحرير الوسيلة) أكّد الإمام الخميني ة أنه لا اعتبار للهلال فلكياً،

كما في رؤيته بآلة أو تلسكوب، والاعتبار هو رؤيته بالعين، وكلنا نعلم بالتلوث الجوي، والغازات والدخان التي قد تحجب الرؤية البصرية؟

(٨) نحن نقول كما قال السيد الخوئي رحمته الله : إن قضية الشهر أو الهلال هي قضية كونية، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٩)، والعبرة في إمكان الرؤية، فإذا حصل لنا الاطمئنان بذلك فيمكن ثبوت الشهر، وإنما قال الرسول صلى الله عليه وآله: ((صوموا لرؤيته..)) لأنه لم تكن يومذاك وسائل دقيقة لتحديد الرؤية، أما الآن فقد أصبح ذلك ممكناً، بل أصبحت الرؤية بالعين المجردة صعبة نتيجة كثير من العوامل الجوية والكونية، وخصوصاً لجهة وجود الغبار الكوني والغازات التي تحيط بالأرض والتي قد تجعل الإنسان يشاهد ٢٠ هلالاً بدلاً من هلال واحد، وقول النبي صلى الله عليه وآله عندما: ((صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته))^(١٠) توضحه الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من أن ((اليقين لا يدخله الشك)). ولذلك نحن نعتبر أنه عندما يولد الهلال وتمضي عليه مدة تجعله ممكن الرؤية، فإن الشهر يبدأ حتى لو لم يره أحد. ولذا صرحنا بأننا نستطيع من خلال الحسابات الفلكية أن نعرف هلال رمضان بعد ٥٠ سنة. والحمد لله أن هذا الرأي قد بدأ يأخذ طريقه، سواء عند أهل السنة أو عند الشيعة.

قضاء المعاق:

□ رجل معاق، كان يصوم ولكنه كان يقول: كنت أضعف عن الصيام فأفطر، ولكنه لم يقض ما فاتته تهاوناً منه أو غير ذلك، فهل يجب عليه القضاء أو الفدية، وما هو مقدارها عن كل يوم؟

(٨) إذا فرضنا أنه كان قادراً على القضاء ولم يقض، فعليه أن يقضي، وأما إذا لم يكن قادراً على القضاء طيلة هذه المدة، فعليه الفدية، والفدية هي أن يدفع

(٩) التوبة: ٣٦.

(١٠) التهذيب، ج ٤، ص ١٦١، ح ٢٦٦.

الإنسان عن الشهر كلّهُ، عن كلّ يوم ثلاثة أرباع الكيلو من الحنطة أو ما أشبه ذلك.

قضاء الصوم عن الميت:

□ توفيت والدتي وبقي عليها صوم بسبب الولادات والمرض، فهل يجوز لي أن أدفع عنها مبلغاً من المال لبعض الثقات للصوم نيابةً عنها مثلما يدفع للصلاة؟
() إذا استمرت هذه الحالة السلبية من رمضان إلى رمضان آخر، فليس عليها قضاء الصوم، وعليها أن تدفع الدية، عن كل يوم ثلاث أرباع الكيلو من الرز أو الطحين، وإذا فرضنا أنها كانت قادرة على القضاء ولم تقض فلا بد أن يُقضى عنها، إذا كانت تستطيع ولو متفرقاً، أما الصلاة فلا بد من قضائها بعد موتها.

النذر مع عدم القدرة:

□ فتاة نذرت نذراً شرعياً بأن تصوم العشرة الأولى من محرّم - ثم تعين أي محرّم - ولكن عاداتها الشهرية دائماً تأتي في اليوم الخامس أو السادس من محرّم، فما هو حكمها، مع أنها تحتّم أنه قد يأتي يوم لا تكون عاداتها في محرّم؟
() يجوز لها الصوم في الأيام التي لا تصادف أيام عاداتها من العشرة، ويجوز لها التأخير إلى الوقت الذي لا تكون عاداتها في محرّم بلحاظ مفروض السؤال.

تعدد الكفارات:

□ ما حكم من ترتّب عليه عددٌ من الكفّارات بسبب الإفطار في شهر رمضان عمداً؟

() يحاول أن يدفعها بالتدرّج، وإذا كان متمكناً من الدفع في دفعها، وهي إطعام ٦٠ مسكيناً عن كلّ يوم، وإذا لم يكن يملك القدرة، فيحاول أن يدفع بالتدرّج.

صيام شوال:

□ هل يجوز صيام الستة أيام من شوال مع ما فاتني صيامه من رمضان

بنفس النية (نية القضاء)؟

() نعم، يجوز ذلك.

كيفية إطعام ستين مسكيناً:

□ من كفارات الإفطار العمدي في شهر رمضان إطعام ستين مسكيناً، فهل

يمكن إطعام مسكين واحد لمدة ستين يوماً؟

() لا بد من إطعام ستين مسكيناً، ولا يجوز إطعام مسكين واحد لمدة ستين

يوماً.

خامساً: الخمس والزكاة:

التصرف بزكاة الفطرة:

□ شخص عزل الفطرة في ليلة العيد وعزم على إعطائها إلى شخص فقير لا يراه إلا بعد عطلة العيد، وفي اليوم الثاني من العيد احتاج (خردة) لأطفاله، فصرفها بنية دفع مبلغ آخر للشخص الفقير، لأنه متأكد من عدم رؤيته له إلا بعد عطلة العيد؟

○ الأفضل أن لا يتصرف بزكاة الفطرة بعد عزلها، لكن على كل حال، إذا تصرف بها فعليه أن يستبدلها.

دفع زكاة الفطرة في بلد آخر:

□ هل يجوز دفع زكاة الفطرة إلى بلد ثانٍ غير البلد الذي أتواجد فيه لأسباب منها وجود فقراء أعرفهم أو غيرها؟

○ الاحتياط هو في أن تُصرف الزكاة في بلد المكلف إذا كان فيه فقراء، وأغلب العلماء يحتاطون في ذلك، باعتبار أن الذي يستوحى من تشريع زكاة الفطرة التي يدفعها الإنسان، هو لأجل رفع حاجات فقراء كل بلد، لأن قيمتها قليلة. نعم، لو لم يكن هناك فقراء في البلد، فيجوز إخراجها إلى غيره.

نية الدفع بعد العيد:

□ ما نية دفع زكاة الفطرة إذا تذكرها الإنسان بعد العيد؟

○ يدفعها بداعي الأمر المتوجه إليه.

دفع خمس سيارة:

□ نملك سيارة أجرة عمومي عليها بعض الديون التي لم تدخل في ثمنها الأصلي، فكم يجب علينا دفع زكاة سنوية، مع العلم أننا لا نعرف دخلها السنوي

تحديداً، أي يوجد عليها إشارة رهن بقدر ١١٠ آلاف ليرة سوري؟
 () يجب عليك تخميس السيّارة التي أدّيت ثمنها ولا تستثني الرهن منها.
 أمّا دخلها السنوي، فيجب عليك تخميس ما يفضل منه بعد مرور سنة على ملكيّتك له.

خمس أموال متفرقة:

□ عندي روضة أطفال، ولا أعرف ما يدخل وما يخرج من أرباح سنوية، لأن الأطفال ينفصلون قبل نهاية العام الدراسي، مع العلم أنني أعلم عدداً من الأطفال الأيتام مجاناً دون أي مقابل، فماذا يترتب عليّ؟
 () تلاحظ آخر السنة، في ما بقي لك من المال، وتستطيع أن تعتبر تكاليف الأيتام من حصة الإمام عليه السلام، وتعطي الباقي إلى فقراء السادة إذا فضل عليك من الرصيد السابق.

خمس الوديعة:

□ وضع شخص عندي مالاً ومَرَّتْ عليه أكثر من سنة، فقامت قبل أيام بالتصرف فيه على أن أعيده له على دفعات شهرية، فهل يجب الخمس عليّ أم على صاحب المال؟
 () يجب الخمس على صاحب المال لا عليك، ولا يجوز لك أن تتصرف فيه ما دام لم يرخص لك بالتصرف فيه.

صرف الحقوق في العراق:

□ كيف يتصرف مقلدوكم في العراق بالحقوق الشرعية التي عليهم؟ وما هي الأولويات في صرفها؟
 () نحن أجزنا صرف نصف الحقوق على الفقراء والأيتام وعلى الموارد الشرعية، والنصف الباقي هناك لدينا بعض الوكلاء، سواء في النجف أو في غيرها من المحافظات يمكن أن تدفع إليهم.

الزكاة لیتیم غیر مسلم:

□ الیتیم لأبوین مشرکین، هل يجوز إعطاؤه من الزكاة والخمس؟ وهل ذلك مجزوم وبرئ للذمة لا؟

○ ورد في الحديث: ((لكل كبد حرى أجر))، إذا كان یتیمًا وغير بالغ، وكان بحاجة، فلا يبعد جواز إعطائه ذلك.

دفع الخمس للمستحق:

□ إنني من مقلديكم، وعليّ مبلغ خمس ٨٠٠٠ دولار أمريكي، فهل يجوز أن أجعل نصفه كسهم إمام كراتب شهري قدره \$١٠٠ لأحد الأرحام وهو معوق، وله عائلة، وقد قضى في سجون صدام عشر سنوات، وتعوّق في السجن، ولا يملك داراً، ويأكل هو وعائلته مقاسمةً مع والديه، فهل تعطوننا الإذن بذلك؟

○ لا مانع من صرف سهم الإمام في ذلك، على أن يدفع سهم السادة لفقراء السادة بتصرف المرجع.

التكليف بالخمسة:

□ شاب يقيم مع عائلته المكوّنة من والديه وأخوته، وهو غير متزوج، فهل يمكن إجراء الخمس لما لديه من مال بغض النظر عن إجراء الخمس لما على العائلة؟

○ عليه أن يدفع الخمس إذا ترتّب على ماله، ويجوز له أن يأخذ الخمس من جانب آخر، وكل شيء بحسابه.

مستحق الخمس:

□ هل يجوز إعطاء سيّد من سهم السادة، وهو عنده راتب شهري، إلا أنه لا يكفي مصاريفه ومصاريف عائلته؟

(٢) الفقير هو الذي لا يملك مؤونة سنته، يعني في ما يحتاجه من المصاريف، في نطاق مسؤولياته الشخصية والعائلية، فإما أن لا يكون عنده مال نقدي يكفيه، أو معاشه لا يكفيه، فيجوز ذلك.

ضابط الإسراف:

□ ما هو الضابط في السرف الزائد الذي يتوجب فيه الخمس؟
(٣) المراد بالسرف هو الشيء الزائد عن حاجاته الطبيعية والكمالية، فكل إنسان عنده حاجات طبيعية وأخرى كمالية، ولكن ربما يسرف بشكل فوق العادة، مثل الذي يعدّ طعاماً ويرمي نصفه في صندوق القمامة أو ما أشبه ذلك، فالإسراف يحدده العرف.

الخمس في المهر:

□ هل يجب الخمس على المهر علماً بأنه مر عليه حول؟
(٤) لا يجب الخمس فيه.

الخمس في أموال لشراء منزل:

□ إنني بصدد شراء منزل لأسرتي، ويتطلب ذلك جمع المبلغ لمدة ثلاث سنوات، فهل يجب إخراج الزكاة عشرة آلاف عن كل السنة؟
(٥) طبعاً، كل مال تمر عليه السنة يجب الخمس فيه، والله تعالى سوف يبارك لك فيه أكثر، ويمكن أن يرزقك أكثر من العشرة آلاف دولار إذا أخرجت حق الله منها.

سادساً: الحج والعمرة:

حج الزوجة من دون إذن الزوج:

□ والدتي على خصام مع والدي، فهل يجوز لها الذهاب إلى الحج مع عدم قبوله؟ علماً أنها ذهبت لزيارة الإمام الرضا عليه السلام دون موافقته، فهل زيارتها مقبولة؟
○ إذا كان الحج واجباً عليها، فلا قيمة لرفضه، فيجوز لها الحج، أما إذا كانت غير مستطية للحج، أو لم يكن الحج واجباً عليها، فلا يجوز لها الذهاب، لأن عملها حينئذٍ يكون معصية.

تزاحم الخمس والحج:

□ أريد الذهاب إلى الحج أنا وزوجتي، والمبلغ المتوفّر ١٤٣ ألف ليرة سورية، وهو يكفي للحج، ولكن عليّ دين ٥٠ ألف ليرة، ولي على الناس دين ٣٢ ألف ليرة، فكيف أخمّس؟

() عليك أن تخمّس المال إذا كان الدين من سنين سابقة، وأما إذا كان من ديون السنة نفسها، فلا بد من استثنائه، وتخمّس المبلغ الذي عندك، كما تخمّس زوجتك المبلغ الذي تملكه مما وفّرت مع مرور حول على المال عندك وعندها.

الوصية بالحج:

□ توفيت والدتي وأوصت لي بأن أذهب نيابةً عنها لأداء فريضة الحج، وتركت مبلغاً كافياً لذلك، علماً بأنني لم أذهب سابقاً، وكذلك توجد عليّ بعض الديون لا أستطيع تسديدها في الوقت الحاضر، فهل ينبغي عليّ تنفيذ الوصية، مع العلم أنني راغب جداً بذلك؟

() تارة تكون مستطيةً وأخرى لا تكون مستطيةً، فإذا كنت مستطيةً فليس لك أن تذهب نيابةً، وعليك إما أن تتوب عنها في السنة القادمة بعد أن تحجّ هذه السنة، أو إذا كانت الوصية تسمح بأن تستأجر شخصاً لأن يحجّ عنها، أما إذا

كنت غير مستطيع أصلاً، وليس عندك المال للذهاب إلى الحج، فيجوز لك أن تذهب نيابة عنها إذا كنت قادراً على أن تذهب للحج بشروطه وتؤديه بشروطه الشرعية.

ثقافة الحاج:

□ أرغب في أداء مناسك الحج هذا العام إن شاء الله، فما هو الكتاب الذي تنصحون باصطحابه، مع العلم أنني من مقلديكم؟

○ لا بد أن يكون معك كتاب (مناسك الحج) حتى تعرف كيف تحج، وأنصح بالصحيفة السجّادية، فهي في القمة من الأدعية التي تختزن الجانب الروحي والجانب الأخلاقي والاجتماعي.

المساعدة على أداء الحج:

□ والدي شهيد وأمي طاعنة في السن، ولم تذهب إلى الحج، وليس عندها استطاعة الحج من مال، وأخي قادر على مساعدتها لتحج، فهل يجب على أخي مساعدتها للذهاب إلى الحج، وإذا لم يفعل ذلك هل يآثم؟

○ لا يجب على أخيك أن يحقق لأُمك الاستطاعة للحج إذا لم تتمكن هي من ذلك، ولكن إذا بذل ذلك لها وكانت تحب ذلك وتقدر عليه كان برّاً بها.

فائدة المبيت بمنى:

□ ونحن على أبواب الحج، ما هي الحكمة المستقاة من المبيت في (منى) ورمي الجمرات؟

○ أما قصة المبيت في (منى)، فهو يمثل نهاية العمل، فبعد أن ينتهي الإنسان من الذبح ورمي الجمرات، فإنه يبيت في الليل ليتأمل، فيحسب حساب العمل الذي قام به، والنتائج الروحية التي حصل عليها، فينقد ما فعله من سلبيات، ويشكر الله سبحانه وتعالى على الإيجابيات.

أما مسألة رمي الجمرات، فهو شيء رمزي للشيطان؛ إذ هي مجرد أحجار يرميها، باعتبار أن الشيطان عندما ينتهي الحج، يكمن للمسلم الحاج في الطريق حتى ينسيه كل شيء في هذا الموضع، ولذا يقول بعض الباحثين (إن الحج يبدأ من حيث انتهى)، وقد ورد في بعض الأحاديث: ((لا يعبأ الله بمن أم هذا البيت إذا لم يكن فيه خصال ثلاث: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يردُّ به جهل الجاهل، وخلق يداري به الناس))^(١١). فيجب على الإنسان عندما يخرج من الحج، أن يعيش إنسانيته والتزامه حتى يعبأ الله به.

كفارة التظليل:

□ إذا كان على الحاج كفارة (تظليل) واحدة ولا يستطيع أداءها لأسباب مالية وهو غير مستطيع حالياً، فهل هناك من حلٍّ مثل الصوم أو ما شابه؟ حيث إنه لا يريد أن تبقى عليه هذه الكفارة حتى يكون مستطيعاً؟

○ يمكن أن ينتظر حتى يتمكن ولو بعد حين، فهذه الكفارة ليست فورية، ويمكن أن يذبح الشاة التي تترتب عليه في بلده للفقراء، لذا يمكن للإنسان أن يؤخرها إلى حين استطاعته.

العمرة نيابة عن أشخاص:

□ أنوي القيام بزيارة للعمرة، إن شاء الله تعالى، ولي أصدقاء وأحبة، أرغب بعمل عمرة بدلاً عنهم، هل يجوز أن تكون هذه العمرة لمجموعة من الأشخاص مرة واحدة، أم لكل فرد عمرة؟

○ إذا كانت العمرة مستحبة، فيجوز له أن ينوب عن هؤلاء الأشخاص بآجمعهم، ولكن إذا كان قادراً على أن يأتي لكل فرد عمرة، فهو أفضل.

إجزاء الحج:

- ما الحكم الشرعي لامرأة ذهبت إلى الحج، وعند وصولها إلى بيت الله الحرام، توفيت ودفنت عند شعب أبي طالب، هل تحسب لها الحجة؟
- نعم، إذا وصلت إلى بيت الله الحرام، لا يبعد صحة حجّها.

حدود الأماكن المقدسة:

- ما هي حدود الأماكن المقدسة الجغرافية والمعنوية حتى تصبح تلك الحدود مقدسة؟
- لا يوجد حدود للأماكن المقدسة، بالمعنى الشرعي للحدود. نعم، بالنسبة إلى مكة، فإن لها حدوداً معينة مذكورة في مناسك الحج، وكذلك بالنسبة للمدينة. نعم، ورد بالنسبة للحائر الحسيني والكوفة بعض الأحكام، وهي محلّ مناقشة.

الهدي في الحج:

- هل ذبح الغنم أمر تقليدي لا بد للحاج أن يفعله في (منى)، أم يمكن أن يقوم بعملية الذبح في بلاده وخارج السعودية؟
- لا بد أن يذبحه في منطقة الحج، فإذا لم يمكنه ذبحه في (منى)، فيمكنه أن يذبحه في وادي (محسر)، فإن لم يمكن ففي منطقة الحج؛ لأنّ الهدى من شعائر الحجّ وما كان كذلك فلا بدّ من فعله في الحجّ.

دفع قيمة الهدى:

- هل يمكن أن يصرف قيمة الذبح لمشروع آخر؟ بمعنى أن يشتري الحاج المواد الغذائية للفقراء؟
- كلا، فليتصدق بشيء ثان، وهذا فيه جانب روحي، وفيه جانب مادي، وعليه فالذبح واجب.

شرط الختان في الحج:

□ من شروط الحاج أن يكون مختوناً، فما حكم من ذهب إلى بيت الله دون أن يختتن جهلاً بالحكم الشرعي؟

○ يبطل طوافه. ويقول بعض الفقهاء إنه في حالة الجهل أو إذا كان قاصراً يصح ذلك، ولكن المشهور على خلاف ذلك.

الوساطة للحج:

□ في هذه الأيام - كما تعلمون - السلطات السعودية حددت عدد الحجاج من كل دولة، ما يجعل فرصة الحصول على التأشيرة صعباً، ولكن يوجد العديد من الأشخاص ممن يملكون (الوساطة) التي تؤمن لهم الحصول على التأشيرة دون غيرهم، والحال أن هؤلاء - كلهم أو أغلبهم - إنما يحجون حجاً ندباً، ويفعلهم ذلك يمنعون غيرهم ويضيعون الفرصة عليهم لتأدية حجهم الواجب، فهل ترون أن هذا العمل جائز؟ وما هي نصيحتكم لهؤلاء؟

○ لا يبعد الإشكال في ذلك بلحاظ العنوان الثانوي بما يستلزم الاحتياط الوجوبي، ولكن الحج صحيح مع عدم الالتفات إلى ملاك المنع. إنني أنصحهم بأن يتقربوا إلى الله بإفساح المجال للمؤمنين لتأدية الحج الواجب عليهم، وأن يتصدقوا على الفقراء من العوائل المستورة ليحصلوا على ثواب سبعين حجة، كما ورد في الحديث عن الإمام الباقر^{عليه السلام}. هذا كله إذا كان المقصود بالحج الندبي الحصول على الثواب، أما إذا كان المقصود التبليغ بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والوعظ والإرشاد وخدمة الحج وغير ذلك من المصالح العامة، فلا إشكال في عملهم هذا، والله العالم.

تأخر الحاج عن الوصول إلى منى:

□ ما حكم الحاج الذي تأخر في الوصول إلى منى بسبب الازدحام مدة ٤٥ دقيقة بعد الساعة الثانية عشر ليلاً من ليلة الثاني عشر، ولولا الزحام لوصل قبل

الثانية عشرة ليلاً؟

() ليس عليه شيء .

سابعاً: الزواج والطلاق:

تبعية الزوجة للزوج:

□ إذا حصل الرجل على عمل خارج بلده، فهل يجوز له أن يجبر زوجته على السفر معه رغم معارضتها؟
 () على الزوجة أن تطيع زوجها في سكناه إذا لم يكن لها عذر شرعي في الامتناع.

حق الزوجة في الطلاق:

□ نحن فتيات في الشرق لا يتاح لنا التعرف الكامل على من يتقدمون للزواج بنا، ولا طريق لنا إلى ذلك غالباً، فعندما تتزوج إحداً من رجل، تشعر بعد الزواج به أنها لا ترتاح معه، ولا وجود لأي انسجام بينهما، فهل لها طريق للانفصال عنه إن كان يرفض كلاً من الطلاق أو الخلع رفضاً قاطعاً، وكان ملتزماً بأداء حقوقها الشرعية من نفقة وغيرها، أم أنها مجبرة على أن تحصد ثمار موافقتها الخاطئة على الزواج؟

○ هذا الأمر ليس إسلامياً في قاعدته، لأن كل الفقهاء يقولون: إنه يجوز للإنسان أن ينظر إلى المرأة التي يريد أن يتزوجها، وحتى ورد في بعض الأحاديث: جواز أن تخفف له الثياب. هذا أولاً، وثانياً: يمكن أن يجلس معها مع الحفاظ على الحدود الشرعية في الضوابط بين الأجنبي والأجنبية. وثالثاً: إن المشكلة هي في الآباء والأمهات والعائلة، التي تضع الحواجز بين الفتيات وبين أن يتعرفن على أزواجهن. وعلى كل فصي هذه الحال، على الفتاة أن لا توكل إلا بعد أن تقتنع من خلال وسائل الاقتناع التي تتاح لها ولو من خلال الاستشارة، لكن إذا التزمت بشيء فإن عليها أن تلتزم به، لأن العقد شريعة المتعاقدين، وهي عندما تلتزم يجب أن تحترم كلمتها، فإن الزواج طريق لا بد من السير فيه إلا عند بعض

المنعطفات. نعم، لها أن تشترط ضمن عقد الزواج أن تكون وكيلة عنه في طلاق نفسها، أو تجعل الوكالة بيد شخص آخر تثق به، بحيث إذا وصلت إلى طريق مسدود تستطيع أن تطلق زوجها، أي تطلق نفسها من زوجها بحسب الوكالة التي أخذتها منه.

الرجوع عن الطلاق:

□ رجل طلق زوجته خلعاً، وبعد الخروج من المحكمة توافقا على العودة عن الطلاق، فضمها وقبلها دون ذكر العودة عن البذل وما شاكل، ومن ثم افترقا، وتزوجت من رجل آخر، فما حكم طلاقها من الأول بعد التقبيل؟ وما حكم الزواج من الثاني؟

○ إذا لم تتراجع الزوجة عن البذل، فيبقى الطلاق بائناً لا رجعياً، ولا أثر للتقبيل والعناق في الرجوع، لأنها في عدة بائنة لا رجعية، وفي ضوء ذلك، فإن الزواج من الثاني إذا كان بعد انتهاء عدتها من الطلاق الأول صحيح.

عمل الزوجة في البيت:

□ هل يجوز أمر الزوجة بخدمة الزوج والأولاد داخل البيت، وهل يجب على الزوج المساعدة في شؤون المنزل؟

○ المنزل للمرأة والرجل معاً، فعليهما معاً أن يتعاونوا في ذلك. ويقال إن السيدة الزهراء ؑ اتفقت مع الإمام علي ؑ أن تعمل في البيت بأن تطحن وتعجن وتخبز، وأن عليه ؑ أن يكنس ويحتطب ويستقي. إن شغل البيت شرف للإنسان، فبعضهم مستعد أن يصير كنّاساً في الشارع أو في المطعم أو يغسل الصحون، كما بالنسبة شبابنا الذين يذهبون إلى أوروبا أو أمريكا، لكن عندما يأتي إلى البيت لمساعدة زوجته وأولاده، فإنه يتعالى على هذا العمل. يجب أن نغير عقليتنا في هذا المجال، خصوصاً من ناحية الفتوى، حيث إن المرأة لا يجب عليها أن تشتغل في المنزل إلا إذا اشترط عليها الزوج ذلك.

مشروعية الزواج المؤقت مع الدائم:

□ أنا متزوج من امرأة زواجاً منقطعاً في مدينتي التي توجد فيها زوجتي بالزواج الدائم، فهل يجوز ذلك؟
○ ليس محرماً.

حدود المعاشرة:

□ هل يجوز معاشرة الزوجة أثناء فترة الحيض، بغير المحرم من ذلك؟
○ بالنسبة إلى المعاشرة الكاملة (الجماع) فإنها لا تجوز؛ لأن الله سبحانه وتعالى نهانا عن أن نقرب النساء في الحيض، قال تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾^(١٢)، ولكن في غير العلاقة الجنسية الكاملة، فيجوز للإنسان أن يستمتع بزوجته.

إخبار الزوجة بالزواج الثاني:

□ شخص متزوج وأحب أن يتزوج من أخرى، لكنه لم يخبر زوجته، وكذلك لم يخبر الفتاة التي يريد الزواج بها أنه متزوج سابقاً، فهل يجوز ذلك؟
○ هو ليس محرماً، ولكنه لا يخلو من الغش للثانية على الأقل. بعض الناس يقول لك هذا حلال، وهو صحيح حلال، ولكن بعض الحلال يحتاج إلى قليل من الأخلاقية، ومن باب النكته، لو فرضنا أنه سبحانه وتعالى أباح للزوجة أن تتزوج من عدة أزواج، فهل يقبل الرجل أن تذهب زوجته لتتزوج رجلاً آخر دون أن تخبره؟ أنا لا أريد أن أعقد مسألة الزواج، لأن الله سبحانه وتعالى أباح ذلك مع العدل، لكن على الإنسان أن يعيش، حتى في ممارساته للمباحات، الإنسانية، لأن الزوجة إنسان، وهي تعمل من الصباح حتى المساء وتشتغل لك وتربي لك أولادك، وتنظف بيتك، وما إلى ذلك من الأمور، ألا تستحق أن تتحمل هذه الزوجة

قليلاً إذا لم تكن لك ضرورة ولا حاجة فوق العادة، وأنا لا أريد أن أعلق على الموضوع، فالمبدأ هو أن هذا هو حلال في ذاته، لكن على الإنسان أن يحاول أن يدرس هذا الحلال. مثلاً، عندما تريد أن تشرب الماء، والماء حلال، لكن ما هو رأيك في أن تشرب في اليوم الواحد غالوناً واحداً؟ هو حلال، ولكن عليك أن تشرب مقدار حاجتك.. كذلك في مسألة الزواج، بحيث يعيش الإنسان حاجاته، وعندما تصطدم حاجاته بحاجات الآخرين، عليه أن يعرف كيف يمكن أن يوفق بينهما باللطف، ولذا جعل الله تعالى العلاقة بين الرجل والمرأة معروفة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١٣)، وما إلى ذلك.. كما أن إقناعك للمرأة الثانية بالزواج منك وهي تظن أنك غير متزوج، هو غشّ، وفي بعض الحالات إذا قبلت الزواج منك على أساس شرط ضمنى بعنوان أنك غير متزوج، فعندئذٍ لها الحق أن تفسخ العقد، لأنه تدليس.

التنازل عن المهر:

- هل هناك صيغة معينة يجب أن تقولها الزوجة لتتنازل عن مؤخرها؟
- بكلمة أبرأت مثلاً، فإذا كانت عملية الإبراء مما في ذمته من المهر المؤجل فأية كلمة تعطي معنى الإبراء تكون مجزية.

انفصال الخطيبة:

- إذا طلبت الخطيبة الانفصال. مع وجود الكتاب الشرعي. ما هو الحكم الشرعي بالنسبة لكل واحد منا، من حيث المهر والحقوق وغير ذلك؟
- هذه القضايا يجب أن تُحلّ بالتفاهم، وهو لا يجب عليه الطلاق، ولكن إذا هي رفضته، فالمفروض عدم التمسك بها، وتوجد كلمة للإمام علي عليه السلام: **إذا**

((رغبتك في زاهد فيك نقص، وزهدك في راغب فيك حمق))^(١٤)، وعادةً عندما تطلب المرأة الطلاق، فلا يجب على الرجل الطلاق، وله أن يطلب منها أن تتنازل عن حقوقها.

الزواج في حال الخطبة:

□ هل يجوز للمرأة الثيب أن تتزوج زوجاً منقطعاً من رجل في حال كونها مخطوبة لرجل آخر؟

() إذا كانت مخطوبة، بمعنى معقوداً عليها، فلا يجوز. أما مجرد خطبة، من دون عقد، فيجوز، لأنها خلية من الزواج، لكنها في الوقت نفسه ربما تخرب خطبتها لهذا الرجل، بطريقة أو بأخرى، وعليها أن تحتاط لنفسها في ذلك.

الزواج المتعدد:

□ هل تعدد الزوجات وتحديدها بأربعة ثابتة في الإسلام فقط أم في باقي الأديان السابقة؟

() لم يذكر تحريمها في الأديان الأخرى، ولو كان المسيحيون يتصورون ويعتقدون أن هناك نصاً على التحريم ولكنه ليس ثابتاً في هذا المجال. والإسلام عندما حدد الزواج بأربع، فلأنه كانت هناك فوضى بالنسبة إلى قضية الزواج، فأراد أن يقف ضد هذه الفوضى وأن يحددها ويضع لها شروطاً معينة.

إرهاق الزوج:

□ ما هو رأيكم الفقهي بمن تطلب منه خطيبته أموراً لا علاقة لها بالشرعة الإسلامية، مثل الخروج إلى المطاعم وغير ذلك، على الرغم من عدم توفر الإمكانيات المادية، وهل هو برأيك يتطلب الطلاق؟

(١) لا يجب عليه أن يستجيب لها بذلك، ولاسيما إذا كانت هناك موانع شرعية، بغض النظر عن كون هذا الطلب من خطيبته أو غيرها، وأما قضية أنها تطلب الطلاق، لأنه لم يطعها في تحقيق الأشياء التي قد تكون محرمة أو تكون على خلاف الخطوط الأخلاقية الإسلامية، كما نعبّر عنه (ابن عم الحرام) في بعض الحالات، فإن هذا غير مبرر.

منع الزوجة حقها:

□ بنت تزوجت من شخص، وبعد ذلك انفصلا، ولكنه سافر إلى الخارج ومنعها من حقها، ومن ضمن حقها كانت حجة لبيت الله الحرام، فما هو عقابه عند الله تعالى؟

(٢) هو عقاب كل من يسلب مؤمناً حقه.

المطالبة بالطلاق:

□ ما هي الأمور التي تستوجب أن يطلق الرجل زوجته؟

(٣) الله سبحانه وتعالى جعل الطلاق بيد الرجل، وهذه تختلف حسب اختلاف الأمور والأحوال، قال تعالى: «فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»^(١٥)، يعني يجب أن تدرس العناصر التي تدفع الرجل للطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله، ما يفرض عليه أن لا يلجأ إليه إلا في حالات الضرورة القصوى.

المصارحة في الزواج:

□ أنا أريد أن أتقدم لخطبة فتاة سنية، فهل يتوجب علي أن أقول لها أنا

شيعي؟

○ عليك أن لا تغشها، فالإفصاح جيد، لأنها إذا تزوجتك بحيث كان العقد

مبنياً على أنك سني، فلها الحق في الفسخ؛ لأنه تدليس.

بطلان الزواج:

□ لو تزوجت امرأة مسلمة من رجل نصراني، فهذا العقد باطل، فهل لها عدة أم لا؟ وإذا كان لها عدة فكم هي؟

() العقد باطل، وليس لها عدة إذا كانت عالمة بحرمة الزواج، لأنها تكون زانية، ولا عدة للزانية، ولكن إذا كانت جاهلة بالحكم، وتتصور أن هذا جائز، وانتهت بعد ذلك، فلها عدة وطء الشبهة.

التفاوت بالنسب بين الأزواج:

□ هل يجوز أخلاقياً وعرفياً لرجل عمره ٣٢ سنة أن يتزوج من امرأة عمرها ١٧ سنة؟

() ما هو المانع؟ الآن النبي ﷺ، وهو قدوتنا تزوج عائشة وعمرها ١٠ سنوات، وكان عمره ٥٣ أو ٥٤ سنة، فلا شيء في ذلك، إذا كان الزواج قائماً على التراضي الذي يخضع لاعتبارات كثيرة في الزوجين مما يضمن مصلحة المرأة والرجل.

زواج الرشيدة:

□ أرجو التفضل بإعلامي هل بالإمكان الزواج من فتاة بكر وبالغ بدون علم ذويها؟

() نحن نعتقد - كما يعتقد الكثير من العلماء، ولعله المشهور - أن البالغة الرشيدة، كالبالغ الرشيد، يعني أنها مستقلة كما أن البالغ الرشيد مستقل، قال تعالى: ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْضِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِالله

حَسْبًا^(١٦) ، وهذا كناية على أن البلوغ والرشد، هو الذي يجعل الإنسان مستقلاً، ومثلما يكون مستقلاً في ماله، يكون مستقلاً في اتخاذ قراراته.

ولذلك، لا توجد ولاية للأب على البنت البالغة الرشيدة، ولذا مثلاً - وهذا فيه إجماع كل العلماء - لو فرضنا أن هذه البنت البكر البالغة الرشيدة، توفي أبوها وجدّها لأبيها، الذي يعتبرون أن له الولاية أيضاً، فليس لأحد ولاية عليها حتى تزوّج نفسها. ومع ذلك، فإن الذين يقولون باستقلالها في مسألة الزواج إذا كانت بالغة رشيدة، يقولون: تنصح أو يستحب لها، أو هو احتياط استحبابي، مراعاة الأب وما شابه ذلك، أمّا من الناحية الشرعية فلا ولاية لأحد عليها، لأنه لو كانت هناك ولاية، فإنه يقتضي أن تنتقل ولايتها للحاكم الشرعي، وهذا ما لا يقول به أحد منا. ونحن رأينا - كما هو الكثير من العلماء، ومنهم السيد محسن الحكيم رحمته - أنه لا ولاية لأحد على البالغة الرشيدة البكر، وإن كنا ننصح باستئذان الأب، لأنها قد تخدع، ولا اعتبارات أخرى تتعلق بحياتها، خاصة في مجتمعنا الذي قد يجد في ذلك عاراً.

طلب المرأة الطلاق:

□ متى يحق للمرأة أن تطلب الطلاق؟

ج: إذا كان زوجها لا ينفق عليها، أو إذا كان يضطهدّها ويتعسّف معها، بحيث تشعر بالخطر أو بالحرج، وإذا كان زوجها يمنعها حقوقها الزوجية الجنسية، فلها أن ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي لتطلب الطلاق، ليخيره بين أن يقوم بحقوقها، أو يطلقها، فإذا امتنع منهما، طلقها الحاكم الشرعي.

تنازل المرأة عن حقوقها:

□ إذا كانت الزوجة كثيرة الخطأ، بما في ذلك التناول على الزوج بكلمات مهينة، وهي تقول للزوج اضربني واشتمني وافعل بي ما تشاء، المهم ألا تطلقني،

فهل يجوز للزوج ضربها في حال أساءت ما دام أن ذلك أهون من طلاقها؟

(١) ليس لها أن تقول له اضربني أو اشتهمني أو ما إلى ذلك.. فلا يجوز لها ذلك، لأنه أمر محرّم، فشتّم المؤمن محرّم، وهو ليس مسلّطاً على نفسه أن يطلب من الناس أن يضربوه أو يشتموه، وعلى الرجل إذا كان عاقلاً وحكيماً أن يعالج المشكلة لدى زوجته بطريقة عاقلة حكيمة.

الطلاق بدون علم الزوج:

□ شخص عراقي في بلاد الغرب طلق زوجته خلعاً بدون حضوره، وهما من مقلّديكم، فما حكم هذا الطلاق، علماً بأنه متمسك بها؟

(١) يصحّ في كون الطلاق بدون رضاه، ومن دون وكالة منه، إذا فرضنا أن الطلاق كان نتيجة حكم الحاكم الشرعي، وذلك إذا ثبت عنده أن الزوج لا ينفق على زوجته، أو أنه لا يقوم بحقوقها، ولكن لا بد من إبلاغ الزوج بذلك وإرجاء القضية على أساس أن يكون هناك ترافع، فيكون الأمر للحاكم الشرعي مع مراعاة الشروط، فإذا طلقها الحاكم الشرعي، فيكون الطلاق صحيحاً، أما غير ذلك، فالطلاق باطل.

الزواج من فتاة أكبر سناً:

□ ما رأيكم بزواج الشاب من فتاة أكبر منه سناً؟

○ لا مانع من ذلك إذا لم يكن الفارق في السن موجباً لإحساس الشاب بعد فترة زمنية معينة أنه أخطأ في هذا الزواج، وذلك لأنه من الممكن أن يكون ذلك سبباً للتفكير في الزواج الثاني أو الطلاق، وقد لا يكون هذا الأمر موجوداً كلياً، ولذا فلا بد من دراسة الأمر قبل الإقدام على هذه الخطوة، وإن كنا لا نحيد ذلك إذا كان الفارق كبيراً.

الطلاق بعد الزواج المؤقت:

□ إذا انقلب العقد المنقطع إلى دائم حال عدم تحديد الأجل، ففي حالة

الانفصال؛ هل يطلق لفظ الطلاق؟ أم يهب المدة الباقية؟

○ كلا، عليه أن يطلق؛ لأنه إذا انقلب إلى عقد دائم صار حكمه حكم العقد الدائم.

الزواج من ابنة زوجة الأب:

□ هل يجوز لشخص أن يتزوج من ابنة زوجة أبيه المتولدة من غير أبيه، سواء كانت الأم في عهد أبيه أم منفصلة عنه؟
○ لا مانع من ذلك، لأنها ليست أخته، وهي أجنبية عنه.

تأثير العرف في الأحكام:

□ ألا يعتبر (العرف) شرطاً ضمناً في عقد الزواج؟ والعرف يقول إن مسؤولية البيت على المرأة؟
○ لم يصل الأمر إلى هذا الحد؛ لأن المرأة لا تقوم في البيت كموظفة ملزمة، وإنما تقوم لشعورها باعتبار أنها جزء أساس من الأسرة، وقد سئل السيد الخوئي رحمته عن هذه المسألة، فكان جوابه: إن المرأة إنما تتبرع بالأعمال المنزلية ولا تعمل على أساس أنها موظفة، بحيث يكون لزوجها الحق في محاسبتها، وما أشبه ذلك، فليس الأمر كذلك.

الزواج بالمعاطاة:

□ بالنسبة للزواج المؤقت، هل تقرون بزواج المعاطاة؟ وما هي التفاصيل لذلك الزواج؟

○ الزواج لا بد أن يصدر باللفظ، أي بالعقد اللفظي. نعم، إذا أصبح الناس يعتبرون عقد الزواج مثل عقد البيع مثلاً، حيث كان البيع يقع باللفظ عرفاً، ثم أصبح يقع بغير اللفظ، بلحاظ أن تعارف ذلك بين الناس بشكل شبه شامل جعل الفعل كاشفاً عن الالتزام النفسي العقدي الجدي بمضمون العقد (عقد البيع)، فربما يصح ذلك في الزواج إذا وصل الأمر في الاعتبار العقلاني إلى هذا

المستوى من الانتشار. لكن العالم كله حتى الآن، يرى أنه لا بدّ في الزواج من توثيق لفظي، سواء في الزواج المؤقت أو الزواج الدائم. والمقصود من المعاطاة عدم اعتبار اللفظ، فيصح - مثلاً - إذا حصل بما أسمىناه بالعرف العالمي، بإهداء الخاتم مثلاً أو وضعه في إصبع الزوجة، ولا نعني بالزواج المعاطاة المباشرة الجنسية؛ لأنها متفرّعة - على تقدير القول بصحة الزواج المعاطاتي - على فرض سبق العقد، فلا يكون محققاً له.

إذن الزوجة بالزواج الثاني:

□ هل يجوز للرجل المتزوج أن يتزوج زوجاً مؤقتاً من كتابية أو مشركة بدون إذن زوجته؟

○ يجوز الزواج المؤقت من كتابية، ولا يشترط إذن الزوجة المسلمة، لأن الإذن مشروط بحالة الزواج الدائم، على خلاف بعض الآراء التي تشترط الزواج بالكتابية على المسلمة بالإذن من المسلمة دائماً أو مؤقتاً. أما الملاحدة أو البوذية، يعني التي لا تدين بدين أهل الكتاب، ولا تنتمي إليهم، فلا يجوز الزواج بهن. ولكن هناك نقطة لا بد أن يلاحظها الكثيرون في الزواج المؤقت من الكتابية، لأن هذه الكتابية قد لا تقصد معنى الزواج المؤقت، لأنها لا تعترف به، وتقول لك 'زوجتك' نفسي' لمجرد أنها ترضيك إذاً لا بد من إحراز القصد الجدي للزواج المؤقت بمعناه حتى يصحّ الزواج.

تقسيط مؤجل الزواج:

□ هل من الممكن دفع المؤخر بالأقساط؟

○ هذا على حسب الشرط بينك وبين زوجتك في عقد الزواج.

نظام العدة:

□ نعلم أن المرأة بعد طلاقها أو بعد انتهاء مدة العقد في الزواج، تنتظر

مدة من الزمن يتخللها أكثر من حيض، وذلك للقطع بنقاء الرحم وعدم وجود

الحمل، ألا ترون أن بعض الطرق العلمية الحديثة كاللؤلُب - مثلاً - تعطينا اليقين بعدم وجود الحمل، وهذا هو نفس هدف العدة، ألا يمكن أن ينتفي اعتداد المرأة بعد كل زواج؟

(١) أولاً، إننا نناقش الصغرى، فإن هناك حالات تجد فيها نساء يضعن اللؤلُب قد حملن، إذاً طريقة اللؤلُب ليست مضمونة ١٠٠٪، ثم إن التشريعات عادةً . في العالم كله وليس فقط التشريع الإسلامي . تلاحظ المسألة النوعية، وليس عندنا تشريع إيجابياته بنسبة ١٠٠٪، أو سلبياته ١٠٠٪. ولو فرضنا أن شخصاً عقيماً وامرأة أخرى غاب عنها زوجها خمس سنوات، وطلّقها، أو تمّ استئصال رحمها، من المؤكد في كلّ ذلك أنّه لا يوجد حمل، ومع ذلك فهناك عدة، لأنّ العدة وضعت من خلال ملاحظة القضية النوعية في مثل هذه الحالات للاحتياط، وذلك أن لا يحدث خطأ في هذا الجانب أو ذاك، فالأحكام الشرعية توضع للجو العام وللنوع، ولا توضع لكل شخص. نعم، توجد أحكام توضع لكل شخص، مثل حرمة شرب الخمر، وحرمة الزنا، أمّا تلك الأحكام كالعدة، فيلاحظ فيها الجانب النوعي ولا يلاحظ فيها الجانب الشخصي.

الرجوع عن الإبراء:

□ إذا تنازلت الزوجة عن مؤخرها، فهل يجوز لها أن تتراجع عن ذلك إذا حصل الطلاق فعلاً؟

(١) إذا أبرأت ذمته من ذلك، فلا تستطيع العودة، لأنّه إذا أسقط الإنسان دينه فإنه لا يعود عن الإسقاط والمؤخّر هو دين، وكل إنسان له دين على آخر إذا أبرأه فليس له أن يرجع عن الإبراء.

ثامناً: أموال وبنوك:

التعويض مع الإنفاق:

□ هجر والدي عائلته وتزوج امرأة أخرى، وهو يسكن حالياً في أوروبا ولم ينفق علينا، وتحملت مسؤولية نفقة والدتي وأخوتي الصغار، فهل يحق لي المطالبة شرعاً بالتعويض على النفقة، علماً أنه مترف في أوروبا؟

() ليس لك ذلك وأنت متبرع ومأجور أجراً كبيراً على ذلك، وهو مأثوم في ترك النفقة على والدتك وعلى أخوتك، ولكن هذا لا يقتضي المطالبة بالتعويض. مع العلم أن لوالدتك وأخوتك الحق في مطالبتك بالنفقة، كما أن نفقة والدتك تبقى ديناً في ذمته إذا لم تسامحه بذلك.

التصرف بالوديعة:

□ إذا تم وضع وديعة من المال عند أحد الأشخاص لمدة عام كامل، وتم بعد نهاية العام إعادة المبلغ، ولكن زيادة على المبلغ المودع بنسبة ١٠٪، فهل يجوز ذلك إن كانت هذه الزيادة مشروطة، هل تجوز إن كانت غير مشروطة؟

() إذا كانت مشروطة فلا تجوز، لأنه يعتبر ربا، وقد ورد أنه جاء الربا من قبل الشرط بالزيادة، فمعناه أنت أعطيته مثلاً مائة على أساس أن ترجع إليه ١١٠، فهذا ربا. أما إذا لم تكن مشروطة، أي أعطيته ولم تشترط عليه بشيء فإنه يجوز، حتى إنه ورد في حديث أحد الأئمة عليه السلام: ((خير القرض ما جرَّ منفعة، قال: أو ليس كل قرض يجزى نفعاً فهو حرام، قال: جاء الربا من قبل الشرط وإنما تفسده الشروط))^(١٧). فإذا أقرضك شخص مالا وأحببت أن تردَّ له جميله فأعطيته هذه الزيادة من نفسك، فربما يستحبُّ ذلك .

مفاعيل الغصب:

□ شخص غصب بيتاً، وكان ذا طابق واحد، وبمرور السنين بنى هذا الشخص الغاصب طابقين فوقه، وبمرور الزمن سقط الطابق الثالث ولم يلحق الضرر بالطابقين الأولين، ثم تاب هذا الشخص الغاصب وأراد تسليمه إلى صاحبه الشرعي، فهل عليه خسارة الطابق الذي بناه ثم سقط؟

○ لا، لأن هذا الطابق لم يملكه هو، ولا هو الذي يملكه، لأنه غاصب للفضاء، ولم يملكه أيضاً صاحب البيت، لأنه ليس له علاقة به.

المسؤولية تجاه الأموال المتبرعة:

□ سافرت إلى المدينة المنورة للعمرة، وكانت التأشيرة التي حصلت عليها لا تسمح لي بزيارة أي مكان آخر في المملكة، ولكنني ذهبت مخالفاً القوانين إلى الرياض، والتقيت هناك ببعض أصدقائي، وأخذت منهم تبرعات لبناء حسينية في بلدي، وكان مبلغها (٨٠٠٠) دولار، ولسوء الحظ، فإن التفجيرات الأخيرة حدثت أثناء وجودي هناك، وعند خروجي من الرياض عائداً إلى المدينة المنورة، قبض عليّ بتهمة التنقل بشكل غير قانوني في الدولة، وبعد أن اطلع المسؤولون على ما كان معي من نقود ومن أوراق دلت على جمعي للتبرعات، خيروني بين أن يحولوني إلى النيابة العامة، لأن جمع التبرعات صار أمراً مشبوهاً وممنوعاً بسبب الأوضاع السياسية الراهنة، وبين أن أترك لهم النقود في مقابل إطلاق سراحني، ولأن احتفاظي بالنقود كان مستحيلاً في كلا الحالتين، تركتها لهم ورحلت. ما هي مسؤوليتي تجاه ذلك المبلغ؟ وهل هناك أي إشكال شرعي في ما فعلت؟

○ كنت أميناً على المال ولم تفرط به. في مفروض السؤال، ولم تقصّر في ذلك، لأنك جمعت من الرياض ولم تجمعها من المدينة حتى يقال إنك فرطت عندما ذهبت من المدينة إلى الرياض، ولذلك فإنك لا تضمن: لأن الأمين لا يضمن، أي إذا كان لدى الإنسان أمانة لشخص ولم يقصّر في حفظها وسُرقت

منه دون إرادته أو صادرها ظالم أو ما شابه ذلك، فليس عليه شيء .

تغيير الوقف:

□ أرض وقف للفقراء حسب وصية الواقف، مساحتها ٥ دونمات، ولكن جيران الأرض يريدون تبديلها بأرض أخرى مساحتها ٢٠ دونماً، فهل يجوز هذا أم لا ؟

() الأوقاف حسب ما يوقفها أهلها، ولا يجوز البيع أو التبديل إلا إذا خرج الوقف عن الفائدة أو المنفعة بنسبة ١٠٠٪ أو ٩٠٪، وإلا لا يصبح وقفاً . فالوقف أريد له أن يكون رصيداً مستمراً لمن أوقف عليه . وربما يحتمل بعض الفقهاء أن البديل إذا كان أكثر فائدةً لجهة الوقف، لا سيّما إذا فهم من كلام الواقف أن الأساس هو منفعة الفقراء، فقد يجوز تبديله، والمسألة موضع خلاف فقهي .

الربا بين الوالد والولد:

□ هل يثبت الربا بين الوالد والولد والزوج والزوجة ؟ أم لا يثبت ؟

() الربا حرام مطلقاً .

إرث الزوجات:

□ توفي رجل وله ثلاث زوجات، اثنتان منهن لهما أولاد والأخرى ليس لها

أولاد، فكيف يوزع الإرث بالنسبة إلى الزوجات ؟

○ الثمن يقسم بالسوية بين الزوجات الثلاث .

توكيل الزوج باستلام الراتب:

□ إذا كان للزوجة راتب خاص بها، وقد وكلت زوجها باستلامه والصرف

عليها وعلى أولادها، فهل يجوز لها أن تأخذ منه بدون إذنه، لأنه يمتنع عن

إعطائها أي مبلغ تريده ؟

ضمان مال:

□ أعطاني أحد الأخوة مبلغاً لأرسله إلى العراق، وأرسلت هذا المبلغ، وبعد ثلاث سنوات أدعى بأنه لم يستلم المبلغ، فما هو الحكم بهذا المجال؟

(○) عليك أن تثبت وصوله، لأنه أعطاك المبلغ كأمانة. فهل أدبت هذه الأمانة أم لا؟ عليك أن تثبت أنك أديتها، وليس عليه أن يثبت أنه لم يستلمها. نعم، إذا فرضنا أنك ادّعيت عليه العلم بأنها وصلتته وأنه عالم، لك أن تحلفه اليمين إذا لم تكن لك بيّنة على ذلك.

تحرير تهريب الوقود من العراق:

□ سألكم أحد الأخوة في موضوع تهريب ما يحتاجه الناس في العراق، وأصدرتم فتوى بهذا الخصوص، فلماذا لم تذكروا الأشياء بأسمائها، مثل الغاز والبنزين وغيرهما؟

(○) لقد ذكرت كلّ الحاجات الضرورية: الغاز، البنزين، والغنم والبقر والجمال.. ومسألة السيارات والحاجات التي تهرب، أي كل ما يضعف العراق عن الصمود والثبات وكل ما يؤدي إلى ضرر الناس على قضاياهم، كما نجد الآن في كثير من الحالات الحيوية، فبالعنوان الثانوي يحرم تهريبه ويحرم شراؤه في هذا المجال.

شراء أسهم البنوك:

□ هل يجوز شراء أسهم في بنك يقوم ببعض المعاملات الربوية المحرمة والأخرى المحللة؟ أي هل يصح أن يكون الإنسان المؤمن مالكا لأسهم في مثل هذا البنك؟

(○) إذا كانت معاملات البنك متنوعة محللة أو محرمة، يجوز ذلك. ولكن عندما تكون أرباح الأسهم التي تعامل بها محرمة، وأعطى الأرباح، فعليه أن يعتبر هذا المال الذي قبله من الحلال المختلط بالحرام.

حكم الفائدة على الأموال المودعة:

□ هل يجوز شرعاً أن أضع مبلغاً من المال في صندوق التوفير الذي يعطي فائدة سنوية عليه؟

○ يجوز ذلك بقصد التوفير المجرد غير المقرون بقصد الفائدة، فإذا أعطى أصحاب الصندوق - حينئذ - عليها فائدة، أخذها وتصرف فيها .

المقاصة في الحقوق:

□ شخص استدان مني بعض المال، وسلمتني أمانة لأوصلها إلى جماعة، هذا الشخص لم يعد لي المال، فصادرت أمانته، فهل من مشكلة في ذلك، علماً أن قيمة المال لا تساوي الأمانة؟

○ إذا كان متمرداً ومعانداً، فيجوز لك أن تأخذ المال بدون إذن، لكن إذا أعطاك هذا المال لتوصله إلى جماعة، فلا يجوز أن تأخذه، بل لابد أن توصله إلى الجماعة الذين أرسل إليهم المال .

المقاصة في الحقوق:

□ شخص استدان مني بعض المال، وسلمتني أمانة لأوصلها إلى جماعة، هذا الشخص لم يعد لي المال، فصادرت أمانته، فهل من مشكلة في ذلك، علماً أن قيمة المال لا تساوي الأمانة؟

○ إذا كان متمرداً ومعانداً، فيجوز لك أن تأخذ المال بدون إذن، لكن إذا أعطاك هذا المال لتوصله إلى جماعة، فلا يجوز أن تأخذه، بل لابد أن توصله إلى الجماعة الذين أرسل إليهم المال .

عنى ذلك أن الراتب أصبح ملكه . الراتب لم يخرج عن ملكها بإباحتها التصرف له، كما لو أن شخصاً قال لك استلم نقودي من البنك .. لذلك لها الحق في الرجوع عن هذه الرخصة، وإذا رجعت فلها الحق في التصرف به وليس له أن يعترض عليها .

احتكار الوقود في العراق:

□ صدرت في مؤخراً فتوى لبعض المراجع بتحريم بيع الوقود خارج العراق من قبل سائقي السيارات، فما هو رأيكم؟

○ أنا أؤكد هذه الفتوى، وذلك لأن تهريب البترول إلى خارج العراق، سواء من خلال الذين يجلبونه إلى البلاد الأخرى أو لأسباب أخرى ليتاجروا به حرام، والعراقيون يقفون ليوم أو يومين في صف طويل للحصول على البنزين، فهذا ينطلق من مصلحة المسلمين التي تفرض منع بيع البنزين وبيع كل الأشياء التي يحتاجها الشعب العراقي، بحيث يؤدي تهريبها إلى نتائج سلبية على حياة أولئك الناس الذين يعيشون حياة صعبة بعيدة عن كل الخدمات، فلا يجوز لنا أن نزيد مشكلتهم مشكلةً وشقاءهم شقاءً.

إرث الزوجة من العقار:

□ على أي أساس وقاعدة قلتم أن الزوجة ترث من الأرض بينما نجد كل مراجعنا يقولون بعكس هذا الكلام؟

○ القرآن الكريم لم يفرّق بين الزوج والزوجة، وإذا تعارضت الأحاديث، فعلينا أن نأخذ بالحديث الموافق للقرآن الكريم، ولا أتفرد بهذا الرأي، فهناك علماء سابقون مثل الشيخ الطوسي وما بعده يقولون بذلك، وقد بحثت ذلك تفصيلاً في بحثي الاستدلالي في الإرث (فقه المواريث) وهو مطبوع. ويمكن القول إنه إذا كان أمرٌ ما محلّ ابتلاء كما في مسألة الإرث، فالناس عموماً كانوا معرضين لهذه المسألة منذ عهد النبي ﷺ؛ إذ كانت لهم زوجات وبيوت وأراضٍ، فلماذا لم يصدر من النبي ﷺ ما يشير إلى منع الزوجة عند السُنّة وعند الشيعة، خصوصاً مع وجود عموم قرآني لا يفرّق بين إرث الزوج وإرث الزوجة في هذا المجال. ثم في زمن خلافة الإمام علي عليه السلام، تنسب بعض الروايات الموضوع للإمام علي عليه السلام، ولكن الإمام عليه السلام لم يطبق الموضوع، ولم يصدر أي تعليم عنه في هذا

المقام. وعليه، فلما كان هذا حكماً شرعياً، وليس خاضعاً لظروف مذهبية ضاغطة.. ولم يصدر حكم شرعي في هذا الصدد، فكل ذلك يفيد الإشكال فيه، وعليه فهو لم يعرف إلا في وقت متأخر. لذلك نحن نقول: توجد روايات تقول بالمنع وروايات تقول بالاستحقاق، ونحن نرجح الروايات الموافقة للقرآن الكريم. نعم، من جهة الشهرة الموجودة بين فقهاءنا، رأينا أنه يستوجب ذلك الاحتياط الوجوبي، على أنه لا بد للورثة أن يكون بينهم وبين الزوجة صلح في قضية إرث الأراضى.

تحديد الأسعار:

□ إنني أعمل في سوق وجيراني عندهم نفس البضاعة التي عندي، ودائماً يتعمدون المشاكل معي بسبب الأسعار، ففي بعض الأحيان أبيع بأسعار أقتنع بها، هل لهم حق علي؟

○ ليس لهم حق عليك، فأنت مسلط على مالك، وهم مسلطون على مالهم، ولكن هناك نوعاً من أنواع الأخلاق التجارية، لا بد لكم أن تلتزموا بها.

دية مقتول خطأ:

□ رجل صدم ولداً بسيارته خطأ، إذ انطلق الطفل من طريق فرعي فجأة، وهرب السائق يومها، واليوم وبعد مضي أكثر من ٤٠ سنة على الحادث، ندم الرجل وهو يريد إفراغ ذمته، ولكن لا يعرف أهل الولد ليدفع لهم الدية، فماذا يفعل؟

○ إذا لم يعرف ذلك ولا طريق له للمعرفة، يدفع الدية عند الحاكم الشرعي الذي هو المرجع في المال المجهول المالك، لتوزع على الفقراء.

التنازل عن الميراث بمقابل:

□ رجل قال لإخوته: أعطوني شقة (بيتاً) وافرغوها باسمي وأنا أتنازل عن حقي في الميراث، ففعلوا ما أراد، وبعد وفاة الأب رجع عما قاله، ويريد مشاركتهم في الميراث، فهل له ذلك؟ وكيف يتخلص الأخوة من طلبه؟

(١) أولاً: التنازل عن حقه في الإرث ليس في محله الآن؛ لأن الميراث ليس ثابتاً له؛ لأن الشخص لا يرث أباه وهو حي، فهذا تنازل من قبيل ((وهب الأمير ما لا يملك))، وثانياً: لهم أن يرجعوا بالنسبة إلى البيت، فإذا كانوا أعطوه البيت في سبيل أن يتنازل لهم بعد الوفاة، لكنه لم يتنازل، فلهم أن يتراجعوا عن هذا البيت شرعاً، ويجوز لهم ذلك..

مراجعة الحاكم الشرعي:

□ رجل صاحب عائلة فقيرة مادياً، ولكن لا أعرفه جيداً، فأهديته مبلغاً من المال في سبيل الله تعالى، هل هذا عمل شرعي صحيح، أم يجب أن يسلم إلى المرجع الديني، علماً بأنه يتشكر كثيراً ويبدو مرتاحاً نفسياً؟

(٢) إذا كان في سبيل الله تعالى، فليس من الضروري أن تراجع المرجع. نعم، إذا فرض أنه كان من الحقوق الشرعية، (من سهم الإمام)، فينبغي صرفه بإذن الحاكم الشرعي.

الربا في تسديد القيمة:

□ أنا وكيل عن ولدي، وقد قمت بشراء منزل له من مؤسسة الإسكان، ونظام المؤسسة ينصّ بوجوب تسديد نصف قيمة المسكن والنصف الآخر يسدد بموجب قرض من البنك وعليه فائدة، فهل علينا إثم في المبلغ المسحوب من البنك بالفائدة وحساب السكن، علماً أنه لا يستطيع التسديد كامل قيمة المسكن؟

(٣) نحن بينا في هذه الجلسات أنه إذا فرض أن الإنسان عندما يستقرض من البنك وقصد القرض ولم يقصد الفائدة، حتى مع معرفته أنه سوف يدفع الفائدة، لكن لا يدفعها بالالتزام العقدي، بل إنما يدفعها من خلال الضغط القانوني، فإذا تحقق لدى الإنسان مثل هذا القصد فيرتفع عنه الإثم.

الإيداع في المصرف:

□ يوجد معي مبلغ من المال، فهل يجوز لي وضعه في المصرف وأخذ

الفائدة عليه، أم أضعه من دون فائدة؟

○ إذا لم تشترط الفائدة وكان وضع المال في المصرف من أجل الحفاظ عليه من السرقة أو لأغراض تسهيل العمل التجاري مثلاً، فيجوز لك أن تأخذ الفائدة، فلقد جاء أن الحرام من قبل الشرط، فإنما يفسد المعاملة الشرط، كما ورد في أحاديث الأئمة عليهم السلام.

ظلم الأجير:

□ إذا كان فلان من الناس يعمل أجيراً عند صاحب محل، واتفق مع صاحب المحل على أداء عمل معين مقابل مبلغ من المال، لكن صاحب المحل بدأ باستغلاله لأداء أعمال أخرى بالأجر نفسه، فهل يجوز لصاحب المحل ذلك؟ وهي يجوز لفلان أن يأخذ زيادة على أجره من دون أن يخبر صاحب المحل؟

○ لا يجوز لصاحب المحل أن يجبره على عمل خارج نطاق الاتفاق بينه وبين الأجير، لأن: ((المؤمنون عند شروطهم))^(١٨)، ولكن إذا فرضنا أن صاحب المحل كلّفه بعمل آخر، ولم يكن حجراً عليه، وإنما فعله حتى يرضى صاحب المحل، أو لكي لا يخرج من العمل، فليس له أن يأخذ في مقابله شيئاً..

أموال العراق:

□ أنا صاحب شركة تعاقدت مع النظام العراقي قبل انهياره، قامت بيننا العقود، وبعد السقوط تحرك بيننا وبين الوزارة المسؤولة عن تلك العقود وسيط وطلبنا بمستحقات العقود، حصلنا على أموال تصل إلى ثلاثة ملايين دولار، مع العلم أننا لم نلتزم بالعقد، ولم نرسل أي شيء إلى العراق، وأعطينا الأموال من الأرصدة العراقية، فما حكم هذا المال، خصوصاً وأنا أعيش تائب الضمير، وأريد المصالحة مع الحاكم الشرعي، علماً بأن المال بحوزتي؟

(١) هذه الأموال عامة لا يملكها النظام، ولا يملكها الناس الذين أعطوك إياها، فعليك أن تعرف الطريقة التي يمكن أن ترجعها إلى المؤتمنين على المال العام ليصرفوها في المشاريع العامة في هذا المجال.. ولذا نحن لم نكن نرخص بالكثير مما انطلق فيه الكثيرون من الناس بحجة أن هذا المال مجهول المالك، وأنه يدفع منه الخمس ويتصرف بالباقي، فنهبوا أموال الدولة، ونهبوا كل شيء.. أموال الدولة ليست للنظام السابق، لأن النظام السابق كان يسرق أموال الدولة، ويسرق أموال الناس، ونحن نقول إن مال الدولة معلوم المالك وليس مجهول المالك، حتى لو فرضنا أنه كان مجهول المالك، فالحاكم الشرعي هو الذي يتحمل مسؤولية الأمة، ولا يمكن أن يرخص في مجهول المالك ليعبث به الناس، أو ليتلاعبوا به، أو ليكون فوضى بينهم.

حرمان البنت من الإرث:

□ أبي يريد أن يوزع ماله ويقسمه بيني وبين أخي، ويحرم أختي من ذلك المال حال حياته، فهل في هذا إشكال؟

(٢) الناس مسلطون على أموالهم في حال الحياة، ولكن هناك بعض الأشياء قد لا تكون حراماً، ولكنها تصير ابن عم الحرام، يعني خلاف الجانب الأخلاقي، لأن البنت هي في الغالب أكثر حاجة من الأولاد في هذا المقام بحسب ظروفنا الاجتماعية، ولذلك عليه أن يراعي ابنته كما يراعي أولاده.

صيغة اشتراط الفائدة:

□ عندما نضع مبلغاً في البنك، يسألنا الموظف: هل تضعه بفائدة أم بدونها؟ فهل يجوز لنا أن نقول له بفائدة، ولكننا ننوي أنه إذا لم يدفع البنك الفائدة لا نطالبه بها؟ وهل يحل أخذ الفائدة بهذه الطريقة؟

(٣) إنك عندما تقول: آخذ بفائدة، وتوقع على هذا المعنى، فمعناه أنك دخلت معه في معاملة بفائدة، ووقعت في الربا.

تملك الفائدة:

- هل يجوز دفع قيمة رسوم الكهرباء والماء والهاتف من الفائدة المأخوذة من البنك، إذا وضع المبلغ بدون شروط الفائدة؟
- إذا وضع بدون شروط الفائدة، فيكون كبقية ماله.

الوفاء بالنذر:

- نذرت أن أضع مبلغاً من المال في ضريح السيدة زينب عليها السلام إذا ارتفع معدل نجاحي في المدرسة، وفعلاً ارتفع معدلي، ولكن النذر لم يكن بصيغة النذر المتعارف عليه، وإلى الآن لم أبعث بالمبلغ، فهل علي شيء؟
- إن لم يكن نذراً شرعياً، أي نذراً لله تعالى، فلا يجب الوفاء به. لكن الأفضل في ذلك التصديق بالمبلغ عن روح السيدة زينب عليها السلام، لا بوضعه في مكان الضريح.

تغيير الوقف:

- هناك أرض موقوفة للإمام الحسين عليه السلام، وأرادت الحكومة إقامة مساكن عليها للمواطنين المحتاجين، وهم أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهل يجوز استبدالها بأرض أخرى؟
- لا يجوز ذلك، إلا إذا انتفت إمكانية الاستفادة منها في ما وقفت له.

الاقتراض من البنوك الربوية:

- شخص مقيم في السويد، يريد أن يأخذ قرضاً من البنك لشراء بيت له ولأسرته، مع العلم أن القرض فيه فوائد، فهل يجوز ذلك أم لا؟
- القرض هو عقد له طرفان: المقرض والمقترض، ولا يتم إلا بأن يقصد الطرفان معنى واحداً، وهنا إذا استطاع الإنسان عندما يريد أن يقترض أن يستجمع فكره، فيقصد عندما يوقع العقد الالتزام بالقرض فقط، من دون

الالتزام العقدي بالفائدة، فإنه يجوز له ذلك، بحيث يعرف أنه سوف يدفع الفائدة لا من جهة أنه التزم عقدياً، بل من جهة القانون، فإذا استطاع أن يحقق هذا المعنى، فلا توجد مشكلة شرعية إن شاء الله.

أجرة الرضاء:

□ إذا كان للمرأة حق أخذ الأجرة على إرضاع الطفل، فكيف يحدد القرآن الكريم مدة الرضاع للطفل على أمه بحولين، وهي غير مطالبة ولو برضعة واحدة؟

() يعني إذا أرادت أن ترضعه فالرضاع مدته حولان، وهي الفترة التي يوجب فيها الرضاع التحريم، إلا أن في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَأْتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾^(١٩)، فالألم مقدمة، ولكن لها الحق في أن تأخذ أجرة، وإن كان لا توجد أم تأخذ أجراً، لكن الله تعالى أراد أن يقول للزوج أن لا تعتبر نفسك مالكا لهذه الأمور على الزوج ولك الفضل عليها، ففضل زوجتك عليك أكثر من فضلك عليها من الناحية العملية؛ لأن الله تعالى لم يكلف المرأة بعقد الزواج في أي شأن من شؤون المنزل، فهي تتبرع من نفسها، فلها يشعر الزوج بالجميل، فلا يضطهدا بعد ذلك، والمرأة أيضاً تشعر أن الزوج يعطيها أكثر مما تستحق من النفقة، وهذا الذي قلناه، أن الزواج جعله الله خاضعاً للمودة والرحمة، وليس قضية مواد قانونية مجردة تحكم الزوجين، حيث المادة الأولى تحكمك بكذا، والمادة الثانية تحكمك بكذا، لأن هذا إنما يلجأ إليه عندما تصل الأمور إلى الطريق المسدود.

البيع بسعيرين:

□ في عملية البيع، في بعض الأحيان، يتم دفع الثمن مباشرة، فيكون ثمن السلعة أقل مما لو كان دفعه على أقساط، فما حكم هذا المال الزائد في الأقساط؟

٥) لا توجد مشكلة في البيع بالنقد أو التقسيط، كما لو أنّ أحداً يقول لك أنا أبيعك هذه البضاعة بالنقد بـ ١٠٠ دولار مثلاً ولكن بالتقسيط بـ ١٥٠ دولاراً، وقد ورد: ((الناس مسلطون على أموالهم)) فالمالك حرٌّ أن يقول لك: أبيعك بـ ١٠٠ دولار وأبيعك بـ ١٥٠ دولاراً، فهذا ليس ربا. نعم، إذا فرضنا باع بالتقسيط ولم يدفع الأقساط وزاد عليه أي أخذ منه فائدة على الأشهر الأخرى، فهذا من الربا وهو حرام.

دعم مراكز إسلامية:

□ هل يجوز دعم المراكز الإسلامية مالياً أو غيره فيما لو كان القائمون عليها يخلون بتطبيق بعض المفاهيم الإسلامية من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع العلم أنه لا يمكن إصلاحهم من خلال الحوار والنقد الموضوعي؟

○ لا يجوز ذلك إذا كان دعمهم يشكّل مساعدة لهم في عدم القيام بما هو متعين عليهم وواجب القيام به، لا سيما إذا انعدمت الفائدة الدينية عن مثل هذه المراكز.

تاسعاً: السلوك والمعاملات:

الاختلاط الجنسي:

□ البعض يقول إن اختلاط الجنسين في الجامعة يمنعه من إرسال بناته إلى تلك الجامعات، فهل هذا تبرير معقول؟

○ الاختلاط، بحسب ما هو موجود في الجامعات، من عدم وجود حشمة لدى كثير من النساء وفقدان الأخلاقية لدى الكثيرين من الرجال، أمر مقلق على المستوى الأخلاقي، مع ملاحظة أخرى، وهي أن هذا الاختلاط في مثل هذه الأجواء قد ينتهي إلى الفساد أو الانحراف.. لكن على الأب أن يدرس المسألة، هل يمكن أن يحقق لبناته مناعة ضد الانحراف أم لا ؟ هذه القضايا تختلف باختلاف الأشخاص. الأصل عدم الاختلاط في الإسلام، ولكن هذه الأمور مختلفة ومتفاوتة تبعاً للشخص، ولا بد أن يدخل الإنسان في دراسة لمعرفة ما هو الصالح للمرأة، إذ يمكن أن تكون الفتاة متعلمة ومحتشمة، وهو الأفضل من ترك دراستها.

اللحوم الأجنبية:

□ عندنا - في العراق - كثرت اللحوم الأجنبية، وخاصة الدجاج، في المطاعم، فبماذا تنصحوننا؟

○ إذا كان مستورداً، فإنه لا يجوز للإنسان أن يأكله إلا بعد الاطمئنان الكامل بكونه مذكياً.

إضرار الأخ بأخيه:

□ والدتي عندها مبلغ من المال بنت به لي شقة في الطابق الثاني بجوار أخي، وتوفيت وتوفي والدي، وبعد ذلك جاء أخي وقال لي سوف تترك الشقة وتسكن مكان الوالد في الطابق الأول الذي يحتاج للتصليح بمبلغ يفوق المائة ألف دون إعطائي شيئاً، فما حكم ما عمله أخي الأكبر؟

(١) ما دامت والدتك تصرّفت برضى والدك، وهي التي بنت الشقة وصرفت وملّكتك إياها حسب ما تقول، فليس لأخيك عليك أي شيء في أن تنزل إلى الطابق الأرضي إذا كان لوالدك فهو إرث بين الورثة، هذا من حيث الحكم الشرعي، وأمّا حلّ المسألة واقعياً، فلا يكفي فيها بيان الفتوى، بل لا بد من وسائل أخرى كالقضاء مثلاً لتحديد المسألة من ناحية واقعية بعيداً عن الفرضية المذكورة في السؤال، لأنّ للطرف الآخر حقاً في بيان وجهة نظره التي قد تتفق مع وجهة النظر الأخرى وقد تختلف، و((لصاحب الحق لسان)).

الهجرة للدراسة:

□ أنوي أن أكمل دراستي في بلد أجنبي، وأريد اصطحاب زوجتي معي، ولكنني أخاف. بصراحة. على ديني وعلى دينها، فهل أراجع عن القرار؟

(٢) هذه قضايا لا بدّ أن تدرسها بنفسك جيداً. فهناك مواقع في المغتربات قد يجد فيها الإنسان مجتمعاً إسلامياً صغيراً يستطيع فيه أن يعيش مع إخوانه المؤمنين وينمي دينه وتقواه وسلوكه، وهناك مواقع أخرى لا يجد فيها ذلك، وعلى الإنسان أن يدرس المسألة دراسة تفصيلية حول البلد الذي يريد أن يدرس فيه. ونحن نحبُّ لكل إخواننا أن يبلغوا من العلم درجةً عاليةً، لأن صراعنا مع الآخرين هو صراع العلم، ولكن على الإنسان أن يحفظ دينه والتزامه وتقواه وعلاقته بالله سبحانه، وهذا مما ينبغي للإنسان أن يدرسه، ويجب عليه أن يحتاط لنفسه فيه.

الدخول إلى الكنيسة:

□ ما هو حكم المسلم حين يدخل إلى كنيسة مسيحية للمشاهدة والاستماع؟

(٣) ليس هناك مشكلة شرعية، بل المشكلة أن تعبد كما يعبدون ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ^(٢٠). أما أن يدخل المسلم لأجل أن يعرف

ماذا يفعلون، كما يمكن للإنسان أن يحتاج إلى الدخول في بعض الأحيان لأن جيرانه من المسيحيين أو شركاءه أو أصدقاءه مما يستوجب الدخول إلى الكنيسة لحضور تأبين فيها، ولكن من دون أن يقوم بأعمالهم أو يشجع عليها، لمخالفتها للإسلام.

التعامل مع غير المسلمين:

□ هل الإسلام يجوز التعامل مع الكفار على أساس المصالح المشتركة، خاصة وهم في الباطن يحاربون الإسلام؟

○ لا مانع من ذلك، فنحن نختلف مع الكفار ونرفض الكثير من آرائهم كما يرفضون كثيراً من آرائنا، ولكن في المصالح المشتركة، سواء كانت سياسية مما لا نستطيع أن نستقل فيه أو في المصالح الاقتصادية، يجوز التعامل معهم في ضوء هذه المصالح المشتركة، ولم يحرم القرآن علينا ذلك.

العمل في مؤسسات النظام الجائر:

□ هل يجوز للمسلم أن يدخل ويتوظف في المؤسسات الجائرة دون إذن من الحاكم الشرعي والوصول إلى مناصب عالية بغية تفتيت السياسات غير الإسلامية؟

○ يجوز له أن يتوظف في المؤسسات التي تنفعه وتنفع أمته وتنفع مجتمعه، أما إذا كانت هذه المؤسسات تحارب دينه وأمته، فلا يجوز الدخول فيها.

النذر غير الراجح:

□ نذرت في أحد الأيام لوجه الله سبحانه وتعالى ثم للسيدة مريم العذراء ﷺ شموعاً توضع في الكنيسة، فهل هذا النذر باطل أم عليّ تأديته؟

○ لا بد للنذر أن يكون راجحاً في مضمونه، وهذا بغض النظر من أن يوضع في كنيسة أو غيرها، فإذا كانت الكهرباء موجودة فلا داعي للشموع.

التعدي على الوالدة:

□ أخي قد سبّ والدتي وشتّمها لأنها قد تكلمت ببعض الكلمات العفوية عنه، وأخي الثاني فعل كذلك، وقال لي والدي إذا تكلمت مرة ثانية اضربها على فمها، فهل له السلطة في ذلك؟

○ لا يجوز ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٢١)، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٢٢)، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢٣)، يعني اذكر كم كانا يتحملان منك في طفولتك فاحتمل منهما أخطاءهما. وليس لأبيك ان يخولك في أن تسيء الى أمك لأنه لا سلطة له عليها في ذلك.

علاقة الزوجة بأهل زوجها:

□ حصلت لي مشاكل مع أهل زوجي، وهم أقربائي، وعندما أدخل إليهم يطردونني وبعضهم يشتمني، وبالرغم من ذلك أشعر أنه يجب علي أن اطمئن عليهم من حين لآخر، لأنني أرتبط بهم برابطة الدم، فيماذا تنصحتني، وماذا يوجب علي الشرع والدين حيال ذلك، وأنا في حيرة من أمري، إما أن أدخل وتحصل المشاكل، أو لا أدخل وأشعر عندها بأني مقصرة تجاههم؟

○ لا بد أن تدرسي الأمور بحسب النتائج السلبية والإيجابية، وقد جاء شخص إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: إن بني عمي أبوا إلا قطيعة رحمي، فهل أقطعهم؟ قال الإمام عليه السلام: ((إن قطعتهم قاطعك الله وإن وصلتهم وصلك الله))^(٢٤). والحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنبك عن مكارم الأخلاق، صل من قطعك،

(٢١) لقمان: ١٥.

(٢٢) الإسراء: ٢٣.

(٢٣) الإسراء: ٢٤.

(٢٤) البحار، ج ٧١، ص ٣٥٩، ح ٣٣.

واعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك))^(٢٥)، ويجب على الأخت أن تعلم أنه إذا كانت تصدر منهم المشاكل الكبيرة، بحيث تؤدي إلى نتائج سلبية، فإن عليها أن تكتفي بالواجب كالسلام مثلاً، وإذا كان هناك بعض أقاربها طيبين ولا يستطيعون الرد على أهل الإساءة فلتذهب إليهم..

خلع الحجاب لالتقاط الصور:

□ مسلمات في دول الغرب أثناء منح الجوازات أو الإقامة، تطلب الدوائر المختصة منهن صوراً بدون حجاب، فهل يجوز كشف الشعر أثناء التصوير؟ أو إبراز الجواز الذي يحتوي على هذه الصور بالنسبة لمقلديكم؟
○ إذا كانت التي تلتقط الصورة امرأة فيجوز، أما إذا كان رجلاً فلا يجوز إلا في حال الاضطرار.

توزيع الأدوار والأعمال:

□ جاء أحد الأخوة قبل أيام ووزع حلوى، فتناولت واحدة وأكلتها، ثم رأيت ورقة مرفقة مع الغلاف، فلما قرأتها وجدت فيها: يجب على أكل هذه الحلوى أن يصلي صلاة طويلة، ثم يكتب هذه الصلاة أربعين مرة، ثم يوزعها على المؤمنين، غير أنني لا أستطيع عمل ذلك، وقد أهملت الورقة، فما حكم أو صحة ذلك؟
() لا يجب عليك التقيد به . نعم، الإشكال في الإنسان الذي يقرأ هذه الورقة ويأخذها ويأكل الحلوى ولا يعمل بذلك، لأن الحلوى ملك ذلك الإنسان، ولسان حاله: أنا لا أجز لك أكلها إلا بعد القيام بكذا وكذا، أما إذا كنت جاهلاً فليس عليك شيء.

الانتماء إلى الأحزاب في الغرب:

□ هل يجوز للمسلم أن يكون عضواً في الأحزاب الغربية المسيحية؟

(٥) نقول بالنسبة إلى إخواننا الذين يعيشون في الغرب، إنه لا بدّ أن يدخلوا في النسيج الاجتماعي والسياسي لتلك البلدان، لكن لا بشكل فردي، بل على مستوى المجموعة الإسلامية الموجودة في هذا البلد أو ذاك، بحيث تدرس المسألة، وتدرس مصلحة الإسلام، وتدرس الشخصيات التي قد تكون في هذا الحزب أو ذاك، أو تلك التي تترشح للانتخابات نيابية كانت أو رئاسية أو بلدية، فلا بد أن تعالج الأمور بطريقة ما .

حمل القرآن:

□ هل يجوز لشخص يحمل معه المصحف أن يدخل بيت الخلاء؟
 (٥) ليس محرماً، ولو وضع القرآن داخل ثيابه، هذا ليس هتكاً للقرآن، وإن كان الأفضل عدمه، حتى لا يتعرّض القرآن للوقوع وما أشبه ذلك.

إذن الفحوى:

□ ما رأيكم بالفحوى، هل يجوز العمل بها؟
 (٥) إذا كان المقصود بإذن الفحوى، الإذن الضمني الذي يستكشف من خلال القرائن بحيث يعرف الإنسان أن المالك يرضى بالتصرف في ملكه، فيجوز ذلك العمل.

التعامل مع قراطيس تحمل أسماء الجلالة:

□ نلاحظ بعض الأخوة المؤمنين يتعاملون مع الجرائد والصحف اليومية التي تحتوي على اسم الله جلّ جلاله بأسلوب ملفت للأنظار، بحيث يقومون بتغليف الأطعمة في المطاعم والبيوت، والأكل عليها، فما تعليقكم؟
 (٥) إذا فرض أنها كانت تشتمل على آيات قرآنية واسم الله جل وعلا، فعلياً أن نحفظ اسم الله سبحانه وتعالى في ذلك كله.

ترك الطاعات:

□ أعرف صديقاً لي يدخن ولا يصوم رمضان ولا يصلي، رغم أنني أنصحته دائماً. ما موقف الشرع تجاهه؟ هل هو كافر؟ أم ملحد؟ أم فاسق؟ وكيف يمكنني أن أتعامل معه ضمن الأمور الشرعية؟

() هو فاسق إذا كان عدم صلاته وصومه ناتجين عن عصيان لا عن إنكار لوجوب الصوم والصلاة، وعليك أن تتعامل معه بالحكمة والموعظة الحسنة.

النطق بالشهادتين:

□ إحدى النساء كانت في أسرة بوذية، وكانت تعبد الأصنام، ولكن أباهما كان مسلماً لكنه غير ملتزم، هل يجب عليها أن تنطق بالشهادتين عندما تريد أن تسلم؟

() إذا اعتقدت بالإسلام، فعليها أن تنطق بالشهادتين، ولو بلغتها إذا لم تكن لغتها عربية.

تشخيص الملابس الشرعية:

□ هل هناك معيار شرعي معين لملابس الرجل، البنطال وغيره؟

() المهم أن لا يكون في لباسه أي نوع من أنواع الإثارة.

لجوء الزوجة إلى الغرب:

□ امرأة عمرها ٢٩ سنة تعمل معلمة وزوجها يعمل في متجر، حياتهم جيدة، ولكنهم يحبون المال كثيراً، فقررت المرأة اللجوء إلى دولة أوروبية لأجل المال والمساعدات الاجتماعية هناك، فطلبت اللجوء وحصلت على الإقامة وبعد سنتين التحق بها زوجها، ما حكم الشرع الإسلامي للمرأة والرجل، علماً أن الرجل مسير لا مخير؟

﴿اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ مَخَيَّرًا وَلَمْ يَخْلُقْهُ مَسِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾﴾^(٢٦) ، لكن نحن نقول: إذا كانا يستطيعان المحافظة على دينهما ودين أولادهما فيجوز لهما البقاء، وإلا فلا يجوز. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢٧).

الجلوس على مائدة الخمر:

□ أسكن مع صديق لي، فيزوره أصدقاؤه، فأضطر إلى الجلوس معهم وهم يشربون الخمر، فهل الجلوس معهم حرام؟
○ إن جلوسك معهم حرام إلا في حال الاضطرار، وعليك أن تتصحهم حتى ينتهوا مما هم فيه.

سفر المرأة:

□ ما هو قول الشارع في سفر المرأة لوحدها من بلد إلى بلد آخر في حالة اضطرارية ومن دون محرم يرافقها؟
○ إن المذهب الإمامي الإثني عشري لا يشترط في سفر المرأة أن يكون لها محرم، بل يكفي في جواز سفرها أن تأمن على نفسها حسب الظروف المحيطة بها، وربما كانت قضية المحرم سابقاً لأن المرأة كانت تركب على الجمل مثلاً، وتحتاج إلى أحد يعينها في النزول والصعود، ما يفرض وجود المحرم الذي يقوم بذلك من الناحية الشرعية، وربما كانت الظروف الأمنية صعبة، فتتعرض المرأة إلى كثير من المصاعب، أما في هذه الأيام، فالوضع الأمني العام في الطائرات والسيارات وغيرها متوفر. ومع ذلك، فلو فرضنا أن المرأة تخاف على نفسها، فلا يجوز لها في هذه الحالة السفر وحدها، ولا فرق في هذه المسألة بينها وبين

(٢٦) النحل: ١١٨.

(٢٧) التحريم: ٦.

الرجل.

صيغة العهد:

□ بالنسبة إلى صيغة العهد، قلت: إني أعاهد الله بدم الحسين عليه السلام، فهل

تعتبر هذه الصيغة صحيحة؟

○ الإنسان إذا عاهد الله سبحانه وتعالى، كما لو قال الشخص: أعاهد الله

أن أفعل كذا وكذا، وأقوم بكذا وكذا، كان صحيحاً، وإلا بمجرد هذا ليس له معنى،

فكيف يعاهد الله بدم الحسين عليه السلام؟

القفر على النار:

□ هل يجوز أن يقفز الناس فوق النار في الاحتفالات بمناسبة عيد نوروز؟

○ هذا جزء من عبادة النار، وعيد نوروز لا أساس له من وجهة النظر

الإسلامية، وإنما هو عيد فارسي، وهو قديم، ولكن بعض الناس أرادوا جعله

إسلامياً، حتى إنه روي أن الخليفة العباسي المنصور ((تقدم إلى موسى الكاظم عليه السلام

للجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه، فقال: إني فتشت الأخبار

عن جدِّي رسول الله ﷺ فلم أجد لهذا العيد خبراً، وأنه سنة الفرس ومحاها

الإسلام، ومعاذ الله أن يحيي ما محاه الإسلام))، كما أننا نجد في ما روي عن

علي عليه السلام ما يشير إلى أن هذا العيد لم يكن من الأعياد الإسلامية، وذلك (أنه

أهدي إليه فالوذج، فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم نيروز، قال: فنورزونا إن قدرتم كل

يوم)، ولعلّه على سبيل النكتة في إهداء الحلوى إن قدروا كل يوم.. فعيد نوروز

ليس عيداً إسلامياً، بل هو عيد قومي، وربّما إليه يشير قول الشهيد الأوّل في

اللمعة (ونيزوز الفرس) حيث نسبه إلى أصله. وينقل البعض أنه يوم انتقال

الشمس إلى الحمل وهو الاعتدال الربيعي. كما ذكر الشهيد الثاني في شرحه

على اللمعة.. وهو في ترجمة معناه يعني اليوم الجديد، والمقصود به الربيع، ولعلّه

يشير إليه ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((وهو أوّل يوم طلعت فيه الشمس وهبت

به الرياح اللواقح وخلقت فيه زهرة الأرض)). نعم، ورد أنه ((إذا كان يوم النيروز فاغتسل))، ومع غضّ النظر عن ضعف سند الحديث، فمن الممكن أن يكون مقصود الإمام * توجيه طريقة الاحتفال بذلك اليوم بما يتناسب مع تعاليم الإسلام الحنيف. وعلى كلّ حال، فقضيّة القفز فوق النار هي من بقايا عبادة النار التي لا بدّ من الاجتناب عنها.

أكل لحم الخنزير:

□ ما هو الحكم الشرعي للمسلم الذي يأكل لحم الخنزير؟ هل هو كحكم الشارب للخمر أو الزاني أو التارك للصلاة؟
(١) يكون عاصياً بأكله للمحرّم مثل أكل الميتة، إلا إذا كان يستحلّه، بينما بالنسبة إلى شارب الخمر، ورد أنه يجلد ثمانين جلدة، والزاني يجلد مائة جلدة، والزاني المحصن فيعدم، فكل معصية لها حكمها الشرعي.

عدم الحشمة في الستر:

□ ما هو رأيكم بالفتيات المسلمات اللواتي يخرجن إلى الشارع وإلى مجالس دينية ومساجد ببنتال ضيق؟
(٢) على المرأة أن تخرج كإنسان لا كأنتى، فكلّ ما يخلق الإثارة، سواء في التفصيل أو في لون الثياب، مما يثير الغريزة، فهو حرام. هذا ويجب على المرأة أن لا تخرج إلى الصلاة بهذه الطريقة.

تخريم الغناء:

□ لماذا حرم الإسلام الاستماع إلى الغناء؟ مع أنه ليس فيه مفسدة ظاهرة، وإن قلنا إنه يثير الشهوة الجنسية، فإن التفكير بالجنس بدون الاستماع إلى الغناء يثير الشهوة الجنسية أيضاً، لكنه غير محرّم. وهل يوجد للغناء تأثيرات نفسية أخرى؟

(١) أولاً: الكلام من أنه ليس هناك مفسدة ظاهرة، من أين لك هذا؟ نحن نعرف أن النتائج الموجودة لكثير من الأغاني هي نتائج سلبية على المستوى الأخلاقي، ومن الطبيعي جداً أن هناك فرقاً بين التفكير بالجنس، وبين إثارة الجنس، لأن الإنسان وهو يفكر بالجنس فليس له أثر نفسي يتجاوز الذات. أما المحركات للجنس، ومنها الغناء إذا كان مضمونه جنسياً يحرك الغريزة ويثيرها، فيختلف هذا عن التفكير بالجنس، ونحن قلنا مراراً إن الغناء على قسمين: هناك غناء حق، وهناك غناء باطل. والغناء الباطل محرم، أما الغناء الحق فهو جائز، ولو قلنا بحرمة غناء الحق لكان من اللازم أن نحرم قراءة المجالس الحسينية، كما هو حال الذين يملكون صوتاً جميلاً، أو الرواديد، وما أشبه ذلك.. لأنها غناء فيما للغناء من معنى، لأنه عبارة عن الترجيع ولو من دون الإطراب، لأن الإطراب ليس جزءاً من مفهوم الغناء..

آداب الاستماع للقرآن الكريم:

□ ما هي الآداب التي يجب أن يتحلى بها المسلم عند الاستماع إلى القرآن الكريم؟

○ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢٨)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢٩)، أي أن يستمعوا له ويتدبروه وأن ينصتوا ليستفيدوا منه.

المنع عن مساجد الله:

□ ما حكم من يحارب مساجد الله من أن تدخل، ويسعى في خرابها، ويضيق على من يدخلها، ولا يراها ذات قيمة وأهمية، فهل يعتبر هذا الشخص من المسلمين وإن ادعى ذلك؟

(٢٨) الأعراف: ٢٠٤.

(٢٩) محمد: ٢٤.

○ هو مسلم ولكنه فاسق في هذا المقام، لأن هذا لا يخرججه عن الإسلام، وعمله هذا يعد كبيرة من الكبائر.

تقوية المحتل:

□ ما مدى شرعية العمل في مؤسسات المجتمع المدني من جمعيات وروابط وغيرها، وهي حسب اطلاعنا تمول وتوجه من قبل المحتل الأمريكي؟

○ نحن عندما نقول 'الشرعية'، فهي ما يتصل بحفظ نظام الناس في أمورهم الحياتية، التي لو لم يأخذوا بها لوقعوا في فوضى، ولوقعوا في مشاكل طبيعية، وقد يستغلها نفس المحتل ضد قضايا الحرية، وما إلى ذلك، فكل شيء يستفيد منه المحتل، بما لا يكون من ضرورات الناس في حياتهم، نحن نقول هذا لا شرعية فيه، وعلى أهل الخبرة أن يميزوا في ذلك.

العمل مع شريك:

□ لي شريك في العمل وقد اتضح أنه غير منصف في تعامله معي، فهل لي أن استرد بعض حقوقى بدون علمه أو إيدائه مالياً؟

○ إذا كان شريكك قد سرق منك مالاً، بحسب طبيعة حقوق الشراكة، ولم تستطع تحصيله بالطريق القانوني الشرعي، عند ذلك يجوز لك من باب المقاصة، أن تأخذ منه بما يقابل ما أخذه، أو إيدأؤه مادياً، ولا يجوز إيدأؤه بمعنى الضرب أو غير ذلك.

عمليات التجميل:

□ ما حكم الشرع في عمليات التجميل المنتشرة انتشاراً واسعاً في أوقاتنا هذه؟ أقصد عمليات التجميل التي تجري من أجل التجميل لذاته، وليس تلك التي تجري اضطراراً في حالات الحروق مثلاً؟

○ يجوز القيام بها مع مراعاة الضوابط الشرعية من حرمة اطلاع الأجنبي على ما يحرم كشفه من جسد المرأة أو اللبس لها من دون ضرورة.

خروج المرأة ليلاً:

- هل يجوز للرجل أن يرسل زوجته في الليل بحيث تقود السيارة لوحدها عندما لا يكون عنده أي داع لأن يحتسب الخطر في هذا المشوار؟
- إذا كان هناك خطر، فحتى الرجل لا يجوز له أن يخرج بالسيارة، وهكذا بالنسبة إلى الزوجة، أما إذا لم يكن هناك خطر، فلا مانع، لأن قيادة المرأة السيارة مع الاحتفاظ بالحجاب الذي فرضه الله سبحانه وتعالى ليس محرماً.

انكشاف المرأة بغير علم:

- ما حكم الظهور أمام المحارم بدون حجاب من غير قصد، مثلاً الخروج من الغرفة وبعد ذلك أتفاجأ بأن زوج أختي في القاعة فأرتبك وأركض جرياً إلى الغرفة مرة أخرى؟
- مع عدم العلم بوجوده ليس عليك إثم، ولكن المقصود بالمحارم من يحرم الزواج منهم، وهؤلاء ترك الستر أمامهم، أما الصهر فإنه ليس من المحارم، لكن مع احتمال وجود أحد من غير المحارم أو مع جريان العادة بوجود ضيوف مثلاً، فعلى المرأة أن تتحرز من ذلك وتتنبه للآخر.

الوظيفة في الدول الكافرة:

- إذا كان الرجل المسلم موظفاً في دولة كافرة، ووظيفته تكون مساعدة للكافرين، فماذا عليه أن يعمل؟
- إذا لم يكن ذلك مساعدة على كفرهم، وإنما مساعدة في الأمور الحياتية الخاصة الإدارية، فلا توجد مشكلة، لأنه لا يحرم مساعدة الكافرين بالأمور المادية، خصوصاً في عالم العمل أو ما أشبه ذلك.

برنامج تلفزيوني:

- ما رأيكم ببعض البرامج التلفزيونية التي تقوم على تشويش القضية

الفلسطينية وتؤخر الطلاب دراسياً، كـبعض البرامج التي تعتمد على تصوير مباشر للشباب والشابات على مدى أربع وعشرين ساعة متواصلة؟

○ إن مشكلة الفضائيات، وحتى الأرضيات، أنها تنتج الشيء الذي يسيء إلى الأخلاق ويسيء إلى السياسة، لأنها خاضعة إما لشركات لها سياسة معينة، أو لها أهداف تجارية، باعتبار أن أغلب شركات التلفزيون تتغذى بالإعلانات، وكلما كانت الإعلانات فاضحة كلما أقبل الناس عليها غالباً، ولكن المشكلة أنه لا توجد عندنا رقابة، لأن هذه القضايا من مسؤولية الرقابة الرسمية، ويجب أيضاً أن يكون فيها نوعٌ من الرقابة الاجتماعية.

السياسة والدين:

□ هل هناك فصل شرعي بين الدين والسياسة، ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ؓ كانا يديران كافة شؤون الحياة، ومن ضمنها السياسة، فهل هناك فصل بينهما كما يشاع؟

○ هذا الفصل جاءنا من الغرب، لأن الغرب عاش تجربة فاشلة في الدين، حيث كان رجال الدين في ذلك الوقت يتدخلون في السياسة من ناحية ذاتية، دون أن يأخذوا بأسبابها أو ينطلقوا في خطوطها التي ترتفع بالمجتمع وتحل مشاكله. أما الإسلام، فإنه يعتبر السياسة جزءاً من الدين، وهو ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٣٠)، أي العدل، يعني أن كل الرسائل جاءت من أجل إقامة العدل بين الناس، فهل يمكن أن يسود العدل دون السياسة؟ عدل القانون أو عدل الحاكم أو عدل المحكومين أو عدل العلاقات الدولية... كلها غير ممكنة من دون السياسة. نعم، ليست سياسة (اللعب على الحبال) أو (سياسة اللف والدوران) أو (العبث)، بل هي السياسة التي تدير أمور الناس، والتي تراعي مصالحهم، والتي تخطط

لهم، وتدفع بهم إلى التقدم. ونحن عندما ندرس الإسلام، نجد أنه يملك قانوناً شاملاً لكل النواحي الحياتية، وهذا دليل على أن الإسلام هو دولة، لأن له قانوناً منفتحاً على كل مشاكل الحياة، وباب الاجتهاد مفتوح عندنا، فعندما تنطلق كثير من القضايا في الحياة، فيمكن أن يجتهد المجتهدون ويدرسوا مشاكل الناس وإيجاد الحلول المناسبة لها، وذلك على أساس فهمهم للقواعد الإسلامية.

إحياء الشعائر الحسينية:

□ ما هو رأيكم الشرعي في الاحتفال في عاشوراء بضرب الرؤوس بالسيف والظهور بالسلاسل وأمثال ذلك؟

○ إن رأينا الفقهي - الموافق لرأي كثير من الفقهاء - هو حرمة هذه الأعمال

لسببين:

الأول: أن رأينا هو حرمة الإضرار بالجسد حتى لو لم يؤدّ إلى التهلكة، وهذه النظرية الفقهية يأخذ بها عدد من الفقهاء، وفي مقدمتهم الشيخ مرتضى الأنصاري^(ع)، ولا إشكال في أن هذه الأعمال مصداق للضرر بالنفس، ولا سيما إذا قام وليّ الطفل بجرح الطفل، فإنه يزداد حرمة؛ لأنه لا ولاية للأب في الإضرار بالطفل، ولأنه تعذيبٌ وحشيٌّ للطفولة، وهذا مما يرفضه الشرع الإسلامي، حتى لو كان ذلك على أساس وفاء بالنذر؛ فإنّ مثل هذا النذر حرام شرعاً؛ لأنّ النذر إنما يكون شرعياً إذا كان طاعةً لله.

الثاني: أن هذه الأعمال تعطي صورةً مشوهةً عن الإسلام والمسلمين، من حيث دلالته على التخلف في التعبير عن الحزن تحت عنوان المواساة، وتؤدي إلى هتك حرمة الخطّ الإسلامي الأصيل، كما أن هذا الأمر ليس من الشعائر؛ لأنّ الشعائر - كما يقول السيّد الخوئي^(ع) - هي توقيفية، أي إنّ الشريعة هي التي تحدّد كون هذا الأمر من الشعائر أو لا. وقد استحدث البعض عادات جديدة بالسير على أربع أو الزحف على الخدود، ما يزيد المسألة تشوهاً وهتكاً وتعبيراً عن التخلف.

ومن جهة أخرى، فإنّ الموساة لا تتحقّق بذلك؛ فإنّ موساة الحسين ﷺ أن تُستشهد في الموقع الذي استشهد فيه، وأن تُجرّح حيث جرح، وموساة زينب ؓ أن تُجلد في الموقع الذي جلّدت فيه، وهو موقع الدفاع عن الحقّ ومواجهة الظلم، وقد كنّا نقول - ولا نزال - من أراد أن يواسي الحسين ﷺ، فلينطلق مع المجاهدين في لبنان وفلسطين وفي كلّ موقع للحقّ في العالم.

إنّنا ندعو إلى إقامة ذكرى الإمام الحسين ﷺ والصفوة الطيّبة من أهل بيته وأصحابه بإقامة المجالس الحسينيّة التي تحيي الذكرى وتثير الوعي وتثقف المجتمع بالإسلام والسيرة العطرة للنبيّ محمد ﷺ والأئمّة من أهل البيت ﷺ، والانفتاح على القضايا الحيويّة والمصيرية، والسير في المواكب الحسينية التي تطلق أناشيد الحزن والوعي والحركة في خطّ النصر، في طريق الشهادة، وإثارة الحزن بالوسائل الإنسانية الحضاريّة، والتبرّع بالدم للجرحى من المجاهدين والفقراء تحيةً لدم الحسين ﷺ، وصدقةً عن روحه؛ فإنّ في ذلك أسلوباً إسلامياً حضارياً على مستوى الإيمان والخير، وإثارة للذكرى في أجواء المأساة ضدّ الذين يصنعون المأساة للمستضعفين.

السباحة المختلطة لدون سنّ البلوغ:

□ ما حكم السباحة المختلطة بالنسبة لأطفال دون سنّ البلوغ، علماً أن ذلك يعتبر أحد الدروس في المدارس الأوروبية، وإن مثل هذه السباحة المختلطة يترك أثراً سلبياً في المستقبل بالنسبة للأطفال؟

○ هو في ذاته جائز، لأنه رفع القلم عن الطفل حتى يحتلم، ولكن كما ذكر السؤال، فإن هذا يؤدي إلى أن يتربى الطفل على هذه العادة ويعتبرها أمراً طبيعياً جداً، وربما امتدت معه إلى حال البلوغ، وقد يصعب أن نمنعهم من ذلك عندما يكبرون.

صور الأئمة:

□ ما حكم ما يوضع من صور الأئمة في البيوت والمحال التجارية للتبرك، وهل هناك فرق بين استلزام الهتك وغيره؟

○ طبعاً إذا استلزم الهتك فلا يجوز، وأنا لا أشجع هذه المسألة، لأن أغلب الصور إن لم يكن كلّها، ليس فيها أي ملامح فنية تجعلنا نتصور الأئمة بما لهم من المعاني الروحية التي تجعل الإنسان يتمثلها في صورهم، بحيث تشعرك بمعاني الوداعة والتسامح والمحبة وكل الصفات التي يمثلونها.

فلا نقول بحرمة رسم صور الأئمة، ولكن لا بد من فنان بارع، بحيث يستوحي الملامح الروحية للأئمة، حتى إنك إذا نظرت إلى الصورة، فإنك تتمثل كل المعاني الروحية وكل الصفاء وكل القيم التي تتمثل في الأئمة.

نتف الوجنتين:

□ هل نتف الوجنتين حرام أم لا؟
○ ليس حراماً.

تكليف المرأة تجاه منع الحجاب:

□ بما أن فرنسا منعت الحجاب في مدارسها، وهناك بعض المدن في ألمانيا تريد أن تكرر هذه التجربة، فما هو تكليف النساء المحجبات المقيمات في تلك الدول؟ وما هي وظائفنا قبال هذه الضغوطات المتزايدة؟

○ إذا اضطرت النساء إلى الالتزام بقانون منع الحجاب في المدارس أو في الإدارات العامة، فيمكن اللجوء إلى لبس القبعة الساترة للشعر مع الساتر الذي يغطي العنق بالطريقة التي لا يطالها قانون المنع، وفي حال منع السلطات ذلك، فيمكن اللجوء إلى الشعر المستعار الذي لا يجوز لبسه إلا في حالات الضرورة القصوى.

إن المطلوب من المسلمين في مناطق المنع الاحتجاج على ذلك، بالوسائل السلمية، كالتظاهر والاعتصام واللجوء إلى الإعلام بمختلف أشكاله، لإثارة الرأي العام الآخر بالطبيعة الحضارية، خلافاً لما تثيره الفئات المعادية للإسلام، والتأكيد على مخالفة القانون المانع للحجاب للحريات الفردية وحقوق الإنسان التي تلتزم بها تلك الدول..

ارتداء سلسلة عليها لفظ الجلالة

□ أود سؤال سماحتكم عن سلسال من فضة مكتوب عليه اسم الله وآية الكرسي وأنا ارتديه دائماً، فهل يجوز لي أن أدخل به الحمام ؟
○ لا بأس بذلك، ولا سيما إذا لم تمس البدن مباشرة، في وقت عدم الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، ولا يحرم دخول الحمام عندئذ.

الوشم:

□ هل الوشم حلال، مكروه، أم حرام؟ وما حكم الوشم حسب الفقه الجعفري، حيث إنه أصبح عادة شائعة في الغرب؟
○ الوشم ليس حراماً ولا مكروهاً من حيث المبدأ، ولا بد لكي يكون كذلك من أن يتعنون بما يوجب التحريم، كالهتك أو الكراهة بالعنوان الثانوي.
ولا يحرم ذلك إلا إذا كان موجباً لهتك حرمة صاحبه، أو كان من قبيل الزينة المثيرة بالنسبة للمرأة.. وهكذا بحسب العناوين الطارئة.

وضع العدسات الملونة للمرأة:

□ هل يجوز للمرأة أن تضع العدسات الملونة لأجل أن تبدو أجمل مثلاً أو لأسباب أخرى ؟ وهل يعد ذلك من الزينة؟ وإن عد من الزينة، فما هو المقياس المعتمد في ذلك؟

○ المهم أن لا يكون ذلك من الزينة المثيرة بحسب الصديق العرفي.

مصافحة الأجنبية:

□ بعد الانتهاء من عملية ولادة غير طبيعية وطويلة جداً لزوجتي، قدمت الدكتوراة الأجنبية يدها لمصافحتي وتهنئتي على السلامة وعلى المولودة، فشعرت بالحرع الشديد من الامتناع عن مصافحتها، أولاً: تقديراً على الجهد الكبير والوقت الطويل الذي قدمته، وثانياً خوفاً من أن يظهر الإسلام بمظهر الانغلاقية، خصوصاً أن التصافح هو بداية تعارف، وخاصة إذا كان للمرة الأولى، علماً أنهم يتفهمون ذلك جيداً عندما يعرفون لاحقاً أن ذلك غير جائز؟

○ إذا كان هناك حرج، فאלله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣١).

مقاطعة شركة:

□ ترعى إحدى الشركات برنامج (سوبر ستار)، أفلا يجب مقاطعة هذه الشركة وكل الشركات التي ترعى مثل هذه البرامج؟ فلماذا لا يبادر علماء المسلمين إلى موقف ملموس تجاه هذه البرامج؟

○ إن فتاوى المقاطعة لا تُطلق بشكل اعتباطي، بل إنها تنطلق من دراسة موضوعية لطبيعة المصالح والمفاسد المترتبة على المقاطعة بالنسبة للمسلمين، وإلا كان علينا أن نقاطع الدول كلها، الدول التي تحتضن مثل هذه الأمور.. قضايا المقاطعة هذه لا بد أن تدرس دراسة فقهية دقيقة جداً، في النتائج الإيجابية والسلبية التي تترتب عليها.

مساعدة تارك الصلاة:

□ هل يجوز مساعدة تارك الصلاة؟

○ الأصل هو أنه علينا أن ننهاء عن المنكر؛ فإن ترك الصلاة من المنكرات

الكبيرة، فإذا كان عدم المساعدة يعيده إلى الطريق الصحيح ويرجعه إلى الصلاة مرة أخرى فلا بأس، أما إذا كان ترك المساعدة يبعده عنا، ويمكن أن يجعله يرتكب معاصي أكبر، فهنا يمكن أن نساعد ونقربه من خلال هذه المساعدة، نقربه إلى أن يمتثل إلى أمر الله تعالى، فيجب أن تدرس المسألة بشكلٍ دقيق.

الانتقام من المسيء:

□ أريد أن أنتقم من شخص أهانني كثيراً، وأنا قادر على ذلك، فهو شخص منحط، والسؤال هو أن زوجتي لا تقبل بذلك وتخاف عليّ، ولكنني أشعر بالذل إن لم أنتقم، فماذا أعمل؟ علماً بأنني أحترمها كثيراً، وإن هناك مشكلة كبيرة في داخل المنزل تحدث يومياً؟

○ زوجتك أفقه منك، والسبب في ذلك هو أن على الإنسان أن يكظم غيظه، والعفو عند المقدرة ليس ذلاً، وجاء في الدعاء: ((اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا فإنك أولى بذلك منا))، وقد جعل الله تعالى للإنسان أن يأخذ حقه، لكنه قال في كتابه: «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»^(٣٢)، وقال تعالى: «وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ»^(٣٣). والإمام علي بن الحسين عليه السلام يقول: ((وأما حق من ساءك أن تعفو عنه، فإن رأيت أن العفو يضرك)) أي سوف يزداد بالسوء، ((انتصرت لنفسك))، والقرآن الكريم تحدث بقوله تعالى: «وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ»^(٣٤)، وقال تعالى: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ»^(٣٥)، وما إلى ذلك.. ولذلك نقول: عليك أن تطيع زوجتك في ذلك؛ لأنها تدرس الأمور بطريقة واقعية، قد تحلُ بانتقامك منه مشكلة نفسية، ولكن قد تقع بأكثر من مشكلة واقعية عملية.

(٣٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣٣) النحل: ١٢٦.

(٣٤) الرعد: ٢٢.

(٣٥) المؤمنون: ٩٦.

استعمال الآلات في المواكب الحسينية:

- ما هو حكم الطبول والمزامير المستخدمة في المواكب الحسينية؟
○ لا مشكلة فيها.

الإذن في الجهاد:

□ الجهاد في سبيل الله ركنٌ من أركان الدين الإسلامي، فهل يحتاج إلى فتوى من مراجعنا العظام؟ وهل مقارعة الظلم والتصدي للمعتدي يعتبر جهاداً في سبيل الله تعالى؟

○ الجهاد حركة معقدة، ولا يمكن لها أن تكون فردية، إلا في حالة الدفاع عن النفس وما إلى ذلك، وقضية الجهاد تحتاج إلى الجهة التي تملك الخبرة، بمعنى أن الجهاد يراد له الخبرة السياسية والخبرة الأمنية والقوة الاقتصادية والخبرة الإعلامية، وما إلى ذلك.. لأن الجهاد الآن ليس كالسابق، فلقد أصبح علماً، وأصبح خطة، وأصبح له برنامج، وأنت ربما تنطلق باسم الجهاد ويؤدي عملك إلى نتائج سلبية على البلد كله، وعلى كل ما تقصده أنت، ولذلك أصبح الجهاد معقداً. كيف ستأخذ السلاح؟ من أين تأخذ السلاح؟ كيف تتعامل أنت في الجهاد؟ وكيف يتم التنسيق والتخطيط إلى ذلك...؟

إسقاط الغيبة:

□ هل يجوز للشخص أن يسقط حقه بالنسبة لشخص معين، فيقول له: لك أن تغتابني متى شئت، فأنا أسامحك مهما قلت عني؟ وهل تصوير الغيبة حلالاً في هذه الحالة؟

○ الغيبة ليست حق الشخص فقط؛ لأن الغيبة حرام، فهي حكم تكليفي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَابُ بَعْضُكُمُ بَعْضًا﴾^(٣٦)، ففيها حق عام وهو حق الله تعالى،

فهي معصية لله تعالى، والله لا يجيز لأحد أن يغتاب أحداً إلا في بعض الحالات، كما في (مستثنيات الغيبة). وهناك حق خاص، وحتى هذا الحق الخاص ليس للإنسان أن ينتهك حرمة نفسه، يعني يقول لأحد ما: افضحني وسبني، فإنه ليس له ذلك. نعم، بعد أن يغتابه هذا الإنسان له أن يسامحه.

سَمَاعُ الْأَغَانِي:

□ إني أعمل في محلٍّ ومعِي خمسة من العمال ويفتحون المذياع من الصباح حتى المساء على الأغاني وليس لي سيطرة عليهم، ولا أستطيع ترك العمل حيث لم أجد عملاً آخر وبالْأجر الذي اتقاضاه، ما هو حكم سماعي لهذه الأغاني؟

○ المحرّم هو الاستماع، وذلك أن تسمع باختيار وبتوجه وقصد، أما السماع من دون قصد فأنت لست مأثوماً عليه.

سَقْيُ غَيْرِ نِظَامِي:

□ أسكن مع أحد أقاربي، وعنده مزرعة وماء السقي فيها غير نظامي، فهل يجوز الأكل من الثمر؟

○ يجوز أكل الثمر، وغصب الماء هذا يتحمّله الإنسان الذي يسقي ويكون من مسؤولياته.

اِقْتِنَاءُ الْأَحْرَازِ:

□ ما هو الحكم الشرعي في اقتناء بعض الأحراز التي يُقال إنها تدفع المكروه وتجلب بعض المنافع؟

○ إذا كانت مشتملة على أسماء الله سبحانه وتعالى، وكانت ثابتة من خلال المعصومين عليهم السلام، فلا يوجد مانع في اقتنائها، أما الطلاسم وما أشبهه، فلا نشجع عليها، والله سبحانه وتعالى يدفع المكروه ببركة أسمائه، وليست الأحراز هي التي تدفع المكروه.

الأكل من النذر:

□ هل يجوز الأكل من النذر إذا لم يشترط به شيء؟

○ النذر يتبع الناذر، فإذا كان الناذر قد نذر بالطريقة التي تجوز له أن يأكل منها، فلا يوجد مانع، وهو تارةً ينذر أن يعطي الفقراء، وتارةً ينذر أن يأكل هو والفقراء.

أعياد الميلاد:

□ ما هو حكم الإسلام في إحياء أعياد الميلاد؟ هل يجوز أن احتفل بميلاد

ابنتي؟

○ ليس ذلك حراماً ما لم يتضمن فعلاً محرماً مثل رقص النساء أمام الرجال، أو الغناء المحرّم وغير ذلك، لكن ينبغي لنا إذا أردنا إحياء مناسبات ميلاد أبنائنا، أن نجعل لذلك طابعاً إسلامياً، كأن نحتفل به في مناسبة إسلامية قريبة، ونجعل الهدايا المقدمة ذات هدف إسلامي، كالكتب الدينية أو المفيدة في ثقافة الأبناء وتربيتهم، ونقرأ شيئاً من الآيات القرآنية المباركة كعنوان للاحتفال ونحو ذلك.

الفهرس

[المقدمة]

- مرجعية المستقبل ٥
 أولاً: خصائص المرجعية الرشيدة .. ١٢
 ثانياً: مهمات المرجعية الشاملة ١٦
 ثالثاً: المؤسسة المرجعية ٢٠
 تنويه ٢٩
 جدول إحصائي بمسائل الندوة ٣٠

[باب المحاضرات]

المحاضرة الأولى:

مكانة العقل في السنة النبوية (١)

- استعمالات العقل ٣٣
 نظرة في استعمالات كلمة (العقل) ٣٥
 العقل العملي ٣٧
 العقل طاقة تشمل الحياة ٣٨
 العقل أساس المعرفة والعقيدة ٣٨
 المنهج العقلي سبيل إلى التطور ٤٠
 الذهنية الغيبية ٤١

المحاضرة الثانية:

مكانة العقل في السنة النبوية (٢)

- المستوى الفكري للمرأة ٤٣
 عقل المرأة ٤٥
 نقصان الحظ ٤٧
 عبادة المرأة ونقصان الدين ٤٩
 التكليف المشترك والعقل المشترك ٤٩
 المرأة كممثل بشري ٥٠
 مسألة القوامة ٥٠

المرأة وحياة الرقة ٥٦

المحاضرة الثالثة:

مكانة العقل في السنة النبوية (٣)

- الركيزة الأساس في حركة الإنسان ٥٩
 عقل الأنبياء ﷺ ٦١
 النوم العاقل والنوم الجاهل ٦٣
 بعث الرسول ﷺ بعد استكمال عقله ٦٤
 الداعية وفهم المجتمع حوله ٦٧

المحاضرة الرابعة:

مكانة العقل في السنة النبوية (٤)

- دور التجربة في إغناء الفكر ٧١
 العمل بين الشكل والمضمون ٧٣
 ملامح العقل في كلمات علي ﷺ ٧٥
 أولاً: أسس تنمية العقل ٧٥
 ثانياً: التجربة والتأمل ٧٦
 ثالثاً: العقل والعنف ٧٩

المحاضرة الخامسة:

مكانة العقل في السنة النبوية (٥)

- دور التجربة في إغناء الفكر ٨١
 أمة التفكير ٨٣
 دائرة الشورى ٨٥
 كيف نعقل الحديث؟ ٨٧

المحاضرة السادسة:

مكانة العقل في السنة النبوية (٦)

- دور العقل في إغناء الحياة ٩١
 استطاق العقل ٩٣
 سلطان العقل ٩٤
 البحث عن الحقيقة ٩٧

١٤٣ في ذكرى الغدير

١٤٥ في ذكرى الغدير

١٤٦ غاية الحرب عند علي ؑ

١٤٧ إشارة العقل

١٥٠ من العقل إلى الحكمة

١٥٠ العقل والبصيرة

١٥٣ علامة العاقل

١٥٤ حقيقة معاصرة

المحاضرة الثانية عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٢)

١٥٥ تنظيم الوقت

١٥٩ برنامج العمر

١٦٤ العشرة من خلال العقل

١٦٦ العقل والتخطيط للحياة

المحاضرة الثالثة عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٣)

١٦٩ غضب العاقل

١٧١ غضب الجاهل وغضب العاقل

١٧٣ عناصر الحكم

١٧٥ تنمية العقل

المحاضرة الرابعة عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٤)

١٧٧ غضب العاقل

١٧٩ صراع العقل والشهوة

١٨٠ العجب تعطيل للعقل

١٨٢ وضوح الرؤية وإصلاح النفس

المحاضرة الخامسة عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٥)

١٨٨ عقل التجربة

١٨٥ عقلنة التفكير

١٨٩ تجربة الفكر

١٩٠ العقل مُمَوِّن الحياة

١٩١ من التأمل إلى التجربة

المحاضرة السابعة:

مكانة العقل في السنة النبوية (٧)

دوره في إغناء الحياة الإنسانية ٩٩

١٠١ للعقل دور ريادي

١٠٢ من الآخرة واليهما

١٠٦ التخطيط للحياة

١٠٨ قيمة الإنسان

المحاضرة الثامنة:

مكانة العقل في السنة النبوية (٨)

دور العقل في إغناء الفكر الإنساني

والعقدي ١١١

١١٣ المنهج القرآني في التفكير

١١٧ مآهات الوهم

١١٨ الله تعالى يجل عن الوصف

١١٩ تحديد المرجع الفكري

١٢٠ عليك بأهل الاختصاص

المحاضرة التاسعة:

مكانة العقل في السنة النبوية (٩)

قيمة العقل في ضمان المستقبل

الإنساني ١٢٥

١٢٧ التأييد والرفض

١٢٨ فلتات اللسان

١٢٩ أخطاء الحس والعقل

١٣١ من علامات العاقل

١٣٢ حفظ الأسرار

المحاضرة العاشرة:

مكانة العقل في السنة النبوية (١٠)

المؤثرات السلبية على العقل ١٣٥

١٣٧ حركة العقل في الحياة

١٣٨ من العقل إلى الحلم

١٣٩ مظاهر العقل

المحاضرة الحادية عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (١١)

٢٣٨.....	شرف العائلة.....
٢٤٠.....	التمييز بين الذكر والأنثى.....
٢٤٢.....	مركز البنت في المفهوم الإسلامي.....
٢٤٣.....	إيثار الذكور بالوصية.....

المحاضرة العشرون:

تدبير الأسرة (١)

٢٤٥.....	الأسلوب الإسلامي في التعامل مع الأطفال.....

٢٤٧.....	التربية الصامتة.....
٢٤٨.....	إشعار الطفل بالقسوة.....
٢٥٠.....	التعبير عن العاطفة.....
٢٥١.....	بر الأولاد.....
٢٥٢.....	العدل بين الأولاد.....
٢٥٤.....	حقوق الولد.....

المحاضرة الحادية والعشرون:

تدبير الأسرة (٢)

٢٥٧.....	حقوق الولد على الوالدين.....
٢٥٩.....	حق التعليم.....
٢٦٠.....	حق الزواج.....
٢٦٤.....	المنهج الإسلامي في التربية.....
٢٦٥.....	البعد الديني للتربية.....
٢٦٦.....	الشعور بالحاجة.....
٢٦٧.....	قيمة المرأة.....

المحاضرة الثانية والعشرون:

تدبير الأسرة (٣)

٢٧١.....	تربية وإعداد الجيل الصالح.....
٢٧٣.....	إنتاج الجيل الصالح.....
٢٧٤.....	إسماعيل.. الولد الصالح.....
٢٧٦.....	يحيى.. الولد الصالح.....
٢٧٧.....	أمنيات الصالحين.....
٢٧٩.....	الحياة المتحركة.....

المحاضرة الثالثة والعشرون:

تدبير الأسرة (٤)

١٩٣.....	التجربة أبداً.....
	المحاضرة السادسة عشرة:
	رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٦)

١٩٥.....	حسن التدبير.....

١٩٧.....	المدير الأول.....
١٩٩.....	تدبير السوء.....
٢٠٢.....	تداخل الأمور.....
٢٠٥.....	الجهل والعصبية.....
٢٠٧.....	مواجهة الفتنة.....

المحاضرة السابعة عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٧)

٢٠٩.....	أنواع التدبير.....

٢١١.....	حركة التكامل.....
٢١٢.....	تدبير العقل.....
٢١٣.....	تدبير الغريزة.....
٢١٤.....	تدبير الجسد.....
٢١٦.....	التدبير المالي.....
٢١٧.....	التدبير الروحي.....

المحاضرة الثامنة عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٨)

٢١٩.....	تدبير الأسرة.....

٢٢١.....	الخلية الاجتماعية.....
٢٢٣.....	مسؤولية البيت.....
٢٢٤.....	عمل المرأة.....
٢٢٥.....	المرأة العاملة وتدبير المنزل.....
٢٢٧.....	التخطيط لبناء أسرة.....
٢٢٩.....	فسخ العلاقة الزوجية.....
٢٣١.....	الاحترام المتبادل.....

المحاضرة التاسعة عشرة:

رؤية الإمام علي ؑ للعقل (٩)

٢٣٣.....	تدبير الأولاد.....

٢٣٥.....	النظرة إلى الأولاد.....
٢٣٦.....	امتداد المهنة.....
٢٣٧.....	تغيير الذهنية.....

فساد القوة	٣٤١
معركة الصلاح والفساد	٣٤٣
منتهى المكر السيئ	٣٤٦
القوة فساد مطلق	٣٤٧

المحاضرة التاسعة والعشرون:

الفساد التخريبي للحياة (١)

الفساد الاجتماعي	٣٥١
ولاية المؤمنين	٣٥٣
ولاية الكافرين	٣٥٥
من الفساد الكبير	٣٥٩

المحاضرة الثلاثون:

الفساد التخريبي للحياة (٢)

دور الإنسان في صناعة الفساد	٣٦٣
صنع الفساد	٣٦٥
الإنسان صانع التغيير	٣٦٧
آثار الفساد	٣٦٩

[باب المسائل]

الفصل الأول:

المسائل القرآنية	٣٧٥
الصلاة على النبي ﷺ	٣٧٧
القلب عضلة فكيف يعمى ؟	٣٧٧
حدود اجتنب الظن	٣٧٨
حول فهم معاصر للقرآن	٣٧٩
بين القتال والجبر	٣٧٩
تمييز المرأة في القرآن	٣٨٠
المحو والإثبات في القرآن الكريم	٣٨٠
منع الإضلال	٣٨١
يوم الأحزاب	٣٨١
قوة الظالمين، من أين ؟	٣٨٢
عدو إبراهيم ﷺ	٣٨٣
تمني سليمان ﷺ الملك	٣٨٣
نسيان الله	٣٨٤
الجهاد الابتدائي في القرآن	٣٨٥

الولد غير الصالح	٢٨٣
جيل السوء	٢٨٥
تواصل الأجيال	٢٨٧
منهج الصلاح	٢٩٠
الإيمان والعمل الصالح	٢٩٢

المحاضرة الرابعة والعشرون:

مظاهر الفساد في الأرض (١)

مظاهر الفساد	٢٩٣
الهيمنة المطلقة للخالق	٢٩٥
إفساد الحياة	٢٩٨

المحاضرة الخامسة والعشرون:

مظاهر الفساد في الأرض (٢)

الإفساد العام	٣٠٣
الإفساد العام.. نموذج فرعون	٣٠٥
الاستعراض الزائف	٣٠٨
مظاهر الفساد	٣١٠
الشذوذ الجنسي	٣١١
الفساد الأكبر	٣١٣
الإسراف والفساد	٣١٥

المحاضرة السادسة والعشرون:

مظاهر الفساد في الأرض (٣)

الفساد الاجتماعي	٣١٧
القطيعة الاجتماعية	٣١٩
الذهنية العنصرية	٣٢٢
الطفغان الاقتصادي	٣٢٥

المحاضرة السابعة والعشرون:

مظاهر الفساد في الأرض (٤)

الإفساد المالي	٣٢٩
عبودية الحاجة	٣٣١
نموذج قارون	٣٣٢
إفساد الحياة الاقتصادية	٣٣٦

المحاضرة الثامنة والعشرون:

مظاهر الفساد في الأرض (٥)

- العرفان في التفسير ٤٠٥
- الاستعاذة بالرحمن ٤٠٦
- حكم خروج المرأة من المنزل ٤٠٦
- وجوب الاستماع إلى القرآن ٤٠٦
- درس فتية أهل الكهف ٤٠٧
- القرآن المهجور ٤٠٨
- جزئية البسطة ٤٠٨
- أعمال المؤمنين ٤٠٩
- الراي الآخر ٤٠٩
- نزول القرآن ٤١٠
- كيفية تكليم الله موسى ﷺ ٤١٢
- منزلة هارون ﷺ ٤١٢
- كتاب يحيى ﷺ ٤١٣
- تحدي المعجزة ٤١٣
- تبليغ الأمم والشعوب ٤١٤
- نسبة النسيان إلى الشيطان ٤١٥
- حدود الإيمان بالله ٤١٦
- أسلوب القرآن في طرح العقيدة ٤١٧
- تطهير من الرجز ٤١٧
- إياك نستعين ٤١٧
- إطاعة السماء والأرض ٤١٧
- التكرار في القارة ٤١٨
- معنى (الفتنة) ٤١٨
- أجر الحسنه ٤١٩
- العلوم في القرآن ٤٢٠
- العصمة من الناس ٤٢١
- الذين عند ربك ٤٢١
- الشفاعة في القرآن الكريم ٤٢٢
- حب الأولاد والفتنة ٤٢٤
- جعل الحواجز أمام الكافرين ٤٢٥
- الرسول والنبى ٤٢٥
- الولاية على الأيتام ٤٢٦
- التخلف عن الجهاد ٤٢٦
- نزول سورة (الفاتحة) ٤٢٧
- الحروف المقطعة ٤٢٧
- نفخ الروح ٤٢٨
- صيانة القرآن الكريم ٤٢٨
- الرغبة إلى الله ٣٨٦
- معنى (عين حمئة) ٣٨٧
- إنشاء المساجد ٣٨٧
- تسبيح الأحياء ٣٨٧
- الرزق الحسن ٣٨٨
- بكاء السماء والأرض ٣٨٨
- معنى اللطم في القرآن ٣٨٨
- اختلاط الرجال بالنساء في القرآن ٣٨٩
- التسوية بين الناس ٣٨٩
- شمول وصف المؤمنين للأنبياء والأئمة ٣٩٠
- حجية الخبر الواحد في القرآن ٣٩٠
- نعم الله المادية ٣٩١
- يوم الله وسني البشر ٣٩١
- منع الإضلال ٣٩٢
- الشكر بعد الموت ٣٩٢
- أوصاف الهماز في القرآن ٣٩٣
- الاستقامة في القرآن ٣٩٣
- رفع الطور ٣٩٤
- صلاة الليل في القرآن ٣٩٤
- تلقي النبي ﷺ القرآن ٣٩٥
- الزكاة في القرآن ٣٩٥
- المسخ في القرآن الكريم ٣٩٦
- العبرة من التكاليف الخاصة ٣٩٧
- تفسير السلطان في القرآن ٣٩٧
- جمع الوحوش يوم القيامة ٣٩٧
- هل يحزن المؤمنون؟ ٣٩٧
- تفسير العرش ٣٩٨
- الاقتداء دليل العصمة ٣٩٩
- خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ٣٩٩
- التمييز بين الأولاد ٤٠٠
- هل للخمر والقمار منافع ٤٠١
- الاستدلال على الجمع بين الصلوات ٤٠٢
- المحاسبة على الحقد النفسي ٤٠٢
- حدود تفضيل الرجال على النساء ٤٠٣
- مسؤولية العائلة ٤٠٤
- الاهتمام بالنفس ٤٠٤

٤٥١.....	تفسير (مقعد صدق)
٤٥٢.....	المغضوب عليهم والضالون
٤٥٢.....	قَتَلَ الْإِنْسَانَ
٤٥٢.....	السؤال عن النعيم
٤٥٢.....	ظلم آدم وحواء
٤٥٣.....	الكشف عن الساق
٤٥٣.....	حدود التبرج
٤٥٤.....	أوقات الصلاة في القرآن
٤٥٤.....	روح الله

الفصل الثاني

المسائل العقيدية ٤٥٧

٤٥٩.....	معنى عصمة الأنبياء والأئمة ؑ
٤٦٠.....	الاقتراق سنة طبيعية
٤٦١.....	عقل الحيوان
٤٦٢.....	النساء وأهل النار
٤٦٣.....	أثر التوبة
٤٦٣.....	توبة المجرم
٤٦٤.....	لماذا يخلد الكفار في النار؟
٤٦٥.....	عصمة الأنبياء
٤٦٦.....	غيبة الإمام المهدي ؑ
٤٦٧.....	معنى اللطف في العصمة
٤٦٧.....	تساؤلات الطفولة العقائدية
٤٦٨.....	العبرة والكتاب
٤٦٩.....	مصحف فاطمة ؑ
٤٧٠.....	الشخصية النبوية
٤٧٠.....	صدور الغضب والرضا من الله
٤٧١.....	الجريمة والعقاب
٤٧٣.....	التعرف على مذهب أهل البيت ؑ
٤٧٤.....	التقية والنفاق
٤٧٤.....	تأثير البيئة في الإيمان
٤٧٥.....	تأثير السحر
٤٧٦.....	الإيمان والرجعة
٤٧٦.....	المعصوم في زمن الطفولة
٤٧٧.....	الأمر المولوي والإرشادي
٤٧٨.....	علم الله والاكتشافات الحديثة
٤٧٩.....	غيبة الإمام المهدي ؑ

٤٢٨.....	عداوة الأقربين
٤٢٩.....	خلق الشر
٤٢٩.....	اختلاف الناس
٤٣٠.....	تكليم الله
٤٣٠.....	الإصرار على الكفر
٤٣١.....	ترتيب الآيات
٤٣٣.....	مدة الخلق
٤٣٣.....	الحديث بالنعيم
٤٣٤.....	تأثير الجن في البشر
٤٣٦.....	كرسي الرحمن
٤٣٦.....	تأثير الصلاة
٤٣٧.....	هداية السبيل
٤٣٧.....	ريح يوسف ؑ
٤٣٧.....	التعامل مع اليتيم
٤٣٨.....	القرآن والحديث القدسي
٤٣٧.....	التعبير بالجمع والمفرد
٤٣٩.....	معنى التطفيظ
٤٣٩.....	الجبر والاختيار
٤٤٠.....	التوفيق بين آيتين
٤٤١.....	الزكاة في القرآن الكريم
٤٤١.....	معنى الفتنة
٤٤١.....	مرتبة القرب
٤٤٢.....	منع الإضلال
٤٤٢.....	أثر التوبة
٤٤٢.....	كثرة المفسدين
٤٤٤.....	ميزان الأعمال
٤٤٥.....	يأجوج وماجوج
٤٤٥.....	وجه الله
٤٤٥.....	حوار الله تعالى مع الملائكة
٤٤٦.....	صدق أولاد يعقوب ؑ
٤٤٦.....	علم النبي ؑ الغيب
٤٤٧.....	المذاهب النقدية الحديثة
٤٤٨.....	إعجاز في اللفظ أو المعنى
٤٤٩.....	نسبة التطهير إلى الله
٤٤٩.....	حسناً وإحساناً
٤٤٩.....	التفضيل بالعلم
٤٥٠.....	تفسير (الهاكم التكاثر)

القومية والإسلام	٥٠٤
حوار الفكر	٥٠٦
مصلحة الدين والوطن	٥٠٦
علامات أهل الدين	٥٠٧
دور القرآن في المعالجة من الأمراض	٥٠٧
معوقات دور العقل	٥٠٧
هبوط آدم ﷺ إلى الأرض	٥٠٨
تحديات مرحلة علي ﷺ	٥٠٨
العقل والشرعية	٥٠٩
صيانة الإيمان الإنساني	٥١٠
انتشار الإسلام بالقوة	٥١٠
العلمانية الأصولية	٥١١
العلمانيون العرب المتعصبون	٥١١
اتساع دائرة الفقر في المجتمع الإسلامي	٥١٢
إساءة فهم الشفاعة ودورها في التربية	٥١٣
تعريف الإشراف	٥١٥
المنهج الصوفي إسلامياً	٥١٥
دور الأنبياء في الإصلاح	٥١٥
الطوارئ الثقافية	٥١٦
دورنا في ذكرى الحسين ﷺ	٥١٦
دعم عوائل العراق	٥١٨
مواجهة مع الشيطان	٥١٨
تعدد الزوجات	٥١٩
تربية الأطفال	٥١٩
مؤهلات طالب الحوزة	٥٢٠
المرجعية الرشيدة	٥٢٠
عقل المرأة	٥٢٠
مرجعية الإسلام في الاختلاف	٥٢١
الدفاع عن المقدسات	٥٢٢
الاقتداء بالنبي ﷺ	٥٢٢
ظاهرة التكفير	٥٢٣
تعليم المرأة	٥٢٥
التنمية الاقتصادية	٥٢٦
الجنة والأمهات	٥٢٦
مفهوم الشانية	٥٢٧

عظمة الإنسان	٤٨٠
حدود حرية العقل	٤٨١
الاستعانة بالله على الشيطان	٤٨١
البحث العقائدي	٤٨٢
ذات الله	٤٨٣
المس بالذات الإلهية	٤٨٣
مرتكب الكبيرة	٤٨٤
الوحدة الإسلامية، هل تتحقق؟	٤٨٤
مواجهة ظاهرة التطرف	٤٨٥
مواجهة التطرف بالتطرف	٤٨٥
برامج للإفساد	٤٨٦
التعايش مع الناس	٤٨٧
أنواع العذاب بعد الحياة	٤٨٧
سعة عصمة النبي ﷺ	٤٨٨
الكفر والشرك	٤٨٨
مسؤولية النبي في التشريع	٤٨٨
الثواب والعقل	٤٩٠
نسبية العقل	٤٩٠
سيدة النساء في عمر قصير؟	٤٩١

الفصل الثالث

المسائل الفكرية	٤٩٣
ما المعنى الشرعي لـ (العقل حجة)	٤٩٥
دين الله لا يصاب بالعقول	٤٩٥
وصية إلى أبنائنا في العراق	٤٩٦
الأوروبيون بين الداخل الإنساني والخارج الاستعماري	٤٩٧
الإعلام الديني الهادف	٤٩٨
اهتمام الإسلام بالحَبِّ	٤٩٨
القياس والعقل والدين	٤٩٩
عودة الإسلام	٥٠٠
تأهيل المجتمع المسلم	٥٠١
تاريخ السيد المسيح ﷺ	٥٠١
رأي شيخ الأزهر في الموقف من الحجاب	٥٠٣
الموقف من الدستور في العراق	٥٠٣
التشبه بالغرب	٥٠٤

عتاب المفتون..... ٥٥٦

معرفة الله سبحانه وتعالى..... ٥٥٦

الفصل الخامس

المسائل الفقهية

أولاً المرجعية والتقليد..... ٥٥٧

قضاء المرأة..... ٥٥٩

نصيحة للمقلدين العراقيين..... ٥٥٩

العرف وأثره في الفقه الإسلامي..... ٥٦٠

سن تكليف البنات..... ٥٦٠

ترك الرجوع إلى الفقيه..... ٥٦١

التبويض مع مراعاة الأعلمية..... ٥٦٢

الإفتاء على طبق رأي المقلد..... ٥٦٢

بلوغ المرأة الاجتهاد..... ٥٦٢

حدود التقليد..... ٥٦٣

حقُ الإفتاء بالجهد..... ٥٦٣

العمل بالقياس..... ٥٦٣

الظن في القياس والخبر..... ٥٦٤

ولاية الفقيه وولاية الأمة..... ٥٦٤

حالات الاحتياط..... ٥٦٥

طابع الذكورة في الفقه..... ٥٦٥

ثانياً النجاسات والطهارات..... ٥٦٧

تعقيدات الطهارة..... ٥٦٧

تفصيل السقط..... ٥٦٧

غسل الميت..... ٥٦٧

كتابة الآيات على الجسد..... ٥٦٧

استعمال الميتة في علف الحيوان..... ٥٦٨

دفن الجنين..... ٥٦٨

دخول المشرك إلى المسجد..... ٥٦٩

الشك في الدم..... ٥٦٩

تطهير الحبل بالشمس..... ٥٦٩

التيّم بالتراب النجس..... ٥٦٩

خطأ في الوضوء..... ٥٦٩

احتياطات الفقهاء..... ٥٧٠

الحرج في تحصيل الطهارة..... ٥٧٠

ملاقاة عين النجاسة..... ٥٧٠

النجاسة لا تزول بالجفاف..... ٥٧١

شروط طلبية الحوزة..... ٥٢٨

العلمانية والإسلام..... ٥٢٨

التدبير المجتمعي..... ٥٢٩

مؤسساتنا الإسلامية..... ٥٢٩

شكل العبادة ومضمونها..... ٥٣٠

صفات الله..... ٥٣١

دراسة الشؤون المعاصرة..... ٥٣٢

التعصب للراي..... ٥٣٢

محاصرة الفكر الآخر..... ٥٣٣

دور المرأة تجاه عاشوراء..... ٥٣٣

عمل المرأة في المنزل..... ٥٣٥

تقاسم املاك الزوج..... ٥٣٦

الانتساب إلى الأب..... ٥٣٦

الفصل الرابع

المسائل التربوية..... ٥٣٩

غيرة النساء..... ٥٤١

ضغط الأزمات في الحياة..... ٥٤١

الزواج الثاني..... ٥٤٣

تجاوز الطائفية..... ٥٤٣

حبّ الأعداء..... ٥٤٤

حالة الإحباط..... ٥٤٥

استفتاء النفس..... ٥٤٥

تحصيل البركة..... ٥٤٥

فاعلية الحوزات العلمية..... ٥٤٦

الحوزة بعد سقوط (صدام)..... ٥٤٧

مسلمو فرنسا وقرار منع الحجاب..... ٥٤٧

مستقبل العراق..... ٥٤٨

المجالس النافعة..... ٥٤٨

ما ينسب إلى الإنسان زوراً..... ٥٩٠

حلول مشكلات الشباب..... ٥٥٠

مستقبل الشباب في العراق..... ٥٥٠

فهم (نهج البلاغة)..... ٥٥١

الحج أو إعالة الفقراء..... ٥٥١

أين كتب الأئمة ؑ..... ٥٥٢

الزواج المبكر..... ٥٥٣

نهاية الصداقة..... ٥٥٤

اختلاف الفرض	٥٨٣
التحميد بعد سورة (الحمد)	٥٨٤
صلاة المريئة	٥٨٤
معنى التوقيفي	٥٨٥
حضور صلاة الجمعة	٥٨٥
الصلاة على النبي ﷺ	٥٨٦
الصلاة على النبي في الصلاة	٥٨٦
صلاة المسافر جماعة	٥٨٧
زيادة سجدة	٥٨٧
باطل الوضوء	٥٨٧
الدعاء في القنوت	٥٨٧
الصلاة في الحرمين الشريفين	٥٨٨
الخطأ في النية اللفظية	٥٨٨
الصلاة من دون تكبيرة الإحرام	٥٨٨
قصر الصلاة	٥٨٨
الإخفات في صلاة المرأة	٥٨٨
القراءة في الصلاة	٥٨٩
الصلاة الإبراهيمية	٥٨٩
الصلاة بالحذاء	٥٨٩
السفر مراراً	٥٩٠
الاستعانة في قراءة القنوت	٥٩٠
رابعاً الصيام والكفارات	٥٩١
الصيام بعد شهر رمضان	٥٩١
إكراه الزوجة على الإفطار	٥٩١
الإفطار عن عمد	٥٩١
عدم وفاء بالنذر	٥٩١
القضاء عن الميت	٥٩٢
تأخير قضاء الصوم	٥٩٢
ثبوت الهلال بالعدد	٥٩٢
الثبوت الفلكي للهلال	٥٩٢
قضاء المعاق	٥٩٣
قضاء الصوم عن الميت	٥٩٤
النذر مع عدم القدرة	٥٩٤
تعدد الكفارات	٥٩٤
صيام شوال	٥٩٥
كيفية إطعام ستين مسكيناً	٥٩٥

آثار النجاسة بعد إزالتها	٥٧١
شعر القطعة على لباس المصلي	٥٧١
الشك في تحقق الحدث الأكبر	٥٧١
اجتماع الحيض والحمل	٥٧٢
غسالة الميت	٥٧٢
ثالثاً الوضوء والصلاة	٥٧٣
الصلاة الوسطى	٥٧٣
نسيان ما يصح السجود عليه	٥٧٣
نية الأداء والقضاء	٥٧٣
صلاة الجمعة عبر المذياع	٥٧٤
مؤهلات إمام الجمعة	٥٧٤
الانتماء بالمرأة	٥٧٤
كثرة السفر	٥٧٥
اشتراط الطمأنينة في الذكر	٥٧٥
الصلاة بملابس عليها صور	٥٧٥
تداخل المستحبات	٥٧٥
الفجر الكاذب والفجر والصادق	٥٧٦
القضاء عن الوالد	٥٧٦
العجز عن القضاء	٥٧٦
جهل المصلي	٥٧٧
مشكلة اللجوء إلى الغرب فقهاءً	٥٧٧
الصلاة في الحرب	٥٧٧
تحديد الغروب	٥٧٨
تعليم الأبناء الصلاة	٥٧٨
الصلاة بين القصر والتمام	٥٧٨
الصلاة في الوطن	٥٧٩
إدخال اليدين في الملابس عند الصلاة	٥٧٩
عدالة الإمام في صلاة الجمعة	٥٧٩
السهو في الصلاة	٥٨٠
قضاء البنت عن الأب	٥٨٠
قضاء الصلاة	٥٨٠
العزوف عن مكان الإقامة	٥٨١
تغيير الإقامة	٥٨١
صلاة الجنازة	٥٨١
غسل الرجلين في الوضوء	٥٨١
القضاء عن الميت	٥٨٣
قراءة السور الطوال في الصلاة	٥٨٣

٦٠٨.....	مشروعية الزواج المؤقت مع الدائم
٦٠٨.....	حدود المعاشرة
٦٠٨.....	إخبار الزوجة بالزواج الثاني
٦٠٩.....	التنازل عن المهر
٦٠٩.....	انفصال الخطيبة
٦١٠.....	الزواج في حال الخطبة
٦١٠.....	الزواج المتعدد
٦١٠.....	إرهاق الزوج
٦١١.....	منع الزوجة حقها
٦١١.....	المطالبة بالطلاق
٦١١.....	المصارحة في الزواج
٦١٢.....	بطلان الزواج
٦١٢.....	التفاوت بالسن بين الأزواج
٦١٢.....	زواج الرشيدة
٦١٣.....	طلب المرأة الطلاق
٦١٣.....	تنازل المرأة عن حقوقها
٦١٤.....	الطلاق بدون علم الزوج
٦١٤.....	الزواج من فتاة أكبر سناً
٦١٤.....	الطلاق بعد الزواج المؤقت
٦١٥.....	الزواج من ابنة زوجة الأب
٦١٥.....	تأثير العرف في الأحكام
٦١٥.....	الزواج بالمعاطاة
٦١٦.....	إذن الزوجة بالزواج الثاني
٦١٦.....	تقسيط مؤجل الزواج
٦١٦.....	نظام العدة
٦١٧.....	الرجوع عن الإبراء

ثامناً أموال وينوك..... ٦١٨

٦١٨.....	التعويض مع الإنفاق
٦١٨.....	التصرف بالوديعة
٦١٩.....	مفاعيل الغصب
٦١٩.....	المسؤولية تجاه الأموال المتبرعة
٦٢٠.....	تغيير الوقف
٦٢٠.....	الربا بين الوالد والولد
٦٢٠.....	إرث الزوجات
٦٢١.....	توكيل الزوج باستلام الراتب
٦٢١.....	ضمان مال
٦٢١.....	تحريم تهريب الوقود من العراق

خامساً الخمس والزكاة..... ٥٩٦

٥٩٦.....	التصرف بزكاة الفطرة
٥٩٦.....	دفع زكاة الفطرة في بلد آخر
٥٩٦.....	نية الدفع بعد العيد
٥٩٦.....	دفع خمس سيارة
٥٩٧.....	خمس أموال متفرقة
٥٩٧.....	خمس الوديعة
٥٩٧.....	صرف الحقوق في العراق
٥٩٨.....	الزكاة ليتيم غير مسلم
٥٩٨.....	دفع الخمس للمستحق
٥٩٨.....	التكليف بالخمسة
٥٩٨.....	مستحق الخمس
٥٩٩.....	ضابط الإسراف
٥٩٩.....	الخمسة في المهر
٥٩٩.....	الخمسة في أموال لشراء منزل

سادساً الحج والعمرة..... ٦٠٠

٦٠٠.....	حج الزوجة من دون إذن الزوج
٦٠٠.....	تزاحم الخمس والحج
٦٠٠.....	الوصية بالحج
٦٠١.....	ثقافة الحاج
٦٠١.....	المساعدة على أداء الحج
٦٠١.....	فائدة المبيت بمعنى
٦٠٢.....	كفارة التظليل
٦٠٢.....	العمرة نيابة عن أشخاص
٦٠٣.....	إجزاء الحج
٦٠٣.....	حدود الأماكن المقدسة
٦٠٣.....	الهدى في الحج
٦٠٣.....	دفع قيمة الهدى
٦٠٤.....	شرط الختان في الحج
٦٠٤.....	الوساطة للحج
٦٠٤.....	تأخر الحاج عن الوصول إلى منى

سابعاً الزواج والطلاق..... ٦٠٦

٦٠٦.....	تبعية الزوجة للزوج
٦٠٦.....	حق الزوجة في الطلاق
٦٠٧.....	الرجوع عن الطلاق
٦٠٧.....	عمل الزوجة في البيت

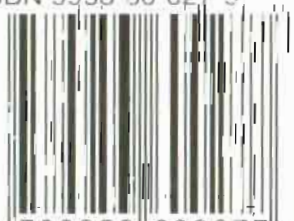
٦٣٦.....	حمل القرآن.....
٦٣٦.....	إذن الضحوى.....
٦٣٦.....	التعامل مع قراطيس تحمل أسماء
٦٣٦.....	الجلالة.....
٦٣٧.....	ترك الطاعات.....
٦٣٧.....	النطق بالشهادتين.....
٦٣٧.....	تشخيص الملابس الشرعية.....
٦٣٧.....	لجوء الزوجة إلى الغرب.....
٦٣٨.....	الجلوس على مائدة الخمر.....
٦٣٨.....	سفر المرأة.....
٦٣٩.....	صيغة العهد.....
٦٣٩.....	القفز على النار.....
٦٤٠.....	أكل لحم الخنزير.....
٦٤٠.....	عدم الحشمة في الستر.....
٦٤٠.....	تحريم الغناء.....
٦٤١.....	آداب الاستماع للقرآن الكريم.....
٦٤١.....	المنع عن مساجد الله.....
٦٤٢.....	تقوية المحتل.....
٦٤٢.....	العمل مع شريك.....
٦٤٢.....	عمليات التجميل.....
٦٤٣.....	خروج المرأة ليلاً.....
٦٤٣.....	انكشاف المرأة بغير علم.....
٦٤٣.....	الوظيفة في الدول الكافرة.....
٦٤٣.....	برنامج تلفزيوني.....
٦٤٤.....	السياسة والدين.....
٦٤٥.....	إحياء الشعائر الحسينية.....
٦٤٦.....	السباحة المختلطة لدون سن البلوغ.....
٦٤٧.....	صور الأنمة.....
٦٤٧.....	نتف الوجنتين.....
٦٤٧.....	تكليف المرأة تجاه منع الحجاب.....
٦٤٨.....	ارتداء سلسلة عليها لفظ الجلالة.....
٦٤٨.....	الوشم.....
٦٤٨.....	وضع العدسات الملونة للمرأة.....
٦٤٩.....	مصافحة الأجنبية.....
٦٤٩.....	مقاطعة شركة.....
٦٤٩.....	مساعدة تارك الصلاة.....
٦٥٠.....	الانتقام من المسيء.....

٦٢١.....	شراء أسهم البنوك.....
٦٢٢.....	حكم الفائدة على الأموال المودعة.....
٦٢٢.....	المقاصة في الحقوق.....
٦٢٢.....	المقاصة في الحقوق.....
٦٢٣.....	احتكار الوقود في العراق.....
٦٢٣.....	إرث الزوجة من العقار.....
٦٢٤.....	تحديد الأسعار.....
٦٢٤.....	دية مقتول خطأ.....
٦٢٤.....	التنازل عن الميراث بمقابل.....
٦٢٥.....	مراجعة الحاكم الشرعي.....
٦٢٥.....	الريا في تسديد القيمة.....
٦٢٥.....	الإيداع في المصرف.....
٦٢٦.....	ظلم الأجير.....
٦٢٦.....	أموال العراق.....
٦٢٧.....	حرمان البنت من الإرث.....
٦٢٧.....	صيغة اشتراط الفائدة.....
٦٢٨.....	تملك الفائدة.....
٦٢٨.....	الوفاء بالنذر.....
٦٢٨.....	تغيير الوقف.....
٦٢٨.....	الاقتراض من البنوك الربوية.....
٦٢٩.....	أجرة الرضاع.....
٦٢٩.....	البيع بسعيرين.....
٦٣٠.....	دعم مراكز إسلامية.....
٦٣١.....	تاسعاً السلوك والمعاملات.....
٦٣١.....	الاختلاط الجنسي.....
٦٣١.....	اللحوم الأجنبية.....
٦٣١.....	إضرار الأخ بإخيه.....
٦٣٢.....	الهجرة للدراسة.....
٦٣٢.....	الدخول إلى الكنيسة.....
٦٣٣.....	التعامل مع غير المسلمين.....
٦٣٣.....	العمل في مؤسسات النظام الجائر.....
٦٣٣.....	النذر غير الرأجح.....
٦٣٤.....	التعدي على الوالدة.....
٦٣٤.....	علاقة الزوجة بأهل زوجها.....
٦٣٥.....	خلع الحجاب لالتقاط الصور.....
٦٣٥.....	توزيع الأدوار والأعمال.....
٦٣٥.....	الانتماء إلى الأحزاب في الغرب.....

٦٥٢.....	اقتناء الأحراز.....
٦٥٣.....	الأكل من النذر.....
٦٥٣.....	أعياد الميلاد.....
٦٥٥	الفهرس

٦٥١.....	استعمال الآلات في المواكب الحسينية.....
٦٥١.....	الإذن في الجهاد.....
٦٥٢.....	إسقاط الغيبة.....
٦٥٢.....	سماع الأغاني.....
٦٥٢.....	سقي غير نظامي.....

ISBN 9953-60-027-9



9 789953 600277 >